

يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

الباب التاسع

ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان

١ ـ القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز

حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري ، وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه ، وله يقول الصاحب [من الطويل] :

إذا نحن سلَّمنا لكَ العلم كلَّهُ　　فدعْ هذه الألفاظ ننظِمْ شذورها[١]

وكان في صباه خلف الخضر[٢] في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علما وفي الكلام عالما ، ثم عرج على حضرة الصاحب وألقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفعته ، قريباً في أسرته ، وسيَّر فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فرد ، وما منها إلا صوب العقل[٣] ، وذوب الفضل ، وتقلّد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة الصاحب وبعد وفاته ، بين الولاية والعطلة ، وأفضى محله إلى قضاء القضاة ، فلم يعزله عنه إلا موته رحمه الله .

(١) شذورها : قطعها ومتفرّقها النفيس والشّذر ، قطع من الذهب .
(٢) خلف الخضر : يعني النبيّ الذي ورد ذكره في القرآن مع النبي موسى ، كنايةً عن كثرة تجواله .
(٣) صوب العقل : عطاؤه وفيضه .

وعرض عليَّ أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب في معنى القاضي أبي الحسن ، وهذه نسخته بعد الصدر والتشبيب :

« قد تقدم وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز أدام الله تعالى عزه فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش أدام الله تعالى علوه من كتبي ما أعلم أني لم أؤد فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه مني فالموقع تخطبه هذه المحاسن وتوجبه هذه المناقب ، وعادته معي أن لا يفارقني مقيما وظاعنا[١] ومسافراً وقاطناً ، واحتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإلمام ، فطالبني مكاتبتي بتعريف الأمير مصدره ومورده ، فإن عنَّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد ليستعجل انكفاءه إليّ بما يرسم أدام الله أيامه من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بدرقة[٢] إن آحتاج إليها وإلى الإستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتصرف النجح فيها ، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عند تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده ، فإني ما غاب كالمضل الناشد ، وإذا عاد كالغانم الواجد ، فعل أن إن شاء الله تعالى .

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوىء المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره » فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب[٣] ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الأدب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ

---

(١) ظاعناً : من الظعن وهو الارتحال .

(٢) البدرقة أو البذرقة : الخِفارة ، أو الجماعة التي تتقدم القافلة لحراستها .

(٣) شاكلة الصواب : مذهب الحق وطريقه .

وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح ، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور [من المتقارب] :

أيا قاضياً قد دنت كتبه وإن أصبحت دارُهُ شاحطَهْ[1]
كتابَ الوساطة في حسنه لعقد معاليك كالواسطه

***

فصل من هذا الكتاب المذكور[2]

ومتى سمعتني أختار للمحدث هذا الإختيار ، وأبعثه على الطبع ، وأحسن له في التسهل ، فلا تظنن أني أريد بالسهل السمح الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل أريد النمط الأوسط ، وما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط على البدوي الوحشي ، وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه ، ولم يبلغ تعجرف هميان بن قحافة وأضرابه ، نعم ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فإن المدح بالشجاعة والبأس ، يتميز عن المديح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، ولكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه ، وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ، ولا بمختص بالنظم دون النثر ،

---

(١) شاحطة : بعيدة .

(٢) انظر (ص ٢٣ من كتاب الوساطة للجرجاني طبع دار احياء الكتب العربية) ففيه بعض الاختلاف اليسير .

بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعد أو الوعيد أو الإعذار ، خلاف كتابك في الشوق أو التهنئة أو اقتضاء المواصلة ، وخطابك إذا حذّرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنَّيت ، فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى التهكم والتهافت وما اعترض بين التعريض والتصريح ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه ، وسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسبابٌ محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم .

فصل آخر منه

وكانت العرب ومن تبعها من سلف هذه الأمة تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجزالة المنطق لم تألف غيره ولا عرفت تشبيهاً سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقها ، ومن حقه أن يخص بتهذيب ويفرد بزيادة عناية ، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف إليها العمل والصنعة خرج كما تراه فخما جزلا وقوياً متيناً ، وقد كان القوم أيضاً يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر الرجل ويصلب شعر الآخر ، ويدمث[1] منطق هذا ويتوعر منطق غيره .

وإنما ذلك بحسب اختلاف الطباع وتركيب الخلق . فإن سلاسة اللفظ تتبع سلاسة الطبع ، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافي الجلف منهم كزَّ الألفاظ[2] جهم الكلام[3] وعر الخطاب ، حتى إنك ربما وجدت الغضاضة[4] في صوته ونغمته وفي حديثه ولهجته ، ومن شأن البداوة أن تظهر بعض ذلك ، ومن أجله قال النبي صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » .

(١) الدمث : اللّين السهل

(٢) كزّ الألفاظ : جافي الألفاظ وقبيحها .

(٣) جهم الكلام : كريهه ومستثقله .

(٤) الغضاضة : الذلّة والمنقصة .

ولذلك تجد شعر عدي بن زيد وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجرير وهما إسلاميان ، لملازمة عدي الحاضرة ، وإيطانه الريف وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب ، وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم ، والغزل المتهالك . وإذا اتفقت الدماثة والصبابة وانضاف الطبع إلى الغزل ، فقد جمعت لك الرقة من أطرافها .

ولما ضرب الإسلام بجرانة[1] واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتظرف[2] ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء فاستعملوا أحسنها مسمعا ، وألطفها من القلب موقعا ، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها وأرشقها كما رأيتهم فعلوا في صفات الطويل ، فإنهم وجدوا للعرب نحواً من ستين لفظاً أكثرها بشع شنع ، فنبذوا جميع ذلك وأهملوه ، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان وقلة نبوّ السمع عنه في البيان[3] .

قال مؤلف الكتاب : وأنا أكتب من خطبة كتاب القاضي في تهذيب التاريخ فصلين ، بعد أن أقول : إنه تاريخ في بلاغة الألفاظ وصحة الرواية وحسن التصرف في الانتقادات ، وأجريتهما وما تقدمهما من كتاب الوساطة مجرى الأنموذج من نثر كلامه ، ثم أقفّي على أثره بلُمَعٍ من غرر أشعاره ، إن شاء الله تعالى .

فصل ـ ولولا التاريخ ، لما تميز ناسخ من منسوخ ، ومتقدم من متأخر وما استقر من الشرائع وثبت مما أزيل ورفع ، ولا عرف ما كان أسبابها وكيف مست الحاجة إليها ، وحصلت وجوه المصلحة فيها ، ولا عرفت مغازي رسول الله صلى

(١) الجران : أصله مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره ، ويريد هنا انتشار الاسلام .
(٢) فشا : انتشر وذاع .
(٣) نبوّ السمع : نفوره .

الله عليه وسلم وحروبه وسراياه وبعوثه ، ومتى قارب ولاين وسارر وخافت ، وفي أي وقت جاهر وكاشف ونبذ أعداءه وحارب ، وكيف دبَّر أمر الله الذي ابتعثه له ، وقام بأعباء الحق الذي طوَّقه ثقله[1] ، وأيٌّ ذلك قدم وأيها أخر ، وبأيها بدأ وبأيها ثنَّى وثلَّث ، وإن الولد البر ليتفقد من آثار والده ، والصاحب الشفيق ليعني بمثله من شأن صاحبه ، حتى يعد إن أغفله مستهيناً به مستوجباً لعتبه ، فكيف لمن هو رحمة الله المهداة إلينا ونعمته المفاضة علينا ، ومن به أقام الله دنيانا وديننا وجعله السفير بينه وبيننا ؟ وأيٌّ أمر أشنع وحاله أقبح من أن يحل الرجل محل المشار إليه المأخوذ عنه ثم يسأل عن الغزوتين المشهورتين من مشهور غزواته والأثرين من مستفيض آثاره ، فلا يعرف الأول من الثاني ، ولا يفرق بين البادي والتالي .

فصل آخر

وهذا كتاب قصدت به غرضيّ دين ودنيا : أما الدين فان اقتديه[2] من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره ومعارف أحواله وأيامه ، وذكر ما طمس الله من معالم الشرك وأوضح معارف الحق ، وما خفض بعلو كلمته وعلى أيدي أنصاره وشيعته ، من رايات كانت عالية على الأبد ، مكنوفة بحصافة العدد ،[3] وكثافة العدد ، ما يعلم به العاقل المتوسم أن تلك الفئة القليلة والعدة اليسيرة ـ على قلة الأهبة ،وقصور العدة وخمول الذكر وضعف الأيدي وعلو أيدي الأعداء وشدة شوكة الأقران ـ لا تستمر لها ولا تتفق بها مغالبة الأمم جمعا . ومقاومة الشعوب طرًا ، وقهر الجنود الجمّة ، والجموع الضخمة ، وإزالة الممالك الممهدة والولايات الموطدة . في الدهر الطويل والزمن المديد ـ مع وفور العدة وانبساط القدرة . واستقرار الهيبة ـ إلا بالنصرة الالٍهية . والمعونة السماوية وإلا بتأييد لا يخص الله

(١) طوّقه ثقله : أي سلّم إليه مقادير أموره والقيام بأمره .
(٢) أقتذيه : أتعلمه وأتتبّعه .
(٣) مكنوفة بحصافة العدد : محاطة ومحروسة بالرأي والعدّة معاً .

به إلاّ الأنبياء ، ولا ينتخب له إلا الأولياء . وإن اختص فيه من معاناة أنصاره وأتباعه ، والقائمين بإظهار دينه في حياته ، وعمارة سبيله بعد وفاته ، من مصابرة اللأواء[1] ، ومعالجة البأساء. وبذل النفوس والأموال وأخطار المهج والأرواح ، ما يزيد القلوب للإسلام تفخيما . وبحقه تعريفاً . ولما عساها تستكبر من أفعالها تصغيراً . وفي الازدياد منه ترغيباً ، ما أجريه في خلال ذلك من تذكير بآلاء الله ، وتنبيه على نعم الله ، بما أقتص من أنباء الأولين ، وأبث من أخبار الآخرين ، وأبين من الآيات التي أمر الله بالمسير في الأرض لأجلها ، وبعث على الاعتبار بها وبأهلها . فقال ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ فيحرص العاقل على استبقاء نعمة الله عنده بالشكر الذي ضيّعه من سلبه الله تلك النعم ، ويتحرَّز[2] من غوائل الكفر[3] الذي أحل بهم تلك النقم .

وأما غرض الدنيا فأن أقيم بفناء الصاحب الجليل أدام الله بهاء العلم بدوام أيامه من يخلفني في تجديد ذكري بحضرته ، وتكرير اسمي في مجلسه ، ومن ينوب عني في مزاحمة خدمته ، على الإعتراف بحق نعمته ، وعلمت أني لا أستخلف من هو أمس به رحماً ، وأقرب منه نسباً ، وهو أرفع عنده موضعاً ، وألطف منه موقعاً ، وأخص به مدخلا ومخرجا ، وأشرف بحضرته مقاما وموقفاً ، من العلم الذي يزكو عنده غراسا ، فيضعف ريعا ويحلو طعما . ويطيب عرفا ويحسن إسما . فاخترت لذلك هذا الكتاب ثقة بوجاهته ، وعلماً بقرب منزلته ، وكيف لا يكون عنده وجيهاً مكيناً ، ومقبولاً قريناً[4] . وإنما هو نتاج تهذيبه ، وثمرة تقويمه ، وجناء تمثيله ، وريع تحريكه ؟ فلولا عنايته لما صدقت النيّة ، ولولا إرشاده لما نفذت الفطنة . ولولا معونته لما استجمعت الآلة ، وما يبعد به عن إيثار

---

(١) اللأواء : الشدّة في العيش .

(٢) يتحرَّز : يحترس ويتجنّب ، ومنها الحرز الذي يحتمي به المرء ويتعوّذ .

(٣) غوائل الكفر: دواهيه ومهالكه .

(٤) القرين : الصاحب .

العلوم وتعظيمها ، وعن تقديمها وتقريبها ، وهو الذي نصبه الله لها مثالا ، وأقامه عليها مناراً ، وجعله لها سنداً ، ولإحيائها سبباً .

***

ملح من شعره في الغزل والتشبيب وسائر الفنون

قال [من السريع] :

أَفـدي الـذي قال وفـي كفِّهِ   مثـلُ الـذي أشـربُ من فيهِ
الوردُ قد أينع في وجنتي قلتُ   فمـي باللَّثـم يجنيـهِ

وقال [من المنسرح] :

بـالله فُضَّ العقيق عن بردٍ   يروي أقـاحيه من مدام فمهْ
وامسـحْ غوالـي العـذار عن قمرٍ   نقَّـط بالـوردِ خدَّ ملتثمه

وقال [من المنسرح] :

قـلْ للسقـام الـذي بناظرِهِ   دعـه وأشـركْ حشـاي في سقمِهْ
كلُّ غرامٍ تخـاف فتنته   فبين ألحاظِـهِ ومبتسمه

وقال [من السريع] :

أنثـرْ علـى خديَّ من وردك   أودعْ فمـي يقـطف من خدّك
ارحـم قضيب البـان وارفـق به   قد خفـت أن ينقـدَّ من قدّك[1]
وقـلْ لعينيك بنفسـي هما   يخفِّفـان السقَـم عن عبدك

---

(١) البان : شجر ليّن الاعطاف ، وينقدُّ : ينقطع وينكسر .

وقال [من السريع] :

قـد برَّح الشـوق بمشتاقـك ... فأوَّلُـهُ أحسـن أخلاقكْ[1]
لا تجفُـهُ وارعَ له حقَّه ... فإنـه خاتـم عشَّاقكْ

وقال في الفصد [من المنسرح] :

يا ليت عينـي تحمَّلـت ألمك ... بل ليت نفسـي تقسّمـت سقمكْ
وليت كفَّ الـطبيب إذ فصدت ... عِرْقَكَ أجـرت من ناظـري دمك[2]
أعرتـه صبـغَ وجنتيك كما ... تعيرُهُ إن لثمـتَ من لثمك
طرفـك أمضـى من حدِّ مبضعه ... فالحـظْ به العـرق وارتجـز ألمك

وله [من الطويل] :

وفارقـتُ حتى ما أسـرُّ بمـن دنا ... مخافـةَ نأيٍ أو حذارَ صدودِ
وقد جعلـتْ نفسي تقـول لمقلتي ... وقـد قربـوا خوف التباعـد جودي
فليس قريبـاً من يخـافُ بُعاده ... ولا من يرجَّـى قربـه ببعيد

وله [من السريع] :

مـن ذا الغـزالُ الفاتـنُ الطرفِ ... الكامـل البهجـة والظُرفِ
مـا بال عينيه وألحاظِهِ ... دائبـةً تعمـل في حتفي[3]
واهـاً لذاك الـورد في خدِّه ... لو لم يكن مُمتنـعَ القطف
أشـكو إلـى قلبـك يا سيدي ... ما يشتـكي قلبـيَ من طرفي

وله [من الكامل] :

هـذا الهـلالُ شبيهَـهُ في حسنه ... وبهائـه كلاًّ وفتـرةِ جفنِهِ

---

(١) برّح : من البرح وهو الألم .
(٢) الفصد : الشقّ .
(٣) الحتف : الهلاك والموت .

هبْـكَ ادعيتَ بهـاءَهُ وضياءَهُ   كيف احتيالك في تأوُّد غصنه[1]
لـو لاحظتـك جفونـه بفتورها   أقسمـتَ أنّـك ما رأيت كحسنه

وقال [من المنسرح] :

يا قبلـةً نلتهـا على دهشٍ   من ذي دلالٍ مهفهفٍ غنِجِ
قـد حيَّـر الخشفُ غنـج مقلته   والـورد توريد خدّه الضرج[2]
إذا تثنّـى أو قام معتدلاً   قال له الغصـنُ أنـت في حرج
قـد قسَّـم الحسـن مقلتيك أبـا الـــقاسـم بـين الفتـور والدَّعج[3]
قـل لهما يرفقـا بقلـب فتىً   طويتَ أحشـاءه على وهجِ
فمنهما لا عدمـتُ ظلمَهُما   سقـمُ فؤادي ومنهما فرجي

وله سامحه الله [من السريع] :

وغنـجُ عينيكَ ومـا أودعت   أجفانهـا قلـب شجٍ وامقِ[4]
مـا خلـق الرحمـن تفاحتيْ   خدّيك إلاّ لفـم العاشق
لكننـي أُمنـع منهـا فما   حظّـيَ إلاّ خلسـةُ السارق

وله أيضاً [من السريع] :

مـن عاذري مِنْ زمـنٍ ظالمٍ   ليس بمستحـي ولا راحمِ
تفعـل بالأحـرار أحداثه   فِعْـلَ الهـوى بالـدَّنفِ الهائم
كأنّمـا أصبـح يرميهُمُ   عن جفـن مولاي أبـي القاسم

وله أيضاً [من المنسرح] :

ولـو تراني وقـد ظفـرتُ به   ليلاً وستـر الظـلام منسدلُ

---

(١) التأوّد : الانثناء والميل .
(٢) الخشف : ولد الغزال ، الضرج : المدمى أو المحمر بلون الدماء .
(٣) الفتور : الذبول ، والدّعج سعة العين .
(٤) شجٍ وامق : أي محبٌّ متشوّق .

وللـكرى في الجفـون داعيةٌ وقـد حداهـا حادٍ له عَجِلُ
وحوِّصـت أعـينُ الوشـاة كما جمّش معشوقـه الفتـى الغزل(١)
فـذاك مغفٍ وذاك مختلطٍ يهـذي وهـذا كأنّـه ثمل
وقلـت يا سيدي بدا علـم الـ ـصبـح وكاد الظـلام يرتحل
ثـم انثـى يبتغـي وسـاديَ إذ أيقـن أنَّ الوشـاة قد غفلوا
فبـات يشـكو وبـتُّ أعذره وليس إلاَّ العتـابُ والعلل
لخلتنـا ثمَّـة شعبتـيْ غصنٍ يوم صبـاً نلتـوي ونعتدل(٢)
يا طيبهـا ليلـةٌ نعمـت بها غرّاء أدنـى نعيمهـا القبل

وله سامحه الله تعالى [من الخفيف] :

يا نسيمَ الجنـوب بالله بلِّغْ ما يقـول المتيَّمُ المستهامُ
قـلْ لأحبابـه فداكم فؤادٌ ليس يسلـو ومقلـةٌ لا تنامُ
بنتُـمُ فالسهـاد عنـدي مقيمٌ مذ نأيتـم والعيش عنـدي حِمام(٣)
فعلى الـكرخ فالقطيعـة فالشـــــطّ فباب الشعـير منّـي السلام(٤)
يا ديار السرور لا زال يبكي بك في مضحـك الـرياض غمامُ
ربَّ عيشٍ صحبتـه فيك غضٍّ وجفـون الخطـوب عنَّـا نيامُ
في ليالٍ كأنهـنَّ أمانٍ من زمـانٍ كأنَّـه أحلام
وكأنَّ الأوقـات فيهـا كؤوسٌ دائـراتٌ وأنسهـنَّ مدام
زمـنٌ مسعـدٌ وإلفٌ وصولٌ ومنـىً تستلذُّهـا الأوهامُ
كلُّ أنسٍ ولـذةٍ وسرورٍ قبـلَ لقياكُمُ عليَّ حرامُ

---

(١) حوّصت : من الحوص وهو ضيقٌ في العين، وجمّش : من التجميش وهو الملاعبة والمداعبة .
(٢) الخلّة : الصداقة ، والمحبّة ، والصبًا الريح مهبها من الشرق ، وهي ريح كان العربي يأنس إليها ويتمناها لأنها منعشة .
(٣) بنتم : هجرتم وابتعدتم ، والسهاد : الأرق ، والحمام : الموت .
(٤) باب الشعير وما قبلها : أماكن في بغداد .

وله [من الطويل] :

سقى جانبي بغداد إخلاف مزنةٍ ... تحاكي دموعي صوبها وانحدارها[١]
فلي فيهما قلبٌ شجاني اشتياقه ... ومهجةُ نفسٍ ما أملُّ ادكارها
سأغفر للأيام كلَّ عظيمةٍ ... لئن قرّبت بعد البعاد مزارها

وله من قصيدة يتشوق فيها بغداد ، ويصف موضعه بناحية رامهرمز ، ويمدح صديقا له من أهلها [من الطويل] :

أراجعةٌ تلك الليالي كعهدها ... إلى الوصل أم لا يُرتجى لي رُجوعُها ؟
وصحبة أقوامٍ لبستُ لفقدهم ... ثيابَ حدادٍ مستجدٍّ خليعُها
إذا لاح لي من نحو بغداد بارقٌ ... تجافتْ جفوني واستُطيرَ هجوعُها[٢]
وإن أخلفتها الغاديات رعودها ... تكلّف تصديقُ الغمام دموعُها
سقى جانبيْ بغداد كلَّ غمامةٍ ... يحاكي دموع المستهام هموعُها[٣]
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت ... لواحظها أن لا يداوي صريعها
بها تسكن النفس النفور ويغتدي ... بآنس من قلب المقيم نزيعها[٤]
يحن إليها كل قلب كأنّما ... يشاد بحبّات القلوب ربوعها
فكلُّ ليالي عيشها زمن الصبا ... وكلُّ فصول الدهر فيها ربيعها
وما زلت طوع الحادثات تقودني ... على حكمها مستكرهاً فأُطيعها

ومنها :

فلما حللت القصرَ قصرَ مسرتي ... تفرّقن عني آيساتٌ جموعها
بدارٍ لها يسلى المشوق اشتياقه ... ويأمنُ ريب الحادثات مروعها[٥]

(١) إخلاف مزنة : أي غيم ممطر ، وصوبها : انهمارها بالمطر .
(٢) استطير هجوعها : أي فارقها الرقاد .
(٣) هموعها : مطرها وسيلها .
(٤) نزيعها : النزيع : الذي يحنّ إلى وطنه وأهله .
(٥) يسلى : من السلوان وهو الصبر والاستئناس في الإقامة ، وريب الحادثات : أي مصائب الدهر ومروعها : من الروع وهو الخوف .

بها مسرحٌ للعين فيها يروقها ومستروحٌ للنفس ممّا يروعها
يرى كلُّ قلبٍ بينها ما يسرُّهُ إذا زهَّرت أشجارها وزروعها
كأنّ خرير الماء في جنباتها رعودٌ تلقت مزنةً تستريعها
إذا ضربتها الريح وانبسطت لها ملاءة بدرٍ فصّلتها وشيعها[1]
رأيت سيوفاً بين أثناء أدرعٍ مذهبةٍ يغشى العيون لميعها
فمن صنعة البدر المنير نصولها ومن نسج أنفاس الرياح دروعها
صفا عيشنا فيها وكادت لطيبها تمازجها الأرواح لو تستطيعها

وله من قصيدة [من البسيط] :

من أينَ للعارضِ السارق تلهُّبُهُ وكيف طبَّق وجه الأرض صيِّبُهُ ؟
هل استعان جفوني فهي تُنجده أم استعار فؤادي فهو يلهبُهُ ؟
بجانب الكرخ من بغدادَ لي سكنٌ لولا التجمُّل ما أنفكُّ أندبُهُ
وصاحبٍ ما صحبت الصبر مذ بعدت دياره ، وأراني لست أصحبه
في كلِّ يومٍ لعيني ما يؤرِّقُها من ذكره ، ولقلبي ما يعذِّبه
ما زال يبعدني عنه وأتبعُهُ ويستمرُّ على ظلمي وأعتُبُهُ[2]
حتى لوتْ لي النَّوى من طول جفوته وسهَّلت لي سبيلا كنتُ أرهبه
وما البعاد دهاني بل خلائقه ولا الفراق شجاني بل تجنُّبه

***

لمعٌ من شعره في حسن التخلُّص

قال من قصيدة في الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد [من المتكامل] :

أوما انثنيتَ عن الوداع بلوعةٍ ملأتْ حشاك صبابةً وغليلا
ومدامع تجري فيحسب أنَّ في آماقهنَّ بنانُ إسماعيلا

(١) وشيعها : من الوشيع وهو علم الثوب أو رسمه .
(٢) أعتُبه : ألومه وأصفح عنه .

ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور [من الطويل]:

إذا استشرفتْ عيناك جانب تلعةٍ　　جلت لك أخرى من رُباها جوانبا[1]
يضاحِكُنا نوّارها فكأنما　　نغازلُ بين الروض منها حبائبا[2]
تبسَّم فيها الأقحوانُ فخلتُهُ　　تلقاك مرتاحاً إليك مداعبا
وحلَّ نقابُ الورد فاهتزَّ يدَّعي　　بواديه في ورد الخدود مناسبا
أقول وما في الأرض غير قرارةٍ　　تصافحُ روضاً حولها متقاربا
أباتت يد الأستاذ بين رياضها　　تدفَّقُ أم أهدت إليها سحائبا
أألبسها أخلاقُهُ الغرَّ فاغتدت　　كواكبها تجلو علينا كواكبا
أوشَّت حواشيها خواطر فكرِهِ　　فأبدت من الزهر الأنيق غرائبا
أهزَّ الصَّبا قضبانها كاهتزازه　　إذا لمست كفَّيه كفَّك طالبا[3]
أخالته يصبو نحوها فتزيَّنت　　تؤمِّل أن يختار منها ملاعبا

ومن قصيدة في دلير من بشكروز [من البسيط]:

وما أُقيم بدارٍ لا أُعزُّ بها　　ولا يقرُّ قراري حيث أُبتذل[4]
وقد كفاني انتجاعُ الغيث معرفتي　　بأنّ دلير لي من سيبه بدل[5]
تجنَّبتْ نشواتُ الخمر همَّته　　وأعلمتنا العطايا أنه ثمل

ومن قصيدة في شيرزاد بن سرخاب [من الطويل]:

ألم تر أنواء الربيع كأنَّما　　نشرن على الآفاق وشياً مذهَّبا
فمن شجرٍ أظهرن فيه طلاقةً　　وكان عبوساً قبلهنَّ مقطَّبا

---

(١) استشرفت : تطلّعت وتفحّصت ، والتلعة : المرتفع من الأرض .

(٢) نوّارها : أزهارها .

(٣) الصبا : الريح الشمالية .

(٤) أبتذل : أرخُص وأهان .

(٥) انتجاع الغيث : مطلبه وورود أماكنه والغيث : المطر وهو هنا كناية عن الممدوح ، وسيبه : عطاؤه .

ومن روضةٍ قضَّى الشتاءُ حدادها ... فوشحن عِطفيها ملاءً مُطيَّبا
سقاها سلافُ الغيث ريًّا فأصبحت ... تمايل سكراً كلَّما هبَّتِ الصبَّا
كأنَّ سجايا شيرزاد تمدُّها ... فقد أمنت من أن تحول وتشحبا(١)

ومن قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير [من الطويل]:

ولما تداعتْ للغروب شموسُهُمْ ... وقمنا لتوديع الفريق المغرِّبِ
تلقين أطرافَ السجوف بمشرقٍ ... لهنَّ وأعطافَ الخدور بمغربِ
فما سرن إلاَّ بين دمعٍ مضيَّعٍ ... ولا قمن إلا فوق قلبٍ معذَّب
كأنَّ فؤادي قرنُ قابوس راعه ... تلاعبه بالفيلق المتأشِّبِ(٢)

ومن قصيدة له فيه أيضاً [من الخفيف]:

ليلةٌ للعيون فيها وللأسـ ... ـماع ما للقلوب والآمال
نظمت للندام فيها الأماني ... مثل نظم الأمير شمس المعالي

ومن قصيدة في الصاحب [من الطويل]:

وما بالُ هذا الدهر يطوي جوانحي ... على نفس محزونٍ وقلب كئيبِ
تُقسِّمني الأيام قسمة جائرٍ ... على نضرةٍ من حالها وشحوبِ
كأنِّي في كفِّ الوزير رغيبةً ... تقسَّم في جدوى أغرٍّ وهوبِ

ومن أخرى فيه وصف الإبل [من الطويل]:

يقربن طلاَّب العلا من سمائها ... ويهدين روَّاد الندى لجوادها
فلاقين مولانا وقد صنع السُّرى ... بهنَّ صنيع كفِّه بتلادها

***

(١) سجايا : طباع وصفات ، وتحول أي تتحوّل .
(٢) المتأشّب : المجتمع والمختلط .

غرر من شعره في المدح ، وما يتصل به

قال من قصيدة في الصاحب [من الكامل]:

يا أيها القرم الذي بعلوِّهِ ... نال العلاء من الزمان السولا[1]
قسمت يداك على الورى أرزاقها ... فكنُّوك قاسم رزقها المسئولا

ومن أخرى فيه [من الطويل]:

فتىً كيف ما ملنا رأينا له يداً ... بعيدةَ رمى الشكر مطلبها سهلُ
خفيفٌ على الأعيان محملُ منِّها ... ولكن على الأفكار من عدِّها ثقل[2]
ووالله ما أفضى من المال مانشا ... إلى كفِّه إلاَّ العنان أو النصل[3]

ومن أخرى فيه [من مجزوء الكامل]:

يا من إذا نظر الزما ... ن إليه أكثر عُجْبَهُ
رحل المصيف فلا تزل ... أبداً تودّع ركبه
وبدا الخريف فحيٍّ خا ... لصة الزمان ولبه
زمنٌ كخلقك ناصرٌ ... إن كان خلقك يشبه
رقَّ الهواء فما ترى ... نفساً يعالج كربه
وصفا وإن لاحظت ... أبعده ظننتك قربه
فلو استحال مدامةً ... ما كنت أحظر شربه
فتهنَّه يا فردَهُ ... وتملَّهُ يا قطبه

---

(١) القرم : السّيد .

(٢) منِّها : من المنّ : الانعام والعطاء .

(٣) ما نشا : ما رجع وامتلك ، والعنان : جمع أعنة وهو زمام الخيل وغيرها ،والنّصل : حديدة الرمح والسهم والسيف .

ومن أخرى فيه [من الطويل]:

ولا ذنبَ للأفكار أنت تركتها ... إذا احتشدت لم تنتفع باحتشادها
سبقت بأفراد المعاني وألّفت ... خواطرك الألفاظ بعد شرادها
فإن نحن حاولنا اختراع بديعةٍ ... حصلنا على مسروقها ومعادها

ومن أخرى فيه [من البسيط]:

أغرُّ أورعُ تلهينا وقائعُه ... في المال والقرن عن صفّين والجمل
مسترضعٌ بثدي المجد مفترشٌ ... حجر المكارم مفطومٌ عن البخل
أمضى من السيف لفظاً غير لجلجةٍ ... تغشّاه إن مال مضطرٌ إلى العلل(١)

ومنها [من البسيط]:

وسائلٍ ليَ عن نعماك قلتُ له ... تفصيلُها مستحيلٌ فارض بالجملِ
هذي صبابة ما أبقت يداي وقدْ ... عرفت حرفهما فانظرْ ولا تسلِ

ومن أخرى فيه [من المنسرح] :

لا وجفونٌ يغضُّها العذلُ ... عن وجناتٍ تذيبها القُبَلُ(٢)
ومهجةٍ للهوى معرَّضةٍ ... تعيثُ فيها القدود والمقل
ما عاش من غاب عن ذراك وإن ... أخرَّ ميقات يومه الأجل

ومن قصيدة عيادة له [من الطويل]:

بعيني ما يُخفي الوزير وما يبدي ... فنورهما من فضل نعمائه عندي
سأجهد أن أُفدي مواطيءَ نعله ... فإن أنا لم أقبل فما لي سوى جهدي
لأعديَ تشكيك البلاد وأهلها ... وما خلت أن الشكو بُعدي على البعد

(١) اللجلجة : التردّد في الكلام ، والعلل : أي التعلّل بالأسباب .
(٢) يغضُّها العذل : أي يخجلها اللوم فتطرق حياءً .

ولـم أدرِ بالشـكوى التـي عرضـت له ... ونعمـاه حتّى أقبل المجـد يستعدي
ومـا أحسـب الحمّـى وإن جلّ قدرها ... لتجسـر أن تدنـو إلـى منبـعِ المجد
ومــا هي إلاّ من تلهُّــب ذهنه ... توقّــدُ حتــى فاض من شدة الوقد
ليفــدِكَ من نعمــاك مالك رقّةً ... فكلُّ الورى بل كل ذي مهجـة يفدي
ومـا زالــت الأحــرار تفـدي عبيدها ... لتكفِيَهَــا ما تتَّقــي مهجــةُ العبد

ومن أخرى في التهنئة بالبرء [من الطويل]:

بك الدهــر ينــدي ظلُّـه ويطيبُ ... ويقلــعُ عمّــا ساءنــا ويتوبُ
ونحمــد آثــار الزمــان وربّما ... ظللنــا وأوقــاتُ الزمــان ذنوبُ
أفــي كلِّ يومٍ للمــكارم روعةٌ ... لهـا في قلـوب المكرمــات وجيب[1]
تقسَّمــت العلياءُ جسمــك كلَّهُ ... فمــن أين فيه للسقــام نصيب
إذا ألمــت نفس الأمير تألّمت ... لهــا أنفسٌ تحيا بهــا وقلوب

ومنها:

وواللّـهِ لا لاحظــتُ وجهــاً أحبُّهُ ... حياتـي وفــي وجـه الــوزير شحوبُ
وليس شحوبــاً ما أراه بوجههِ ... ولكنّــه في المكرمــات ندوب[2]
فلا تجزعــنْ تلك السمــاء تغيّمتْ ... فعمّــا قليلٍ تبتــدي فتصوب
تهلّل وجــه المجــد وابتســم الندى ... وأصبـح غصـنُ الفضـل وهـو رطيب
فلا زالــت الــدنيا بملـكك طلقةً ... لا زال فيهــا من ظلالك طيب

ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور [من الكامل]:

هذا أبــو مضــرٍ كفتنــا كفُّهُ ... شكوى اللئــام فمــا نذمُّ لئيما
هذا الجسيم مواهبــاً هذا الشريف ... مناصبــاً هذا المهــذّب خيما[3]

---

(١) الوجيب : الخفق والارتجاف .
(٢) ندوب : علامات .
(٣) خيما : أصلاً وطبعاً وجوهرا .

سمــكت كهمتــه السمــاء ومثّلت فيهــا خلائقُــهُ الشــراف نجوما
نشــوانُ قد جعــل المحامــد والعلا دون المدامــة ساقياً ونديما
أعــدى الأنــام طباعــه فتكرَّموا لو جاز أن يدعــى سواه كريما

ومن قصيدة في دلير بن بشكروز [من الطويل]:

كريمٌ يرى أن الرجــاء مواعدٌ وأن انتظــار الســائلين من المطل[1]
وخيرُ الموالــي من إذا ما مدحته مدحتُ به نفسي وأخبـرتُ عن فضلي

ومن أخرى [من البسيط]:

قل للأمير الــذي فخــر الزمــان به ما الدهــر لولاك إلا منطــقٌ خَطَلُ[2]
كفتــك آثــار كفَّيك التــي ابتدعت في المجــد ما شاده آبــاؤك الأولُ
ما زال في النــاس أشبــاهٌ وأمثلة حتـى ظهـرت فغـاب الشّكل والمثلُ

***

درر من شعره في وصف الشعر

قال من قصيدة [من الطويل]:

ومــا الشعــر إلاّ ما استفــزَّ ممدَّحاً وأطــرب مشتاقــاً وأرضى مغاضبا
أطــاع فلــم توجــدْ قوافيه نفَّراً ولـم تأتـه الألفــاظ حســرى لواغبا[3]
وفـي النــاس أتابــع القوافــي تراهم يبثّــون في آثارهــن المقانبا[4]
إذا لحظــوا حرف الــروي تبادروا وقـد تركوا المعنــى مع اللفــظ جانبا .

(١) المطل : من المماطلة أي التسويف .
(٢) الخطل : الفساد .
(٣) اللواغب : الضعاف .
(٤) المقانبا : جمع مقناب وهو ظفر الأسد أو غطاؤه ، أو الوعاء الذي يجعل فيه الصائد ما يصيده .

وإن منعوا حرَّ الكلام تطرَّقوا حواشيه فاجتاحوا الضعيف المقاربا
ولكنَّني أرمي بكلٍّ بديعةٍ يبِتْنَ بألباب الرجال لواعبا
تسير ولم ترحلْ وتدنو وقد نأتْ وتكسبُ حفاظ الرجال المراتبا
ترى الناس إمَّا مستهاماً بذكرها ولوعاً وإمَّا مستعيراً وغاصبا
أذود لئام الناس عنها وأتقي على حسبي إن لم أصنها المعايبا
وأعضلُها حتى إذا جاء كفؤها سمحت بها مستشرفاتٍ كواعبا(١)
وأيُّ غيورٍ لا بجيب وقد رأى مكارمك اللاتي أتين خواطبا

ومن أخرى [من الطويل]:

ووفاك وفد الشكر من كلِّ وجهةٍ ثناءً يسدّى أو مديحاً ينظّم
يزفُّ إلى الأسماع كلَّ خريدةٍ تكاد إذا ما أنشدت تتبسَّم(٢)
أطافت بها الأفكار حتى تركنها يقال أأبياتٌ تراها أو أنجم

ومن أخرى [من الكامل]:

أهدنْ لمجدك حلَّة موشيةً تكسو الحسود كآبةً وذبولا
أحيت حبيباً والوليد ففصّلا منها وشائع نسجها تفصيلا(٣)
فأفادها الطائيُّ دِقة فكرةٍ والبحتري دمائةً وقبولا

ومن أخرى [من الكامل]:

لو لم أشرِّف بامتداحك منطقي ما انقاد نحوك خاطري مزموما
لكن رأى شرف المصاهر فاغتدى يهدي إليك لبابَهُ المكتوما
فحباك من نسج العقول بغادةٍ قطعت إليك مقاصداً وعزوما(٤)

(١) أعضلها: أضيّق عليها وأحبسها ،والكاعب : الفتاة الناهد .
(٢) الخريدة : الفتاة العذراء ، ويقصد هنا القصائد البكر التي لم يسبق اليها .
(٣) وشائع : الوشيع : علم الثوب أو رسمه ويريد بالحبيب والوليد : أبا تمام والبحتري .
(٤) حباك : أعطاك ومنحك .

لمـا تبيَّنـتِ الكفـاءةُ أقسمت | أن لا تغـرِّب بعدهـا وتقيما
لا تبغهـا مهـراً فقـد أمهرتها | نعمـاك عنـدي حادثـاً وقديما
ألزمـتُ شكرك منطقـي وأناملي | وأقمـتُ فكري بالوفـاء زعيما

من أخرى [من الطويل] :

أتتنـا العـذارى الغيدُ في حُلَل النُّهى | تنشَّر عن علمٍ وتطـوي علـى سحرِ
تلاعَـبُ بالأذهـان روعَـةُ نشرِها | وتشغل بالمـرأى اللـطيف عن السبر[1]
ألَـذُّ من البشـري أتـت بعـد غيبةٍ | وأحسـن من نعمـى تقابـل بالشكر
فلـم أر عقـداً كان أبهـى تألُّقاً | وأشبـه نظمـاً متقنـاً منـه بالنثر
ترى كلَّ بيتٍ مستقـلاًّ بنفسه | تباهـى معـانيه بألفاظـه الغرِّ
تحلَّـت بوصف الجسـم ثم تنكَّرتْ | ومالت مع الأعراض في حيِّزٍ تجـري
أرنَّـت سحـاب الفـكر فيهـا فأبرزت | لآلـيءَ نورٍ في حدائقهـا الزُّهر[2]
فجـاءت ومعناهـا ممـازجُ لفظها | كمـا امتزجـت بنـتُ الغمامـة بالخمر
أشـدُّ إليه نسبـةً من حروفه | وأحـوج من فِعْـلٍ جميلٍ إلـى نشر
نظمتهمـا عقـداً كمـا نظـم الحِجى | وفـاءك في عقـد السماحـة والفخر[3]
كأنّـك إذ مرَّتْ علـى فيك أفرغت | ثنـاياك في ألفاظهـا بهجـة البشر
كفتنـا حميًّا الخمـر رقـةُ لفظِها | وأمَّنـا تهذيبُهـا هفـوةُ السكْر

وكتب إليه بعض أهل رامهرمز أبياتاً يمتدحه فيها ، وقد كان بلغه عنه أبيات يشكو فيها أهل ناحيته ، فقال : هلا انتقل ، واتصل ذلك بقائلها فضمـن أبياتـه اعتذاراً من المقام لتعذر النقلة . فكتب إليه مجيباً له قصيدة منها [من الطويل] : .

بدأتَ فأسلفـت التفضُّـلَ والبرا | وأوليتَ إنعامـاً ملـكت به الشكرا

(١) السبر : الكشف ، والنشر : الرائحة الطيبة .
(٢) أرنّت : من الإرنان ، أو من الإرناء وهو إدامة النظر مع سكون الطرف ، والنور : الزهر الأبيض .
(٣) الحجى : العقل .

وللسابــق البــادي من الفضــل رتبةٌ تقصَّــرُ بالتالــي وإن بلــغ العذرا
أتتنــا عذاراك اللواتــي بعثتها لتوسعنــا علمــاً وتلبسنــا فخرا[1]
فأفصحــن عن عذرٍ وطوّقــن منّةً وقلن كذا من قال فليقــل الشعرا
فأوليتُهــا حســن القبــول معظّماً لحــق فتــىً أهــدى بهــنَّ لنــا ذكرا
تناهــي النهــى فيهــا وأبــدع نظمها خواطــر ينقــاد البــديع لهــا قسرا
إذا لحظــت زادتْ نواظرَنــا ضياً وإن نشــرت فاحــت مجالسنــا عطرا
تنازعهــا قلبــي مليًّا وناظري فأعــطيت كــلاً من محاسنهــا شطرا
فنزّهــتُ طرفــي في وشــيٍ رياضها وألقطــت فكري بين ألفاظهــا الدرّا
تضاحكنــا فيهــا المعانــي فكلّما تأملــت منهــا لفظــةً خلتهــا شعرا
فمــن ثيِّبٍ لم تُفْتَــرَعْ غير خلسةٍ وبــكرٍ من الألفــاظ قد زوّجــت بكرا[2]
يظــل اجتهــادي بينهــن مقصرًا وتُمسي ظنونــي دون غايتها حسرى[3]
إذا رمــتُ أن أدنــو إليهــا تمنّعت وحقٌ لهــا في العــدل أن تظهــر الكبرا
وقد صدرت عن معدن الفضل والعلا وقد صحبتْ تلك الشمائــل والنّجرا[4]
فتمّــت لك النعمــى وساعــدك المنى وملّيت في خفضٍ أبــا عمــر العمرا[5]
كفتنــا وإياك المعــاذير نيّةً إذا خلصت لم تذكر الوصــل والهجرا
مدحــتَ فعــدّدت الــذي فيك من علاً وألبستنــي أوصافــك الزهــر الغرّا
ومــا أنــا إلا شُعبــةٌ مستمدةٌ لمغــرز فيضٍ منــك قد غمــر البحرا
وقــد كان ما بلّغتــه من مقالةٍ أنفــت بهــا للفضــل أن يألف الصغرا
إذا البلــد المعمــور ضاق برحبه علــى ماجــدٍ فليســكنِ البلــد القفرا

---

(١) عذاراك : أي أبياتك العذراء التي لم يسبق إليها في ا لمعنى .
(٢) الثيب : المرأة التي ليست بكر ، وتفترع : أي افتضّت بكارتها .
(٣) حسرى : ضعيفة متعبة خائبة .
(٤) النجر : الأصل الكريم .
(٥) الخفض : السعة في العيش ولينه .

وكم ماجدٍ لم يرضَ بالخسف فانبرى يقارع عن هماته البيض والسمرا[1]
ومن علقتْ نيلُ الأماني همومه تجشّم في آثارها المطلبَ الوعرا
فلا تشكُ أحداث الزمان فإنّني أراه بمن يشكو حوادثه مُغرى
وهل نصرتْ من قبلُ شكواك فاضلاً لتأمل منهنّ المعونة والنصرا
وما غلب الأيامَ مثلُ مجرِّبٍ إذا غلبته غايةٌ غلب الصبرا

***

فقر له من كل فن

قال من قصيدة [من الطويل]:

يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنّما رأوا رجلاً عن موقف الذلّ أحجما[2]
وما زلتُ منحازاً بعِرضيَ جانباً من الذمّ أعتدُّ الصيانة مغنما[3]
إذا قيل هذا مشربٌ قلت قد أرى ولكنّ نفس الحرِّ لا تحمل الظما
ولم أقضِ حقّ العلم إن كان كلّما بدا طمعٌ صيّرته لي سُلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيتُ لكن لأُخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلّةً إذاً فاتباعُ الجهل قد كان أحزما

وقال من أخرى [من الطويل]:

وقالوا اضطربْ في الأرض فالرزق واسعٌ فقلت: ولكن مطلبُ الرزق ضيّقُ
إذا لم يكن في الأرض حرٌّ يعينني ولم يكُ لي كسبٌ فمن أين أرزق؟

ومن أخرى [من الطويل]:

على مهجتي تجني الحوادثُ والدهرُ فأمّا اصطباري فهو ممتنعٌ وعْرُ

---

(١) الخسف : النقصان والظلم ، والبيض. والسمر: السيوف والرماح .
(٢) أحجما : ابتعد وتجنّب وتمنّع .
(٣) أعتدّ الصيانة مغنما : أي أحسب وأعدّ صون النفس والعرض مغنماً .

كأنّـي ألاقـي كلَّ يومٍ ينوبني بذنـبٍ ، وما ذنبـي سوى أنَّنـي حرُّ
فإن لم يكن عنـد الزمـان سوى الذي أضيقُ به ذرعـاً فعنـدي له الصبرُ[1]
وقالـوا توصـل بالخضـوع إلـى الغنى ومـا علمـوا أنَّ الخضـوع هو الفقر
وبينـي وبين المـال بابـان حُرِّما على الغنـى : نفسـي الأبيةُ ، والدهر

ومنها :

إذا قال هذا اليسـرُ أبصـرتُ دونَهُ مواقفَ خيرٍ من وقوفـي بهـا العسرُ
إذا قدّمـوا بالوفـر أقدمـت قبلهمْ بنفسٍ فقيرٍ كلُّ أخلاقـه وفر
ومـاذا علـى مثلـي إذا خضعـت له مطامعـه في كفٍّ من حصـل التبر

وكتب على لسان غيره [من الطويل] :

أبـا حسـنٍ طال انتظـارُ عصابةٍ رجتـك لمـا يُرجى له الماجـدُ الحرُّ
وقـد حان بل قد هان لولا المطـالُ أن يحلَّ لهـم عن وعـدك الموثـقِ الأسر
وقـد فاتهـم من قربـك الأنس والمنى وحاربهـم فيك اختيارك والدهر
فإن كنـتَ عوَّضـت عنهـمْ بغيرهـمْ فعوضهُـمُ راحـاً يزول بهـا الفكرِ
فأنس الفتـى في الدهـر خلٌّ مساعدٌ وإن فاتـه الخـلُّ المساعـد فالخمر
فإمَّـا رسـولٌ بالنبيذ مبادرٌ وإلا فلا تغضـب إذا غضـب الشعر

وقال من قصيدة كتبها إلى أخوين له من انقباضه عنهما وإغبابه زيارتهما [من الطويل] :

أيُّهـا معهـدُ الأحبـاب ذكَّرهـم عهدي ودمْ لي ، وإن دام البعاد ، علـى الودِّ
ولـي خلـقٌ لا أستـطيع فراقه يفوِّتنـي حظـي ويمنعنـي رُشدي
نفـورٌ عن الإخـوان من غير ريبةٍ تعـدُّ جفـاءً والوفـاء لهـم وُكدي[2]

---

(١) ذرعاً : من ذرع المكان ذهاباً وإياباً برماً منه .
(٢) الوُكد : الجهد والسعي .

غذيتُ به طفلاً فإن رمت هجره تأبّى وأغزتني به ألفة المهد[1]
كما ألفت كفًّا كما البذلُ والندى فأعيا كما أن تمنعا كفٌ مستجدي
على أنّني أقضي الحقوق بنيتي وأبلغ أقصى غاية القرب في بعدي
ويخدمهم قلبي وودّي ومنطقي وأبلغ في رعي الذِّمام لهم جهدي
فإن أنتما لم تقبلا لي عذرةً وألزمتماني فيه أكثر من وجدي
فقولا لطبعي أن يزول فإنّه يرى لكما حق الموالي على العبد

وقال [من الوافر] :

جفاؤُكَ كُلَّ يومٍ في مزيدِ وما تنفكُ تُشمت بي حسودي
فإن يكن الصدود رضَاك فاذهبْ فإنّي قد وهبتك للصدود[2]
فحسبي منك أن يهواك قلبي وحسبك أن أزورك كل عيد

وأهدى إلي صديق له بعض إخوانه تحفة وفيها أفراخ وباقلاء وباذنجان فقال على لسانه يذكر ذلك [من الطويل] :

أبى سيدُ الساداتِ إلاّ تظرُّفاً وإلاّ وصالاً دائماً وتعطُّفا
وساعدني فيه الزمان فخلته تحرَّج من ظلمي فتاب وأسعفا[3]
وأهيفُ لو للغصنِ بعضُ قوامه تقصَّف عاراً أن أُسميه أهيفا
تحيَّن غفلات الوشاة فزارنا يعرِّج عن قصد الطريق تخوُّفا[4]
فما باشرت نِعلاه موضع خطوةٍ من الأرض إلاّ أورثاه تصلُّفا[5]
وتلحظ خديّه العيون فتنثني تَساقَطُ فوق الأرض ورداً مقطَّفا

---

(١) تأبّى : امتنع .
(٢) الصدود : الإعراض .
(٣) تحرّج : تأثّم .
(٤) تحيَّن : أي ترقّب ، يعرّج : يميل .
(٥) التصلّف : التكبُّر والادعاء بما ليس فيه .

فقلـت أحلـمٌ أم خواطـر صبوةٍ ... تصـوره أم أنشـر الله يوسفا
وفيم تجلَّى البـدر والشـمس لم تغب ... أحـاول منهـا أن تحـول وتكسفا
أمـا خشيت عينـاك عينـاً تصيبها ... وغصنـك ذا إذ مال أن يتقصَّفا
ولـم يحـذر الـواشين من لحظاتـه ... تقـلُّب سيفـاً بين جفنيه مرهفا
فقـال اشتياقـاً جئتـكمْ وصبابةً ... إليكم وإكراماً لكم وتشوُّقا
وليس الفتـى من كان ينصف حاضراً ... أخـاه ، ولـكن من إذا غاب أنصفا
ومـرَّ فلـم أعلـم لفـرط تحيُّري ... أطيرُ سروراً أم أمـوتُ تأسُّفا
فيازورةً لم تشفُ قلبـاً متيَّماً ... ولكنَّهـا زادتْ غرامـي فأضعفا
فلمـا تمثَّلنـا الهـدية خلتهُ ... تمثَّـلَ فيهـا بهجـةً وتظرُّفا
ولمـا مددنـا نحوهـنَّ أناملاً ... براهـا الضنـى في حبـه فتحيَّفا[1]
إلـى باقـلاءٍ خيف أن لا تقلُّه ... يداي لمـا بي مـن هواه فنصفًا
حملنـا بأطـراف البنـان ولـم نكد ... بنانـاً زهاهـا الحسـن أن تتطرَّفا
وسـوداً تروَّت بالدهـان وبدِّلتْ ... بتوريدهـا لونـاً من النـار أكلفا
كأفـواه زنـجٍ تبصـر الجلـد أسوداً ... وتبصـر إن فرَّت لجينـاً مؤلَّفا[2]
كخلـق حبيبٍ خاف إكثـار حاسدٍ ... فأظهـر صرمـاً وهـو يعتقـد الوفا[4]
ومنتـزعٍ من وكر أم شنـقةٍ ... يعـزُّ عليهـا أن يصـاد فيُعسَفا[5]
يغـذَّى غذاء الطفـل طال سقامه ... فحـنَّ عليـه والـداه ورفرفا
فلمـا بدت أطـراف ريشٍ كأنَّه ... مبـادي نبـاتٍ غِبَّ قطـرٍ تشرَّفا[6]
تكلَّفـه مـن يرتجـي عظـم نفعه ... فكان بـه أحفـى وأحنـى وأرأفا

---

(١) براها الضنى : أي أنحلتها الأوجاع فتحيَّفا : أي تظلّم ، والحيف هو الظلم .
(٢) أكلفا : الكلف هنا لونٌ بين الحمرة والسواد .
(٣) اللجين : الفضة ، وفرّت : افترت وكشفت .
(٤) الصرم : القطيعة والهجران .
(٥) بعسفا : من العسف وهو الظلم .
(٦) غِبّ قطرٍ : بعْد ماءٍ .

يزقُّ بما يهوي ويعلف ما اشتهى ... ويمنع بعد الشبع أن يتصرَّفا
فلما تراءته العيون تعجُّباً ... وقيل تناهى بل تعدَّى وأسرفا
أراق دماً قد كان قبلُ يصونه ... كدمعة مضنى القلب روَّعهُ الجفا
تضرَّب حتى خلت أن جناحه ... فؤادي حيناً ثم عوجل وانطفا
فجيء به مثل الأسير تمكَّنت ... أعاديه منه بعد حربٍ فكُتِّفا
له أخواتٌ مثله ألفت ثنىً ... على مثل ما كانا زماناً تألَّفا
وقال لي الفأل المصيب مبشِّراً ... كذا أبداً ما عشتما فتألَّفا
فيا لك من أكلٍ على ذكر من به ... تطيب لنا الدنيا تعطَّف أم جفا
ولم أرَ قبل اليوم تحفةَ بعده ... ومن عاشر الحرَّ الظريف تظرَّفا

* * *

٢ ـ أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري

نجم جرجان في صنائع الصاحب وندمائه وشعرائه ، فسكن دورة صناعة الشعر في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، وتناول المرمى البعيد بقريب سعيه ، وكان في إعطاء المحاسن إياه زمامها كما قيل « جذع يبن على المذاكي القرح »[1] .

وكان الصاحب يعجب أشد الإعجاب بتناسب وجهه وشعره حسناً ، وتشابه روحه وشمائله خفة وظرفاً ، ويصطنعه لنفسه ، ويصرفه في الأعمال والسفارات ، وعهدي به وقد ورد نيسابور رسولاً إلى الأمير أبي الحسن في سنة سبع وسبعين وثلثمائة يملأ العيون جمالاً ، والقلوب كمالاً ، وحين انكفأ إلى حضرة الصاحب وجهه إلى أبي العباس الضبي بأصبهان ، وزوده كتاباً بخطه ينطق بحقائق أوصافه وأخباره ، وهذه نسخته بعد الصدر .

(١) الجذع : الحدث ، والقرح : جمع قارح وهو ما كملت أسنانه ، والمذاكي : ما أتى عليها سنة أو اثنتان بعد قروحها .

أوصافي لمولاي ـ أدام الله تعالى عزه ! ـ تودع الشوق إليه حبات القلوب كما تملأ له بالمحبة أوساط الصدور . فلا تغادر ذا قدح فائز في الفضل وخصل سابق في خصال العلم ، إلا ونار الحنين حشو ثيابه أو يرحل إليه ، وينيخ ركائب السير لديه ، لا جرم أن جلّ من يحضرني يطالبني بالإذن له في قصده ، ويهتبل[1] غرة الزمان في الخطوة بقربه ، نعم وذوو التحصيل إذا حظوا لدي بزلفة ، وأحصفوا عروة خدمة ، واعتقدوا أنهم إن لم يعتمدوا ظله ، ولم يعتلقوا حبله ، كانوا كمن حج ولم يعتمر ، ودخل ظفار ولم يحمر[2] ، إلا أن جميعهم إذا دفعته اندفع ، وإذا خدعته انخدع ، غير واحد ملط ملحف مشطّ[3] يغريه الرد بالمراجعة ، ويغويه المنع للمعاودة ، ويقول بملء لسانه إلى أن يسأم ، ويقتضي طول زمانه حتى يسأم ، وكم جررته على شوك المطل ، ونقلته من حزن إلى سهل . وصرفته على إنجاز وعد بوعد ، ودفعته من استقبال شهر إلى انسلاخ شهر ، ثم خوفته كلب الشتاء أجعل الربيع موعداً ، وحذرته وهج المصيف أعطيه للخريف موثقا . وكم شغلته بعمالة بعد عمالة ، ووفادة بعد وفادة ، أريد في كل أن أصدفه عن وجهته[4] ، وأصده عن عزمته ، ليس لغرض أكثر من أن السؤال منه والدفاع مني تساجلا ، والالتماس منه والامتناع من جهتي تقابلا ، فلما خشيت صبابته بأصبهان أن يردها ، بل بخدمة مولاي أن يعتقدها ، تجنّى على قلبه ، أو يتحيف بمس من الجنون ثابت عقله ، ألقيت حبله على غاربه[5] ، وبردت بالإذن جمرات

---

(١) يهتبل : يغتنم .

(٢) ظفار : بوزن قطام مدينة بالقرب من صنعاء ، وأصل هذا من قول بعض ملوكهم : « من دخل ظفار حمر » أي تكلّم بالحميرية .

(٣) المِلْط : الرجل الخبيث الذي يسرق كل ما يقع نظره عليه ويستحلّه. الملحف : الكثير الإلحاح في سؤاله المشط : أي يجاوز الحدّ في أموره .

(٤) أصدفه عن وجهته : أصرفه عنها .

(٥) ألقيت حبله على غاربه : أي جعلته يتحمّل نتائج أعماله : والغارب : الكاهل ، وأعلى كلِّ شيء .

جوانحه[1] ، فإن يقل مولاي من ذا الذي هذا خطبه وهذه خطته ؟ أقل من فضله برهان حق ، وشعره لسان صدق . ومن أطبق أهل جلدته ، على أنه معجزة بلدته . فلا يعد لجرجان بعيداً ولا قريباً أو لأختها طبرستان قديماً ولا حديثاً مثله ، ومن أخذ برقاب النظم أخذه . وملك رق القوافي ملكه ، ذاك على اقتبال شبابه وريعان عمره ، وقبل أن تحدثه الآداب ، وقيل جري المذكيات غلاب ، أبو الحسن الجوهري أيده الله وبناؤه عند مولاي منذ حين ، وخصوصه بي كالصبح المبين ، إلا أن لمشاهدة الحاضر ، ومعاينة الناظر ، مزية لا يستقصيها الخبر ، وإن امتد نفسه ، وطال رعانه ومرسه[2] ، وقد ألف إلى هذه الفضيلة التي فرع بنيها[3] ، وأوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها ، نفاذاً في أدب الخدمة ، ومعرفة بحق الندام والعشرة ، وقبولاً يملأ به مجلس الحفلة ، إنصاتاً للمتبوع إلا إذا وجب القول، وإعظاماً للمخدوم إلا إذا خرج الأمر، وظرفا يشحن مجلس الخلوة ، وحديثاً يسكت به العنادب ويطاول البلابل ، فإن اتفق أن يفسح له في الفارسية نظماً ونثراً طفح آذيه . وسال أتيه ، فألسنة أهل مصره إلا الأفراد بروق إذا وطئوا أعقاب العجم ، وقيود إذا تعاطوا لغات العرب ، حتى إن الأديب منهم المقدم ، والعليم المسوّم[4] ، يتلعثم إذا حاضر بمنطقه كأنه لم يدر من عدنان ، ولم يسمع من قحطان ، ومن فضول أخينا أو فضله أنه يدعى الكتابة ويدارس البلاغة ، ويمارس الإنشاء، ويهذي فيه ما شاء ، وكنت أخرجته إلى ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم فوفق التوفيق كله صيانة لنفسه ، وأمانة في ودائع لسانه ويده ، وإظهاراً لنسك لم أعهده في مسكه . حتى خرج وسلم على نقده ، وإن نقده لشديد لمثله . ومولاي يجريه بحضرته مجراه بحضرتي ، فطعامه ومنامه وقعوده وقيامه .

---

(١) الجوانح : أوائل الأضلاع مما يلي الصدر .

(٢) الرعان : الشدّة ، ومرسه : أي تمرّسه واحتكاكه .

(٣) فرع بنيها : أي علاهم شرفاً وجاها .

(٤) المسوّم : سوّمه الأمر : كلّفه إياه، وسوّمه في ماله: أي حكّمه فيه .

إما بين يدي ، أو بأقرب المجالس لدي . ولا يقولن هذا أديب وشاعر ، أو وافد وزائر . بل يحسبه قد تخفف بين يديه أعواماً وأحقاباً ، وقضى في التصرف لديه صباً وشباباً . وهذا إنما يحتاج إلى وسيط وشفيع ما لم ينشر بزه[1] ، ولـم يظهـر طرزه . وإلا فسيكون بعد شفيع من سواه . ووسيط من عداه . فهناك بحمد الله درقه وحدقه[2] ووجنة مطرفه ، وما أكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجـان وصحاريهـا . ورفارفها وحواشيها ، فليملأ مولاي عينه من منتزهات أصبهان ، فعسى طماحه أن يخفف ، وجماحه أن يقل .

وشريطة أخرى في بابه : وهي أنه ليس موضعاً لماله ، فسبيل ما يرزأه[3] أن يكون ما أقام في حجره ، وإن أذن له مولاي في العود داخلاً في حظر . فما أكثر ما يباري البرامكة تبرماً بجانب الجمع ، وتخرقاً[4] في مذاهب البذل . ونسبة للرياح الى الإمساك والبخل . فبينا تراه والثروة أقرب وصفيه ، حتى تلقاه والحاجة أحد خصميه ، وكم وكم تداركت امره فما ازداد الخرق إلا وسعاً لا يقبل رتقاً ، وتهاوناً لا يسع تلافياً ، وما كنت مع إبرامه لأفسح له في الخروج وأمد له طول النهوض مع أنسي الشديد بحضوره ، واستمتاع النفس بعقله وجنونه ، غير أني أزرته من ينظر بعيني . ويسمع بأذني ، ومن إذا ارتاح للأمر فقد ارتحت ، وإذا انشرح صدراً فقد انشرحت .

ونكتة أخرى : وهي واسطة التاج ، وفاتحة الرتاج . مولاي سمح بماله ، مقرب لمناله ، بخيل بجاهه ، ضنين بكلامه . وأبو الحسن لا يقبل العـذر ، أو يصدق النذر ، فيجعل جوده بلسانه ، أبلغ من جوده ببنانه ، وحقاً اخبر أن قصده الأكثر الارتفاع ، لا الانتفاع ، غير أني أنبأت عن سره . وعن سن بكره ، وانقضت

---

(١) البزّ : الأثواب .

(٢) الدّرق : الصلب من كلّ شيء ، ومنها الدرقة وهي الترس ، وحدقه : أي نظره وإحاطته .

(٣) يرزأه : من الرزء وهو المصاب .

(٤) تخرّقاً : جهلاً .

الخطبة ، والسلام .

ولما انقلب من أصبهان إلى جرجان ، مسروراً لم تطل به الأيام حتى أصبح مقبوراً .

* * *

ملح من مقطوعاته في كل فن

قال [من الكامل] :

ومغلَّفٍ بالمسك في خدّيه   سطراً يشوق العاشقين إليه
ما جاءه أحدٌ ليخطف نظرةً   إلاّ تصدَّق بالفؤاد عليه

وقال [من السريع] :

مَنْ عاصمي يا ابن أبي عاصم   من لحظك المقتدر الظالم
يا خاتم الحسن أغث مدنفاً   صارت عليه الأرض كالخاتم[1]

وقال [من السريع] :

يا ليل أفدي أختك البارحة   ما كان أذكى ريحها الفائحة
كانت لها خاتمةٌ لو درت   وجدي بها كانت هي الفاتحة

وقوله [من المتقارب] :

عشقت وكم من كريمٍ عشق   وخفت وكم من حسودٍ فرق[2]
لقد سرق اللحظ منك الفؤاد   خلاساً ، وكم مثل قلبي سرق ؟

---

(١) المدنف : المريض .

(٢) الفرق : الخوف .

وقال [من المنسرح] :

يا حبـذا الـكأس من يديّ قمرٍ   يخطـر في معـرضٍ من الشّفق[1]
بـدا وعين الدجـى محمرَّةٌ   أجفانهـا من سلافـة الفلق[2]

وقال يصف حب الرمان [من الطويل] :

وحبَّـاتُ رمـانٍ لطـافٍ كأنّها   شوارد ياقـوتٍ لطفـن عن الثقب
أشبههـا في لونهـا وصفائها   بقطرات دمعٍ وُرِّدت من دم القلب

وقال يصف الباذنجان [من الوافر] :

وباذنجانـةٍ حشيت حشاها   صغـار الـدرِّ باللبـن الحليب
تقمَّصـت البنفسـج واستقلت   من الآس الـرطيب علـى قضيب

ولابن الرومي [من المنسرح] :

إذا أجـاد الـذي يشبهه   وأحـكم الـوصف فيه بالنعت
قـال كرات الأديم قد حشيت   بسمسـم قمعـت بكيمخت

وقال في ليلة راكدة الهواء هب فيها نسيم طيب [من الرمل] :

بـادِرِ الصهبـاء فالدهـر فرصْ   ولقـد طاب نسيمـاً وخلصْ
أهـدت الـريح إلينـا نسماً   جمَّش الأرواح منَّـا وقرصْ[3]
فـكأنَّ الـكأس لمـا جُليت   طرب الجـوُّ عليهـا فرقصْ
وإذا خُصَّ زمـانٌ بمنىً   فزمـان الـورد باللَّهـو أخصْ

---

(١) يخطر : يتبختر في مشيته .
(٢) السلافة : الخمر ، والفلق : الصبح .
(٣) التجميش : المداعبة .

وقال [من المنسرح] :

وعــارضٍ كالبنفســج الغض يزهي على صحن سوسنٍ فضيٍّ[1]
سألــت عنــه فقيل ذا قمرٌ درّع ثوب الظــلام للعرض[2]
نظــرت فيه فصــدَّ معتدياً وكاد بعضــي يصــدُّ عن بعضي

وقال يستدعي صديقاً له [من الطويل] :

عفـا الدهـر عنّـا واستقلَّـتْ بنـا المنى وحــثَّ بنــا ربــعٌ من الانس عامر
وضمَّـت أكفُّ الــراح شمــلَ عصابةٍ وجوهُهُــمُ للــزهـرات ضرائـر
فإن زرتنــي شوقــاً وإلاّ فإنّني إذا جدَّ جَدُّ الســكر والشــوق زائر

وقال في معنى لم يسبق إليه [من الوافر] :

ألا يا أيهــا الملك المعلَّى أنلنــي من عطــاياك الجزيله
لعبــدك حرمــةٌ والــذكر فحشٌ فلا تحــوج إلــى ذكر الوسيله

وقال يهجو [من الرجز] :

انظــر إلــى أمــرٍ عجيب قد حدث أبــو تميمٍ وهــو شيخٌ لا حدث[3]
قد يحبس الأصلع في بيت الحدث[4]

وقال في أبي نصر الكاتب النيسابوري [من البسيط] :

إنّـي قصــدت أبــا نصــرٍ بمسألةٍ يقــلُّ وصفِــيَ إيَّاهــا عن الكلم
فظــلَّ يرعــد خوفــاً من مكالمتي وكاد يسقــط قرنــاه علــى القدم
فقلـت نفسـك إنّــي وفــد مكرمةٍ واذهــب فإنــك في حلٍّ من الكرم

---

(١) العارض : صفحة الخدّ ، والغضّ الطري والنضر .
(٢) درّع : لبس .
(٣) شيخ لا حدث : أي ليس صغير السن .
(٤) بيت الحدث : بيت الخلاء .

وقال فيه [من الهزج] :

حكوا لي عن أبي نصر وقد أورد من حقّقْ
بأنّ الشيخ يستدخل أيرين إذا استحلقْ
فما صدقت حتى قلت للشيخ وقد أطرق
أيحوي الغمد سيفين فقال الشيخ يا أحمقْ
وما تنكر أن يعمل ملاّحان في زورقْ

وقال فيه [من الهزج] :

أبو النصر قد أبدع في إبنته بدعهْ
حكوا لي أنه يبلع عرض الأير في دفعه
وذا من كاتبٍ شيخٍ عميدٍ مثله شنعهْ
ولولا أنه شيخ تركنا عذله فظعهْ
وخليناه يستدخل خمساً شاء جو سبعهْ
ومن يحسد طست الشمع يا قوم على الشمعهْ

* * *

غرر من قصائده

قال من قصيدة [من الخفيف] :

يا سقيطَ الندى على الأقحوانِ شأنك الآن في الصبوح وشاني
أنت أذكرتني دموعي وقد صوّ بن بين العتاب والهجرانِ
إن يكن للخليج فيك أوان بتقضّي المنى فهذا أوابي
شجرٌ مدنف وجوٌّ عليلٌ وصباحٌ يميل كالنشوان
صاح إنّ الزمان أقصرُ عمراً أنْ يراع المنى بصرف الزمان

رقٌ عنّي ملاحف الليل فانهض برقيقٍ من صوب تلك الدنان[1]
قهوةٌ عقّها النواظر لما حسبتها عصارة العقيان[2]
كعصير الخدود في يقق الأو جه أو كالدموعِ في الأجفان[3]

ومن قصيدة في الصاحب يمدحه ويعتذر من خروجه حاجاً من غير إذنه ويعرض بقوم أساءوا المحضر له بجرجان [من الطويل] :

قليلٌ لمثلي أن يقال تغيّرا وفارق مخضلاً من العيش أخضرا[4]
زمانٌ كعتبي من حبيبٍ نودّهُ إذا مرّ منه أدهرٌ كنّ أشهرا
يقولون بغداد الذي اشتقت برهةً دساكرها والعبقريّ المقيّرا[5]
إذا فُضّ عنه الختم فاح بنفسجاً وأشرق مصباحاً ونوّر عصفرا[6]
ودجلتها الغناء والزوّ نافضاً جناحيه يحكي الطائر المتحدّرا
إذا رفع الملاّح جنبيه خلته تشقّق من غيظٍ على الماء معجرا[7]
وقمرة روضٍ حسنُها وحديثها إذا الليل من بدر الزجاجة أقمرا
إذا رقّصت حول المثاني بنانها ترى كلّ جزءٍ من فؤادك مزهرا
وليلٍ على النجميّ شطت نجومه عن العين حتى قيل لن يتصورا
تغورُ ويبديها الظلام كأنّها عيونُ سكارى منتشين من الكرا
عكفنا على صهباء لو مرّت الصبا بها لاكتست ثوباً من الحسن أحمرا

(١) صوب الدنان : أي خمرها ، الصوب المطر ، والدنان : جمع دن : وهو زقّ الخمر وآنيته .
(٢) القهوة : من أسماء الخمر ، والعقيان : الذهب الخالص .
(٣) يقق الأوجه : أي بيض الأوجه ، واليقق : هو القطن .
(٤) مخضلاً من العيش : أي عيشاً ناعماً هانئاً .
(٥) دساكرها : الدسكرة : القرية ، والبناء الضخم الذي يكون حوله بيوت فيها الشراب والملاهي .
والعبقري المقيّرا : العبقري من الشراب : أي المتميّز المبرّز الذي لا يفوقه شيء ،والمقيّرا أي الموضوع في الزق المطلي بالزفت .
(٦) العصفر : صباغ أصفر يستخرج من الثياب .
(٧) معجرا : مسرعاً ـ ملتفاً .

ندامــى كأنَّ الدهــر يعشــق شملهم	فإن عزمــوا يومــاً علــى البين أنكرا
أذلك خيرٌ أم بســاطُ تنوفةٍ	نداماك فيها الغـول والقهـوة السّرى[1]
فقلـــت أمـــا والله لولا تقاته	لطــال علــى العــذّال أن أتسترًا
دعونــي ومــرو الثعلبية إنّني	أرض بمــرو الثعلبية عنبرا
رعــى الله مولانــا الــوزير ورأيه	جواداً إلــى العلياء لن يتغيَّرا
يمثّــل دينــاً بين قلبــي وناظري	فلســت أرى شيئــاً سواه ولا أرى
لقد طُويتْ عن خطبتي صحف الندى	وقــد كنــت عنوانــاً عليهــا مسطَّرا
تحيَّر عيشــي بالعــراق وهمّتي	بجرجــان أبــدت دهشــةً وتحيُّرا
حججــتُ لعمــر الله مكَّة معذراً	وكنــت بحجّــي ذلك البــاب أعذرا
رأى الدهــر أنّــي ناهضٌ بقوادمي	فطيَّرنــي من قبــل أن أتخيرا[2]
وأبصــر أيامــي تفتّــح ناظري	فأعميننــي من قثبــل أن أتبصَّرا
رويدك لم أهجــر علاك وإنما	بخلــت بنفســي أن تمــلَّ وتهجرا
وقــدتُ فكنــتُ النــارَ تأكل نفسها	وسلتُ فكنـت المـاء ينصـبُّ في الثرا
قدرتَ علــى قتلــي فاقتصد	وكنــت علــى قتلــي بسيفــك أقدرا
وأقســم لو روَّيتَ سيفــك من دمي	لأورق بالــودِّ الصــريح وأثمرا[3]
فكم مدبــرٍ بالــودِّ تلقــاه مقبلاً	وكم مقبــلٍ تلقــاه بالــودّ مدبرا

ومن قصيدة كتبها من دهشتان إلى الصاحب وهو على بعض ضياعها يصف تبرمه بها وخراب مستغله بجرجان [من الكامل] :

يا ليلــةً قصُرَتْ فطابــتْ وانقضتْ	وأفــدتُ منهــا ظلمــةً وضياءَ
حميتْ بأنفاســي نجومــك فانثنتْ	يجذبــن من برد الصبــاح رداءَ
أيديّ ضَعُفَــت عن الأعنــة فاقنعي	بالــكأس طرفــاً والهــوى بيداءَ

---

(١) الغول : الصداع الناشيء عن شرب الخمر أو السكر ، والقهوة السرى : أي الخمرة برائحتها المنتشرة .
(٢) القوادم : ريش مقدمة الجناح عند الطائر .
(٣) الودّ الصريح : الحبّ الخالص الصافي .

لو لم تخــن قدمــي مقاصــد همتي … لم أرض إلاً الفرقــدين حذاءَ
نكبتنــيَ الأيّامُ في مستحضرٍ … قد كان يسبــق عدوه النكباءَ
أبقــى الحفــا منــه ثلاث قوائمٍ … مثــل الأثافــي ما يرمــن فناء[1]
ولطالمــا ترك الــرياحُ هبوبه … حســرى تخــال أمامهــنَّ وراءَ
هذا وقــد أخــذت بآفــاق المدى … كفٌّ الــوزير توزِّع النعماءَ
وقــد استقــل سريره بعلائه … يستعــرض الشــعــراء والندماءَ
عيدٌ أنــو شروان قال لعظمه … ضحّــوا بأكوابٍ وعفّــوا الشاءَ[2]
يتقــرَّب الدهقــان فيه ببنته … فيزفُّهــا فــي كأســهــا حمراءَ
نســج الزمــان من النــدى لثنائه … بيد الســحــاب غلالــةً دكناءَ
واغبــرَّ وجــه الجــوِّ ممَّــا رفرفت … فيه الغيوم فأشــبــه الغبراءَ
وسجــا أديم الأرض من برد الضحى … حتـى تراه في الإنــاء إناءَ[3]
ونعــى الشتــاء إلــيَّ بيتــي إذ رأى … أعــلاه ليس يكفــكف الأنــداءَ
وســواريـاً لو دبَّ فوق متونها … نمــلٌ هوت من أصلهــنَّ هباءَ
وعليلــةٍ بليت بلاي وأصبحتْ … غرفاتهــا عن أهلهــنَّ خلاءَ
أخشــى الــرياح إذا جرت من حولها … أبــداً وأحــذر فوقهــا الأنواءَ
قولا لمــن ذمَّ القوافــي وادَّعى … أنَّ القــريضَ يهجِّــنُ الرؤساءَ[4]
ويقــول بغياً هل تصــرَّف شاعرٌ … أو نافــس العمّــال والضمناءَ
سائــلْ دهشتــان العتــود بمــن يلي … أعمــالها عــن حملــيَ الأعباءَ
هيهــات لا تحقــر عيون قصائدي … إنّــي خدمــت ببعضهــا الوزراءَ
وبهــا وصلــت إلــى ابــن عبَّــاد العلا … وخدمــت تلك الحضــرة الغراءَ

(١) الأثافي : جمع أثفية وهي الحجر التي توضع عليه القدر .
(٢) عفّوا الشاء : أي أكثروا من ذبحها .
(٣) سجا أديم الأرض : غطّى وجه الأرض .
(٤) يهجّن : يعيب ويقبّح ، والقريض الشعر .

ومتــى لثمــت يديه أو أنشدته　　لم أقتنــعْ بالمشــرقيـن حباءَ[1]
فارقــت بطحــاء المــكارم عنده　　ونزلــت أرضـــاً بعـــده شنعاءَ
مغنـى اللصـوص ومنبـع الشـرِّ الذي　　أفنـى الرجــال وجشَّـم الأمراءَ
قومٌ إذا شبقــوا أتــوا أنعامهم　　أو أعدمــوا باعــوا البنــات إماءَ[2]
مثــلُ الثعالــب ينبعثــن فإن عوى　　ذئــبٌ دخلن الأيكة العوصاءَ[3]
كانــوا ذوي ثقتــي فصــرت كأنَّني　　عينٌ تقلَّــب منهــم الأقذاءَ[4]
وولايتــي عــزلٌ إذا لم أعتنق　　باب الــوزير وتلــكم الآلاءَ[5]

ومن أخرى يصف فيها ضيق ذات يده ، وخراب حجرته ، وكثـرة عيالـه ، ويهنىء الصاحب ببنائه الجديد بجرجان [من الطويل] :

أهشُّ لأنــواء الــربيع إذا انبرتْ　　وأكره أبــواء الــربيع وأنكرُ[6]
تظــلُّ جفونــي كُلّمــا مرَّ بارقٌ　　تطــول إلــى خيط السمــاء وتقصرُ
حذاراً علــى خاوي الجوانــب مائلٍ　　يكاد بأنفاســي عليــه يقطَّرُ
لدى عرصــاتٍ أصبحــت غرفاتها　　مناخــل أمطــارٍ تروح وتبكرُ[7]
أســاطين حكتهــا الســنون كأنّهـا　　قيامٌ تثنَّــت للــركوع تكبِّـرُ
رثــى ليَ أعدائــي بهــا وتطيَّرت　　برؤيتهــا العين التــي لا تطيَّرُ
يقولــون هلاَّ تســتجدُّ مرمةً　　وحالــي منهـا بالمرمــة أجدرُ[8]

---

(١) حباء : عطاء .
(٢) شبقوا أتوا أنعامهم : أي أنهم في حالة الشبق والتهيّج لا يتورّعون عن مجامعة حيواناتهم ، وأعدموا : أي افتقروا .
(٣) الأيكة العوصاء : أي المكان الكثير الشجر والشديد الصعوبة .
(٤) الأقذاء : جمع قذى وهو ما يقع في العين من وسخ وغيره .
(٥) الآلاء : النعم .
(٦) أبواء الربيع : إخلافه وعدم سقوط الغيث فيه .
(٧) عرصات : ساحات .
(٨) المرمّة : متاع البيت .

إذا كشف الأيام وجهُ تجمُّلي وأظهرتِ الحالَ التي أنا مضمرُ
فكلٌّ مكانٍ للتبذُّل موقفٌ وكلٌّ لباسٍ للتَّهتُّكِ مئزرُ
ثمانيةٌ يرجون صوبَ قصائدي على أنه من صوب طبعي أنزرُ(١)
يمدُّون أعناق النعام إلى يدي وتفتح أفواهُ السباعِ وتفغرُ(٢)
إذا رحت عن دار الوزير تبسَّطتْ أناملهم نحو الندى تتشمَّرُ
يرون خطيباً ملء بردي ومطرفي يحدِّثُ عن آلائه ويخبِّرُ
بنيت إلى دنياك دنياً جديدةً هي الجنَّة العليا وأنت المعمِّرُ
معارجُ مجدٍ واحدٍ فوق واحدٍ تعثَّرُ فيها فكرتي وتحيَّرُ
طرائحُ عزٍّ لبنةٌ فوق لبنةٍ تربَّع في صحن العلا وتدورُ
بنيت لعمري سؤدداً لا بنيَّةً وهل سؤددٌ إلا بربعك يعمُرُ

ومن أخرى [من الطويل] :

تثنَّى إلى برد النسيم المرفرفِ يبثُّ جوىً من قلبه المتشوِّفِ(٣)
تنسَّم أنفاس الضحى بحشاشةٍ توقَّدُ من حرِّ الغرام وتنطفي
تجافيت إلا عن محاسن قهوةٍ أجرُّ إليها شملةَ المتظرِّفِ
دعوا رمقي يستنصر الراح إنها سلالةُ مجدٍ في غلالة مدنفِ

ومن أخرى [من البسيط] :

زرَّ الصباح علينا شملة السحب ومدّت الريح منها واهيَ الطنبِ(٤)
صكَّ النسيم فراخ فانزعجت ينفضن أجنحةً من عنبرِ الزغبِ

---

(١) أنزر : أقل ، وأبطأ .
(٢) تفغر : تتسع وتفتح .
(٣) المتشوّف : المتطلّع إلى من يحبُّ المتشوق إليه .
(٤) الطنب : العمد .

لو لم يقل إلا هذا البيت لكان أشعر الناس !

تسعى الجنوب بطرفٍ حولها ثملٍ من الندى وفؤادٍ نحوها طرِبِ

ومنها :

كفى العواذلُ أنّي لا أرى قدحاً إلاً شققتُ عليه جلدة الطرب
إن قيل تاب يقول الغيُّ لم يتبِ أو قيل شاب يقول اللهو لم يشب

ومن أخرى [من البسيط] :

لو ثار ما اقتدحته النفسُ من هممي لصكّ ناصية الجوزاء ملتهبا
لو أن ساعديَ اليمنى تساعدني على سوى الجود صغت الأرض لي ذهبا
يا مسرجاً صهوات الريح منتجعاً قرِّبْ خطاك فإن الجود قد قربا
لا تركب البحر إلا بحر مكرمةٍ يسقي الفرات ولا يودي بمن ركبا[1]
سكّنتُ روعة حالي بعدما آدّرعت من اعتراض عوادي فقرها رعبا
فصرت منك أقوّي بالغنى سبباً وأدّعى لمحلّي في العلا سببا

ومن أخرى في فخر الدولة [من الطويل] :

سريرٌ بأحداق النجوم مسمَّرٌ وملكٌ بأعراف السحاب معمَّمُ[2]
تقود صروف الدهر في عرصاته جياداً بسلطان السياسة تلجمُ
يُزمُّ بفخر الدولة الدهر مذعناً ويملك أعناق الخطوب ويخزم[3]
مكارمه في جبهة الدهر غرَّةٌ وسؤدده في غرَّة الدهر ميسمُ[4]

---

(١) يودي : يذهب ويهلك .
(٢) معمَّم : من العمامة كناية عن رفعة ملكه وشموخه .
(٣) يزمُّ : ينقاد ، ويخزم : يذلّ .
(٤) ميسم : علامة ، أو حسناً وجمالاً .

ومن أخرى [من الكامل] :

الصبحُ يرمقُ عن جفونِ مخمّرٍ ... والليل يرفع من ذيول مشمّرِ
والجوُّ في حجب النسيم كأنّما ... تسعى إليه يد الشمال بمجمرِ[1]
ريحٌ تمايل بين أنفاس الضحى ... بممسَّك من ثوبها ومعنبرِ
ملك تهيّبه النجوم إذا بدا ... وتحار بين مهللٍ ومكبِّرِ
يكفي القوافي أنها بعنايتي ... تختال بين سريره والمنبرِ
لو أنها شعرت بعُظْمِ مقامها ... لم تقتنعْ بعمومةٍ في بحترٍ[2]
ما زال يأمل أن يعود إلى المنى ... شعري بتشريفٍ عليه مزرَّرِ
فبعثت منه جوهرياتٍ أبتْ ... أن لا تكون ضرائراً للجوهرِ

ومن أخرى في أبي العباس الضبي بأصبهان [من البسيط] :

إنّي ملكت عنان الرأي من زمنٍ ... إذا سعيت لمجدٍ كان لي قدما
إنّي أهينُ جُمان الدمع منتثراً ... إذا رأيت جمان العزِّ منتظما[3]
أفدي بوجهِ هرند زندروزَ وإنْ ... شربت ماء حياتي عندها شبما[4]
تركت فيه على الجسرين دسكرةً ... يشدو بذكرى فيشجي طيرها نغما[5]
محلّةٌ ما طرقتُ الدهر جانبها ... إلا عزمتُ على دهري كما عزما
أنّي أحجُّ بطاح اللهو آونة ... إذا رأيت محلّي عندها حرما
لم تثنني لَمعٌ للشيب في لممي ... عن أن ألُمَّ بأطراف المنى لمما[6]

---

(١) المجمر : البخور .

(٢) بحترٍ : زي الشاعر البحتري .

(٣) الجمان : الفضّة .

(٤) شبما : بارداً .

(٥) دسكرة : بيت ضخم حوله الملاهي والحانات .

(٦) لمع : نتف ، واللُّمة : الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن ، واللَّمَمَ : مقاربة الذنب من غير أن يقع .

وإنمـــا قدم التـــوفيق تحملني إلـى فتـىً ملء حيزوم العـــلا هِمما[1]

ومن أخرى [من الطويل] :

إذا ما أدلَّ السابقــون فإنّني أدلُّ بعهــد الخدمــة المتقادمِ
وربَّ مصــلٍّ سابــقٍ بوفائه وكم قاعدٍ في نصحــه ألفُ قائمِ
سأخدمــه عمــري ويخــدم بابه إذا متُّ عنــي خادمٌ بعــد خادم

ومن أخرى [من البسيط] :

قد كان أمسك وحي الشعر مذ قطعتْ يد الحـــوادث عـن نعمائـــه علقي[2]
فمـــا نظمـــت لمعنـــى عقـــد قافيةٍ إلا نثـــرت له عقـــداً من العرقِ
وهـــذه لليالِ قد سهـــرت لها أروي معالـــي مولانـــا علـــى نسقِ
وقلـــتُ حين رأيت الطبـــعَ ينسجُها نسـجَ الـربيع حواشـي روضـه العبقِ
عســى خطــرتُ ببــالٍ فاتسقتْ له فرائـــد نظمـــي كُلَّ متسقِ

ومن أخرى في يوم ميلاده وتحويل سنه [من مجزوء الكامل] :

يـومٌ تبرّجـــتِ العلا فيـه ومزّقـــتِ الحجبْ[3]
يـوم أتـاه المشتـري بشـــهاب سعـــدٍ ملتهبْ
بســـلالـــة المجـــد الفصـــيح وصـــفـوة المجـد الزرب[4]
ملكٌ إذا ادّرع العلا فالدهـــر مســـلـوب السلـبْ
وإذا تنمّـــر فـي الخطو ب فيا لنـــارٍ في حطبْ
وإذا تبسّم للندى مطـرتْ سحائبـــه الذهـبْ

---

(١) الحيزوم : الصدر ، والمرتفع من الأرض .
(٢) العِلق : النفيس من كلّ شيء .
(٣) التبرّج : التزيّن والسفور .
(٤) الزرب : السائل .

يـــا غرَّةَ الحســب الـكــريـم وأيـن مثلـك في الحسبْ
هــذا صبـاحُ حُلِّيَـت بسـعـوده عطـل الحقبْ[1]
ميـلادك الميمــون فيـــه وهــو ميـلاد الأدبْ
عــرِّجْ عليـه بمجلسٍ ريَّانَ من مـاء العنبْ
واضــرب عليـه سرادقاً للأنس ممتـدً الطنبْ
فــرِّخ وعشِّش في المسرّ ة منــه واستـأنس وطِبْ

ومن أخرى [من البسيط] :

بشعلــة الــرأي تُذكي شعلــة الباس ولــذة المجـد تُنسـي لذّة الكاس
ما كُلُّ ما احمــرَّ للعينين منظره وردٌ ، ولا كُلّ ما يخضـرُّ بالآس
ليت الجهــول بطـرق المجـد يتركه ما كُلُّ غصــنٍ له ماءٌ بمياس
لا تنفــع المــرء في الهيجــاء شكّته حتــى يشــدَّ إليهــا شكَّة الباس[2]
كل يشنِّــج عنـد السيف جبهته ولا هوادة عنــد السيف للراس[3]
الحــقُّ أبلــجُ بادٍ لا خفــاء به والملك أشــوس لا يعنــو لأنكاس[4]
وليس كُلُّ ابتســامٍ من أخــي كرمٍ بشْــراً ، ولا كلُّ تقـريبٍ بإيناس

ومن أخرى في الأستاذ أبي الحسن محمد بن علي بن القاسم العارض يستدعي منه الشراب [من البسيط] :

الدهــرُ مخبــرهُ مســكٌ ومنظره والسروض مطرفــه وردٌ ومعجزهُ[5]

---

(١) عطل الحقب : الحقب جمع حقبة وهي مدّة من الزمن ، وعطل : يقال جيدٌ عطل : أي جيدٌ تنقصه الحليّ .
(٢) الشكّه : السلاح .
(٣) يشنِّج : من شنّج الشيء : أي قبّضه وقلّصه .
(٤) الأبلج : المشرق المنير ، وأشوس : شديد ومنيع . ويعنو : يخضع ، والأنكاس : مفردها : النكس وهو الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه .
(٥) المطرف : الرداء أو الشال : والمعجز : ثوب النساء .

والجـوُّ يفتـح جفنـاً في محاسنه ... من النـدى وأديم الغيث محجرهُ
يسعـى الشمـال بنـدٍّ في جوانبه ... من النسيم وحـرُّ الشمـس مجمرهُ
طاب الصبـوح وكأسـي جدُّ فارغةٍ ... كأنّهـا خاتـمٌ قد غاب خنصرهُ
أشتاقـه ونسيم الـورد يعذلني ... أنْ لسـت أسـكر مهتـزًّا فأسكرهُ

ومن أخرى في الحسن الحسنى [من البسيط] :

لا عُتْبَ إن بذلـتْ عينـي بمـا أجِدُ ... فقـد بكى ليَ عوَّادي لمـا عهدوا[1]
لو أن لي جسـداً يقـوى لطفـتُ به ... علـى العـزاء ولـكن ليس لي جسدُ
تبعتهـم بذمـاءٍ كان يمسكه ... تعلُّلـي بخيالٍ كلَّمـا بعدوا[2]
يا ليلـةً غمضـت عنّـي كواكبها ... تَرَفَّقي بجفـونٍ غمضُهـا رمد
أهـوى الصبـاح وما لي فيه منتصفٌ ... من الظـلام ولـكنْ طالمـا أجد
لو أنّ لي أمـداً في الشـوق أبلُغه ... صبـرتُ عنـك ، ولـكنْ ليس لي أمد
بكيت بعد دموعـي في الهـوى جلدي ... وهـل سمعـت ببـاكٍ دمعـه جلد
تذوب نار فؤادي في الهـوى برداً ... وهـل سمعـت بنـارٍ ذوبهـا برد
قالوا : ألفتَ رُبا جي ، فقلت لهم : ... الحـب أهـل ، وإدراك المنـى ولدُ[3]
أنـدى محاسـن جي أنـه بلد ... طلـق النهـار ، ولـكن ليلـه نكدُ
إذا استحـبّ بلاد للمعـاش بها ... فحيثمـا نعمـت حالـي به بلدُ
وللمـكارمِ قومٌ لا خفـاء بهم ... هم يعرفـون بسيماهـم إذا شهدُوا
للّـهِ معشـر صدقٍ كلّمـا تُليت ... على الورى سورةٌ من مجدهم سجدوا
ذرِّيةٌ أبهـرت طه بجدهم ... وهـل أتـى بأبيهـم حين ينتقد
وإنْ تصنّـع شعـرٌ في ذوي كرمٍ ... يا ابـن النبـي فشعـري فيك مقتصد
أصبـت فيك رشـادي غير مجتهدٍ ... وليس كلُّ مصيبٍ فيك مجتهد

(١) أجدُ : من الوجد وهو الحب الشديد ، والعوّاد : الزوّار .
(٢) الذّماء : بقية الروح .
(٣) جي : لقب أصبهان قديماً ، أو اسم قرية بها .

بسطـت عرض فنـاء الدهـر مكرمةً طرائـق الحمـد في حافاتهـا قدد

ومن أخرى يصف فيهـا سقامـه وكربـه ويشـكو تأخـر إخوانـه عن عيادتـه ويخاطب بها أبا الفتح محمـد بن صالـح ليعرضهـا في مجلس الصاحـب [مـن الخفيف] :

قلـت لمّـا تأخّـر العوّادُ أيُّ سقـمٍ عليلـه لا يعادُ[1]
ما لكم إخـوةَ الرجـاء ومـا لي كلّ أيامـكم نوىً وبعاد
قد صددتم عنّي صدود التعالي لسقامـي كأنّ سقمـي وداد
إن تجنبتُـمُ العـدوى فلِـمْ لمْ أعدِكم بالهـوى وسقمـي سهاد
ملّنـي مضجعـي وعـاف نديمي مجلسي واجتوى جفوني الرقاد[2]
طـرّز السـقـم مـا كسـانيه بالعـزّ فهـذا حتفٌ وهـذا حداد
لـي وشـاحٌ من الضنّـا ونجادٌ ووسـادٌ من الأسـى ومهاد[3]
قلمـي يتقـي بنانـي ، وسيفي وعنانـي ، ويتقينـي الجواد
وتناسـت يدي مناولـة الكأ س وسمعـي ما ينفـر العوّاد
لـو سوى العـزّ نالنـي مرّضتني خدمةٌ دونهـا الشبـاب المفاد[4]
قد لواني عن جنـة العـزّ سقمي ويح نفسـي كأنّ سقمـي ارتداد
روضـةٌ نورهـا العـلا وغديرٌ كلُّ أكنافـه ندىً معتاد[5]
باعـد العـرُّ بين عيشـي وبيني فبياض الزمـان عنـدي سواد
يا أبـا الفتـح قد تفرّدت عني بمنـىً لا تخصّهـا الأعداد

(١) السقم المرض ، يعاد : يزار أثناء المرض .

(٢) اجتوى : كره المقام ، فارق .

(٣) الضنّا : الألم ، والنجاد : اللحاف ومنه النّجّاد : الذي ينجد الفرش والوسائد والمهاد : السرير والفراش .

(٤) العُرّ : الجرب ، أو مرضٌ اعتراه .

(٥) الأكناف : الجوانب ، وكنف الانسان حضنه .

بلِّـغ المجلسَ الـرفيعَ سلامي | واشتياقي وقـلْ سقـاك العهاد[1]
واجتهـد أن تقبّـل الأرض عني | حيث لا يستطيعـه القوّاد
حيث يبدو الوزير في معرض | الفضل ويهتزُّ غصنه المياد
وتغنّـم خير التبسُّـم فيه | إنّ بشْـر السلطـان غنـمٌ مفاد
ثـم قل إنّ حال خادم مولا | نا لحـالٌ يملُّهـا العوّاد
سقـمٌ مجحفٌ وعـرٌّ كريه | واختصـاصٌ بكربـةٍ وانفراد
كلُّ عضـوٍ منّـي له حسراتٌ | واشـتياقٌ كأنَّ كلِّـي فؤاد

ومن أخرى [من الكامل] :

قـولا لعاذلتـي جمحـت فلـم أزد | إلاَّ لجاجـاً في الهـوى وجماحا[2]
جنح الظلام فبادري بمدامةٍ | بسطت إليك من العقيق جناحا
صهباءُ لو طافتْ بها قمريةٌ | أذكت عليها ريشها مصباحا
رعـتِ الزمـان ربيعـه وخريفه | فأتـتْ تبـثُّ الـورد والتفاحا

* * *

٣ ـ أبو معمر بن أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي

جمـع شرف النفس إلـى شرف الطبـع ، وكرم الأدب إلى كرم النسـب واستولى على أمد الفقه في اقتبال العمر ، وحسن تصرفه في الشعر ، حتى كتب الصاحب في وصف قصيدة نفذت منه فصلاً من كتاب طويل إلى أبيه أبي سعيد ، وهذه نسخة الفصل .

« وبعد » فهل أتاك حديث الإعجاب منا ، وقد طلعـت من أرضـك فقـرة

(١) العهاد : أوّل المطر .
(٢) جمحت : تمرّدت وشردت، وجمحت المرأة خرجت غاضبة ، اللجاج : الإلحاح .

الفقر ، وغرة الغرر ، وحديقة الزهر ، وخليفة المطر ، تلك حسنة انتشرت عن ضوئك ، وغمامة نشأت بنوئك . ونار قدحت بزندك . وصفيحة فضل طبعت على نقدك ، وإنها لقصيدة ولدنا أبي معمر ، عمره الله تعالى ما اختار ، وعمر به الرباع والديار . خطت بأقدام الإجادة ، وقطعت مسافة الإصابة ، وسعت إلى كعبة القبول ، وحلت حرم الأمن خير الحلول . تلبي وقد تعرت من لباس التعمل ، وتجردت عن عطاف التبذك . فلم تدع منسكا من البر إلا قضته ، ولا مشعراً من الفضل إلا عمرته . ولا معرفا من العلم إلى شهدته ، ولا محصباً من الفهم إلا حضرته . واجتمعنا حولها وإنا لأعداد جمة ، وفينا واحد يقال إنه أمه ، كأنا عديد الموسم يعظمون الشعائر . ويعلقون الستائر . ويحتضنون الملتزم ، ويلثمون المستلم. وهذا الكتاب يرد عليكم بالخبر أسرع من اللمح البارق ، نعم ومن اللمع الخاطف ، وأخف من سابق الحجيج وإن كان المثل الأعلى لبيت الله العتيق . فأحمد الله إذ قرن فضل فتاك بفضلك ، وجعل فرعك كأصلك ، وأنبت غصنك على شجرك ، واشتق هلالك من قمرك ، وأراك من ظهرك ، ومن يحذو على نجرك[1] ، ويصل فخره بفخرك ، ويشيد من بناء الدراية ما أسست ، ويسقي من شجر الرواية ما غرست .

قال مؤلف الكتاب : فمن غرر شعر أبي معمر قوله من قصيدة الصاحب [من الخفيف] :

ما عهدتُ القضيب بالحقف ولا البدر للتَّمام استسرا[2]
حبذا الطارق الذي زار وهناً فأعاد الظلام إذ زار فجرا
ثمل العِطف وهو ما نال خمراً عطر الحبيب وهو ما مسَّ عطرا

(١) النَّجر : الأصل .
(٢) الحقف : الرمل الكثير ، واستسرّا : من السِّرار : وهو : الاختفاء ، أي عندما يكون القمر في المحاق .

والحياء الملمّ بالخدّ منه صيرفيٌّ يبدّل العين أخرى[1]
ضمَّني ضمَّة الوداع فعاد الشفع منا عند التعانق وترا[2]
وسقاني بفيه خمراً برودا عاد بعد الفراق في القلب جمرا
ملكٌ طوعه الملوك علاءً وهو طوع العفاة جاهاً وقدرا
ملكٌ أنهب العروض فأضحى العرض منه على البرية حظرا
ملكٌ لا يرى سوى الحمدِ مالاً لا ولا الكنز غير ما جرَّ شكرا
فإذا المحل حلَّ حلَّ غماماً وإذا النقع ثار ثار هزبرا[3]
وإذا ما أفاد نحَّل كعباً وإذا ما أفات نهنه عمرا
وإذا ما سطا تطاول جهراً وإذا ما حبا تطوَّل سرًّا

وقوله من قصيدة في وصف الثلج [من الطويل]:

لك الخيرُ من سارٍ معانٍ على السُّرى نصبنا قرى الأرض الفضاء له قِرى
أجاز الدجى حتى أناخ إلى الضُّحى قلائصه غرُّ الشَّواكل والذرى[4]
فرحنا وقد بات السماء مع الثرى وغاب أديم الأرض عنَّا فما يُرى
كأنَّ غيوم الجوِّ صوَّاغ فضةٍ تواصوا برد الحلي عمداً إلى الورى
وللقطر نفحاتٌ تصوب خلالها كصوب دلاءِ البئر أسلمها العرى[5]
لقد عم إحسان الشتاء وبرده بلى خصَّ أرباب الدساكر والقرى

وقوله [من الرجز]:

وليلةٍ من الليالي القاسيهْ مدَّت ظلاماً كالجبال الراسيهْ

---

(١) العين : المال ، والذهب والفضة .
(٢) الشفع : المزدوج ، والوتر : المفرد وهنا يقصد أنه استحال وحبيبه جسماً واحداً .
(٣) المحل : انقطاع المطر ، والنقع : الغبار ، والهزبر : الأسد .
(٤) أجاز : أي اجتاز وقطع ، والقلائص : النوق ، والشواكل : الطباع ، والسجايا والجوانب .
(٥) الدلاء : جمع دلو ما يستخرج به الماء من البئر ، العرى : البرد .

فغـــادرتْ كلّ الـــورى سواسيه البيض دهمـــاً والعـــراة كاسيه[1]
لبستُهـــا والصبـــر من لباسيه بهمّـــةٍ علـــى الأســـى مواسيه
ونبعـــةٍ صليبـــة لا جاسيه حتى شممت الصبـــح في أنفاسيه[2]
* فالصبر صبر النفس لا عن ناسيه *

وكتب إليه بعض العصريين من أهل نيسابور [من الخفيف] :

يا فريداً في المجـــد غير مشاركْ عزَّ باريك في الـــورى وتباركْ
يا أبـــا معمـــر عمُـــرت ولا زا لت سعـــود الأفـــلاك تعمُـــرُ داركْ
يـــا هـــلالَ الأنـــام قـــد كتب الأيـــام فـــي دفتـــر العـــلا آثـــاركْ
ولســـانُ الزمـــان يدرس في كـــــلِّ مكانٍ علـــى الـــورى أخبارك
سيدي أنـــت من يَشُـــقُّ غبارك بأبـــي أنـــت من يروم فخارك
أنـــت من فيه خالـــق الخلـــق بارك وحبـــاك العـــلا وزكَّى نجارك
ما ترى في مناســـبٍ في الآ داب قد صار دأبـــه تذكارك
شوَّقتـــهُ إليـــك أوصـــافـــك الغـــرُّ فجـــاب البـــلاد حتـــى زارك
هـــل تـــراه لديـــك أهـــلاً لأن تمنحـــــه يـــا أخـــا العـــلا إيثـــارك
فهـــو ضيفُ قراه أنفس علقٍ فاقـــرِهِ الـــودَّ واسقِـــهِ أشعارك[3]
وتمـــلّ الزمـــان في ظلِّ عيشٍ مثمـــرٍ لا يمـــلُّ قطُّ جوارك

فأجابه بهذه الأبيات [من الخفيـف] :

زارك الغيث وانتحـــى القطـــر داركْ كلَّمـــا التفَّ صوبـــه وتداركْ
فلهـــا من نداك ديمـــة فضلٍ طبَّقتهـــا فأظهـــرت آثارك[4]

(١) الدّهم : السواد .
(٢) الصليب : الخالص النسب الصافية ، والجاسية : التي يخالطها الفساد .
(٣) القرى : الضيافة ، والعلق : النفيس .
(٤) ديمة : المطر الذي يتساقط في سكون بلا رعد ولا برق .

ولهـا من علاك شمسٌ حوتها فهـي تجلـو علـى الـورى أنوارك
وبهـا منـك للعلـوم بحارٌ جاورتهـا فمـن يخـوض بحارك
يا قريباً في البرّ ما يتجافى وبعيداً إلى مدى لا يشارك
وبـديعـاً مـلء الصـفـات فلـو رمـت فخـاراً لما حصـرت فخـارك
جـاءنـا نـظمـك البـديع فقلنـا الـروض إمّـا أعـرتـه أو أعـارك
هو روضٌ أطاعـك الحسـن فيه فأطـاع الإحسـان فيه اختيارك
وسطـا بالبياض خطُّـك حتى مدَّ ليلاً ومـا خلعـت نهارك
وتنـاهيت في الخطابـة حتى عجـز القـرن أن يشُـقَّ غبارك(١)
راعـه شأوك البعيـد ومـن يجـري ويجـري إذا رأى مضمـارك(٢)
فانثنـى جامـد القريحـة يستشـعـر أنّ الأشعـار باتـتْ شعارك
يا كريمـاً ضمَّـت عليه المعالي فادَّرعهـا واشـدد بهـا آزارك(٣)
قد أتـاك الثنـاء وهـو أبيٌّ ذاك ممّـا منحتـه إيثارك
فاصحبِ الفخر وامضِ في الخير قدماً واقضِ في طاعـة النـدى أوطارك(٤)

***

٤ - القاضي أبو بشر الفضل بن محمد الجرجاني

صدر كثير الفضل . جم المناقب ، جزل الأدب ، فصيح القلم ، حريص على اقتناء الكتب . وله يقول الصاحب وقد اعتل [من الوافر] :

تشـكّي الفضـل مِنْ سَقَـمٍ عراهُ فإن الفضـل أجمـع من أنينِهْ
وعـاد بعقوتـي يشـكو جواه كمـا يحنـو القـرين علـى قرينه(٥)

---

(١) القرن : المثيل ، ويشقّ غبارك : أي أن يلحق بك .
(٢) الشأو : السبق ، والمضمار : مكان تضمير الخيل من أجل السباق .
(٣) فادّرعها : أي جعلها درعاً يلبسه ، والأزر : القوّة .
(٤) الأوطار : الغايات والمرامي .
(٥) العقوة : المحلّة وساحة الدار .

فقلت له وقاك الله فيه فإنَّ السعد يطلع من جبينه
هو العين التي أبصرت منها وصار سواد عيني في جفونه
ستفديه يميني لا شمالي فعين المرء خيرٌ من يمينه

وكان ولاه قضاء جرجان : فلما انقضت أيام الصاحب وعاد الأمير شمس المعالي من خراسان إلى مملكته ولاه قضاء قضاته مضافاً إلى رياسة جرجان ، وله شعر ينطق به لسان فضله ، كقوله من قصيدة في الأمير شمس المعالي [من الخفيف] :

سنةٌ أقبلت مع الإقبال وزمانٌ من الميامن حالي
رفرفت فوقنا سحائب نعمى مطرتنا السرور في كلِّ حالِ
حسبيَ الله في الأمور نصيراً ثم حسبي الأميرُ شمس المعالي
قد رآه خليفة الله في الأر ض فريداً فقال للاقبال
ما رأينا له مثالاً وهذا لقبٌ مثله فقيدُ المثال
عانق اللفظ وفق معناه فانظر كيف أنس الأشكال بالأشكال
وُلِدا توأمين كالجسم والرو ح بعيدين من سماء المنال
ومعالٍ مشتقَّةٍ من معانٍ ومعانٍ مشتقَّةٍ من معالي
لم ينل من جداهُ مِثل الذي نلت ولا قيل في علاه مقالي(١)
ويشيع الذي يشيد من المجـ ـد وقولي يسير كالأمثال
لي من شيبه ضياعي وأفرا سي ودوري وأعبدي وبغالي(٢)
حرس الله ملكه ووقاه في بقاءٍ يطيب بالإمهال
سايسُ الملك سالمُ النفس طلقُ العـ ـيش مستوفياً شروط الكمال

***

(١) جداه : عطاؤه .
(٢) والسيب : العطاء .

٥ ـ أبو القاسم العلوي الأطروش

من نازلي إستراباذ ، وأفاضل العلوية ، وأعيان أهل الأدب ، كتب إلى القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز رقعة تشتمل على النظم والنثر ، نسختها :

الشيخ أدام الله عزه قد أعلقني من مودته ما لا أزال أحرص عليه ، وأفادني حظاً كثرت المنافسة مني فيه ، إذ هو الأوحد الذي لا يجاري إلى غاية طول وكرم طبع . وإن من اعتلق منه سببا واستفاد منه وداً، فقد أحرز الغنيمة الباردة ، وفاز بالخير والسعادة، ورجوت أن تكون الحال بيننا زائدة ، إذ محله عندي المحل الذي لا يتقدمه فيه أحد ، وشغل قلبي بانقباضه عنّي مع الثّقة الوكيدة[1] بأني مغمور المحل عنده ، موفور الحظ من رأيه وعنايته ، لا أعدمني الله النعمة ببقائه ودوام سلامته ، وأنهضني بالحق في شكره ، وما هو إلا قصر النفس على تطلب محمدته والسعي بها إلى مرضاته . وقد كتبت في هذه الرقعة أبياتاً ، مع قلة بضاعتي في الشعر ، وكثرة معرفتي بأن من أهدي إليه الشعر الجيد المطمع الممتنع ، المصبوب في قالبه ، فكمن حمل التمر إلى هجر ، والقضب إلى اليمن[2] ، وهي هذه [من البسيط]:

يا وافر العلم والإنعام والمننِ ... ووافر العرض غير الشحم والسمن

لقد تذكرت شعر الموصليٍّ لما ... سمعت من لفظك العاري عن الدرن[3]

يا سرحة الماء قد سدَّت موارده ... أما إليك طريقٌ يا أبا الحسن

إني رأيتك أعلى الناس منزلةً ... في العلم والشعر والآراء والفطن

---

(١) الوكيدة : الأكيدة .

(٢) هجر : بلدة كثيرة التمر ، وبلاد اليمن مشهورة بالسيوف حتى انه يقال للسيف يمان ، والقضب : هنا السيوف .

(٣) الدّرن : الوسخ ، أو ما يلطخ الثوب منه .

فاسمع شكاة ودودٍ ذي محافظةٍ يُغْفي المودة عند السرِّ والعلن
لقد نمتك ثقيفٌ يا عليُّ إلى مجدٍ سيبقى على الأيام والزمن
مجدٌ لو أنَّ رسول الله شاهده لقال إيهٍ أبا إسحاق للفتن
صلى الإله على المختار من رجلٍ ما ناحت الورق فوق الأيك والفنن[1]

فإن وقع فيها خطل أو زلل فعلى الشيخ اعتماد في إقالة العثرة وصرف الأمر إلى الجميل الذي يوازي فضله ويشاكل نبله . لأني كنت من قبل أهدي البيت والبيتين إلى الإخوان ، وبعد العهد به الآن . فإن رأى ـ أراه الله محابه ! ـ أن يتأمل ما خاطبته به فعل إن شاء الله .

وأنشدت له في بعض رؤساء جرجان [من المتقارب] :

خليليَّ فرًّا من الدهخذا خُذا حذراً من وداده خذا
يكنَّى بسعدٍ ، ونحساً حذا وكلُّ الخلائق منه كذا

***

٦ - أبو نصر عبد الله بن محمد البجلي الإستراباذي

أنشدني أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي قال : وجدت بخط البجلي هذه الأبيات من قصيدة في الأمير شمس المعالي [من البسيط] :

لله شمسان تذكيرٌ لخيرهما وللمؤنَّثة النقصان ملتزمُ
أزرى بتلك سناً من غير معرفةٍ فيها ، وزين هذا المجد والكرم
يا أيُّها الملك الميمون طائره وخير من في الورى يمشي به قدم
لو كنت من قبلُ ترعانا وتحرسنا لما تهدّى إلينا الشيب والهرم

(١) الورق : الحمائم ، والأيك : الأشجار ، والفنن : الأغصان .

وأنشدني له غيره [من الكامل]:

دمعـــي يفيضُ ولا يغيضُ كأنّما ... من ماء ذاك الوجــه جاد بمدِّهِ[1]

وأرى فؤادي فوق جمــرٍ محرقٍ ... فكأنّــه من فوق حمــرة خدِّهِ

وجــهٌ أعــار الصبــح من مبيضِّهِ ... شعــرٌ أعــار الليل من مسودِّه

وكأنّ وجنتــه اكتســت من وصله ... وكأنّمـا الصّـدغ اكتســى من صدِّه[2]

***

٧ ـ فصل في ذكر شعراء طبرستان

أبو العلاء السبروي

واحد طبرستان أدباً وفضلاً ، ونظماً ونثراً . وقد تقدم ذكره فيما جمعه وابن العميد من مشاكلة الأدب . وما كان يجري بينهما من المساجلة في المكاتبة ، وله كتب وشعر سائر مشهور كثير الظرف والملح ، فمنها قوله [من الطويل]:

مررنا على الـروض الـذي قد تبسَّمتْ ... ذراه وأوداجُ الأبــارق تُسفَكُ[3]

فلــم نر شيئــاً كان أحســن منظرا ... من الروض يجري دمعه وهو يضحك

وقوله من قصيدة [من البسيط]: .

أمـا ترى قضــب الأشجــار قد لبست ... أنوارهــا تتثنَّــى بين جلاَّسِ

منظومــةٌ كسمــوط الــدرِّ لابسةٌ ... حسنــاً يبيح دم العنقــود للحاسي[4]

وغــرّدت خطبــاء الـطير ساجعةً ... علــى منابــر من وردٍ ومــن آسِ

---

(١) يغيض : يغور وينضب ، جاد : فاض تكرّم .

(٢) الصدغ : ما بين العين والأذن من جانب الوجه ، والصدّ : الامتناع .

(٣) الأوداج : عروق في العنق .

(٤) السمط : العقد ، والحاسي : الشارب .

وقوله في النرجس [من البسيط]:

حيِّ الربيع فقد حيًّا بباكور ... من نرجسٍ ببهاء الحسن مذكورِ
كأنّما جفنه بالغنج منفتحاً ... كأسٌ من التبر في منديل كافورِ

وقوله في التفاح [من الطويل]: .

وتفاحةٍ قد همتُ وجداً بظرفها ... فما شعرُ ذي حذقٍ يحيط بوصفها
أشبّهُ بالمعشوق حمرة نصفها ... وبالعاشق المهجور صفرة نصفها

وقوله في الغزل [من الكامل]:

ومعشَّقِ الحركات تحسب نصفه ... لولا التمنطق بائناً من نصفه[1]
يسعى إليك بكأسه فكأنّما ... يسعى إليك بخدّه في كفه
يا من يسلِّم خصره من ردفه ... سلِّمْ فؤاد محبِّه من طرفه[2]

ومن قصيدة [من الرجز]:

ذو طرَّةٍ كأنّما ركّب في ... صفيحة الفضة شباك سبج[3]
وعارضٍ كالماء في رقته ... تزهر فيه وجنةٌ ذاتُ وهج
كأنّما نساج ديباجتِهِ ... من ورق النسرين والورد نسج

وقال [من الطويل]:

نبا قلبه من شغل قلبي بغيره ... فقلت: رويداً إنّما أنت أوّلُ[4]
فقال: دع العذر الضعيف فليس من ... يولّى على أمرٍ كمن عنهُ يُعزل

---

(١) التمنطق: وهو وضع النطاق على الخصر.
(٢) الردف: مؤخر كل شيء.
(٣) الطرّة: الجبهة، والسبج: الخرز الأسود.
(٤) نبا: نفر.

وقوله من قصيدة [من الخفيف]:

حـيٍّ شيبـا أتـى لغير رحيل وشبابـاً مضـى لغير إياب
أيٌّ شيءٍ يكون أحسـن من عا جِ مشيبٍ في آبنـوس شباب

وكتب إليه شاعر غريب يشكو إليه حجابه أبياتاً أولها [من السريع]:

جئـت إلـى البـاب مراراً فما إن زرت إلاّ قيل لي قد ركِبْ
وكان في الواجـب يا سيدي أن لا تُرى عن مثلنـا تحتجِبْ

فأجابه على ظهر رقعته [من السريع]:

ليس احتجابـي عنـك من جفوةٍ وغفلـةٍ عن حرمـةِ المغتربْ
لكنْ لدهـرٍ نكدٍ خائنٍ مقصّـرٍ بالحـرِّ عمّـا يجبْ
وكنـت لا أحجـبُ عن زائرٍ فالآن من ظلِّـيَ قد أحتجبْ

ومن سائر شعره قوله في غلام سكران [من المنسرح]: .

بالـورد في وجنتيك من لطمَكْ؟ ومـن سقـاك المـدام لِمْ ظلمكْ؟
خلاَّك ما تسـتفيقُ من سكرٍ توسـع شتمـاً وجفـوةً خدمكْ
مشـوّش الصـدغ قد ثملـت فماً تمنـع من لثم عاشـقيك فمكْ
تجُـرُّ فضـل الـرداء منخلـع النعـ لين قد لوَّث الثـرى قدمك
أظـلُّ من حيرةٍ ومـن دهشٍ أقـول لمـا رأيت مبتسمك
بالله يا أقحوانَ مبسمه علـى قضيب العقيق من نظمك

***

٨ ـ أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري

شاعر مفلّق، محسن مبدع، ممتد الأوضاح والغرر في شعر الصاحب، وهو القائل من قصيدة فيه، أولها [من البسيط]·

الدمعُ يعرِبُ ما لا يعرب الكَلِمُ … والدمع عدلٌ وبعض القوم متَّهَمُ
أمَّا يد الصَاحب اليمنى فأكرم ما … يدٌ تصاحَب فيها السيف والقلم
وللأعنة يسري في أناملها … أعنّةَ الرزق والآجالُ تنتظم[1]
تخالف الناس إلاّ في محبته … كأنّما بينهم في حبِّهِ رحم

ومنها في وصف أفراس قيدت إليه من فارس :

زارتْكَ من فارسَ الغنَّاء ناشرةً … أعرافَها قائداها العتق والكرمُ
كأنَّ أعينها ولِّينَ أرجلها … فالعين آمرةٌ والرجل ترتسمُ
من كلِّ أشهبَ لم تكحل بشهبته … عينا فتىً فدرى ما الظُّلْمُ والظُّلَمُ[2]
ومن أغرَّ يُراع العاشقون له … كأنَّ غرَّته ثغرٌ ومبتسمُ
وكلِّ أدهم عمَّت جسمه شيةٌ … كجدِّ قوم بغوك الشرّ فاصطلموا[3]

ومنها في وصف الخلعة والسيف :

وخلعةٍ تأسر الأحداق مخملةٍ … بالنور للشمس من لألائها سقمُ
وصارمٍ لم يودِّع قطُّ مضجعَهُ … إلاّ وقد ودّعت أعناقها القمم
كالكوكب الفرد لكنْ إن رجمتُ به … شيطان حربٍ طوت أوصاله الرّجم[4]
يلقى السيوف بوجهٍ مثل وجهك لم … يطلع من الغمد إلاّ قيل يبتسم

ومنها قوله في وصف السكين والدواة والأقلام :

ومطفِلٍ من بنات الزنج مرضعةٍ … من لم تلده ولم يخلَق لها رحِمُ[5]
حتى إذا وضعت عادت أجنتها … إلى حشاها فلا طلقٌ ولا وحم

---

(١) الأعنّة : جمع عنان وهو الزمام ، والآجال : الأعمار .
(٢) الأشهب : الأبيض الذي غلب على السواد أو بياضٌ يخالطه السواد .
(٣) الشية : كلّ لونٍ يخالف سائر لون الشيء أو العلامة ، واصطلم : قلع من أصله ، أي قضي عليه .
(٤) الرُجُم : شهب تظهر في السماء وكأنّها نجوم تتساقط .
(٥) ومطفل : أي ذات طفل .

أعجب لأطفالها تبكي عيونهم إن أرضعتهم ولا يبكون إن فطموا
ألأفُ مذروبةٍ إن تابعت لهم في الذبح صحوا وإن أعفتهم سقموا[1]

ومنها في وصف الدست[2]

وروضةٍ لم تولّ السحب صنعتها ولم تحطّ بها أثقالها الدِّيمُ
ترنو العيون إليها والشفاه فيجـنين العلا وهي إلاّ منهما حرم
تفترُّ عن شبل عبّاد ولا عجبٌ فالأسد تفترُّ عنها الروض والأجم[3]

ومن أخرى [من الكامل] :

بدويةٌ ضربت على حجراتها أيدي العريب من القنا أسداداً
ممّن يعد الوحش أهلاً والفلا وطناً وأكباد الأعاديَ زادا
قالت وقد صبّت عليٍّ ذراعها فتمكّنت فوق النجاد نجادا[4]
أوهى قناتك بعدنا حملُ القنا فطفقتَ تحمل منكباً منآدا[5]
يا هذه منُ الوزير جفونه وإذا شكوت إليه عاد فزادا
صابت عليٍّ يمينه فكأنّما صابت عليٍّ يمينه حسّادا[6]
فالعزُّ ضيفٌ لا يراه بربعه من لا يرى بذل التلاد تلادا[7]
والجود أعلى كعب كعبٍ قبلنا فمضى جواداً يوم مات جوادا
أغرت يمين ابنُ الأمين وفيضها بفنائه الورّاد والروادا
ودعت بني الآمال من أوطانهم فاستوطنوا الأكوار والأقتادا[8]

(١) المذروبة : السكين والمدية .
(٢) الدست : الصحراء ويقال « دشت » ووقع ذلك في شعر الأعشى ميمون بن قيس .
(٣) تفترّ : تكشف ، والأجم : الشجر الكثير الملتف .
(٤) النجاد : محمل السيف .
(٥) منآداً : تعباً ، من الأود ، وهو الإعوجاج أيضاً .
(٦) صابت : سالت وجادت .
(٧) التلاد : المال القديم الموروث .
(٨) الأكوار : جمع كور ، وهي المحمل ،والأقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل .

ومن قصيدة في أبي علي الحسن بن أحمد [من الوافر] :

لأختِ بني نمير في فؤادي		صدىً أعيا على الماء النميرِ
ليالي كان عصيانُ المشيرِ		ألذُّ لديَّ من رأيٍ مشورِ
وينظمنا العناقُ ولا رقيبٌ		يروّعنا سوى القمر المنير
وغشّتني بمثل الكرم وحفٌ		وبت أعلُّ من أشهى الخمور(1)
ولا كرمٌ سوى شعرٍ أثيثٍ		ولا خمرٌ سوى خمر الثغور
أروضتنا سقاك الله هل لي		إلى أفياء دوحك من مصير
غنينا في ذراك على غناءٍ		يوافق رجعه سج الطيور(2)
وكم في فرع أثلك من صفيرٍ		وكم في أصل أثلك من زفير(3)
وأحشاءٍ تؤلِّفها الحشايا		كتأليف العقود على النحور
وشدوٍ ترقص الأعضاء منه		ويمٌّ لا يملُّ عِراكَ زيرِ(4)
فيا لك روضةٌ راحت فراحت		رضى الأبصار من نَوْرٍ ونورِ
أطاعتها عيون الغيث حتى		جزتها الشكر ألسنةُ الشكورِ
كسون ظهورها ما تكتسيه		بطون الصحف من فكر الوزيرِ
إذا الحسن بن أحمد زفَّ خيلاً		يلفُّ بها السهول على الوعورِ
عرائس تحمل الفرسان شوساً		كعقبانٍ تمطّى بالصقور(5)
فقلْ في حومةٍ تعطى بنيها		ببيض الهند بيضاتِ الخدور(6)
أولئك معشرٌ لهمُ نفوسٌ		تكلِّفهم جسيماتِ الأمور
شعاب المجد سابلةٌ عليهم		ومن ينهى الشعاب عن البحور

---

(1) الوحف : الشعر الكثير الأسود ، أو النبات الريّان ، وأعلّ : أنهل .
(2) رجع الطيور : أصواتها المتتابعة على نسقٍ واحد ، والسجح أصواتها أيضاً المتناغمة المتناسقة .
(3) والأثل : الأصل والمجد .
(4) اليمّ : البحر والماء الكثير ، والزير : الجرّة الضخمة .
(5) شوساً : أشداء ، والعرائس كناية عن الخيل، وتمطّى : تتبختر وتمتد .
(6) بيض الهند : السيوف ، وبيضات الخدور : النساء السيّدات المترفات .

ومن أخرى [من الكامل] :

لله مـا جمعـتْ علـى عشّاقها ... تلك العيونُ ولحظُهـا السحَّارُ
فصفاحهـا أحداقهـا ورماحها ... ألحاظهـا وطعانهـا الآثارُ
وحرابهـا في حربهـا لمحبِّها ... أهدابهـا وشفارهـا الأشفـار
سارت أمامـة فيك سيرة أهلها ... في كلٍّ من نمَّـت عليه نار[1]
قومٌ إذا ابتسـم الصبـاح أغاروا ... في كلِّ حيٍّ أنجـدوا أم غاروا
يا هذه هلاَّ علقـتِ فِعالَهُمْ ... فيمـن عنـوا بجـواره فأجاروا
لن يسـتجيب خمارهـا لمحبِّها ... حتـى يخـاضَ إلـى الخمـار غمار[2]
بكُرَتْ يشيعهـا القنـا الخطَّارُ ... وتعيثُ في طلابهـا الأخطار[3]
قالـوا سيوجـدك الـربيع صفاتها ... فلحسنـه من حسنهـا تذكار
فوجـدت حبِّـي مكرهـاً في فعله ... وكلاهمـا في فعلـه مكَّار
يبـكي ويضحـك والدمـوع غزيرةٌ ... ويبينُ في استغرابـه استعبار
فكأنَّـهُ هي إذْ تفيضُ دموعها ... بين البـكا والضحـك حين تغار
عبقـت بمـا علقتْـهُ من أنفاسها ... ساعاتـه فكأنّهـا أسحار
وتبلَّجـت آصالـه وتبرّجت ... فكأنّمـا أبـكاره الأبكارُ
أنظـر إلـى النيروز كيف تسوقه ... سحـبٌ كأجفـان المحـبٍّ غِزارُ
سحبٌ متـى سحبـت علـى هام الرُّبى ... أذيالهـا فغبارهـا الأمطار
فالأرض أرضٌ والسمـاء كأنّها ... روضٌ ولـكنْ زهرهـا الأزهار
ومصـرَّعين من الخمـار ومـا بهم ... غير السـرور علـى السـرور خمار[4]
جمحوا علـى الفلك المـدار فكأسهُمْ ... فلكٌ بمـا تهـوي النفـوس مدار

---

(١) نمَّت : أظهرت ودلّت .
(٢) الخمار : الخباء ، والغمار : المخاطر .
(٣) القنا الخطار : الرمح الخارق .
(٤) مصرّعين : مقتّلين ، صرعى ، والخمار مفعول الخمرة في الانسان .

ولأَهـم الأستـاذ مولانـا المنى فترشّفـوا من عيشهـم ما اختاروا
يا دولـةَ الحسـن بن أحمـد خيِّمي ما طارد الليل البهيم نهار

ومنها في وصف القلم :

لمـا زممـتُ الدهـر عن أفعالِهِ فلـه بأثنـاء الزِّمـام عثارُ[1]
حمّلـتُ عبءَ الدهـر أظمـى مخطفاً تعنـو له الأسمـاع والأبصار
وسبـرت غور الـدين والـدنيا به فكأنّـه من ضمـره مسبار[2]
أعجـب به يجـري علـى يافوخه رهـواً وتجـري تحتـه الأقدار[3]
فكأنّـه الفلك المـدار بعينِهِ وسعـودِهِ ونحوسِـهِ أطوار
جمعتـه والرمـح الأصـمُّ ولادةٌ ولـه من السيف الصـقيل غِرار[4]

وله من أخرى في أبي العباس الضبي [من الطويل] :

وإنِّـي وأفـواف القـريض أحوكها لأشعـرُ من حاك القـريض وأقدرا[5]
كمـا تضـرب الأمثـال وهـي كثيرةٌ بمستبضـع تمـراً إلـى أهـل خيبرا[6]
ولكنّنـي أمّلـتُ عنـدك مطلباً أنكِّبـه عمَّـن ورائـي من الورى
ألـم تر أنّ ابـن الأمير أجارني ولم يرض من أذرائه لي سوى الذرى
وأوطأنـي الشعـرى بشعـري منعّما ليفطمني عن خلقـي السير والسُّرى[7]
ولـي أمـلٌ شدّت قواي عداته ثلاثـة أعـوامٍ تباعـاً وأشهرا
عدا الدهـر عنـه كي يفـوز بشكره فكن عنـد ظنِّـي شافعـاً ومذكرا

(١) عثار : سقطات وهفوات .
(٢) ضمره : نحالته ، والمسبار : ما يسبر به الجرح أو نحو ، أي يمتحن عمقه .
(٣) اليافوخ : ملتقى عظم مقدّم الرأس ومؤخره ، رهواً : مسرعاً ، أو بسهولة .
(٤) الغرار : حدّ السيف .
(٥) الأفواف : نوع من الثياب المخطّطة الرقيقة ، والقريض : الشعر .
(٦) مستبضع : أي يحمل التمر بضاعة الى خيبر وهي بلدٌ مشهورة بالتمر كهجر .
(٧) الشعرى : نجم في السماء ، والسُّرى : المسير في الليل .

ومن أخرى [من الكامل] :

أصبيحــةَ النيروز خير صبيحةٍ حييَتْ بهــا الأنــواء والأنوارُ
فبــكلِّ شعــبٍ روضــةٌ معطار تفتــرُّ عنهــا ديمــةٌ مدرارُ(1)
ماسـت بهـا الأفنـان في أسحارها نشـوى فماسـت تحتهـا الأشجار
وتبرَّجــتْ أزهارهــا وتبلَّجت فكأنَّمــا أزهارهــا أبصار
وتحدَّثــتْ عنهــا الــرياض كأنَّما بين الــرياض ، ولا سرار سرار(2)
وعصابــةٌ للــروض من قسماتهم روضٌ ومــن أنوارهــم نوَّار
يتـذاكرون علـى علاك فتلتقـي الــــكاســاتُ والأوتــار والأشعار

* * *

٩ ـ أبو هاشم العلوي الطبري

هو الذي يقول فيه الصاحب [من المنسرح] :

إنَّ أبــا هاشــمٍ يدُ الشرفِ مادحــهُ آمــنٌ من السَّرفِ(3)
حــلَّ من المجــد في أواسطه وخلَّف العــالمين في طَرَفِ(4)

وأبو هاشم هو القائل [من الكامل] :

وإذا الــكريم نبــتْ به أيامه لم ينتعش إلاَّ بعــونِ كريم
فَأَعِنْ على الخطب العـظيم فإنّما يُرجى الــكريم لدفــع كلِّ عظيم

وكتب إليه الصاحب ، وقد اعتل [من الطويل] :

أبــا هاشــمٍ ما لــي أراك عليلا ترفَّــقْ بنفس المكرمــاتِ قليلا

---

(١) ديمة مدرار : أي ديمة هطلاء .

(٢) ولا سرار : ولا خفاء ، وسرار : أي أسرار .

(٣) السرّف : مجاوزة الحدّ والاعتدال .

(٤) في طرف : يعني خلفه .

لترفـع عن قلـب النبـيّ حزازةً وتدفـع عن صدر الوصـيّ غليلا[1]
فلـو كان من بعـد النبيين معجزٌ لكنـت علـى صدق النبـيٍّ دليلا

وكتب أبو هاشم إلى الصاحب [من الطويل] :

دعـوت إلّـه النـاس شهـراً مجرَّماً ليدفـع سقـم الصاحـب المتفضلِ[2]
إلـى بدنـي أو مهجتـي فاستجـاب لي فهـا أنـا مولانـا من السقـم ممتلي
فشـكراً لربّـي حين حوَّل سقمه إلـيَّ وعافـاه ببـرءٍ معجَّلِ
وأسـأل ربِّـي أن يديم علاءه فليس سواه مفـزعٌ لبنـي علي[3]

فأجابه الصاحب [من الطويل] :

أبـا هاشـمٍ لم أرضَ هاتيك دعوةٍ وإن صدرت عن مخلصٍ متطوِّلِ
فلا عيشَ لي حتّـى تدوم مُسَلَّماً وصـرفُ الليالـي عن ذراك بمعزل
فإن نزلـتْ يومـاً بجسمـك علّةٌ وحاشـاك فيهـا يا علاءَ بنـي علي
فنـاد بهـا في الحـال غير مؤخر إلـى جسـم إسمـاعيل دونـي تحوَّلي

وأطال الله بقاء مولاي الشريف ما علمت ، ولو علمت لعدت . أغناه الله بحسن العادة عن العيادة ، وهو حسبي .

ولأبي هاشم في فخر الدولة [من السريع] :

يا فلكَ الأرض وبحـر الورى وشـمس ملكٍ ما لها من مغيبْ
دعـوتُ مولاك بنيل المنى وقـد أجـاب الله وهـو المجيبْ
فقـال خذْ ما شئـت مستولياً ودبِّـر الـدنيا برأيٍ مُصيب
يا منْ كتبْنـا فوق أعلامه نصـرٌ من الله وفتـحٌ قريب

---

(١) الحزازة: الألم والأثر ، الغليل : شدّة العطش .
(٢) شهراً مجرّماً : أي شهراً تامّاً .
(٣) مفزع : ملجأ .

الباب العاشر

١٠ - في ذكر الأمير السيد شمس المعالي قابوس بن وشمكير

وإيراد نبذ مما أسفر عنه طبع مجده ، وألقاه بحر علمه ، على لسان فضله .

أختم بها هذا الجزء الثالث من كتابي هذا ، بذكر خاتم الملوك ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله له إلى عزة الملك بسطة العلم ، وإلى فصل الحكمة نفاذ الحكم . فأوصافه لا تدرك بالعبارات ، ولا تدخل تحت العرف والعادات . وإلى أن أعمل[١] كتاباً في أخباره وسيره ، وذكر خصائصه ومآثره ، التي تفرد بها عن ملوك عصره . فإني أتوج هذا الكتاب بلمع من ثمار بلاغته التي هي أقل محاسنه ومآثره . وأكتب فصولاً من عالي نثره ، مختومة ببعض ما ينسب إليه من شريف نظمه .

ما يجري مجرى الأمثال من كلامه

الكريم إذا وعد لم يخلف ، وإذا نهض لفضيلة لم يقف * الرجاء كنور في كمام[٢] ، والوفاء كنور في ظلام، ولا بد للنور أن يتفتح ، وللنور أن يتوضح * العفو عن المجرم من مواجب الكرم ، وقبول المعذرة من محاسن الشيم * بزند الشفيع تورى القداح، ومن كف المفيض ينتظر فوز القداح * الوسائل أقدام ذوي

(١) في المطبوعتين « وآن لي أن أعمل » .

(٢) الكمام: وعاء الطلع ، أو غطاء الزهر .

الحاجات ، والشفاعات مفاتيح الطلبات * من أقعدته نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام * من ألبسه الليل ثوب ظلمائه ، نزعه عنه النهار بضيائه * قوة الجناح بالقوادم والخوافي[1] ، وعمل الرماح بالأسنة والعوالي * اقتناء المناقب ، باحتمال المتاعب ، وإحراز الذكر الجميل ، بالسعي في الخطب الجليل * الدنيا دار تغرير وخداع ، وملتقى ساعة لوداع ، وأهلها متصرفون بين وِرْدٍ وصدر[2] ، وصائرون خبراً بعد أثر * غاية كلٍّ متحرك سكون . ونهاية كل متكوّن أن لا يكون ، وآخر الأحياء فناء ، والجزع على الأموات عناء ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلم التهالك على هالك * حشو هذا الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم * إذا سمح الدهر بالحباء[3] ، فأبشر بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أغار * للدهر طعمان حلو ومر ، وللأيام صرفان عسر ويسر ، والخلق معروض على طوريه ، مقسوم الأحوال بين دوريه * لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن بعد المدى * ترك الجواب ، داعية الارتياب ، والحاجة في الاقتضاء ، كسوف في وجه الرجاء * هم المنتظر للجواب ثقيل ، والمدى فيه وإن كان قصيراً طويل * النجيب إذا جرى لم يشق غباره ، والشهاب إذا سرى لم تلحق آثاره ، من أين للضباب ، صوت السحاب ، وللغراب هوى العقاب * هيهات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء * كل غم إلى انحسار ، وكل عال إلى انحدار .

فصل ـ يستحسن الشيخ أن يخرس عنه ألسنة الحمد ، وتلتوي عليه حواجب المجد ، فقد احتجب صبح ذلك الأمر . وصار مطلوباً في ليلة القدر فإن كان أنزله من قلبه ناحية النسيان . وباع جليل الربح به في سوق الخسران فيستحي له فضله من فعله ، وكفى به نائباً عني في عذله ، وإن كان لعذر دعاه إلى التواني ،

(١) القوادم : ريش مقدمة الجناح ، والخوافي: الريش الذي يليه .
(٢) وردٍ وصدر : أي نهول وارتواء وذهابٌ وإياب .
(٣) الحباء : بالعطية .

فقد أربى ذلك على سير السواني وكلا فإن كرمه يراوده عن أشرف الخصال ، ويأبى له إلا محاسن الأفعال .

فصل ـ عاد فلان وقد علته بشاشة النجاح ، ودبت فيه نشوة الارتياح ، تلوح مسرة اليسر على جبينه ، وتصيح بانقضاء العسر أسرة يمينه .

فصل ـ وأما إعجاب ذلك الفاضل بالفصول التي عرضتها عليه ، فلم يكن على ما أحسبه إلا لخلة واحدة وهي أنه وجد فناً في غير أهله فاستغربه ، وفرعا في غير أصله فاستبدعه . وقد يستعذب الشريب من منبع الزعاق[2] ، ويستطاب الصهيل من مخرج النهاق. ولكنك فيما أقدمت عليه من بسط اللسان بحضرته ، وإرخاء العنان فيه بمشهده كنت كمن صالت بوقاحته الحجر ، وحاسن بقباحته القمر . ولا كلام فيما مضى ، ولا عتب فيما اتفق .

فصل ـ وجرى توقيع له قبيح بمن تسمو همته ، إلى قصد من تغلو عنده قيمته ، أن تكون على غيره عرجته ، أو إلى سوى بيته زيارته وحجته .

* * *

ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر ، قال [من البسيط] .

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا هل حارب الدهر إلاَّ من له خطَرُ
أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ ويستقرُّ بأقصى قعره الدررُ
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عددٌ وليس يُكسَفُ إلا الشمس والقَمر

كأنه ألمَّ فيها بقول ابن الرومي [من الكامل] :

دهرٌ علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطُّه شرَفُهْ

---

(١) سير السواني : نوع من السّير ، والتسوّن : استرخاء البطن ، وسوان : كغراب ، اسم علم .
(٢) الزّعاق : المر الغليظ .

كالبحـــر يرســـب فيه لؤلؤه سفـــلاً ، وتعلـــو فوقـــه جيفُهْ

ومثله [من البسيط] :

بالله لا تنهضـــي يا دولـــة السفل وقصّري فضـــل ما أرخيت من طوَل[١]
أسرفـــت فاقتـــدي جاوزت فانصرفي عن التهـــور ثم أمشـــي علـــى مهل
مخدّمـــون ولـــم تخـــدم أوائلهم مخوّلـــون وكانـــوا أرذل الخول[٢]

وينسب له هذان البيتان ، وقد يغنّى بها [من الكامل] :

خطـــراتُ ذكرك تســـتثير مودّتي فأحسُّ منهـــا في الفـــؤاد دبيبا
لا عضـــوَ لي إلا وفيه صبابةٌ فكأنَّ أعضائـــي خلقـــن قلوبا

هذا آخر القسم الثالث من كتاب «يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر» حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ، ويليه القسم الرابع «في محاسـن أهـل خراسان وما رواء النهر» نسأل الله تعالى أن يعين على إكماله بمنه وفضله .

***

(١) الطوَل : التمادي في الأمر .
(٢) الخول : العبيد والخدم .

في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق، والمتصرفين على أعمالها ، وما يستظرف من أخبارهم . وخاصة أهل نيسابور . والغرباء الطارئين عليها . والمقيمين بها .

قال مؤلف الكتاب :

لما كان أول الكتاب مرتهناً بآخره ، وصدره موقوفاً على عجزه ، ولم تكد تحصل تمام الفائدة في فاتحته وواسطته ، إلا عند الفراغ من خاتمته ، واستعنت الله تعالى على عمل هذا الربع الرابع منه ، وأخرجته في عشرة أبواب ، والله سبحانه الموفق للصواب .

***

الباب الأول

في إيراد محاسن وظرف من أخبار وأشعار قوم سبقوا أهل عصرنا هذا قليلا وتقدموهم يسيرا ، ومن أبناء الدولة السامانية ، وإنشاء الحضرةالبخارية ، وسائر شعراء خراسان الذين هم - مع قرب العهد - في حكم أهل العصر.

***

١١ - أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب

أبوه أبو بكر بن حامد كان كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد ، ووزير الأمير أحمد بن إسماعيل قبل أبي عبد الله الجبهاني الكبير ، وكان أبو أحمد ربيب النعمة ، وغذي الدولة ، وسليل الرياسة، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر بما وراء النهر وحذا في قرض الشعر حذو أهل العراق ، وسار كلامه في الآفاق ، وهو القائل [من البسيط] :

لا تعجبنْ من عراقيٍّ رأيتَ لهُ ... بحراً من العلم أو كنزاً من الأدب
واعجبْ لمن ببلاد الجهل منشؤهُ ... إن كان يفرِق بين الرأس والذنب

وكان يجري في طريق ابن بسام ، ويقفو أثره في عبث اللسان ، وشكوى الزمان ، واستزادة السلطان ، وهجاء السادة والإخوان ، ويتشبه به في أكثر الأحوال ، وكان ابن بسام هجا أباه وأخاه حتى قيل فيه [من المجتث]:

مــن كان يهجــو علياً فشعــره قد هجاه
لــو أنّــه لأبيه ما كان يهجــو أباه

فضرب أبو أحمد على قالبه ، ونسج على منواله ، حتى قال في أبيه [من مجزوء الكامل] : .

لـــي والــدٌ متحاملٌ من غير ما جرمٍ عَمِلتُهْ
إن لم يكنْ أشنــى إليّ من المنــون فلا عدمتُهْ[1]

وقال في أخيه منصور [من الوافر] :

أبــوك أبــي وأنــت أخــي ولكنْ أبــي قد كان يبــذرُ في السِّباخ[2]
تجارينــي فلا تجــري كجريي وهــل تجــري البيادق كالرخاخ[3]

وكان يرى نفسه أحق بالوزارة من الجبهاني والبلغمي لما له فيها من الوراثة مع التبريز في الأدب والكتابة ، ولا يزال يطعن عليهما ويصرح بهجائهمـا ، ولا يوفيهما حق الخدمة والحشمة ، حتى أوحشاه وأخافاه فذهب مغاضباً ولجّ وحجّ . ثم أقام ببغداد برهة وحنّ إلى وطنه فعاود بخارى ، وحين حصل بقرية يقال لها آمل قال فأحسن [من مخلع البسيط] :

قطعــتُ من آمــلَ المفازه قَطْعــاً به آمــلُ المفازه[4]

ولم ير ببخارى غير ما يكره من إعراض الأمير ، واستخفاف الوزير . فلزم منزله ، واشتغل باتخاذ الندماء ، وعقد مجالس الأنس ، والجري في ميدان العزف والقصف ، وجعل يتخرق في تبذير ماله ، حتى رقت حاشية حاله . وكان مولعاً

---

(١) أشنى : أبغض .
(٢) السِّباخ : الأرض المالحة التي لا تصلح للزراعة .
(٣) البيادق والرخاخ : بعض حجارة الشطرنج .
(٤) المفازة : الأرض الصعبة الكثيرة الهلاك .

بشعر العطوي حافظاً لديوانه ، مقدماً على نظرائه ، كثير المحاضرة بأمثاله وغرره في مخاطبته ومكاتباته ، فلقب بالعطواني ، وفيه يقول أبو منصور العبدوني وكان من ندمائه مع أبي الطيب الطاهري والمصعبي [من الطويل] :

أبــا أحمــدٍ ضيَّعــتَ بالخــرق نعمةً أفادكهــا السلطــان والأبوانِ[1]
فقــد صرتَ مهتــوك الجوانــب كلِّها ولُقِّبــتَ للإِدبــار بالعطواني
وأفــكرت في عودٍ إلــى ما أضعته وقــد حيل بين العير والنزوان[2]
فرأيك في الإِدبــار رأيٌ أخذته وعلِّمتــهُ من مِشية السرطان

ثم إنه تقلد أعمال هراة وبوشنـج وبـاذغيث ، فشخص إلـى رأس عمله واستخلف عليه أبا طلحة قسورة بن محمد واصطنعه ونوه به حتى صار بعده من رؤساء العمال بخراسان، وكان قسورة من أولع الناس بالتصحيفات فقـال له أبـو أحمد يوماً : إن أخرجت مصحفاً أسألك عنه وصلتك بمائة دينار ، قال : أرجو أن لا أقصر عن إخراجه ، فقال أبو أحمد : في قشور هينم جمد ، فوقف حمار قسورة وتبلد طبعه وتقشر فلسه ، فقال : إن رأى الشيخ أن يمهلني يوماً فعل ، فقـال : أمهلتك سنة ، فحال الحول ولم يقطع شعرة ، فقال له أبو أحمـد : هو اسمـك قسورة بن محمد ، فازداد خجله وأسفه ، وعلى ذكر أبي طلحة فإنه كان كوسجا وفيه يقول اللحام [من السريع] :

ويك أبــا طلحــة ما تستحي بلغــت سبعين ولــم تلتحي

ولما استعفى أبو أحمد من عمله وخطب بنيسابور أجيب إلى مراده فمن قوله بنيسابور وقد طالب العمال أرباب الضياع ببقايا الخراج [من الوافر] :

ســلام الله منّــي كلَّ يومٍ علــى كُتّــابِ ديوان الخراج
يرومــون البغــايا في زمانٍ عجزنــا فيه عن مال الزواج

(١) الخرق : الجهل .
(٢) النزوان : المطامع والمطامح .

وبلغه أن الساجي هجاه بالحضرة فقال [من البسيط] :

إنّـا أنـاسٌ إذا أفعالنـا مدحتْ أنسابنـا فهجينـا لم نخف عارا
وإن هجونـا بسـوء الفعـل أنفسنا فليس يرفعنـا مدحٌ وإن سارا

وقال للجبهاني [من الخفيف] :

أيهـا السيد الـرئيس ومـن ليـس عليه فضـلاً ونبـلاً قياسُ
أنت سهـلُ الطبـاع مرتفـعَ القد ر ولـكنْ منادمـوك خساسُ

ومن هجائه قوله فيه [من الخفيف] :

يا ابـن جبهـان لا وحقِّـك لا تصـلح فاغضـب أو فارضينْ بالحراسهْ
عجبـاً للجميع إذ نصبّـوا مثـلك في صدر ملكهـم للرياسهْ
ولـو أنّ التـدبير والحـكم في الخلـق علـى العـدل ما وليت كناسه

ومن أمثاله السائرة قوله [من الطويل] :

إذا لم يكن للمـرء في دولـة امرئٍ نصيبٌ ولا حـظٌّ تمنَّـى زوالها
ومـا ذاك من بغضٍ لهـا غير أنَّه يرجـي سواهـا فهـو يهـوى انتقالها

وقوله [من الكامل] :

إنـي وجعفـر بعـد ما جرّبتهُ وبلـوتُ في أحوالـه أخلاقَهُ
كمعيد شكٍّ في خرا قد شمَّهُ فأراد معرفـة اليقينِ فذاقَهُ

وقوله [من مخلع البسيط] :

أحسـن إذا أحسـن الزمان وصـحَّ منـه لك الضمانْ
بـادر بإحسانـك الليالي فليس من غدرهـا أمانْ

وكتب إلى أبي نصر بن أبي حبة يستزيره فلم يجبه واعتذر بعلة فكتب إليه أبو أحمد [من المتقارب] :

تعاللــت حين أتــاك الرسولْ　　وليس كذاك يكون الوصولْ
وأقســم ما نابــك من علةٍ　　ولـكن رأيك فينـا عليل

ومما يستحسن لأبي أحمد قوله [من البسيط] :

اختــرْ لكأســك ندمانــاً تسرُّبهم　　أولا فنــادِمْ عليهــا جلَّـة الكتبِ
فالأنس بين ندامــى سادةٍ نجبٍ　　منــزَّهين عن الفحشــاء والرِّيبِ
هذا يفيدك علمــاً بالنجــوم وذا　　يأتيك بالخير المستظـرف العجب
وبين كتــبٍ إذا غابــوا فأنــت بها　　في أنـزه الـروض بين العلــم والأدبِ
إذا أنســت ببيتٍ مرَّ مقتضبٍ　　أفضــى إلــى خبــرٍ يلهيك منتخب
ويكمــلُ الأنسَ ساقٍ مرهفٍ غنجٍ　　يسعــى بياقوتــةٍ سلَّــتْ من العنب
فأنــت من جدٍّ ذا في منظــرٍ أنقٍ　　وأنـت من هزلِ ذا في مرتعٍ خصب
وخير عمــر الفتــى عمــرٌ يعيش به　　مقسَّــم الحــال بين الجـدِّ واللعب
فحــظٌّ ذلك من علــمٍ ومــن أدبٍ　　وحــظٌّ هذا من اللَّــذات والطرب

وحكي أن أبا حفص الفقيه عاتب يوماً أبا أحمد على لبسه الخاتم في يمينه . فقال أبو أحمد : إن فيه أربع فوائد :

إحداها : السنة المأثورة من غير وجه عن النبيﷺ أنـه كان يتختـم في اليمين ، وكذلك الخلفاء الراشدون بعده إلى أن كان من أمر صفين والحكمين ما كان حين خطب عمرو بن العاص فقال : ألا إني خلعت الخلافة من علي كخلع خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري، فبقيت سنة عمرو بين العامة إلى يومنا هذا .

والثانية من كتاب الله تعالى ، وهي قوله (لا يكلف الله نفساً إلا وسعهـا) ومعلوم أن اليمين أقوى من اليسار ، فالواجب أن يكلف حمل الأشياء الأقوى دون الأضعف.

والثالثة من القياس ، وهو أن النهي عن الاستنجاء باليمين صحيح ، والأدب في الاستنجاء باليسار ، ولا يخلو نقش خاتم من اسم الله تعالى ، فوجب تنزيهه عن مواضع النجاسة .

والرابعة : أن الخاتم زينة الرجال واسمه بالفارسية (انكشت أراى) فاليمين أولى به من اليسار .

ولما عاود أبو أحمد بخارى من نيسابور، وورد على ماله كدر وأسباب مختلفة مختلة وقاسى من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه ، وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتي منصور الفقيه ، فقال : [من الكامل] :

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة سرفوا   في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعْرَفُ
منها أمانُ لقائه بلقائه   وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا ينصف

وقال في معناهما [من الكامل] :

من كان يرجو أن يعيش فإنّني   أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا[1]
في الموت ألفُ فضيلةٍ لو أنّها   عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية في آناء ليله ونهاره (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) فقال بعض أصدقائه : إنا لله ، قتل أبو أحمد نفسه ، فكان الأمر على ما قال ، فشرب السم فمات .

***

---

(١) العتق : التحرير ، وعتق رقبة : أي تحريرها من الرّق .

١٢ ـ أبو الطيب الطاهري

هو طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، من أشعر أهل خراسان وأظرفهم وأجمعهم بين كرم النسب ، ومزية الأدب ، إلا أن لسانه كان مقراض[1] الأعراض ، فلا تزال تخرج من فيه الكلمة يقطر منها دمه ، وتتبرأ منه نفسه . وكان وقع في صباه في شرذمة من أهل بيته إلى بخارى فارتبط بها وردت عليه ضياع نفيسة للطاهرية فتعيّش بها ، وكان يخدم آل سامان جهراً ، ويهجوهم سراً . ويطوي على بغض شديد لهم . ويتمنى زوال ملكهم وزوال أمرهم ، لما يرى من ملك أسلافه في أيديهم . ويضع لسانه حيث شاء من ثلبهم[2] ، وذم وزرائهم وأركان دولتهم ، وهجاء بخارى مقر حضرتهم ومركز عزهم

فحدثني أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الحربي قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي يقول في يوم من أيام وروده نيسابور على ديوانها : إن أصحاب أخبار السر كانوا ينهون إلى كل من الأميرين الشهيد والسعيد في أيامهما ما يقدم عليه هذا الطاهري من هجائهما ، فيغضبان عليه ويهبان جرمه لأصله وفضله ، ويتذممان من قتل مثله ، فدخل يوماً على السعيد نصر بن أحمد فهش له وبسطه وحادثه ثم قال له في عرض الحديث : يا أبا الطيب حتى متى تأكل خبزك بلحوم الناس ؟ فنكس رأسه حياء ، ثم قام يجر ذيل خجل ووجل . ولم يعد لعادته في التولع به .

قال أبو زكرياء : ومما يحكى من كلمات السعيد الوجيزة الدالة على فضله وكرمه قوله لأبي غسان التميمي وقد حمل إلى حضرته في يوم المهرجان كتاباً من تأليفه : ما هذا يا أبا غسان ؟ قال : كتاب أدب النفس ، قال : فلم لا تعمل به ؟ وكان أبو غسان من الأدباء الذين يسيئون آدابهم في المجالس .

---

(١) المقراض : من قرض أي قطع .
(٢) ثلبهم : ذمُّهم وإعابتهم .

ومن ملح هجاء أبي الطيب للشهيد قوله [من الخفيف] :

طـال غزو الأمير للبـطِّ حتى ما له عن عداتـه إقفالُ
فهنيئـاً له هنيئـاً مريئاً كلُّ قرنٍ لقرنـه قتّال

وقوله [من الوافر] :

بخـارى من خرى لاشـك فيه يعـزُّ بربعهـا الشـيء النظيفُ
فـإن قلـت الأمير بهـا مقيمٌ فذا من فخـر مفتخـرٍ ضعيفُ
إذا كان الأمير خرا فقـل لي أليس الخرء موضعـه الكنيف[1]

وهو أول من هجا بخارى وذمها ووصف ضيقها ونتنها ، حتى اقتدى به غيره في ذكرها ، فقال أبو أحمد بن أبي بكر [من الوافر] :

لـو الفـرس العتيق أتـى بخارى لصـار بطبعـه فيهـا حمارا
فلـم تر مثلهـا عينـي كنيفاً تبـوّأه أمير الشـرق دارا

وقال ، ويروى لأبي الطيب [من الهزج] :

بخـارى كـلُّ شيءٍ منـك يا شوهـاء مقلوبُ
قضـاةُ النـاس ركّابٌ فلـم قاضيك مركوبُ

وقال أبو منصور العبدوي [من الطويل] :

إذا ما بلاد الله طاب نسيمها وفاحتْ لدى الأسحـار ريحُ البنفسجِ
رأيت بخـارى جيفـة الأرض كلِّها كأنَّك منهـا قاعـدٌ وسط مخرجِ[2]
فيا ربّ أصلـح أهلهـا وانف نتنها وإلاّ فعنهـا ربِّ حوِّل وفرِّجِ

---

(١) الكنيف : بيت الخلاء ـ المرحاض .

(٢) الجيفة : الجثّة النتنة ، ويريد بالمخرج : مكان الخروج حيث الروائح الكريهة .

وقال أبو منصور الخزرجي ، ويروى لأبي أحمد [من مجزوء الرمل] :

فقحةُ الدنيا بخارى ... ولنا فيها اقتحام[1]
ليتها تفسو بنا الآ ... ن فقد طال المقام

وقال الغربيامي [من السريع] :

ما بلدةٌ منتنةٌ من خرا ... وأهلها في جوفها دودُ
تلك بخارى من بُخار الخرى ... يضيع فيها النـدُّ والعودُ[2]

وقال أبو علي الساجي [من السريع] :

باء بخارى فاعلمن زائده ... والألف الأولى بلا فائده
فهي خرا محضٌ وسكانها ... كالطير في أقفاصها آبده

وقال الحسن بن علي المروروذي [من الوافر] :

أقمنا في بخارى كارهينا ... ونخرج إن خرجنا طائعينا
فأخرجنا إلّه الناس منها ... (فإن عدنا فإنا ظالمونا)

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

أودى ملوك بني ساسان وانقرضوا ... وأصبح الملك ما ينفكُّ ينتقضُ
أضحت إمارتهم فيهم وجوهرهُمْ ... عبيدهم وهم في عرضها عرض
فليبكِ من كان منهم باكياً أبداً ... فما لما فاتهم من ملكهم عوضُ
من لان مرقده فالدهرُ مبدلُهُ ... عنه فراشاً له من تحته قضضُ[3]
هاتيك عادته فيمن تقدَّمهم ... وكلُّ مرتفعٍ يوماً سينخفض

---

(١) فقحة الدنيا : الفقحة مكان مسيل القاذورات .
(٢) الندّ والعود : نوعان من الأشجار طيبا الرائحة .
(٣) القضض : التراب وصغارالحصى،وقضّ المضجع : أي خشن .

دعهمْ إلى سقرٍ واشربْ على طربٍ فالفجرُ في الأفق الغربي معترض[1]
غدا الربيع علينا والنهار به يمتدُّ منبسطاً والليلُ مُنقبض
والنور يضحك في خضر البنان ضحىً والبرق مبتسمٌ والرعد مؤتمض[2]
وقوِّضتْ دولةٌ قد كنت أكرهها وزال ما كان منه الهمُّ والمرض
إن أنت لم تصطبح أو تغتبق فمتى الآنَ بادر فإنَّ اللهو مفترض[3]

ومن عجيب ما يحكى عن أبي الطيب أنه كتب إلى أخيه أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام بهذين البيتين [من الوافر] :

وإنّي والمؤذن يوم رامٍ لمختلفان في هذي الغداة
أنادي بالصبوح كه كياداً إذا نادى بحيّ على الصلاة

وإذا برسول أبي طاهر جاءه قبل وصول رقعته برقعة فيها [من الوافر] :

وإنّي والمؤذنُ يوم رامٍ لمختلفان في هذا الصباحِ
أنادي بالصبوح كه كيادا إذا نادى بحيٍّ على الفلاحِ

وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين في منتصف الطريق .

ومن سائر شعر أبي الطيب قوله في السعيد نصر بن أحمد [من الطويل] :

قديماً جرتْ للناس في الكتب عادةٌ إذا كتبوها أن يعادلها الصدرُ
وأوّل هذا الأمر كان افتتاحه بنصرٍ وإن ولّى فآخرهُ نصرُ

ومما يستحسن من شعره ويغني به ويقع في كل اختيار قوله [من المتقارب] :

خليليَّ لو أنَّ همَّ النفو سِ دامٍ عليها ثلاثاً قتل

(١) سقر : جهنّم .
(٢) مؤتمض : لامع ، من الومض يقال ومض البرق وليس الرعد.
(٣) الصبوح والغبوق : شرب الخمر صباحاً ومساءً .

ولــكن شيئــاً يسمّــى السرور قديمــاً سمعنــا به ما فعل

وناوله غلام له باقة نرجس فقال فيه [من السريع] :

لمّــا أطلنــا عنــه تغميضا أهـدى لنـا النــرجس تعريضا
فدلَّنــا ذاك علــى أنَّهُ قد اقتضانـا الصفــر والبيضا[1]

ومن ملحه قوله في الجبهاني من ضادية [من الطويل] :

تقلّــدتَ بالوســواس صرفــاً وزرتنا فزدت بهــا تيهــاً علــيَّ عريضا
ولســتُ بزاوٍ عنــك ودّاً عهدته ولا قائــلٍ ما عنــه مريضا[2]
فمــا كان بهلــولٌ مع الشتــم والخنا وقـذف النسـاء المحصنـات بغيضا[3]

وقوله في معناه [من الطويل] :

ولســت بشــيءٍ من جفائــك حافلاً ولا من أذىً جرعتنيهِ مغيظا
فأطيب أحــوال المجــانين ما رموا وزنّــوا وعاطــوك الــكلام غليظا[4]

وكان أبو ذر الحاكم البخاري عرضة لهجائه فقال فيه من قصيدة [من مجزوء الخفيف] :

أفٍّ للــدهــر أفٌّ له قــد أتانــا بمعضِلَهْ
بأبــي ذرٍّ الــذي كان مُلقــى بمزبلـه
كلمــا بـات ليلةً وإستــه فيـه مهمله[5]
بــات يقــرا إلــى الصبـا ح (وبئــرٍ معطَّله)

---

(١) الصفر والبيض : يعني بها الدنانير والدراهم .
(٢) زاوٍ : مخفٍ .
(٣) البهلول : الكثير الضحك ، والخنا : الفحش .
(٤) رموا : أفسدوا ومنها رمي المحصنات ، وزنّوا من الزناء .
(٥) الإست : فتحة المؤخرة .

وقوله في ابنه :

لأبــي ذرّ بنيٌّ طفسٌ لا كان ذا ابنا
فهــو لا يقــرأ من القر آن إلاّ والنـا

وقوله في غيرهما [من مجزوء الرمل] :

طلحـة يـا كبرائي سلحــةٌ في الأمراءِ
إن شاهــاً أنــت فرزا ن له بادي العراءِ

* * *

١٣ ـ أبو منصور الطاهري

لم يرث الفضل والشعر عن كلالة ، وهو القائل [من الطويل] :

بكيت لفقــد الوالــدين ومــن يعشْ لفقدهمــا تصغُــرْ لديه المصائبُ
فعــزّيت نفســي موقنــاً بذهابها وكيف بقـاء الفــرع والأصــل ذاهبُ

ومن أحسن ما سمعت في المعنى نثراً قول بعض الحكماء لرجل مات أبوه وابنه : لقد مات أبوك وهو أصلك . ومات ابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ؟!

ومما يستجاد لأبي منصور قوله [من البسيط] :

شيئــان لو أن ليثــاً يُبتلــى بهما في غيلــه مات من همٍّ ومــن كمد[١]
فقـد الشبـاب الــذي ما إن له عِوضٌ والبعـد بالرغـم عن أهـلٍ وعــن ولد

وهو مأخوذ من قول الآخر [من الكامل] :

شيئــان لو بكت الدمــاء عليهمـا عينــاي حتــى يؤذنــا بذهاب

---

(١) الغيل : الشجر الكثير الملتف ، والكمد : الحزن الشديد .

لم يقضيا المعشار من حقيهما شرخ الشباب وفرقة الأحباب

وقد ملح أبو منصور في قوله [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له خواناً له من لحظ عينيه خفيرُ
أرى خبزاً وبي جوعٌ شديدٌ ولكن دونه أسدٌ مزير

ومثله للرشيد وقد رأى جارية سكرى فراودها ، فقالت : إن أباك ألم بي ، فكف عنها ، وقال [من الوافر] :

أرى ماءً وبي عطشٌ شديدٌ ولكنْ لا سبيل إلى الورود

* * *

١٤ ـ أبو الحسين محمد بن محمد المرادي

كان شاعر بخارى ، وله شعر كثير مدون ، ومن مشهور أخباره أن السعيد نصر بن أحمد ركب يوماً للضرب بالصوالجة ، فجاءت مطرة رشت السهلة ، ولما قضى وطره وأقبل إلى الدار تصدى له المرادي فأنشد [من مخلع البسيط] :

أشهدُ أنَّ الأمير نصرا يخدمه الغيث والسحابْ
رشّ تراب الطريق كي لا يؤذيه في الموكب الترابْ
لا زال يبقى له ثلاث العزُّ والملك والشبابْ

فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، وقال : لو زدت لزدناك ، وكان المرادي ينشد لنفسه [من مجزوء الرمل] :

إنما همّي كسيره وإدامٌ من قديره[1]
وخميره في زكيره بلغتي منها سكيره

---

(١) الإدام : الطعام ، والقدير : يعني القِدر .

وصــبيحٌ أو قبيحٌ قـد كفـى جلـد عميره
ودنينيرٌ لدينـا بات في ضمــن صريره
مــن رأى عيشــي هذا عاش لا يطلــب غيرَهْ

ثم يقرأ على أثرها ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علـواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ .

وورد نيسابور لحاجة في نفسه فرأى من أهلها جفاء فقال [من البسيط] :

لا تنــزلنّ بنيسابــور مغترباً إلاّ وحبلُك موصــولٌ بسلطانِ
أو لا فلا أدبٌ يغنــي ، ولا حسبٌ يجــدي ، ولا حرمــةٌ ترعــى لإنسانِ

وقال [من البسيط] :

قال المــراديُّ قولاً غير متَّهمِ والنصـح ما كان من ذي اللـبِّ مقبولُ
لا تنــزلنَّ بنيسابــور مغترباً إن الغــريب بنيسابــور مخذول

وقال في المصعبي [من الطويل] :

أرى صحبـة الأشـراف صعبـاً مرامها وصحبــة هذا المصعبــيِّ فأصعبُ
يذلِّلنــي فيمــا يروم اكتسابُه فأستــام عزّاً بالمذلــة يكسبُ[1]

وقال في موت أبي جعفر الصعلوكي [من مخلع البسيط] :

وقـد تلِفَــتْ نفســه الدنيَّهْ ما كان أولاه بالمنيّهْ
مــا أخطــأ المــوت حين أفنى من كان ميلاده خطيّهْ

وقال لأبي علي الصاغاني من قصيدة [من البسيط] :

لم ألــق غيرك إلا ازددتُ معرفةً بأنَّ مثلك في الآفــاقِ معدومُ

(١) أستام : يقام استامت الماشية : أي رعت حيث شاءت وهنا بمعنى أسأل وأطلب .

أرى سيوفـك في الأعـداء ماضيةً ... ركنُ الضـلال بهـا ما عشـتَ مهدوم
يهمي النـدى والـردى من راحتيك فلا ... عاصيك ناجٍ ولا راجيك محروم

وقال في بكر بن مالك [من مجزوء الخفيف] :

قلّـد الجيش سيِّدٌ ... وهـو جيشٌ علـى حده
يد بكرٍ وسيفه ... ويد الله واحده

ومن ملحه وظرفه قوله [من مجزوء الخفيف] :

هـل لكـم في مطفلٍ ... شربـه شرب قبره
لـو رأى في جواره ... خيط زقٍّ لأسكره

ولما احتضر أنفذ إليه الجبهاني ثياباً للكفن . فأفاق ، وأنشأ يقول [من الطويل] :

كسانـي بنـو جبهـان حياً وميتاً ... فأحييت آثـاراً لهـم آخـر الزمنْ
فأوّل برٍّ منهُـمُ كان خلعةً ... وآخـر برٍّ منهُـمُ صار لي كفنْ

ثم أغمي عليه ساعة فأفاق وقال [من السريع] :

عـاش المـراديُّ لأضيافه ... فصـار ضيفـاً لإلٓـه السما
والله أولـى بقـرى ضيفه ... فليدع البـاكي عليه البكا

ثم كان كأنه سراج انطفأ .

* * *

١٥ ـ أبو منصور العبدوني ، أحمد بن عبدون

من أظهر كتاب بخارى تحصيلاً ، وأظرفهم جملة وتفصيلاً ، وكان ريحانة الندماء ، وشمامة الفضلاء ، ونارنج الظرفاء ، وله شعر عذب المذاق حلو المساغ في نهاية خفة الروح ، وقد تقدمت له أبيات ، وبلغنـي أن صديقاً له كتـب إليه

يستعير منه دابة ويقول [من المتقارب] :

أردت الــركوب إلــى حاجةٍ فمــن لي بفاعلــةٍ من دببتْ

فوقع تحت البيت [من المتقارب] :

برذوننــا يا أخــي عامرٌ فكن بأبــي فاعــلاً من غدوتْ

وقال في صاحب ديوان يطيل المكث فيه [من السريع] :

أقســمُ بالله وآياتــهِ أنّـك في الثقــل رحــى بزرِ[1]
وذا كمــا قلــت وإلاّ فلمْ تقعــد في الــدار إلــى العصرِ
والنــاس قد أخلــوا دواوينهم وانصــرف الــطير إلــى الوكرِ

وقال [من الطويل] :

أكتّــاب ديوان الرسائــل ما لكُمْ تجمّلتُــمُ بل متُّــم بالتجمُّل
وأرزاقــكم لا تســتبين رسومها لمــا نسجتهــا من جنــوبٍ وشمأل
إذا ما شكا الإفـلاس والضــرُّ بعدكم يقولــون لا تهلك أســىً وتجمَّل
خلقتــم علــى باب الأمير كأنّكم قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل

وقال في أبي نصر بن أبي حبة ، وكان من تلامذته [من السريع] :

يا قومُ إنّ ابــن أبــي حبّه قد سبــق الكتّــابِ في الحلْبَهْ
وأدخــل الكتّــاب من حذقِهِ في الــكوز والجــرَّة والدبَّهْ[2]

وقال في كتاب « أدب الكتاب » لابن قتيبة [من مجزوء الرمل] :

أدبُ الكتــاب عنــدي ما له في الكتــب ندّ[3]

---

(١) الرّحى : الطاحون .
(٢) الدبّة : ظرف أو نحوه يوضع فيه الزيت أو غيره .
(٣) الندّ : القرين والمثيل .

ليس للكاتب منه إن أراد العلم بدْ

وقال [من مجزوء الرمل] :

عنقي يا قوم كانت عند شربي الراح عبله[1]
فتركت الشرب أياماً على عمدٍ لعلَّه
فانحنى الظهر وذاب الجسم في أيسر مهله

وحدثني أبو سعيد عن بعض مشايخ الحضرة ، وقد ذهب على اسمه ، أن مجلساً للأنس جمع يوماً جماعة من أفاضل بخارى كأبي أحمد بن أبي بكر والطاهري والمصعبي والخزرجي والعبدوني وفيهم فتى من أهل أشروسنه يسمى يشكر أحسن من نعم الله المقبلة ، ومن العافية في البدن ، فأفضى به الحديث إلى رواية الأهاجي ، وطفق كل واحد منهم يروى أجود شعره في الهجاء ، فقال بعض الحاضرين إن هجاء من هجوتموه ممكن معرض ، فهل فيكم من يهجو هذا الفتى ، يعني يشكر ، فقالوا : لا والله ما نقدر على هجائه ، وليت شعري أيهجي خلقه أم اسمه ، فارتجل العبدوني أبياتاً منها [من المتقارب] :

ويشكر يَشْكُرُ من ناكه ويَشْكُرُ لله لا يشكر

فتعجبوا من سرعة خاطره في ذم مثله[2] ، واشتقاقه الهجاء من اسمه ، وأقروا له بالبراعة ، وحين رأى خجل الفتى لما بدر من هجائه إياه من غير قصد أخرج من يديه زوجي خاتم ياقوت وفيروزج وأعطاهما إياه ، وقال : هذا بذلك .

* * *

---

(١) عبله : ضخمه .

(٢) لزياد الأعجم بيت بهذه الألفاظ وهو قوله :

ويشكر تشكر من ضامها ويشكر لله لا تشكر

فلا دلالة في البيت على سرعة الخاطر ولا على اشتقاق الهجاء من اسم المهجو .

١٦ ـ أبو الطيب المصعبي محمد بن حاتم

كان في جميع أدوات المعاشرة والمنادمة وآلات الرياسة والوزارة على ما هو معروف مشهور ، وكانت يده في الكتاب ضرَّة البرق ، وقلمه فلكي الجري ، وخطه حديقة الحدق، وبلاغته مستملاة من عطارد ، وشعره باللسانين نتاج الفضل ، وثمار العقل ، ولما غلب على الأمير السعيد نصر بن أحمد بكثرة محاسنه ووفور مناقبه ووزر له مع اختصاصه بمنادمته لم تطل به الأيام حتى أصابته عين الكمال ، وأدركته آفة الوزارة ، فسقى الأرض من دمه .

ومن مشهور شعره وسائر قوله [من مجزوء الرمل] :

إختلسْ حظّك في دنياك من أيدي الدهور
واغتنم يوماً ترجّيه بلهوٍ وسرور
واصنع العرف إلى كلٍّ كفورٍ وشكور
لك ما تصنع والكفران يزري بالكفور

وقوله في ذم الشباب [من الخفيف] :

لم أقلْ للشباب في كنف اللـه وفي ستره غداة استقلاّ[1]
زائرٌ زارنا مقيمٌ إلى أنْ سوَّد الصُّحفَ بالذنوب وولّى

وقوله في غلام أعجمي [من الخفيف] :

بأبي من لسانهُ أعجميٌّ وأرى حسنه فصيح الكلام

ويروى له ما كتب به إلى بعض إخوانه [من مخلع البسيط] :

غبت فلم يأتني رسول ولم يقلْ علَّه عليلْ
هيهات لو كنتَ لي خليلاً فعلتَ ما يفعلُ الخليلْ

وله [من المجتث] :

اليوم يوم بكور على نظام سرور
ويوم عزف قيان مثل التماثيل حور
ولا تكاد جيادٌ تروى بغير صفير

ووقع في كتاب [من الكامل] :

قد قلت لما أن قرأت كتابكم عض الملل ببظر أم الكاتب

* * *

١٧ ـ أبو علي الساجي

من فضلاء المقيمين ببخارى ، ووجوه المتصرفين بها ، وفيها يقول في غلام تركي [من البسيط] :

لا سمرةٌ ، لا بياضٌ فيه ، لا سمنٌ ولا هزالٌ ، ولا طولٌ ولا قِصَرُ
ذو قامةٍ قام فيها عذر عاشقها وصورةٍ قبحت مع حسنها الصُّوَر

ويقول [من مجزوء الرمل] :

أنا بالحضرة واقف للتعازي والتهاني
ولتشييع فلانٍ والتلقّي لفلانِ

وله في مرو [من الخفيف] :

بلدٌ طيِّبٌ وماءٌ معينٌ وثرى طيبِهِ يفوق العبيرا
وإذا المرء قدَّر السير عنه فهويناه باسمه أن يسيرا

وله [من السريع] :

لا تأسَ من دنياً على فائتٍ وعندك الإسلام والعافيه(١)

(١) لا تأس : أي لا تأسف وتحزن .

إن فات شيءٌ كنت تسعى له ففيهما من فائتٍ كافيه

وله [من الخفيف] :

لست أدري ماذا أقول ولكنْ أبتغي من عريض جاهك نفعا
والفتى إن أراد نفع أخيه فهو يدري في أمره كيف يسعى

* * *

١٨ ـ أبو منصور الخزرجي

أديب شاعر في المرتبطين الذين كانوا ببخارى مع أبي غسان التميمي والبوشنجي والكسروي وأضرابهم من الأفاضل ، كتب إلى أبي أحمد بن أبي بكر في أوائل شهر رمضان قصيدة منها [من مخلع البسيط] :

الصوم ضيفٌ ثوى فداره قد يؤجر العبد وهو كارهْ
واحمل على النفس في قراه في ليله منك أو نهاره
فإن تجافى على كريمٍ برٌّ حريصٍ على مزاره
فالضيف ماضٍ غداً ومثنٍ عليك أن حِطتَ من ذماره[1]

ومن ملحه ؛ ويروي لغيره [من الوافر] :

أتُدخِلُ من تشاء بلا حجابٍ وكلُّهم كسيرٌ أو عوير
وأبقى من وراء الباب حتى كأنّي خصيةٌ وسواي أير

وقال للمصعبي [من البسيط] :

يا من تخلَّق حتى صار مرتفعاً من السماء الى أعلى مراقيها
لا تأمننَّ انحطاطاً وارعَ حرمتنا وانظر إلى الأرض واذكر كوننا فيها

---

(١) الذمار : ما يحمى ويدافع عنه كالحرم والأهل والشرف .

وقـال ، وأنشدنيهـا له أبـو زكريا الحربـي ، وتـروى لغيره [مـن مجـزوء الكامل] :

يـا ذا الـكواكبِ والدوا ئـــرِ والعجائـــبِ والمجرّةْ
أجحفــت بالفَطِــنِ الأريــب فخاض في الغمرات دهرهْ[1][2]
يــا عــزَّةً فــي فعلــه أعــطيــت خيرك كلَّ عرّه[3]
أخرِفْــت من طول السّرى أم زدت للحــركات سـرّه

***

١٩ ـ أبو أحمد محمد بن عبد العزيز النسفي

قال في رئيس كان ينام بالنهار ويسهر بالليل [من الطويل] :

ينـام إذا ما استيقـظ النــاس بالضُّحى فإن جنَّ ليلٌ فهــو يقظــانُ حارسُ
وذاك كمثــل الكلــب يسهــرُ ليله فإن لاح صبحٌ فهــو وسنــانُ ناعسُ

وقال في أبي علي الصاغاني [من البسيط] :

الــدار داران للباقــي وللفاني والخلــق كلُّهُــمُ يكفيهــم اثنانِ
فأحمــدٌ لمعــاش النــاس قاطبةً وأحمــدٌ لمعــاد النــاس سيّانِ

وقال [من المجتث] :

إن الــرؤوس بإجما عِ آكليهــا ثقيله
وحقّهــا شرب صرفٍ قصيرة من طويله

***

(١) الأريب : الماهر الذكي ، والغمرات المخاطر .
(٢) العرّة : الجرب ، والعيب .

٢٠ ـ أبو القاسم الكسروي

هو أردستاني من أهل أصفهان من الأدباء الطارئين على بخارى والمرتبطين بها ، وكان جامعا بين الكتابة والشعر ، ضارباً بأوفر السهم في الظرف ، وكان يقول : قولي لعدوي أعزه الله إنما أريد أعزه الله حتى لا يوجد في الدنيا ، وقولي أطال الله بقاك وأدام عزك وتأييدك وجعلني فداك أي من هذا الدعاء كله فصار الدعاء لي دونه .

وكان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب في ذكر عيوبهم ويقول : لا ترى شطرنجاً غنياً إلا بخيلا ولا فقيراً إلا طفيليا ، ولا تسمع نادرة باردة إلا على الشطرنج ، فإذا جرى ذكر شيء منها قيل : جاء الزمهرير ، ولا يتمثل بها إلا فيما يعاب ويذم ويكره ، فإذا خرىء السكران قيل : قد فرزن ، وإذا كان مع الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل : قيل معه فرزان بيدق ، وإذا استحقر قدر الإنسان قيل : كأنه بيدق ، ولا سيما إذا اجتمع فيه قصر القدر وصغر القدر كما قال الناجم [من الهزج] :

ألا يا بيدقَ الشطرنج في القيمة والقامة

وإذا ذكر وقوع الإنسان في ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال عبد الله ابن المعتز وأجاد [من الكامل] :

قل للشقيِّ وقعت في الفخِّ أودت بشاهك ضربة الرخِّ

وإذا رؤي طفيلي يسيء الأدب على المائدة قيل : انظروا إلى يد الكشحان كأنها الرخ في الرقعة . وإذا رؤي زيادة لا يحتاج إليها قيل : زاد في الشطرنج بغلة ، وإذا سب دخيل ساقط : قيل من أنت في الرقعة ؟ وإذا ذكر وضيع ارتفع قيل كما قال أبو تمام [من مجزوء الكامل] :

قل لي متى فرزنت سر عة ما أرى يا بيدق

ويروى أنه دخل يوماً على أبي عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي وقد ولد له مولود فأنشد [من مجزوء الكامل]:

هنئــتَ نجــم سعــادة قد حلّ أوَّل أمسِ رحلكْ
فـأحلّـهُ المــولى مـن الـ آداب والعليـا محلَّـكْ
وأطـال عزَّكمـا وعمـركمـا وأكثـر منك مثلـك

فأمر له بثلثمائة دينار .

وكتب إلى بعض الرؤساء رسالة في الهز والاقتضاء وفي آخرها قوله [مـن الوافر]:

فرأى الشيخ مولـى المجـد في أن يشرفنـي بإحـدى الحسنيين
بنقـد أرتجيه أو بيأس فإن اليأس إحـدى الراحتين

وله من قصيدة [من البسيط]:

كسبـتُ ما شئـتُ من مالٍ فأتلَفَهُ كفٌّ كسـوبٌ بعـون الله متلافُ
لن يلبـث المـال عنـدي أو يفرقه طبـع امـرىءٍ همّـه بذلٌ وإسرافُ
إنّ عادتـي فيمـا حوتـه يدي وعـاده الله جلَّ الله إخلافُ
فهـذه عادتـي فيمـا حوتـه يدي وعـادة الله جلَّ الله إخلاف[1]
إنّ الحقـوق ليفنـي المـال واجبها وفـي قضـاء حقـوق النـاس إنصاف

وله [من الوافر]:

كفـاك مذكّراً وجهـي بأمري وحسبـي أن أراك وأنْ تراني
وكيف أحـثُّ من يعنـى بشأني ويعـرف حاجتـي ويرى مكاني

***

---

(١) إخلاف : نعماً جديدة يخلفها عليه .

٢١ - أبو بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن

وقع إلى بخارى وتصرف بها وتقلد الحزن ، وكان من أدباء الكتاب وفضلائهم ، وأهدى جزءاً بخطه يشتمل على ملح وغرر بخارية له ولغيره ممن جاورهم بالحضرة ، فمما كتبه لنفسه قوله [من الطويل] :

لكلبٌ عقورٌ أسودُ اللون رابضٌ   على صدر سوداء الذوائب كاعبِ[١]
أحبُّ إليها من معانقة الذي   له لحيةٌ بيضاءُ فوق الترائبِ[٢]

وله [من الوافر] :

وعنينٍ يريد قيام أيرِ   بأدويةٍ لأوقات الجماع
فقلت له هلاكُ الزقِّ يوماً   إذا ما احتيج فيه إلى الرقاع

ومما وجدته بخطه ، ولست أذكر أكتبه لنفسه أم لغيره من كتاب عصره لغيبة ذاك الجزء عني ، هذه الأبيات [من المتقارب] :

وهتْ عزماتك عند المشيب   وما كان من حقُّها أن تهي[٣]
وأنكّرت نفسك لما كبرت   فلا هي أنت ولا أنت هي
فإنْ ذكرتْ شهواتُ النفوس   فما تشتهي غير أن تشتهي

***

٢٢ - الحسين بن علي المرورّوزي

من آدب أصحاب الجيوش بخراسان وأشعرهم وأكرمهم ، وفيه يقول بعض الشعراء لما صرف عن مرو بأحمد بن سهل ويذكر دار الإمارة فيها [من الوافر] :

---

(١) العقور : من عقر أي عض . وسوداء الذوائب : أي سوداء الشعر . والكاعب : الفتاة الناهد .
(٢) الترائب : أعلى الصدر .
(٣) وهت : ضعفت .

أقـام بصحنهـا لؤمُ ابـن سهلٍ وفـارق ربعهـا كرمُ الحسينِ
وكانـتْ جنّـةً فغـدت جحيماً فيا بُعْـدَ اختـلاف الحالتينِ

ومن سائر شعر الحسين قوله في أبي الفضل البلغمي لما تلطف لإطلاقه من حبس القمندر بهراة [من مخلع البسيط] :

ألا اسقنـي من زبيب شمسٍ عدوًّ همّـي حبيبَ نفسي
أرقّ من دين آل تيمٍ ومـن عديٍّ وعبـد شمس
أشْـرَبْ بتـذكار من تولّى بنـاء مجـدي بهـدم حبسي

وقوله [من الكامل] :

ثنتـانِ يعجـز ذو الرياضـة عنهما رأيُ النسـاء وإمـرةُ الصبيانِ
أمـا النسـاء فميلهـنَّ إلـى الهوى وأخـو الصبـا يجـري بغير عنانِ(1)

وقوله من أبيات في بعض قواده [من المتقارب] :

وجيشٍ يكون أميراً لهم قصـارى أولئـك أن يهزموا

***

٢٣ ـ محمد بن موسى الحدادي البلخي

كان يقال : أخرجت بلخ أربعة من الأفراد : أبا القاسم الكعبي في علم الكلام ، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف ، وسهل بن الحسن في شعر الفارسية ، ومحمد بن موسى في شعر العربية ، وكان يكتب للحسين بن علي وشعره سائر مدون كثير الأمثال والغرر ، كقوله : [من مجزوء الكامل] :

إنْ كنـتُ أشـكو من يرقُّ عن الشـكاية في القريض
فـالفيل يضجـر وهـو أعـظم ما رأيت من البعوض

(1) الصبا : الميل إلى اللهو والمتعة . والعنان : الزمام .

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ألقحـــت منـــه حرمةً متوقعـــاً ما تنتج[1]
فـــإذا رعايتـــه لها والله سقـــط مخدّج[2]

وقوله [من البسيط] :

لا غرو إن كنت بحـراً لا يفيض ندىً فالبحـــر غمــرٌ ولــكن ليس بالجاري
أمسيتَ جاريَ من بين الأنـــام فلا تغفـــل وصـــاة رســـول الله بالجار

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

كم فيك من رشـــأ أغـــنٌ كأنّما خُلِقـــتْ مفاصِلُـــهُ بغير عظام
كم قد غللـــت يد النـــديم بقهوةٍ سهدت بأن الغلَّ من إكرامي[3]

ومن أخرى [من الكامل] :

مـا بال فرقـة شملنـــا لا تجمع وإلى متى يصل الزمـان ويقطعُ
كم خلَّفت تلك الركابُ وراءها من منـــزلٍ فيه لنـــا مستمتعُ
فالـورد يلطـــم خدَّه وجـــداً بنا وعيون نرجســـه علينـــا تدمعُ

ومنها :

ولـــربَّ كرمٍ قد رضعـــت ثديه ومن العجائـــب أن كهـلاً يرضع

ومن أخرى [من السريع] :

أذلَّـــت فيمـــا بيننـــا حرمةً كحرمـــة الإبـــريق والكأس
قـدُّك أمـا يمنعـك الفضـــل أن رحـــت علـــى عرش كنآس

---

(١) القح : من اللقاح الذي تتوالد به الأحياء .
(٢) المخدج : بزنة اسم المفعول : المولود ناقصاً .
(٣) غللت : أعطيت وأمسكت وحمّلت . والقهوة : الخمرة ، والغَلّ : الفائدة والدخل والعطاء .

ومن أخرى [من الكامل]:

وحكى سواداً في شقائق حمرةٍ صلب الغوالي في خدود الروم

ومن أخرى [من البسيط]:

إن كان أغلق دوني بابه فلقدْ أعددت صبري لذاك الباب مفتاحا

ومن أخرى [من السريع]:

يسرني من حسد الناس لي أنّي فيهم غيرُ محروم
وأنّني من كرمٍ لابسٌ وأنّني عارٍ من اللوم(١)

***

٢٤ - أبو الفضل السكري المروزي ؛ أحمد بن محمد بن زيد

شاعر مرو وظريفها ، وله شعر مليح خفيف الروح كثير الملح والأمثال ، كقوله [من الكامل]:

لا تعتبنَّ على الزمان وصرفه ما دام يقنع منك بالأطراف
وإذا سلمت فلا تكنْ لك همةٌ إلاَّ دوامُ سلامةِ الألأف

وقوله [من السريع]:

ما أعجب الرزق وأسبابه كلٌّ له في رزقِهِ بابَهْ
مقدورهُ من بابه واصلٌ والمرء لا يعرف أسبابه

وقوله [من مجزوء الخفيف]:

أشرفُ القصدِ في المطا لب للناس أربعه
كثرة المال والولا ية والعزّ والدعه(٢)

---

(١) عار من اللوم : أي لا ملامة عليّ .

(٢) الدّعة : السكينة والهدوء والبحبوحة .

فـارضَ منهـا بواحدٍ تلف ما دونـه معه[1]
دعـة النفس بالكفا ف وإن لم تكن سعه
كلُّ ما أتعـب النفو س فمـا فيه منفعه

وقوله من مزدوجة ترجم فيها أمثالاً للفرس [من الرجز] :

من رام طمس الشمس جهـلاً أخطا الشـمس بالتـطيين لا تغطى
أحسـن ما في صفـة الليل وَجَدَ الليل حبلـى ليس يدري ما يلد
من مثـل الفـرس ذوي الأبصار الثـوب رهـنٌ في يد القصّار[2]
إنّ البعير يبغض الخشاشا لكنـه في أنفـه ما عاشا[3]
نال الحمـار بالسقـوط في الوحل ما كان يهـوى ونجـا من العملْ
نحـن علـى الشـرط القـديم المشترط لا الـزقُّ منشـقٌّ ولا العير سقطْ
في المثـل السائـر للحمار قد ينهـق الحمـار للبيطار
والعنـز لا يسمـن إلاّ بالعلفْ لا يسمـن العنـز بقـول ذي لطف
البحـر غمـرُ المـاء في العيان والكلـب يروى منـه باللسان
لا تك من نصحـيَ في ارتياب ما بعتـك الهـرّةَ في الجرابْ
من لم يكن في بيتـه طعام فمـا له في محفـلٍ مقام
منّيتنـى الإحسـان دع إحسانك اتـرك بحشـو الله باذنجانك
كان يقـال من أتـى خوانا من غير أن يدعـي إليه هانا

وكان مولعاً بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية ، فمما اخترته من ذلك بعد المزدوجة قوله [من البسيط] :

إذا وضعت على الرأس التـراب فضع من أعظـم التـلّ إن النفـع منـه يقع

(١) تلف : تتلافى وتتدارك .
(٢) القصّار : الذي يدق الثياب ويبيّضها .
(٣) الخشاش : ما لا دماغ له ظاهر من دواب الأرض .

وقوله [من المتقارب] :

إذا الماء فوق غريقٍ طما فقاب قناة وألف سوا[1]

وقوله [من الطويل] :

إذا لم تطق أن ترتقي ذروةَ الجبلْ لعجزٍ فقفْ في سفحه هكذا المثلْ

وقوله [من البسيط] :

في كلّ مستحسنٍ عيبٌ بلا ريب ما يسلم الذهب الإبريز من عيب

وقوله [من الطويل] :

إذا حاكم بالأمر كان له خبرٌ فقد تم ثلثاه ولم يصعب الأمرُ

وقوله [من السريع] :

ما كنت لو أكرمت أستعصي لا يهرب الكلب من القرص[2]

وقوله [من الرمل] :

طلب الأعظُمِ من بيت الكلابِ كطلاب الماء في لمع السرابِ[3]

وقوله [من الرمل] :

ادّعى الثعلب شيئاً وطلبْ قيل هل من شاهد قال الذنب

وقوله [من الطويل] :

هو الثعلب الروّاغَ في مهمهٍ سلك يرى التوّ فيه وما إن يرى الشبك[4]

---

(١) القاب : ما بين المقبض والسية ، والمقدار .

(٢) القرص : يعني رغيف الخبز .

(٣) الأعظُم : جمع عظم ، والسراب الماء الذي يتراءى للعطشان في الصحراء وهو ليس حقيقة .

(٤) التوّ : الحبل يفتل طاقاً واحداً .

وقوله [من المنسرح]:

من مثـل الفـرس سار في الناسِ التين يسقـى بعِلَّـة الآسِ[1]

وقوله [من الطويل]:

تبختـر إخفـاءً لمـا فيه من عرجْ وليس له فيمـا تكلّفـه فرج

وقد ذكرتني هذه الامثال الفارسية قصيدة لبعض من ذهب عني اسمه وكتبت ما اخترت منها ليقترن بما تقدمها وذلك [من السريع]:

مـا أقبـح الشيطـان لكنَّهُ ليس كمـا ينقش أو يذكرُ
يكفي قليل الماء رطب الثرى والـطين رطبـاً بلُّـهُ أيسرُ
إلـى شفـا النـار أماشـي أخي لكننـي إن خاضهـا أصبر
أنتهـز الفرصـة في وقتها وألقـط الجـوز إذا ينثر
يطلـب أصـل المـرء من فعله ففعلـه عن أصلـه يخبر
كم ماكرٍ حاق به مكره وواقـعٍ في بعض ما يحفر
فـررت من قطـرٍ إلـى مثعبٍ علـيٍّ بالوابـل يثعنجر[2]
إن تأت عوراً فتعـاور لهُمْ وقـل أتـاكم رجـلٌ أعور
خـذه بمـوتٍ تغتنـمْ عنده الحـيَّ لا تشـكو ولا تجأرُ[3]
الباب فانصـب حيث ما يشتهي صاحبُـهُ فهـو به أخبر
والكلـب لا يُذكر في مجلسٍ إلا تراءى عندمـا يذكر

***

(١) بعلّة : بحجّة ، والآس شجر معروف ويسمّى الريحان .
(٢) المثعب : سيل الماء في بطن الوادي، ويثعنجر : يسيل بالماء .
(٣) تجأر : تصرخ .

٢٥ ـ أبو عبد الله الضرير الأنبوردي

له شعر ذكر في أهل أنبورد ، وله القصيدة التي ترجم فيها أمثال الفرس أولها [من الطويل]:

صيامي إذا أفطرت بالسّحب ضلَّةٌ ... وعلمي إذا لم يجدِ ضربٌ من الجهل(١)
وتزكيتي مالا جمعت من الربا ... رياءً ،وبعض الجواد أخزى من البخل
كسارقة الرمَّان من كرم جارها ... تعود به المرضى وتطمع في الفضل(٢)
ألا ربَّ ذئبٍ مرَّ بالقوم خاوياً ... فقالوا : علاه البهر من كثرة الأكل
وكم عقعقٍ قد رام مشية قبجةٍ ... فأُنسيَ ممشاهُ ولم يمش كالحجل
يواسي الغراب الذئب في كلٍّ صيده ... وما صاده الغربان في سعف النخل

ومن سائر شعره قوله [من الكامل] :

وإذا أراد الله رحلة نعمةٍ ... عن دار قومٍ أخطأوا التدبيرا

ومن ملحه قوله [من الوافر] :

أردت زيارة الملك المفدّى ... لأمدحه وآخذ منه رفدا(٣)
فعبَّسَ حاجباً فقرأت « أما ... من استغنى فأنت له تصدّى »

* * *

٢٦ ـ أبو محمد السلمي

كاتب متصرف في الأعمال ، حسن التصرف في ملح الشعر وظرفه ، كثير النوادر وسائر النتف ، لا يسقط له بيت واحد .

---

(١) ضلّةً : من الضلال أي خطأ .

(٢) خاوياً : جائعاً وبطنه فارغة ،والبهر: العجب والفخر والغلبة .

(٣) الرفد : العطاء .

أنشدني غير واحد له من أهل الأدب في الحاكم الجليل قوله [من مجزوء الرمل] :

لا رواءٌ لا بهاءٌ لا بيانٌ لا عباره
لا يرى ردَّ سلامٍ الناس إلَّا بالإشاره
أنا أهواك ولكنْ أين آلات الوزاره

وله أيضاً [من السريع] :

أكلُّ من كان له نعمةٌ أوسع من نعمة إخوانه
أم كلُّ من كان له جوسقٌ مشرفٌ شيد بأركانِهِ(١)
أم كل من [كان] له كسوةٌ يبذلها في بعض أحيانه
يُرى بها مستكبراً تائهاً على أدانيه وخلانِهِ

وله [من السريع] :

قد كانت الضيعة فيما مضى تغلُّ من يملكها دائبه
فأضحت الضيعة في يومنا مهجةُ من يملكها ذائبه
يستغرق الغلّة في خرجِها ويعرض الكلفة والنائبه(٢)
فإن يُقِمْ صاحبها كلَّ ذا ينجُ وإلا نتفوا شاربه

وله [من مجزوء الرمل] :

يا أبا مالك النا سي أسباب التصافي
يا دعياً باتفاق عربياً باختلاف
هبك في أشرف بيتٍ لبني عبد مناف
أنا ما ذنبي إذا ما اطّردَتْ فيك القوافي ؟

(١) الجوسق : القصر الصغير ، وهو معرّب جوسه .
(٢) الخراج : ضريبة على الأرض ، والنائبة المصيبة ، أو الحمّى التي تاتي كلّ يوم .

وله [من المتقارب] :

وكنتُ أذمُّ أبا جعفرٍ وأعجب من أمره المهملِ
فلما بلونا أبا جعفرٍ أطلت البكاء على الأول

وله [من السريع] :

لو طُبِخَتْ قِدْرٌ بمطمورةٍ بالروم أو أقصى حدود الثغور
وأنت بالصين لوافيتها يا عالم الغيب بما في القدور

وله [من البسيط] :

قد كان آراؤكم فيما مضى كرّةٌ كأنّما خرَّطتها كفُّ خرّاطِ[1]
فالآن تسعون رأياً من وزيركم في السوق لا تشترى منكم بقيراط

وله [من المجتث] :

رأيت ملكاً كبيراً كثير مالٍ وشحنه[2]
يسوس ذاك وزيرٌ قليل عقلٍ وفطنه
وللأمير وزيرا ن يرميان بأبنه
فلعنة الله تترى على كليلٍ ودمنه

وله [من الطويل] :

تشكّى فقلنا ثابتٌ ويزيدُ وأنَّ فقلنا آن منه خمود[3]
هي العلة الموصول بالموت حبلُها فإن ذهبت يوماً فسوف تعود

وله ، ويروى لغيره [من الطويل] :

تفاقر كي يخفي على الناس أمرهُ وللناس أبصارٌ على الغيب نافِذَهْ

(١) الكرّة : الحملة في الحرب ، ومئة ألف ، والرّجعة .
(٢) الشحنة : الطعام ، والشرطة ، أو العداوة والبغضاء .
(٣) الخمود : الهدوء والسكوت .

فأبلــغْ دهــاة النّــاس في كلٍّ بلدة بأنّــا وإنْ كنتــم دهــاةً جهابذه

* * *

٢٧ - أبو ذر البلخي الحاكم

قال من قصيدة في أبي العباس المأموني ، وقد وثبت رجله [من الكامل] :

إن الجبائــر منــك قد شدّت على قدمٍ لهــا في المكرمــات تقدُّمُ
ولئــن غدت مجبــورةٍ فلطالما جُبِــر الــكسيرُ بهــا وريش معدم[1]

* * *

٢٨ - أبو أحمد اليمامي البوشنجي

شاعر بوشنج وغرتها ، وشعره مدون سائر ، وبلغني أن الصاحب كان يحفظ خائية أحمد ، ويتعجب من حسنها وجودتها ، وهي [من الطويل] :

أقــولُ ونــوَّارُ المشيب بعارضي قد افتــرَّ لي عن ناب أســود سالخ
أشيبــاً وحاجــات الفــؤاد كأنّما يجيش بهــا في الصــدر مرجــلُ طابخ
ومــا كان حُزْنــي للشبــاب وإن هوى به الشيب عن طودٍ من الأنس شامخِ
ولـكن يقـول النــاس شيخ وليس لي علـى نائبـات الدهــر صبــرُ المشايخ

ومما يستحسن من شعره [من المنسرح] :

إنّ تمــام الســرور للمــرء أن يأكل من طيِّبــات غرس يده
وأنْ يغنّــى بشعــرِهِ ويلي خدمتــه من يحــبُّ من ولَدِه
وقــد حوى بعضنــا الثــلاث وقد نغّصهــا كلُّهــا ضنــى جسده

---

(١) ريّش معدم : أثرى بعد فقر .

وقوله [من الوافر] :

لقـد فكَّرت في أمـري طويلاً فمـا أدري أأبخـل أم أجودُ
أخـاف البخـل من غيري ومنّي وأعلـم أنّـه عارٌ عتيد
ويعجبنـي السـخاءُ وأشتهيه وذاك لأنّـه خُلُـقٌ حميد
فأخشـى الفقـر إن طاوعـت جودي وعـدم المـال في الـدنيا شديد
فأفضـل ما أرى خُلُـقٌ وسيطٌ لذات يدي ينقِّص أو يزيد

وقوله ، وهو منقول من كلام بعض السلف [من الكامل] :

غالبـتُ كلَّ شديدةٍ فغلبتُها والفقـر غالبنـي فأصبـح غالي
إنْ أبـدِهِ يفضـحْ، وإن لم أبدِهِ يقتـلْ فَقُبِّـح وجهـه من صاحب

وقوله لأبي الفضل البلغمي وقد عرض عليه الشراب [من البسيط] :

لو كنـتُ واجـد عقـلٍ أشتـريه إذا جالسـتُ من زينـة الـدنيا محيَّاهُ
لكنـت أطلبـه جهـدي وأجمعه إلـى الـذي هو عنـدي حين ألقاه
فكيف أشـربُ شيئـاً لا يفارقني حتـى أفـارق عقلـي حين أُسقاه

وكتب إلى صديق له في آخر يوم من شعبان [من الطويل] :

فديتـك هذا اليوم يومٌ وراءه ثلاثـون يومـاً للّـذاذة تفتكُ
فإنْ شئتَ فاحضرْنـا وإنْ شئـت فادعنا إليك فمـا للّهـو في اليوم متركُ
وفي الغد إنْ لم تدفـع الشـكَّ مجزعٌ ومبـكى فدعنـا اليوم نبـكي ونضحكُ

وله في وصف رامسية آذريون ناوله إياها عبـد الحميد الحـاكم وأمـره بأن يصفها . فقال [من السريع] :

أعطانـيَ الحـاكم مـن كفِّهِ رامسيةَ تخبـر عـن ظرفه
مـن نور آذريون تزجـى بأن جاءت بمـا حازتـه من عرفه[1]

(١) تزجي : تساق ، تدفع برفق . والعرف : المعروف .

شـبّهتهـا حيـن تأمّلتها تأمّـلَ المبـدعِ في وصفه
بمدهـنٍ من ذهـبٍ أحمرٍ مضمّنـاً مسـكاً إلـى نصفه

* * *

٢٩ - أبو علي السلامي

من رستاق بيهق من نيسابور ، كاتب مؤلف الكتب ، موفق للتجويد منخرط في سلك أبي بكر بن محتاج وبانه أبي علي . وله كتاب التاريخ في أخبار ولاة خراسان ، وكتاب نتف الظرف . وكتاب المصباح ، وغيرها ، وشعره في أشعار مؤلفي الكتب كشعر الصولي ، ومن أشف ما وجدته له قوله [من السريع] :

هـذّبَ ما يكتـبُ من يعتقد أنَّ جميع النـاس يلقونه
وهـم مصيخـون إلـى لفظه فرام من قول الخنـا صونه[1]

البيتان لم أسمعهما منه ، وإنما وجدتهما في نسخته

* * *

٣٠ - أبو القاسم علي بن محمد الإسكافي النيسابوري

لسان خراسان وغرتها ، وعينها وواحدها ، وأوحدها في الكتابة والبلاغة ، ومن لم يخرج مثله في البراعة والصناعة . وكان تأدب بنيسابور عند مؤدب بها يعرف بالحسن بن المهرجان من أعرف المؤدبين بأسرار التأديب والتدريس ، وأعلمهم وأدراهم بطريق التدريج في التخريج ، ثم حرر مديدة[2] في بعض الدواوين ، فخرج منقطع القرين ، وواسطة عقد الفضل ، ونادرة الزمان ، وبكر الفلك ، كما قال فيه الهريمي من قصيدة [من الرمل] :

(١)مصيخون : منصتون ، الخنا : الفحش .
(٢) مديدة : مدّة قصيرة .

سبق الناس بياناً فغدا وهو بالإجماع بكرُ الفلكِ
أصبح الملك به متسقاً لسليل الملك عبد الملك

ووقع في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، إلى أبي علي الصاغاني فاستأثره فحسن أثره واستخلصه لنفسه ، وقلده ديوان الرسائل فحسن خبره ، وسافر أثره ، وكانت كتبه ترد على الحضرة ، في نهاية الحسن والنضرة . وتقع المنافسة فيه ، ويكاتب أبو علي في إيثار الحضرة به ، فيتعلل ويتسلل لو اذا[1] ولا يفرج عنه ، إلى أن كان من كشف أبي علي قناع العصيان ، وانهزامه في وقعة جرجيل إلى الصغانيان كما كان . وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي ، فحبس في القمندر وقيد مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه ، ثم إن الأمير الحميد نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ، ويقف على خبيئة صدره فأمر أن تكتب إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها : إن أبا العباس الصاغاني قد كتب الى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاش لتتولى له كتابة الكتب السلطانية ، فما رأيك في ذلك ؟ فوقع تحته في الرقعة ﴿ ربِّ السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه ﴾ .

فلما عرض التوقيع على الحميد حسن موقعه منه ، فأعجب به ، وأمر بإطلاقه وخلع عليه وأقعده في ديوان الرسائل خليفة لأبي عبد الله كله وكان الاسم له والعمل لأبي القاسم ، وعند ذلك قال بعض مجّان الحضرة [من مجزوء الرجز] :

تبظرم الشيخ كلّه ولست أرضى ذاك له[2]
كأنه لم يرَ من أقعد عنه بدلَهْ
والله إن دام على هذا الجنون والبله
فإنّه أوّل من ينتف منه السبله[3]

(١) لواذا : التجاءً وحماية .
(٢) تبظرم : تختّم أي لبس الخاتم ، وتبظرم إذا كان أحمق وعليه خاتم ويشير به في وجوه الناس .
(٣) السبلة : اللحية .

وكان أبو القاسم يهجوه كما تقدم ذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب ومن شعره قوله [من مجزوء الرجز] :

هـذا الـذي يُدعـى كله ما شأنـه إلا البله
فـي رأسـه عمامةٌ مكفوفـةٌ مزمَّلَه[1]
كأنّهـا في لونها قدرٌ علـى سفرجله

ولما توفي أبو عبد الله تولى أبو القاسم العمل برأسه ، وعلا أمره ، وبعـد صيته ، وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة ، وازداد علـى الأنـام تبحـراً في الصناعة ، وقدرة على الإنشاءات التي يؤنس مسمعها ، ويؤيس مصنعها .

ويحكى أن الحميد أمره ذات يوم أن يكتب إلى بعض أصحاب الأطراف كتابا وركب إلى متصيده ، واشتغل أبو القاسم عن ذلك بمجلس أنس عقده وإخـوان جمعهم عنده ، وحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره بإحضار الكتاب الذي رسم له كتبه ليعرض عليه ، ولم يكن كتبه ، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار[2] أبيض أوهم أنه مكتوب فيه الكتـاب المرسـوم له ، فقعـد بالبعد منه فقرأ عليه كتاباً طويلا سديداً بليغاً أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه ، فارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من مسودات مكتوبة ، وأمره بختمه ، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله .

ومـن عجيب أمـره أنـه كان أكتـب النـاس في السلطـانيات ، فإذا تعاطـى الإخوانيات كان قاصر السعي قصير الباع ، وكان يقال : إذا استعمل أبو القاسـم نون الكبرياء ، تكلم من في السماء . وكان من علو الرتبة في النثر وانحطاطها في النظم كالجاحظ ، ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الآفاق لا يسع هذا الكتـاب إلا الأنموذج مما يجري مجرى الغرر والأمثال منها .

***

---

(١) مزمّلة : ملتفة .

وهذه فقر من كلامه

الحمد لله الذي لم يستفتح بأفضل من ذكره كلام ، ولم يستمنح بأحسن من صنعه مرام * للزمان صروف تحول ، وأمور تجول * الأخلاق تنميها الأعراق ، والثمار تنزعها الأشجار * الشكر به ذكاء النعمى ، والوفاء معه صلاح العقبى * السعيد من تحلى بزينة الطاعة ، واقتدح بزند الجماعة[1] * العامة لا تفقه حقائق المذاهب ، ولا تعرف عواقب التألب والتجارب * لا يشوقنك غرارة الصبا ، ولا يروقنك زخرف المنى * استعذ بالله من نزعات الشيطان ونزقات[2] الشبان * من خلا له الجو باض وصفر ، ومن تراخى له الليث نزا وطفر * المخذول يرفع رأسا ناكسا ، ويبل فماً يابساً .

***

وهذه ملح من شعره

كتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من المتقارب] :

كتبتُ من الباغِ يوم الفراغ وذا نعمةٍ آذنت بالبلاغ
فأقبل فما دون لقياك للزمان وإحسانه من مساغ
لأنّك صفوة أبنائه وسائرهم فكمثل الرداغ[3]
رداغ بخارى ولا سيما إذا المرء لم يحتجز بالجناغ[4]

وقال على لسان ماوردية فضة [من مخلع البسيط] :

الحسنُ من ظاهري يلوحْ والطيب من باطني يفوحْ

---

(١) اقتدح بزند الجماعة : أي عمل برأيهم ومشورتهم .
(٢) النزق : الطيش .
(٣) الرداغ : الماء والطين ، أي الوحل .
(٤) الجناغ : إسم مكان .

فالنصف مني نصيبُ جسم والنصف منّي نصيب روح

وكتب إلى أبي أحمد العارض مع حب بلور مخلوط أهداه له [من المجتث] :

بعثت للفأل حباً يسقيك صفو المحبَّهْ
فعشْ لزرع المعالي ما أنبت الزرع حبَّهْ

وكتب إلى بعض الرؤساء [من مجزوء الوافر] :

صديقك غير محتشم وأنت فغير مغتنم
وقد أهدى كما يهدي أخو ثقةٍ لذي كرم
فرأيك في قبول العذ ر في السّكين والقلم

***

ذكر آخر أمره

لما انقضت أيام الأمير الحميد وملك عبد الحميد أقر أبا القاسم على ديوان الرسائل ، وخلع عليه ، وزاد في مرتبته ، فلم تطل به المدة حتى مرض مرضه الذي احتضر فيه .

فحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الفارسي قال : كان أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير وأبو القاسم المقانعي من خلص أصدقاء الإسكافي وممن يكبرون عنده ، فلما مرض الإسكافي كتب إليه اللحام وكان أبو جعفر يلقب بطويس والمقانعي بقاشر [من المجتث] :

طويس إحدى الفواتر شؤماً وقاشر قاشر
ومنهما يا أبا قا سمٍ عليك أحاذر
فلا يكن واحدٌ منهما ببابك عابر
إن لم يكن بك شوقٌ إلى الثرى والمقابر

ثم إنه دخل عليه عائداً فوجد عنده أبا جعفر بن العباس بن الحسين وأبا القاسم المقانعي وابن مطران ، فقال [من الرجز] :

ثلاثـة أودوا بفـذٍّ عصرِهِ ... أودوا به في عنفـوان أمرِهِ
قصدتـه يومـاً بعيد فجره ... وكان قلبـي مولعـاً بذكره
لفضلـه ونبلـه وفكرِهِ ... إذا طويس جالس في نحره
وقاشـر قد انبـرى من قشره ... عن سلـة الشـؤم وعـن قِمَطْرِهِ[1]
فقلـت قد أعـوز جبـر كسره ... من بعـد ما كان دنـا من جبره
وقـد تقضَّـى فاطـوِهِ بغيره ... الشـأن فيمـنْ هُمْ علـى ممرِّهِ[2]

ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شبابا وآداباً وغدت لفراقـه الكتابـة شعثاء . والبلاغة غبراء ، أكثر فضلاء الحضرة رزيتـه ، وأكثـروا مرثيتـه ، فممـا أحاضر به الآن قول الهرثمي الأبيوردي من قصيدة ، منها [من الطويل] :

ألـم ترَ ديوان الرسائـل عُطِّلَتْ ... لفقدانـه أقـلامـه ودفاتِـرُهْ
كثغـرٍ مضـى حاميه ليس يسدُّه ... سواه ، وكالكسـر الـذي عزَّ جابـرُهْ
ليبـكِ عليه خطُّه وبيـانه ... فذا مات واشيه وذا مات ساحره

***

(١) القمطر : ما تحفظ فيه الكتب ، أو ألقِربة .
(٢) ممرّه : شاكلته ـ طريقه .



الباب الثاني

في ذكر العصريين المقيمين بالحضرة البخارية والطارئين عليها، والمتصرفين في أعمالها

وتوفية الكتاب شرطه من ملح أشعارهم وظرف أخبارهم .

كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر .

فحدثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال : اتخذ والدي أبو الحسن دعوة ببخارى في أيام الأمير السعيد جمع فيها أفاضل غربائها كأبي الحسن اللحام ، وأبي محمد بن مطران ، وأبي جعفر بن العباس بن الحسن ، وأبي محمد ابن أبي الثياب ، وأبي النصر الهرثمي ، وأبي نصر الظريفي ، ورجاء بن الوليد الأصبهاني ، وعلي بن هرون الشيباني ، وأبي إسحاق الفارسي ، وأبي القاسم الدينوري ، وأبي علي الزوزني ، ومن ينخرط في سلكهم ، فلما استقر بهم مجلس الأنس أقبل بعضهم على بعض يتجاذبون أهداب المذاكرة ، ويتهادون رياحين المحاضرة ، ويقتفون نوافج الأدب ، ويتساقطون عقود الدر ، وينفثون في عقد السحر . فقال لي أبي : يا بني هذا يوم مشهود مشهور ، فاجعله تاريخاً لاجتماع أعلام الفضل وأفراد الوقت ، واذكره بعدي في أعياد الدهر ، وأعيان العمر ، فما أراك ترى على السنين أمثال هؤلاء مجتمعين ، فكان الأمر على ما قال ، ولم تكتحل عيني بمثل ذلك المجمع .

***

٣١ ـ أبو الحسن علي بن الحسن اللحام الحرّاني

من شياطين الإنس ، ورياحين الأنس ، وقع إلى بخارى في أيام الحميد ، وبقي بها إلى آخر أيام السديد ، يطير ويقع ، ويتصرف ويتعطل ، ويهجو وقلما يمدح ، وكان غزير الحفظ ، حسن المحاضرة ، حاد البوادر ، سائر الذكر ، ساحر الشعر ، خبيث اللسان ، كثير الملح والغرر . رامياً من فيه بالنكت ، لا يسلم أحد من الكبراء والوزراء والرؤساء من هجائه إياه ، وكان لا يهجو إلا الصدور .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : تحككت وأنا أحدث باللحام فقلت فيه [من السريع] :

رأيتُ للَّحامِ في حلقه ... للشعر تطبيقاً وتجنيسا
نخوة فرعون ولكنَّهُ ... جانس في حمل العصا موسى
قرينه إبليس لكنَّهُ ... خالف في السجدة إبليسا

وأردت بذلك فتح باب إلى مهاجاته ، فلم يجبني وجرى على قضية قول المتنبي [من الطويل] :

* وأغيظ من ناداك من لا تجيبه *

قال مؤلف الكتاب : لم أر للحام ديوان شعر مجموعا ، فعنيت بجمع تفاريقه وضم منتشره ، ثم اخترت منه ما يصلح لكتابي هذا ، فمن ذلك قوله في الشكوى [من المنسرح] :

قد نفدتْ لاعدمتك النفقه ... منذ ثلاثٍ فمهجتي قَلِقَهْ
وليس في البيت ما يباع وما ... يرهن إلا درَّاعةٌ خِلِقَهْ(١)

(١) درَّاعةٌ خلقه : الدراعة جبّة من صوف مشقوقة المقدّم ، وخلقه : بالله .

وقوله [من الرمل] :

كنـــتُ من فرط ذكاءٍ واشتعالِ كتلظّـي النـار في الجــزل اليبيسِ
فتلبَّــدتُ ولا غرو إذا خفَّ كَيْسُ المرء مع خِفَّة كيسِ[1]

وقوله [من الكامل :

أنــا من وجــوه النحــو فيكم أفعلُ ومـن اللُّغـات إذا تعـدَّ المهملُ
حتَّـام لا ينفــكُّ لي بفنائكم أمـلٌ يخيب وعـود ظنٍّ يذبل
حالٌ ترشَّفَـتِ الليالــي ماءها وتجمُّــلٌ لم يبــق فيه تحمُّلُ
هذا وإن أقفلــتَ باب مطامعي دونــي فمــا لله بابٌ يقفل

وقوله [من الكامل] :

ذابــتْ علــى قوم سمــاؤك بالندى ويدي تردد تحــت غيمٍ جامدِ
وأنــا الــذي إنْ جُدْتَ لي أو لم تجد لك في الثنــاء علــى طريقٍ واحد

وقوله لما صرف عن بريد الترمذ بابن مطران [من مجزوء الخفيف] :

قــد صُرِفنــا وكلٌّ من كان من قبلنــا صُرِف[2]
وصرفنــا بشاعرٍ نعتــه ليس ينصرف

أي أنه أحمق ، والأحمق لا ينصرف .

وقوله لما تقلد عمل الإِخصاء دفعات [من مخلع البسيط] :

قــد صار هذا الإِخصــاء رسماً علي كالرســم في المظالمِ
وصــرت أدعــي به كأني ولــدت في طالــع البهائمِ

(١) الكَيْسُ : الظرف والفطنة .
(٢) في الأصل : « قبلنا قد صرف » ولا يستقيم عليه الوزن .

وقوله [من الوافر] :

وأرجـو أنْ يُسهَّـلَ لي وصولٌ   إلـى المنشـور من قبـل النشورِ(١)

***

مدحه

قوله في أبي جعفر العتبي [من البسيط] :

الشيخ أكبـر من قولـي وإكثاري   لكنْ أُحلِّـي بذكر الشيخ أشعاري
وأعتِـبُ الدهـر إذ عاتبتـه بفتىً   من آل عتبـةَ نفَّـاعٍ وضرَّار
كأنّمـا جاره في كلٍّ نائبةٍ   جار الأراقـم في أيام ذي قار(٢)
يُجـري المـكارمَ في لاءٍ وفـي نعمٍ   فالنـاس في جنَّـة منـهُ وفـي نار

وقوله في الحسن بن مالك [من الوافر] :

لبسنـا كل داجـي اللـون حالِكْ   وقطَّعنا المسالِكَ والممـالكْ
وأعملنـا السُّـرى حتـى نزلنا   بزمٍّ في ذرى الحسـن بن مـالكْ(٣)
فتـىً قد حاز إفضـالاً وفضلاً   ولـم يحلل بهـا إلاًّ لـذلك
فقـل للدهـر كدْ غيري رجالاً   فلسنـا بعـد هذا من رجـالك(٤)

***

(١) النشور : البعث أو القيامة .
(٢) الأراقم : الأفاعي السامة .
(٣) بزمّ : في زمام ، وقيادة الحسن بن مالك .
(٤) كدْ : من المكيدة : وهي الخداع وإرادة السوء .

ما يستملح من أهاجيه

قال في الحاكم الجليل [من الرجز] :

قــولا لنــوحٍ ثم للفتكين لشــؤم هذا الحــاكم اللعين
سللتمــا عن مثــل ملك الصين كسلَّــةِ الشعــر من العجين

وقال في القحطبي [من مجزوء الكامل] :

أمــا الهمــامُ فهمُّهُ في صون ملكِ المشرِقِ
والقحطبــي فللـذي يهــواه غير موفَّقِ
ومتــى يوفَّــق من له في طيِّ ذاك اليلمق[1]
شبــرهُ يبيع الـدين فيــه بفلـذةٍ أو جـردق[2]
ويدٍ كأنَّ بنانها قطعــت مخــازن زئبق
لــو دُقَّ كلتــا مرفيــه لحبِّـهِ لــم يُـرقَقِ
أو شكَّ حبَّــة قلبه في حبِّــه لم ينطق
يختــال بين مخنثٍ ومواجــرٍ مسترزق
فــكأن من يغشاهما في جنــح ليلٍ مغسقِ[3]
مَــنْ ذاكرٌ أضيافَ جفــنة في الزمـان الأسبقِ

وقال وأبدع في تضمين هجائه بيتاً للنابغة في وصف الأقحوان [من الكامل] :

يا سائلــي عن جعفــر علمــي به رطــبُ العجــان وكفُّــهُ كالجلمد
(كالأقحــوان غداة غبّ سمائه جفّــت أعــاليه وأسفلــه ندي)

---

(١) اليلمق : الثوب المحشوّ .
(٢) الجردق : الرغيف .
(٣) الغسق : الظلام .

وقال في أبي جعفر العتبي [من الرجز] :

تغيَّرت أخلاق هذا العتبي ... وصار لا يعرف غير العتْبِ
وغير ضربٍ دائمٍ وسبٍّ ... وقد حشا فصار مثل الدبِّ

عليه ألف لعنة من ربي

وقال فيه [من مجزوء الخفيف] :

ما لقينا من القصير العريض الملزَّزِ
كان حرّاً فصار نبزاً على كلٍّ أنبزِ(١)
عذّب الله نفسه في حبوس القمندزِ(٢)

وقال فيه [من مخلع البسيط] :

برئتُ من وائلٍ وبكرٍ ... ومفجرٍ وابلٍ وبكر
إن جئتكم طالباً لشغلٍ ... وأحمد بن الحسين صدر

وقال في قوم من صنائعه وأصحابه [من السريع] :

صنائع الشيخ سوى حمدٍ ... بيادق الشطرنج والنّردِ
منهم أبو نصر وسبحان من ... براه من أسطمة البردِ(٣)
ولعنة الله على بعضهم ... وهو أبو بكر بن شهمرد
وبعد لولا الحفظ للعهد ... لقلت في المضطرب القدِّ
فارجع إلى حمدٍ فما فيهم ... يا سيدي أنذَلُ من حمد

---

(١) في الأصل « نبز كلّ أنبز » ولا يستقيم الوزن عليه .
والنبز : العيب ، أو اللئيم في حسبه وأخلاقه .
(٢) القمندز : اسم فارسي .
(٣) أسمطة : وسط ، والأسطمة : لجّة البحر .

ويحكى أن حمد بن شاهمرد لما سمع الأبيات اهتز لإخراجه إياه من جملة من هجاهم ، فلما سمع البيت الأخير استرجع وقال : ليته أجراني مجراهم ولم يخصني بالذم .

وقال يوما أبو أحمد بن منصور للحام : قد هجوتني ؟ قال : لا ، قال : فاهجني وخلاك الذم ، وقدم إليه القرطاس والدواة ، فكتب [من البسيط] .

قالوا أبو أحمد حرٌّ فقلت لهم حرٌّ لعمري ولكن فاكسروا الحاءَ
فإن أردتم محالاً أو به سفهاً فأبدلوه بياءٍ وانقطوا الراء

وقال لأبي طلحة قسورة بن محمد [من المجتث] :

إنّي امرءٌ يا أبا طلحة بنصحك صبٌّ
هذا زمانك فاختم بالطين ، والطين رطبُ
وقد وعظتك إنْ كنت للمواعظ تصبو
وإن رجوتك من بعدها فإني كلب
أحسن فما لك عذرٌ وما على الدهر عُتْبُ
فإنَّ سقيا الليالي فيها أجاجٌ وعذب(١)

وقال [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا طلحة استمع قولَ من فيك قدْ صَدَقْ
لك وجهٌ كأنّه صيغ من قمقمٍ خَلِقْ(٢)
وخِلالٌ إخالها من كنيفٍ قد انبثقْ(٣)
قم فلا خير فيك يا خِلِقَ الخَلْقِ والخُلُقْ

---

(١) الأجاج : المالح ، والعذب : الفرات السائغ للشراب .
(٢) خلِق : بالي .
(٣) الكنيف : المرحاض .

وقال في بطة بن كوسيد وفي أبي مازن قيس بن طلحة وأبي يحيى الحمادي [من مجزوء الرمل] :

ملك الديوان قيسٌ وأبو يحيى وبطَّه
كلُّهم أخزاهم اللهُ على الأحرار سخطه
ليس فيهم من يساوي في نفاق السوق ضرطه

وفي أبي يحيى [من مجزوء الرمل] :

تكذب الكذبة جهلاً ثم تنساها قريبا
كن ذَكُوراً يا أبا يحيى إذا كنت كذوبا

وقال في بطة [من السريع] :

ولا تدعْ قطُّ قفا بطّه فإنه قد صار كالبطه[1]
أثرى بمروٍ بعد أن لم يكن يملك إذ حلَّ بها ضرطه

قال في ابن حسان [من المجتث] :

بالراح أقسم صرفاً والعود والسرناء[2]
أن ابن حسان في حا ل شدَّةٍ ورخاء
ما آثر الباغ إلاّ لفرط داء البغاء
حتى إذا عزّ أيرٌ أنحى على القثاء

وقال في تميم بن حبيش [من مجزوء الرمل] :

يا تميم بنَ حبيشْ كل ذاك الطيش أيشْ

---

(١) وقع هذا البيت في الأصول ،
لا تدع قطّ قفا بطّه فإنه صار كالبطة
ولا يتفق وزنه مع وزن البيت بعده .
(٢) السرناء : آلة موسيقية تشبه العود .

إنمـا أنـت وكيـلُ البـاب لا صاحـب جيـشْ
قـد تبظـرمـت وقدمـاً كنـت في أنـكد عيش
كنـت ذميّـاً فصـرت اليـوم فـي أعلـى قريـش

وقال من نتفه [من الطويل] :

ويبـرز للـرائين وجهـاً كأنّما كساه إهابـاً من قشـور الخنافس[1]

وقال في أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين [من المجتث] :

محمـدُ بنَ عليٍّ سبـط الحسينِ بنِ حامدْ
وافـى فسـرَّ ولي به وأكمـد حاسدْ
قـد قلـت لمـا بدا لي في مسـك بعض الأساودْ
الحمـد لله شكراً قد زاد في الـزِّط واحدْ[2]

وقال في أبي علي البلعمي [من المنسرح] :

وزارة البلعمـيِّ منقلبة وهـو كقفـلٍ غدا علـى خربَهْ
لـم يرع للأولياءِ حرمَتهُمْ فيهـا ولا للوجـوه والكتبهْ
قـد قُلبـت وجـهُ كلِّ مكرمةٍ متـى تراهـا عليه منقلبهْ
فهـو أحـق الـورى بداهيةٍ تضحـي لهـا رأسـه علـى خشبهْ

وقال فيه والعتبي منفي إلى بست [من الرجز] :

متـى أرى الشيخ الـذي ببستِ كالبـدر يبـدو طالعـاً في الدّست
* لحيَةُ هذا البلعمي في استي[3] *

---

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) الزطّ : العبيد السود .
(٣) الاست : المؤخرة .

وقال فيه [من البسيط] :

أبـا علـيٍّ أنلنـي بعضَ آمالي ... يرضيك أيري وإن لم ترضِ أقوالي
إن كان ساءك أقـوالٌ نطقـت بها ... فسـوف يرضيك عنـي حسـن أفعالي

وقال في ابن عزيز [من المتقارب] :

إذا فُقِـدَ البـؤس في بلدةٍ ... وأعـوز وجدانـه في العويزْ
ولـم يوجـد الجـود في مجلسٍ ... سحيق الأقاصـي ولا قعـرِ دَيّزْ
فمعـدن وجدانـه حاضرٌ ... خوانُ محمـد بن العزير
خـوانٌ عظيمٌ ولكنَّهُ ... خلـيُّ الجوانـب من كلِّ خيرْ
فتـىً لا يرجّـى علـى الحادثات ... لتقـريب خيرٍ ولا دفـع ضيرْ
كثير التنقُّـل في داره ... فمـن أصـل أيرٍ إلـى أصـل أيرْ
فغلمتـه بقناديلهـمْ ... يطوفـون من دبـره حول دير

وقال فيه [من المتقارب] :

طعـام محمـد بن عبـد العزير ... تُـداوى به المعـدةُ الفاسدهْ
حشـائش بقـراط معجونةٌ ... به وعقـاقيره الفاردهْ
جرادقـه درّةٌ ذرَّةٌ ... علـى عدد الفتية الوارده[1]
علـى عدد القـوم رغفانه ... فلسـت ترى لقمـةً زائدهْ
أرى الصـوم في أرضـه للفتى ... إذا حلّهـا أعظـم الفائدهْ

وقال فيه [من المجتث] :

لقيتَ أشـأم طيرٍ ... وسـرتُ أنـكد سيرِ
مواصـلاً كلَّ شرٍ ... مجانبـاً كلَّ خيرِ

---

(١) الدرّة : اللبن ، أو الدم ، أو السوط الذي يضرب به .
وذرّة : أي صغيرة الحجم ، أو أنها مصنوعة من الذرة .

طـارت عليك نحوسٌ تجـري بأشـأم طيرِ
فأنـت خنـزير خلقٍ تغـدو بأخـلاق عيرِ[1]
وليس يَعـرِف ما قدْ حوى قميصـك غيري
إن ساء فيك مقالي فسـوف يرضيك أيري

وقال في غيره [من البسيط] :

تثنّـى بمـا فيك من سوء التناشيم يأوي إليهـا الخنـا والجهـل والبكَمُ[2]
حمـاك حلٌّ ومـن يأويه مبتذلٌ لنـايكيك ومـا في كفّـك الحرمُ
قُسِمْـتَ نصـفين علـوٌ شأنـه بخلٌ عنـد السـؤال وسفـلٌ زانـه كرم
يا كاتبـاً كلّمـا أفنـى أدراجه دس الطـوامير في وجعائـه الخدمُ
إن الكتابـة أمسـت غير طاهرةٍ مذ حاض في يدك القرطـاس والقلمُ

حدثني أبو القاسم الأليماني ، قال : بني أبو الفضل القاشاني داراً سرّ بها فلما فرغ منها سأل اللحام وقد دخل إليها مهنئاً أن يدور فيها ويتأملها ففعل وأنشأ يقول [من البسيط] :

متـى أراهـا ينـادي حولهـا البوم وللنسـاء بهـا نوحٌ وتلطيمُ
متـى أراهـا يبابـاً لا أنيس بها متـى يقـامُ على الشيخ المآتيمُ
إسمع أبا الفضـل لا أُسمعت صالحةً يا كلـبُ يا قرد يا خنـزير يا بومُ

وأنشدني أبو القاسم قال : أنشدني اللحام لنفسه في علي بن الحسين [من الطويل] :

إلى الله أشـكو أهـل يزد بأسرهِمْ وألعـن شخصـاً جاء من جانبـيّ يزدِ

---

(۱) العير : القافلة من الحمير والجمال والبغال .
(۲) الشيم : المزايا والأخلاق ، والخنا : الفحش،والبكم : من الأبكم وهو الأخرس .

زنيماً إلى أبنـاء ساسـان ينتمي بوجهٍ عريق اللـؤم في نسـب الهندِ[1]
إذا عدَّ أهـل الخـير كان بضدهم وإن عدَّ أهـل الشرِّ لم يكُ بالضدِّ
لسـانٌ إلى البهتـان أهـدى من القطا وكفٌّ على العدوان أعدى من الفهد[2]
فأخرسـه ربٌّ على ذاك قادرٌ وأفـرد كفّيه جميعـاً من الزند

وأنشدني غيره له في الحاكم الجليل [من الكامل] :

بعـد الخمـول غدوت صدر الموكبِ وجـررت كبـراً ذيل كلِّ تسحب
يا من يمـرُّ على الـورى متبظرما أنظـر إلى أطـلال دار المصعبي

وله في أبي مازن لما صرف عن الديوان وأمر بلزوم منزله [من المتقارب] :

أبـو مازنٍ لازم منزله وأصبـح في النـاس لا ذكر له
رمـاه الزمـان بأحداثه ومـن حيث أخرجـه أدخله

وله فيه وفي أبي بكر محمد بن سباع [من البسيط] :

مضى أبـو مازنٍ لا ضـير وارتفعتْ تهـبُّ لابـن سبـاعٍ ريحُ إقبال
كذلك الدهـر في تصريفـه عجبُ ما زال يبـدل أنـذالاً بأنذال

وله في أبي جعفر بن العباس وابن مطران [من السريع]:

عـاد إلـى الحضـرة إثنانِ طويس والنـذل ابـن مطرانِ
اثنـان ما إن لهمـا ثالثٌ إلاّ عصـا موسـى بن عمرانِ

وقال في ابن مطران من أبيات [من المنسرح]:

مـا زال بالشـاش فوق باكية يسقـط حتى احتواه مسقَطُهْ
وكاد فيمـن يمـوت من سغبٍ هنـا لولا استُـهُ وبربَطُهْ[3]

(١) الزنيم : كثير الزناء أو ابن زناً .
(٢) البهتان : الزور والكذب ، والقطا : طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء خصوصاً .
(٣) البربط : العود ، والسغب : الجوع .

وله فيه] من السريع]:

هــذا الشويشــي الــذي وافى لسانــه معتقــلٌ فافا
يخــالف الرحمــن في قوله (لا يسألــون النــاس إلحافا)

وقال في بعض الحكام [من الوافر]:

قلنســوة علــى رأس صليب مساحتــه جريبٌ في جريب[1]
وإنّ يدي وهامتــه ونعلي قريبٌ من قريبٍ من قريب

وله في أهل خوارزم [من الكامل]:

ما أهــل خارزمٍ سلالة آدم ما هم وحــق الله غير بهائمِ[2]
أتــرى شبيه رءوسهــم ولغاتهم وصفاتهــم وثيابهــم في العالمِ
إن كان يقبلهــم أبونــا آدمٌ فأنــا بريءٌ من أبينــا آدمِ

وله فيهم وقد حصل على عمل البريد بها [من مخلع البسيط]:

لا نال من ربّــه مناه ولا شفــاه ولا رعاهْ
مــن سامنــي الــكون في بلادٍ رءوس سكانهــا جباه
أغــدو بلا مؤنسٍ وأمسي إمســاء من ليلــه ضحاه
لــدى خسيس يظــنُّ تيهاً أن ليس في ذا الــورى سواه
لــه ثنــايا كأنّمــا قد عضً بأطرافهــا خــراه

وقوله [من البسيط]:

وقائــل لي دنّســتَ النجــاء بمنْ يدنّسُ ان أقعــى وإن شردا[3]

---

(١) الجريب : القفّة ، آنية تكال فيها الحبوب .
(٢) ورد صدر هذا البيت :
« ما أهل خوارزم سلالة آدمِ »
وهو غير مستقيم الوزن فأصلح على الشكل الذي أتيت فيه .
(٣) عجز هذا البيت لا يظهر لنا فيه وجه يستقيم عربية .

فقلت أنصفت لكن هل سمعت بمنْ　　إن هرَّ كلبٌ عليه نازل الأسدا

وله [من الكامل]:

يا رب لا ترضي الذي يرضى　　اخسف به وبداره الأرضا
يارب لا ترضي الذي يرضى　　اخسف به وبداره الأرضا
إن لم يكن خسفٌ فلا عجب　　أدخله جوف حرامه عرضا

وقاله [من الخفيف]:

قلقل الله ماضغيْك وفكّيـ　　ـك وبتّ الكفين من زنديكا[1]
كم تصلي على جنائز موتا　　ك أما آن أن نصلي عليكا

وله [من البسيط]:

عبدان هامته للصفعِ معتاده　　لا سيّما مِنْ أكفٍّ السادة القادهْ
كأن أيدي الندامى في تناولها　　أيدي صيامٍ إلى كيزان بُرّاده

وله [من الكامل]:

سبحان ذي الملكوت من متقدّسِ　　لم يبقَ شيءٌ في الورى لم يخنس[2]
داءان كانا في الملوك فأدبرا　　وتواضعا داء البغا والنقرس

وله في أبي عبد الله الشبلي يهجوه [من الرجز]:

وألفُ أيرً من أيورِ الزنج　　مضروبة في رقعة الشطرنج
بلا حزامٍ وبلا برطنج　　في إست بعض الناس من بوشنج

* * *

(١) قلقل : حرك ، وفكّك وبتّ : قطع .
(٢) خنس : رجع وتنحّى ، واستخفى ، وخنس القول : أساءه .

ما علق بحفظي في فنون شتى

قوله في الغزل [من مجزوء الخفيف]:

ما على مُسقمي بألـ حاظة لو ترفّقا
لك حلٌّ دمي فرأ يك فيه موفّقا
أنا لا شكّ ميّتٌ فلك العمر والبقا

وقال في استهداء الشراب [من المنسرح] :

عندي يا سيدي ومولائي من بهواهُ قد طال بلوائي
وقد رأى أن يبيت مبتدياً وكان ما قد رآه من رائي
وليس عندي من الشراب له وحقٍّ ما بيننا سوى الماء

وقوله لبعض الوزراء [من الكامل]:

إن الذين مشوا إليك على دمي لم أصغِ فيك لهم وهم عذالي
حتى إذا ما استيأسوا مني سعَوا ووشَوا بما لم يجر قطُّ ببالي

وقوله [من مجزوء الرجز]:

إني اعتللتُ علّةً سقطت منها في يدي
وكان في الإخوان من لم أرهم في العوّد
فقلت في كلِّهِم قولَ امرئ مقتصد
أيرُ الذي قد عادني في است الذي لم يعد

وله [من مخلع البسيط]:

بعثت يا سيدي بقرعه فبلّها لي ولو بجرعه
فعندنا أمردٌ قبيحٌ لكنّه في الفساد بدعه[1]

---

(١) الأمرد : الشاب الذي طلع شاربه ولم تنبت لحيته .

وله من قصيدة [من البسيط]:

ما إنْ أرقتُ بحرصي قطرةً فجرت   من ماء وجهي إلاّ خلتُ ذاك دمي
ولا مشت قدمي في حظٍّ مطعمةٍ   إلا تمنّيتُ أنّي ما مشت قدمي
جاريت دهري زماناً راكباً طعمي   فدمت أجري على حالٍ ولم يدم
فما رأيت بخيلاً حال عن بخلٍ   يوماً ولم أر مطبوعاً على الكرم[1]

* * *

ذكر نبذ من هجائه

قال ابن مطران فيه [من مجزوء الوافر]:

أبا حسنٍ ألا قلْ لي   وبيِّنْ منتهى أدبِكْ
بأيةِ حيلةٍ قوَّمت   عطف الحاء من لقبك

وقال أبو جعفر محمد بن العباس الوزير فيه [من الهزج]:

من احتاج إلى السيف   فما في فيك يكفيكَ
وما جارحةٌ فيك   لنا أجرح من فيكَ
وأطراف المساويكِ   لَتُنبي عن مساويكَ

وقال فيه [من الكامل]:

إن الذي أفنى الخطيئة بعدما   أفنى الهجاء وباء بالآثام
وأباد هجَّاء الخلائق دعبلاً   من بعده وفنى بني بسّام
سيرد أعراض الكرام بمنِّهِ   ولطيف قدرته من اللّحام

---

(١) حال : أي تحوّل وتغيّر .

وقال أبو نصر الهزيمي [من البسيط]:

لم لا تبيعُ ولـم لا تشتـري اللحما ... ياشـرٌّ من شتـم الأحــرار أو شتما
لقـد صددت عن القـول الجميل فما ... فتحــت مذ كنــت إلا بالقبيح فما
عميت من طول ما تهجو الـكرام ومن ... عمـي الفـؤاد بدا في ناظـريك عمى

* * *

ذكر آخر عمره

لما لم تزده الشيخوخة إلا بذاء ، وتولعاً بأعراض الأحرار ، ومجاهرة بالوقيعة في المحتشمين والكبار ، ولم يسلم منه أحـد من أصحـاب السيوف والأقـلام ، وشاع من شنيع هجائه للبلعمي ما يبقى على الأيام ، وساءت الآراء فيه ، واتصلت الشكايات منه ، خرج الأمر السلطاني بتأديبه وعرك أديمه . وتـطهير الحضـرة من خبث أقاويله ، فأنفذ إليه وإلى الشرط مسودا امتثل فيه الأمر ، ولزمه حتى عبر به النهر ، فقال فيه ابن مطران الطويل]:

لسانــك يا لحــاَّم ألقــاك في ورطه ... ومزدحــم الأسواء لاقــاك بالضغطه
لئــن كان لم يدبــغْ لسانــك دابغٌ ... لقد أحسنتْ بالأمس دبغ استك الشرطه
إلـى كم تسـوء النـاس عيشـك سالماً ... فمت هرماً يا كلبُ إن لم تمت عبطه[1]
ولا نلـت ما عمَّـرت خيراً ولــم تزلْ ... لدائــرة الأســواء رأســك كالنقطة

ثم إن البلعمي ندم على استحيائه ، وخاف بادرة لسانه ، وعلم أنه لم يتوجه إلا تلقاء نيسابور . فكتب إلى صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور ـ وكان قد هجاه أيضاً ـ في إذكاء العيون عليه ، والجد في تحصيله ، وكفاية شغله ، ووافق ورود الكتاب قدوم اللحام نيسابور ونزوله خان وشمكير ، فم يشعر إلا بهجوم من أزعجه وحمله وضبنه[2] على البغال سائراً به إلى قائن ، وهو مريض لا يقل رأسه ،

(١) مات عبطة : أي مات شاباً صحيحاً .
(٢) ضبنه : حملة فوق ضبنه ، والضِّبن ما بين الإبط والخاصرة .

فلما شارف المقصد قضى نحبه ، ولقي بصحيفته السوداء ربه .

* * *

٣٢ ـ أبو محمد المطراني ، الحسن بن علي بن مطران

شاعر الشاش وحسنتها وواحدها ، فإنها وسائر بلاد ما وراء النهر لم تخرج مثله إلا أبا عامر إسماعيل بن أحمد بعده ، وكان ابن مطران بخير وحسن حال يرد الحضرة بالمدح ، وينصرف بالمنح ، ويتصرف في أعمال البرد بما يرتفق به ويرتزق منه ، وشعره مدون كثير اللطائف .

حدثني السيد أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال : كنت ببخارى كثيراً ما تجمعني وابن مطران ، فأرى رجلاً مضطرب الخلقة من أجلاف العجم ، فإذا تكلم حكى فصحاء العرب ، على حبسة يسيرة في لسانه ، وكان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس ، وأدب الأنس ، فيطرب بنثره ، كما يطرب بشعره ، ويؤنس بهزله ، كما يؤيس بجده ، وقد عيره اللحام في بعض أهاجيه ، وكان بينهما سوق السلاح قائمة فيتهاجيان ويتهاتران ولا يكادان يصطلحان . وكان اللحام يربي عليه في الهجاء ، ولا يشق غباره في سائر فنون الشعر ، وبلغني أن ديوان شعر ابن مطران حمل إلى حضرة الصاحب فأعجب به فقال : ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله ، ومر له في الشراب المطبوخ [من الوافر]:

وراحٍ عذَّبتها النارُ حتى ... وقتْ شرَّابها نار العذابِ
يُذيبُ الهمّ قبل الحسو لونٌ ... لها في مثل ياقوتٍ مُذابِ[1]
ويمنحها المزاج لهيبُ خدٍّ ... تشرَّبَ ماؤه ماء الشباب

فتعجب من حسن البيت الأول وتحفظه ، وكان كثيراً ما ينشده ، ويقول :

---

(١) الحسو : من الاحتساء أي الشرب .

كأنه مقلوب قول السرى في الخمر [من البسيط]:

هات التـي هي يوم الحشـر أوزارُ   كالنار في الحسـن عقبى شربهـا النار

ومن سائر شعره قوله في أبي علي البلعمي من قصيدة أولها [من المتقارب]:

ألـمَّ المشيب برأسـي نذيرا   وولّـى الشبـاب بعيشـي نضيرا
وأصبـح ضوء صبـاح المشيب   لغربـان ليل شبابـي مطيرا
كذاك إذا لاح نُورُ البكور   لسـود الـطيور هجـرن الوكورا
هو الشيب مخبـره مظلمٌ   وإن كان منظـره مستنيرا
وقـد كان إظلامـه في العيو   ن يجلـو العيون ويشفـي الصدورا
فأعجـبْ بلـون سوادٍ أنارْ   ولـون بياضٍ أبـى أنْ ينيرا
كأنَّ الغوانـي رمـد العيون   يطالعـن من شيب فوديّ نورا[1]
إذا هنَّ قابلن نور المشيب   أدرن علـى ذلك النـور نورا
وإن هنّ واجهـن زور الخضا   ب أعرضـن عن ذلك الـزور زورا[2]

ومنها في المدح [من المتقارب]:

بلونـاك حين يرجـى الوليُّ   عرفـاً ويخشـى العـدو النكيرا
فلـم تك إلا اختياراً نفوعاً   ولـم تلك إلا اضطـراراً ضرورا
ولـم ترد الشـر إلا جزاءً   أراد بك الله خيراً كثيرا
ولو لم تخف سوء ظنِّ الشكور   لما كنت بالسوء تجزي الكفورا

وله من قصيدة [من مجزوء الكامل]:

ترمـي مكايدة العدو   بمـا التحفـظ منـه ضائعْ
مـن واقعـاتٍ بالمقا   تل قاتـلاتٍ بالمواقع

(١) فوديّ : الشعر الذي على جانب الرأس ممّا يلي الأذنين .
(٢) زور الخضاب : الزور : الكذب ، والخضاب الصباغ الذي يصبغ به الشعر لإخفاء الشيب فيه .

وله من تشبيب قصيدة [من البسيط]:

أخو الهوى يستطيلُ الليل في سهرِهْ والليل في طوله جارٍ على قَدَرِهْ
ليل الهوى سنة في الهجر مدَّته لكنّه سِنَةٌ في الوصل من قصره[1]

وله في مثل هذه الصنعة وإن كانت في معنى آخر[من البسيط] :

كان التصرُّف في خفضٍ وفي دعةٍ أقلّ مدته فيما يقال سنه
فالآن قد صار من شؤمٍ ومن نكدٍ بالخفض من سنةٍ حتى يقال سِنه

وله في استهداء العنب [من مخلع البسيط]:

يا أحمدَ الأكرمين سيرَهْ فيهم وأذكاهُمُ سريره
ومن بهمَّاته العوالي أضحت عيون العلا قريره
ومن يرى بشره بشيراً أمواجه ثرَّةٌ غزيره
لترمني راحتاك شهباً مضلعاتٍ ومستديره
أشبّ العنبر المعلّى مسكاً به دهمةً يسيره[2]
بلادُ مجموعها ثلاثٌ الهند والترك والجزيره
ولا يكن حبسها طويلاً عنّي وأعدادها قصيره

وله من نيروزية [من الخفيف]:

قد أتاك النيروز وهو بعيد مرَّ من قبله قريباً رستَل
سلْ سبيلاً فيه إلى راحة النفس براحٍ كأنها سلسبيل
واشتمالاً على السرور وهل يجمع شمل السرور إلاّ الشَّمول[1]
وهدايا النيروز ما يفعل النا س ولكنْ هديتي ما أقول

(١) السنة الأولى : العام،والسِّنة : اللحظة القليلة ، الغمضة الغفلة .
(٢) أشبّ : جمع وخلط ، والدهمة : السواد .
(٣) الشمول : الخمرة .

وله من تشبيب قصيدة [من الوافر]:

مهفهفـةٍ لهـا نصفٌ قضيبٌ كخـوطِ البـان في نصفٍ رداح[1]
حكت لينـاً ولونـاً واعتدالاً ولحظـاً قاتـلاً سمر الرماح

وله أيضاً من تشبيب قصيدة أخرى [من الطويل]:

ظبـاءٌ أعارتهـا المهـا حسـن مشيها كمـا قد أعارتهـا العيون الجآذرُ[2]
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت مواطـىء من أقدامهـن الضفائرُ

أخذه من قول ابن الرومي فزاد فيه وحسنه [من المنسرح]:

ووارد فاحـمٍ يقبل ممشـاه إذا اختـال مشية عذره

وقال في استهداء حنطة في سنة قحط ببخارى [من الرجز]:

يا أيُّهـا ذا السيدُ المؤمّلُ أرسـى من الدهـر علـيَّ كلكلُ
يكاد أن ينفـك منـه المفصل ثلاثـةٌ عيشي بهـنَّ مثقلُ
القحـط والعيلـة والتعطُّل لي من بنـي الـروم إمـامٌ مقول
قد باسـط السـادة فيمـا يؤكل ولسـت ممـنّ لاغتنامٍ يسأل
لكنْ إذا أعيانـي التمحُّلُ والحنطـة السمـراء حين تحمل
أحسـن من بيضـاء حين ترفُلُ والحَـبُّ للنفس الحبيب الأول
فليس لي إلا به تعلُّلُ تنُّـور داري مهمـلٌ معطَّل
ومطبخـي مع الخـوان مهملُ والسـوق قفـرٌ ليس فيهـا مأكلُ
والضيق في ذا العـام ضيقٌ يشمل لا زلـت من جاهٍ ومـالٍ تبذلُ
أفضـل حرٍّ يُرتجـى ويسأل لا زالـت الـدنيا عليك تقبل

---

(١) خوط البان : غصن البان ، والرداح : من النساء الضخمة الثقيلة الأوزان ، ومن الشجر : العظيمة .
(٢) الجآذر : البقر الوحشي .

بخيرهـا والخيـر منـك يقبل ما زرع البُـرُّ وطـال السنبل[1]

وقال في أبي حاتم محمد بن الربيع الطوسي [من المتقارب]:

كأنّ أبـا حاتـمٍ لا يزا ل يصـرف في الصـرف لافـي العمل
إذا حلَّ أرضـا دنـا ظِعنه توقَّـعْ رحيلاً إذا قيل حلْ[2]
فتـىً لا يبيت علـى بطنةٍ ولا يأكل الخبـز إلاّ بخلّ[3]
فتـىً عنـده أنّـه يستقِلْ بكُلّ الأمـور ولا يُستقلّ
ويوجـب تدبيره أن يكون رئيسـاً يُعَـزُّ ولا يُستذل

وله في ثلجة سقطت بعد النيروز وبرد أضر بالأنوار [من الكامل]:

عجبـاً لآذر جاء في آذار وتفـاوت الأفـلاك في الأدوار
طلعـت عشـاءً للبيات سحائبٌ أنواؤهـن خسفـن بالأنوار
أبـدى الـربيع لنـا شتـاءً مضمراً يأبـى ظهـور ضمائـر الأشجار
ندم الشتـاء علـى التقضّـي فانثنى لينـال منتقمـا بقـايا الثار

وكتب إلى صديق له رأى عنده غلاما فاستشرطه [من المنسرح]:

رأيت ظبيا يطـوف في حرمك أغـنَّ مستأنسـاً إلـى كرمكْ
أطعمنـي فيه أنّـه رشأٌ يُرشـى ليحشـى وليس من خدمك
فاشغلـه بي ساعـةً إذا فرغتْ دواتـه إن رأيته من قلمك

وله وقد سمع قول محمد بن عبد الله بن طاهر : ما جمشت الدنيا بأظرف من النبيذ [من المتقارب]:

ألا إن دنياك معشوقةٌ تجمّشهـا كلُّ عيشٍ لذيذْ[4]

---

(١) البرّ : القمح .
(٢) الظّعن : الرحيل .
(٣) البطنة : التخمة من كثرة الأكل .
(٤) التجميش : المداعبة .

ولكنهــا قطُّ ما جمَّشتْ من الملهيات بمثــل النبيذ

وله من قصيدة [من السريع]:

كم غصــت في مدحــك فكراً على درٍّ نفيسٍ غير مثقوبِ
ولــم يغصْ رأيك يومــاً على برِّي ولا رأيٌ لمكذوبِ
إن كان موعــودك الجــود لي أكذبُ من موعــود عرقوبِ
فإن إخبــارك في مدحتي أكذبُ من ذئــب ابــن يعقوب

وله من أخرى [من البسيط]:

يا من إذا مادح أثنــى عليه بما في نفســه قام من مرآة شاهدُهْ
والمــرء مرآه مرآةٌ يلــوح بها في الغيب منــه لعينــيّ من يشاهده

ألم فيه بقول الرومي [من الخفيف]:

وإذا ما محابــر النــاس غابت عنــك فاستشهــد الوجــوه الوضاءَ
بشــرّ البــرق بالحيا وسنــا الصبــح بأن يقلــب الدجــى أضواءَ

وله من أخرى [من البسيط]:

شهــر الصيام جرى باليمــن طائرُهُ عليك ما جدَّ باديه وعائدُهُ
ودام قصــرك مرفوعــاً مجالسه لزائــريه ومنصوبــاً موائدُهُ
ودام صدر عظيمٍ أنــت ماهدُهُ وعش لملكٍ عزيزٍ أنــت واحدُهُ
فأنــت منظــره الأبهــى وناظــره الـ أعلى ومنكبــه الأقــوى وساعدُهُ

وله في أخوين كريم ولئيم [من الخفيف]:

بين أخلاقــه التــي هي أخلا قٌ وأخلاقــك العتــاق مسافه
ولعمــري لفــي ادعائــك إيا ه ابــن أمٍ إبطــال علــم القيافه[1]

---

(١) القيافة : اتباع الأثر .

وقال في وصف الشتاء [من مجزوء الرمل]:

وشتـــاءٍ محمـــقٍ الكلب فلا يغلـــو قديرهْ
كلمـــا رام نباحاً زمّ فاه زمهريرِه[1]

وله في أكول [من مجزوء الرجز]:

إنّ أبـــا طالبنا له فمٌ كالمعده
يهضـــم ما يمضغه من غير أن يزدرده

وله [من مجزوء الخفيف]:

والـــمـــودّات مـــا خلـــت مـــن تهـــادٍ مـــكـــدَّره
كطبيـــخٍ خـــلا مـــن اللـــحـــم يدعـــى مـــزوَّره[2]

وله ، وهو من ظرفه [من المنسرح]:

تزهـــى علينـــا بقـــوس حاجبها زهـــو تميمٍ بقـــوس حاجبها[3]

وله في أبي الفضل المعافى بن هزيم الأبيوردي [من الخفيف]:

أصبـــح الملك مبتلـــىً بالمعافى وهـــو ممّـــا به ابتـــلاه معافى
ورد البـــاب لانتصـــافٍ مـــن الـدهـــر فأفنـــى الصحـــاح والأنصـــافـــا

وقال في اللحام وقد اعتذر إلى بعض الرؤساء من هجائه [من المنسرح]:

قلْ للحيحيم إنّ مدحـــك عن هجـــوك ما إن يقـــوم معتذرا
وهـــل يعفـــى علـــى إساءته تبصيص الكلـــب بعـــد ما عقرا[4]

---

(١) زمّ : أقفل ، والزمهرير : البرد القارس .

(٢) المزورة : مرقه تصنع للمريض خالية من الأدهان .

(٣) الحاجب الأول حاجب العين ، والحاجب الثاني هو حاجب بن زرارة حكيم تميم وخطيبها .

(٤) العقر : العض .

وله من قصيدة [من البسيط]:

طال افتتاني بظبيٍ وردُ وجنته يجنى فؤادي وكفّي ليس تجنيه
نصٌّ ينمُّ على أسرار نعمته لباسُهُ فكما يكسوه يعريه
فكيف ألثمه واللحظ يؤلمه والشمُّ يكلِمُهُ والضمُّ يدميه[1]

وله من أخرى [من الخفيف]:

ظبيٌ أنسٍ فدته وحش الظباءِ شفَّ جسمي بطول منع الشفاه
شادنٌ يرتعي سويداء قلبي حسن يرنو من مقلةٍ سوداء[2]
شبَّ فيه الشباب نار جمالٍ عُدِّلت ناره بماء البهاء

وله في وصف ثوب أهداه إليه صديق [من الوافر]:

أبا نصرٍ سمحْتَ لنا بثوبٍ حكى في فرط ضيق العرض باعَكْ
سخافةُ نسجه تحكيك لكنْ غلاظةُ نسجه تحكي طباعكْ

وله من قصيدة كتب بها إلى إخوان له بالشاش من رباط كان التجأ إليه من فتنة وقعت بالناحية [من الكامل]:

فزتم بأنسِ ألفةٍ وخلاط وتركتموني في كنيفِ رباط[3]
وسعتْ صحون فيه إلا أنها من ضيق صدري مثل سمِّ خياط[4]
جاورت فيها نسوةٌ ساسيّةٌ نسلِ الحرام حلائل السقاط
سلب الزمان شعورها وشعورها طهر السِّواك وزينةَ الأمشاط[5]

---

(١) يكلِمه : يجرحه .
(٢) الشادن : الغزال ، ويرنو : يتطلع .
(٣) الكنيف : المرحاض ، والرباط : الخانقاه للصوفية .
(٤) سمُّ الخياط : إبرة الخياط، وفي القرآن الكريم: حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط ، أي الحبل الغليظ في فتحة الإبرة .
(٥) السواك : عودٌ يستعمل لتنظيف الأسنان من بقايا الطعام .

يحملن أطفالاً كأنّ وجوههم طليت بصمغٍ من يبيس مخاط
فيهن فتياتٌ إذا غنَّينني عنّينني وقصمن ظهر نشاطي[1]
أمعاؤها أوتارها وبطونها أعوادها واللحن رجع ضراط
ولهن أزواج على أكتافهم كنف معلقةٌ من الآباط
إن يسهروا لتسامرٍ فكلامهم لا يستبان كصرَّة الوطواط
أو يرقدوا فحلوقهم وأنوفهم ممّا تغطُّ كحِقة الخرَّاط
وخلال ذلك يسمعونك كارهاً صوت الضراط كمثل شقّ رباط
حتى يغص بع الرباط كأنما إرساله من غير ذات رباط
ختموا الطريق بطينةٍ بطنيةٍ ليفكٌ ذاك الختم رجل الواطي
لا أستطيع تحفُّظاً منها ولو أعملت فيه توقي المحتاط
أمشي بأطراف الأصابع بينها حذراً كأنّي فوق حدٍّ صراط
وبراغثٌ مثل الخطوب طوارقٌ حدب الظهور غليظة الأوساط
يحسون ماء حياتنا فجلودنا كمصاحفٍ محمرَّة الأنقاط

***

٣٣ - أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسن

هو ابن العباس بن الحسن وزير المكتفى والمقتدر ، وأخباره مشهورة ، وأيامه في الوزارة مذكورة . وأبو جعفر هذا كاتب بليغ حسن التصرف في النظم والنثر ، رمت به حوادث الدهر إلى بخارى ، فأكرم مثواه كالعادة كانت للملوك السامانية في معرفة حقوق الناس وأبناء النعمة وأغذياء الرياسة ، لا سيما الجامعين إلى كرم النسب شرف الأدب ، وتقسمت أيامه بين الاولية السنية ، والطلعة الهنية . وكان على تماسك حاله وانتعاشه وارتياشه شاكياً لزمانه . مستزيدا لسلطانه ، وله القصيدة التي سارت في البلاد وطارت في الآفاق لحسن ديباجتها وبراعة

(١) العناء : التعب ، وقصمن : قطعن .

تجنيساتها ، وكثرة رونقها ، وأنشدنيها غير واحد ممن انشده أبو جعفر إياها ، وأولها [من الهزج]:

لئــن أصبحــت منبوذاً بأطــراف خراسانِ
ومجفــواً نبــت عن لذّ ة التغميض أجفاني[1]
ومحمـــولاً علـــى الصـــعبـــة مــن إعــراض سلطانــي
ومخصوصــاً بحرمانٍ من الأعيان أعياني[2]
وصــرفٍ عنــد شكواي من الآذان آذاني
ومكلومــاً بأظفارٍ ومكـــدومــاً بــأسنــان
وملقــى بين أخفافٍ وأظــلافٍ تــوطّــانــي[3]
كأنّ القصــد من أحدا ث أزمانــي إزماني[4]
فــكم مارســتُ في إصلا ح شانــي ما ترى شاني
وعاينــت خطوبــاً جرّ عتنــي ماء خطبان
أفــادت شيب فوديّ وأفنــت نور أفناني[5]
أغصّتنــي بأرياقي لدى إيراق أغصاني
وقادتنــي إلــى من هـــــو عنّــي عطفــه ثاني
ســوى أني أُرى في الفضل فرداً ليس لي ثاني
كأنّ البخــت إذ كشّـــــف عنّــي كان غطّاني
ومــا خلانــي إلاّ زمانــاً فيه خلاّني[6]
سأسترفــد صبــرى إنّـــه من خير أعواني

---

(١) نبت : ابتعدت وتجافت .
(٢) أعياني : أتعبني وأسقمني .
(٣) توطاني : أي تدوسه من الوطه .
(٤) الإزمان : الإمراض .
(٥) نَوْر الأفنان : زهور الأغصان .
(٦) الخلاّن : الأصحاب ، وخلاّني : تركني وتخلّى عنّي .

وأستنجد عزمي إنّه والحزم سيّان
وأنضو الهم عن قلبي وإن أنضيت جثماني[1]
وأنجو بنجاتي إنّ قضاء الله نجّاني
إلى أرضي التي أرضَى وترضيني وترضاني
إلى أرضٍ جناها من جنى جنّة رضوان
هواءٌ كهوى النفس تصافاه صفيّان
رخاءٌ كرخاءٍ شرَّ د الشدة عن عاني[2]
وماءٌ مثل قلب الصبِّ قد رِيع بهجران
رفيقُ الآلِ كالآل وفيه أَمْنُ إيمان
وتربٌ هو والمسك لدى التشبيه تربان[3]
فإن سلّمني الله وبالصنع تولاّني
وأولاني خلاصاً جا معاً شملي بخلصاني
وأرآني أودّائي وآواني لإيواني
وأوطأني أوطاني وأعطاني أعطاني
وأخلى ذرعي الدهر وخَلاّني وخِلاّني
فإني لا أجدُّ العو د ما عاد الجديدان
إلى الغربة حتى تغرب الشمس بشروان
فإن عدت لها يوماً فسجّاني سجاني[4]
وللكوت الوحى الأحمر القاني ألقاني[5]

(١) أنضو : أخلع .
(٢) العاني : من المعاناة .
(٣) الترب : الرفيق والصاحب .
(٤) السجّان : المسئول عن السجن . وسجاه : مدّده بعد انقضاء حياته .
(٥) الوَحى : الإسراع ، الملك ، النّار .

وأنشدني أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم قال : أنشدني أبو جعفر بن العباس لنفسه [من الخفيف] :

لست في ذا العذار والأمرد الحا سر عن رأسه العذار بخالعْ
الوقايات في الوقاية عندي فلهذا مقانعي في المقانعْ

وأنشدت له أيضاً [من الطويل]:

بوجهك يا من رق منه أديمه وراق الدمى حسنا أريق دمي عمدا
فأقسم أن لو قسمت صبوتي على بسيم الصبا ما نسم النسم البردا

وأنشدني أبو القاسم الأليماني قال : أنشدني أبو جعفر لنفسه في أبي جعفر العتبي [من الوافر]:

ألا من مبلغِ المكروب قولاً بدا عن نصحِ مأمون المغيبِ
جعلت الدهر حربك وهو سَلْمٌ فلم تسلَمْ عليه من الحروب
وحالفت العبوس لغير بؤسٍ فأسلمك القطوب إلى الخطوب

وكان بالحضرة رجل من الظاهرية يقال له أبو العباس الظاهري ، ينادم الكبراء ، ويتعاطى آلة اللهو ، وربما يشعر ، وكان يلقب ببشار لسوء في عينيه وعبث منه بالشعر ، فقال فيه أبو جعفر [من البسيط]:

إنّ الأمير أبا العباس بشارُ قرمٌ نمته الى العلياء أخيارُ[1]
فما يفارقه في الحجر مزهره وما يفارقه في الحجر مزمار

وقال فيه أيضاً [من السريع]:

أضحى أبو العباس مع علمه بالقلب والإبدال مُفتنًّا
فعينه غينٌ إذا ما رنا وغينه عينٌ إذا غنًّا

(١) القرم : السيد ، نمته : من الانتماء أي جعلته ينتمي إلى العلياء .

وقال فيه وكانت له أم ولد مغنية تحضر معه مجالس الأنس [من المنسرح] :

بشارُ لـولا غنـاء حرمتـك الجـامـع بيـن الإحسـان والطيـبِ
لكنـت مثـل المجـذوم مجتنَباً إن لم تصـدق فقـل لهـا توبي[1]

* * *

٣٤ - ابن أبي الثياب أبو محمد

من ندماء ابن العميد ، وله فيه شعر كثير ، وكان فسيح مجال الفضل ، وافر الحظ من الظرف ، ولما فارق ابن العميد وورد بخارى نجحت سفرته وحظي بالقبول ، ونادم فضلاء الصدور ، وهاجى أبا جعفر محمد بن العباس ، فمن قوله فيه [من السريع] :

إن ابـن عبـاس أبـا جعفرٍ يبـذَلُ للنَّـاكة أوراكَهْ
تـراه من تيهٍ ومـن نخوةٍ كأنَّـه ناك الـذي ناكَهْ

وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي له في أبي العباس وكان يلقب بطويس [من المجتث] :

وقائـل قال سرّاً عن غير لبٍ وكيسِ[2]
لـم لا تنيك طويساً وأنـت جار طويس
فقلـت كيف افتراشي عنـزاً ولسـت بتيس

وأنشدني حاضر بن محمد الطوسي لابـن أبـي الثياب في كتـاب معنـون بالحمرة [من الكامل] :

هذا كتـابُ فتـىً جفـاؤك مضرمٌ ناراً من الأشجـان بين ضلوعِهِ

---

(١) المجذوم : المصاب بمرض الجذام الذي يصيب أعضاء الجسم فتتآكل وتسقط .

(٢) اللب : العقل ، والكيس : الظرف والأدب .

ودليلــه في فيض مقلتــه دمــاً أنَّ الكتــاب مخضَّــبٌ بنجيعه[1]

ووجدت له بخط الرئيس أبي محمد الميكالي رحمه الله تعالى [من الخفيف] :

يا همامــاً يطــول كلَّ همامِ بالقــديم المشهــود في الأقوام
والحــديث الــذي أذاع حديثاً عن سمــاء تهمــي بغير غمام
أنــت بحــرٌ يجيش بالــدرِّ لكنْ نَظْــمُ درٍّ البحــار للنظَّام
فارغَ للشعــر ذمَّــةً في وليٍّ قد كفــاه الــولاء كلَّ ذمام
وأعــدْ أوجــه المنــى لبنيها ضحــكاً عن مدامــع الأقلام
فسـواد التـوقيـع يجـلـو لعـيـــــني بياضــاً من الأيـادي الجسـام
لســت أشــكو إليك أيام دهرٍ أنــت فيهــا ذخيرةُ للأنام
حسبـي الله في إدامــة نعما ئك للمســلمين والإسلام

وأنشدني بديع الزمان له من قصيدة [من الطويل] :

وهاجــرةٍ تشــوي الوجــوه كأنّها إذا لفحــت خدَّيً نارٌ تأجَّجُ
ومــاءٍ كلــون الـزيت ملــحٍ كأنّما بوجــدي يغلــي أو بهجــرك يُمزَجُ
تعسَّفَهــا السَّير الأشــدَّ إلــى فتىً سنـا وجهــه جنــحُ الدجــى يتبلَّجُ[2]

وأنشدني أبو سعد يعقوب له في وصف شمعة [من المتقارب] :

ومجدولــةٍ مثــل صدر القناة تعــرّت وباطنهــا مكتسي
لهــا مقلــةٌ هي روحٌ لها وتــاجٌ علــى الــرأس كالبرنس
إذا غازَلَتْهــا الصبــا حركَتْ لسانــاً من الذهــب الأملس
فنحــن من النــار في أسعدٍ وتلك من النــار في أنحس
وقــد ناب وجهــك عن حسنها وعــن ذا البنفســج والنرجس

(١) النجيع : الدم .

(٢) العسف : التعب يتبلّج : يشرق،والسنا : الضوء ، والدجى : الظلام .

فيا حامل العود حُثَّ الغنا ويا حامل الكأس لا تحبس[1]

***

٣٥ ـ أبو الحسن علي بن هارون الشيباني

وليس بالمنجم

من فضلاء الطارئين على تلك الحضرة ، المتحلين بالأدب والشعر ، الحاصلين بين أنياب الدهر ، وهو القائل لوزير الوقت [من الكامل] :

حَمْلُ الرياسةِ ما علمتُ ثقيلُ والدهر يعدل مرَّةً ويميلُ
يا راكب الآثام في سلطانِهِ انظُرْ إلى الأيام كيف تحول[2]
هي ما سمعتَ وما رأيت سبيلها التحويل والتنقيل والتبديل
لا تعتلل بالشغل إنّك إنَّما تُرجى لأنك دائماً مشغول
وإذا فرغت ولا فرغت فغيرك المقصود للحاجات والمأمول

أخذه من قول أبي العباس لما قال له عبد الله بن سليمان «اعذرني فإني مشغول» فقال [من الطويل] :

ولا تعتذر بالشغل عنّا فإنما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

وله [من مجزوء الرمل] :

أيُّها التائِهُ في الدولة مهلاً في اقتدارِكْ
كم إلى كم تجعل التيه علينا من شِعارِكْ[3]
ما تبالي بخراب الـ أرض في عمران دارِكْ

(١) حث : أي أسرع بالغناء ، لا تحبس : لا تمنع .
(٢) تحول : أي تتحول وتتغيّر من حال إلى حال .
(٣) التيه : التكبُّر .

أيُّ شيءٍ كان لو فكّـــــرت في دار قرارك
تِه كمـا شئـتَ وصـل واسـ طُ علينـا في جوارك
فلنـا صبـرٌ علـى ذا ك إلـى يوم بوارك[1]

ولد في منصور بن بانقرا [من مجزوء الرزجز] :

يا مكثـراً للعظمه أسرفـت في الكبـر فمه
فـكـم رأينـا مـن كبيـرٍ كِبْـرُهُ قـد قصـمـه[2]
غـدت علـى أبوابهِ مواكبٌ مزدحِمَهْ
فـراح قد صبَّ الردى علـى الثـرى جهـراً دمه
وانتُهِبَـتْ أمواله كذاك عقبـى الظلمه[3]
فاحـذَرْ وبـادرْ إنني أرى أمـوراً مظلِمه
تـرى لهـا وقـت الضحى كمثـل لون العتمه

* * *

٣٦ - أبو النصر الهزيمي المعافى بن هزيم

أديب أبيورد وشاعرها ، وله كتاب محاسن الشعر ، وأحاسن المحاسـن ، وكان يكثر المقام ببخارى ، ويخدم فضلاء رؤسائها ، ويترود حسن آثارها ، ثم يعاود أبيورد ، وينقلب الى معيشة صالحة ، وقد دوّن شعره ببخارى وأبيورد .

وحدثني أبو القاسم الأليماني قال : لما احتضر الأمير الرشيد أبو الفـوارس عبد الملك بن نوح بالسقطة من مهر صعب غير مروض ركبه ، وقام الأمير السديد أبو صالح منصور بن نوح ، فقال في تلك الحال القائلون ، وتصرفوا بين التعزية

(١) البوار : الهلاك .
(٢) كبرُه : أي تكبُّره ، وقصمه : قضى عليه .
(٣) عقبى : أي العاقبة وهي النهاية والنتيجة .

والتهنئة ، واجتمعت قصائد كثيرة لم يرتض منها إلا قصيدة الهزيمي التي أولها [من البسيط]:

الطـرفُ بالدمـع أولـى منـه بالنظر ... فخلِّه لنجيعٍ منـه منهمرِ
ألـمَّ خطـبٌ عظيمٌ لا كفـاء له ... رزءٌ يذمُّ عليه كلّ مصطبرِ
هذا الـذي كانـت الأيام توعدنا ... به ومـا لم نزل منـه علـى حذرِ
مدّت إلـى الملك الميمـون طائره ... أيدي الحـوادث والأيام والغيَرِ
تركْنَ حارس دنيانـا وفارسها ... فريسـةً بين ناب المـوت والظفر
ما بين غبطتـه حيًّا وغبطته ... في الملك والهلك والإيوان والعفر[1]
إلا كرجع الصـدى في وشْـكِ مدَّتهِ ... أو كالهنيهـة بين السيل والمطرِ
يا ميتةً لم يمتهـا قبلـه ملكٌ ... فيهـا لكلّ عظيمٍ أعظـم العبَرِ
كان الموفّـق إلاّ عنـد ركضيته ... وللمنـون اعتـلالاتٌ علـى البشر
وكان أقـدر مخلـوقٍ علـى فرسٍ ... أبـو الفـوارس لولا قدرة القدر
وكلُّ عمـرٍ وإن طالـت سلامته ... لابـدّ يومـاً قصـاراه إلـى قصر
فالحمـد لله إذ جلَّـت مصيبته ... عن المصيب من الآراء والفكر
في دعـوة القائـم المنصـور دعوته ... منصـورُ المعتلي في القـدر والخطر
من كان يصلـح للإسـلام يحرسه ... والتـاج يلبسـه والقصـر والسرر
سوى أبـي صالـح غيث النـدى الهمرِ ... ليث الوغى الهصرِ غصن العلى الخضر[2]

هذه التصريعات خطأ في صنعة الشعر على أن أبا تمام قال : [من الطويل]:

يقـول فيبـدع ويمشـي فيسرع ... ويضـرب في ذات الإلـه فيوجع

ومما يستجـاد من شعره قوله للبلعمي من قصيدة وصف فيها الشتـاء والبـرد [من البسيط]:

وشتـوةٍ شتّ أبنـاء السـبيل لها ... وغـار في نفـقٍ منهـا المغاويرُ

---

(١) العفَر : التراب ، ووجه الأرض .
(٢) الهمر : الهاطل ، والهصر : القوي الذي يكسر فريسته ويقضي عليها .

يشـكو جليدهـم مس الجليد ضحىً   والمـاء جلدتـه قرّاً قواريرُ(1)
فللحـى من لحـاء البـرد أغشيةٌ   وللعيون من الشفّـاف تغوير
إذا تنكّبـتِ النكبـاء عن أذنٍ   فللجنـوب من الجنبين تقويرُ(2)

وقوله [من الطويل]:

إليك ركبـتُ البحـر والهـول والدجى   فصـن أملـي يا خير من ركب الطرفا
أذكرك القربـى من العلـم بيننا   وقـول حبيبٍ يا أكابرنـا عطفا

وقال من أخرى [من المتقارب]:

لئـن قمـت في حاجتـي آنفاً   ونفضتُ عن وجه حالـي الغبارا
فـكم منّـةٍ لك في سالفٍ   علـيَّ كبيتٍ من الشعـر سارا
ومـا كان نفعـك لي مرةً   ولا مرتين ولـكنْ مرارا

وله في قصيدة في الإسكافي [من الكامل] :

خـطٌّ كمـا انفتحـت أزاهير الربى   متنـزَّهٌ الألبـاب قيد الأعينِ
وبلاغـةٌ ملء العيون ملاحةً   نال النبـيُّ بهـا صلاة الألسنِ

ومن قصيدة يشكر فيها بعض الصدور على بذله المنشور في صيانة ضياعه .
[من البسيط] :

أوليتنـي في ضياعـي منـك ما وقفتْ   حمـدي عليك وخير الحمـد ما وقفا
لمـا بذلـت من المنشـور فهـي حمىً   لا تعـرف النـزل والأجعـال والكلفا(3)
هذاك شكري علـى إسقاطـه مؤناً   فكيف شكري له إن أسقـط العلفا

(1) الجليد : الصبور ، والجليد تجلُّد الماء من البرد من البرد،والقوارير : القناني . وقرّ : أي استقرّ .
(2) تنكبّ : مال وتنحّى ، والنكباء : كلّ ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين ، والتقوير : التقطيع ،وقوّر الشيء : جعل في وسطه خرقاً مستديراً .
(3) الأجعال : من الجعالة : وهي أجر العامل وما يعطى المحارب في الحرب ، والكلف من الكلفة .

إذاً ترانـي كمـن يحيا بزاوية | في الخلـد ثم ينـال الحـور والغرفا

وكتب ببخارى يستهدي التبن [من مجزوء الرمل] :

خيرُ ما يُهـدى إلـى مر | تبـطِ البـرذون تِبْنُ(١)
واحتشـاميك علـى ما | بيننـا في الـودِّ غَبْنُ(٢)
مـا بمـن شجَّعـه جو | دك عن رفـدك جبن(٣)
أنـت للخـائف والمعـــدم | إيسـارٌ وأمنُ
فلهـذا أنـت كنزٌ | ولهـذا أنـت ركنُ

وله من أبيات في استهداء الفحم [من المتقارب] :

هـبِ البـرد بالـريِّ لم ينسجِ | وفـي سقـط البـرد لم يدرج
رسـولك ذاك الـذي قال لي | أحـيء مع الفحـم أم لا أجي ؟

وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني الهزيمي لنفسه [من البسيط] :

مَنْ كفَّ سيف علـيٍّ عن مقاتله | كففـتُ غرب لسانـي عن تناوله(٤)
من الفضـول دخولـي في مظالمه | وتـركيَ القـول في أقصـى فضائله
الله يسـأل عبـداً عن جريرته | وعـن جرائـر قومٍ غير سائله(٥)

وله أيضاً [من البسيط] :

تيهُ المـزورِ علـى الـزوَّار يمنعُهُمْ | عن الـزيارة فامنعهـم عن التيهِ
والنـاس ما لم يروا حرصـاً بصاحبهم | ورغبـةً فيهِـمُ لم يرغبـوا فيهِ

---

(١) البرذون : دابة دون الفرس غليظة الأعضاء تتخذ للحمل .
(٢) الغبن : ظلم وانتقاص للحق .
(٣) الرفد : العطاء .
(٤) الغرب : السّهم .
(٥) الجريرة : الذنب .

وله في ضيعته [من الوافر] :

كفتنِـي ضيعتـي مدح العباد وظعنـاً في البـلاد بغير زاد
غدت سكنـي وخادمتـي وظئري وفيهـا أسرتـي وبهـا تلادي[1]
ألا فليعتمـد من شاء شيئاً فحزنـي ليس يعـدوه اعتمادي
صديق المـرء ضيعتـه وكم مِنْ صديقٍ في الصداقـة مستزاد
يخونـك في المـودَّة من تؤاخي ومـالك لا يخونـك في الوِداد
أخـوك علـى المعـاش معين صدقٍ ومـالك للمعـاش وللمعاد

وله ، وهو من قلائده السائدة [من مخلع البسيط] :

لمـا رأيتُ الزمـان نكْساً وفيه للرفعـة اتضاعْ
كلُّ رئيسٍ له ملالٍ وكلُّ رأسٍ له صداعْ
لزمـت بيتـي وصنـت عرضاً به عن الذلَّـة امتناع
أشـرب ممَّـا ادخـرت راحاً لهـا علـى راحتـي شعاعْ
لـي من قواريرهـا ندامى ومـن قراقيرهـا سماع

هذا بيت القصيدة ، وهو أمير شعره .

وأجتنـي من عقـول قومٍ قد أقفـرت منهـم البقاع
بشـرٌ وكعـبٌ أمـام عيني هذا يغـوث وذا سواع

وحدثني أبو الحسن الحمدوني قال : كان أبو عبد الله محمـد بن أحمـد بن بكر الجرجاني الملقب بالحضرة طير مطراق ورد طر أبيورد على عمل البندرة ، واتخذ الهزيمي خليلا ونديما ومدرساً ، ثم حدثت بينهما وحشة وخـرج الهزيمـي إلـى ضيعة له ، وبلغ أبا بكر أنه هجاه ، فأشخصه بعدة من الفرسان وسيب عليه ما كان سوغه اباه من خراجه ، قال : واستقبلني عند دخوله البلد مع المشخصين ، فلما

(١) الظئر : الأنثى المرضعة لولد غيرها . والتالد : الموروث من المال القديم .

وقع بصره علي قال [من مجزوء الرجز] :

بندارنـــا من أدبه أوقعنـــا في لقبه

فقلت له : يا أبا نصر ، من هنا أتيت ، وثنيت عناني معـه إلـى البنـدار ، فأصلحت أمره ، ولم أبرح حتى تصالحا وتمالحا .

وأنشدني أبو القاسم أحمد بن علي المظفري له [من البسيط] :

قد كنــتُ أنظــر قبــل اليوم في كتبٍ فيهـا الحـكايات والأشعــار والخطبُ
ودفتــر الطــبِّ ممّــا لا ألــمُّ به إذ لم يكُنْ فيه لي من صحتي أرَبُ[1]
فجاءت التسـع والخمسـون تحوجني إلـى العــلاج فمـا لي غيره كتبُ

***

وكان للهزيمي أخ يكنى بالوليد لا بأس بشعره ، كقوله في رجل يكنى أبـا سهل [من الرجز] :

يكنّــى بسهــلٍ وهــو حزنٌ أوعَرُ من ذاك قيل للغــراب أعور[2]

لأنه من الطيور أبصر

وقوله [من الكامل] :

في الكذب أنـت أبـا الفـوارس فارسٌ وعـن الفــوارس في الصناعــة رآجل
فتسابــق الأدبــاء في ميدانهم وأبـو الفــوارس خلفهـم متحاجل[3]

***

(١) ألمّ به : من الإلمام وهي المطالعة والمعرفة البسيطة بالشيء والأرب : الغاية .
(٢) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .
(٣) متحاجل : يتبختر في مشيته .

٣٧ ـ أبو نصر الظريفي الأبيوردي

حدثني السيد أبو جعفر الموسوي قال : كان للظريفي علي الهزيمي درس ، ومنه اقتبس ، فخرج كاتبا شاعراً ظريفا كلقبه وكان وارداً على الحضرة كثير الإقامة بها ، مداخلا لفضائلها ، متصرفاً منها على أعمال البريد ، وكان أبو علي البلعمي يكرمه وينادمه ، فاقترح عليه قصيدة يسلك فيها طريق المتقدمين فخامة وجزالة فأنشده من الغد قصيدة في مدحه كأنها صدرت عن أحد فحولة الشعراء الجاهليين فارتضاها وخيره في أعمال البريد ببلاد خراسان ، فاختار بلده أبيورد وتنجز المنشور والصلة وشخص .

ومن مشهور سائر شعره قوله [من الوافر] :

أرى وطني كعشٍّ لي ولكنْ ... أسافر عنه في طلب المعاش
ولولا أنَّ كسب القوت فرضٌ ... لما برح الطيور من العشاش

وقوله [من السريع] :

سرُّ الفتى من دمه إن فشا ... فأوْلِهِ حفظاً وكتمانا[1]
واحتطْ على السر بإخفائه ... فإنّ للحيطان آذانا

وقوله [من المجتث] :

يكفُّ ليلاً ويفسو ... وسط الندى نهارا
يديم ذلك حتى ... يملا بخارى بخارا

وقوله [من الوافر] :

حوى المصريُّ أنواع المخازي ... وراح وماله فيها موازي
ولو جمعت مخازيه لزادت ... بكثرتها على كتب المغازي

---

(١) فشا : شاع وانتشر فأوله : أي اهتمّ واعتنى به .

وقوله [من الكامل] :

يا دولــةً خلصــت لأعــور معورٍ   ما أنــت إلا دولــةٌ عوراء

وقوله [من السريع] :

خافــوا علــى المُلك عيون العدا   فصيَّروا عوذتــه أعورا[1]

وحكى أنه تقلد مرة عمل البريد بالجبل ، وكان أمراؤها لا يقيمون لأصحاب البريد وزنا ، فلما وصل إلى الوالي بها قال له : أنت صاحب البريد ؟ قال : نعم . فاستظرفه ونادمه وأفضل عليه .

ودخل يوما على بعض وزراء الحضرة فجلس في أخريات الناس ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن يقال لي ارتفع أحب إلي من أن يقال لي اندفع .

***

٣٨ ـ رجاء بن الوليد الإصبهاني ، أبو سعد

من جلة الكتاب والعمال المتصرفين من الحضرة على أعمال خراسان وكان له أدب فائق وشعر رائق ، وكان به طرش ، فإذا كلمه من لا يسمعه قال له : ارفع صوتك فإن بأذني بعض ما بروحك .

وتنسب هذه النادرة أيضاً إلى الناصر الأطروش صاحب طبرستان ويجوز أن يكون سمعها رجاء عنه فاستعملها .

وكان في ذكاء القلب وجودة الحدس بحيث يفطن لكل ما يكتب بالأصبع على يده ، ويستغنى بذلك عن السماع ، فيجيب عنه .

وفي التبجح بطرشه يقول [من الطويل] :

حمــدتُ إلَهي إذ بليت بحبهِ   على طرشٍ يشفـي ويغني عن العذرِ

(١) العوذة : ما يتعوّذ به المرء كالتميمة وغيرها .

إذا ما أراد السرّ ألصق خدّهُ بخدي اضطراراً ليس يدي الذي أدري

وإنما حذا به مثال من قال في أحول [من الطويل] :

حمدت إلّهي إذ بليت بحبه على حول يغني عن النظر الشزر[1]
نظرتُ إليه والرقيب يخالني نظرت إليه فاسترحت من العذر

ومن مُلَحِ رجاء قوله في باقة ريحان [من الطويل] :

وشمّامةٍ مخضرةٍ اللون غضةٍ حوت منظراً للناظرين أنيقا
إذا شمّها المعشوق خلت اخضرارها ووجنته فيروزجاً وعقيقا

وقوله [من الكامل] :

هذي المدام وهذه التحفُ والكأس بين الشَّرْبِ تختلفُ
فكأنّهم وكأنّ ساقِيَهُمْ سينٌ ترى قدّامها ألفُ

أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأنّ السقاة بين الندامى ألفاتٌ بين السطور قيامُ

وأنشدني أبو نصر سعد بن يعقوب له نتفا مليحة ، منها [من الكامل]

خط يريك الوصل في طوماره متبسما والهجر في أنفاسه
فكأنما مقل الغواني كحلت من حسن أسطره على قرطاسه

***

٣٩ ـ أبو القاسم الدينوري ، عبد الله بن عبد الرحمن

من رؤساء الأدباء ، ورؤوس الكتاب ، ووجوه العمال بخراسان ، وأخبرني منصور ابنه أنه من أولاد عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ومصنفاته في

(١) النظر الشزر : النظر بمؤخّرة العين .

٢

محاسن الآداب تربى على الثلاثين ، وله شعر كثير يخرج منه الملح ، كقوله من قصيدة في وصف الخمر [من البسيط] :

كأنّها في يد الساقي المدير لها   عصارةُ الخمر في ظُرْفٍ من الآل
لم تبقِ منها الليالي في تصرُّفها   إلاّ كما أبقت الأيام من حالي

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

يا لعصر الخلاعة المورود   ولظلٍّ الشبيبة الممدود
وللهوى ولذتي وسروري   ولسفكي دم ابنة العنقود
وارتشافي الرُّضاب من برد الثغر   وشمّي عليه ورد الخدود[1]
وغدوِّي إلى مجالس علمٍ   ورواحي إلى كواعب غيد[2]
في قميصٍ من السرور مذالٍ   ورداء من الثياب جديد[3]
ولأيامي القصار اللواتي   كنَّ بيضاً قد حُلِّيَتْ بالسعود
غيَّر الدهر حالها فاستحالت   مظلماتٍ من الليالي السود
وأتاني من المشيب نذيرٌ   غضٌّ منّي وفتٌّ في مجلودي
وتدانتْ له خطامي برغمي   ونحاني له خصوصاً عمودي[4]
وتيقَّنتُ أنَّني في مسيري   إثر شرخ الشباب غير بعيد

وقوله [من مجزوء الوافر] :

مضى الإخوانُ وانقرضوا   فها أنا للردى غرضُ
مرضت فقيل لي لا بأ   س عندك إنّه عرضُ[5]

---

(١) ارتشافي الرضاب : أي شربي واحتسائي والرضاب : اللعاب ، الريق الممصوص .
(٢) الغدوّ والروّاح : الصباح والمساء .
(٣) مذال : طويل .
(٤) الخطام : الحبل يجعل في عنق الجمل ويثنى في خطمه يقاد به .
(٥) ورد العجز على هذه الصورة « إنّه عرض » فأقمنا وزنه .

فــأوّل منــزلٍ للمر ء نحــو معــادِهِ المرضُ

وقوله [من المتقارب] :

أرقــت لضيفٍ من الشيب زارا فأهــدى إليك النُّهــى والوقارا
وجلّك الحلــم ثوب الكرام وبــزَّك ثوب الشبــاب المعارا
وقــد كان شرخ الشبــاب الذي تولّــى عدواً وإنْ كان جارا
أمــلَّ علــى ملــكيك الذنو ب حتــى أملَّهمــا ثم سارا

أخذه من قول أبي الطيب المصعبي [من الخفيف] :

زائــرٌ لم يزل مقيمــاً إلــى أنْ سوّد الصــحف بالذنــوب وولّى

وقوله [من البسيط] :

شوقي إليك كشوق المدنف الحرِضِ إلى الطبيب الذي يشفي من المرضِ[1]
فإن يكن لك عنّــي يا أخــي عوضٌ فلا وحقّــك ما لي عنــك من عوضِ

وقوله من قصيدة في بعض الوزراء [من الكامل] :

ومطهّــمٍ برح العنــان معوّدٍ خوض المهــالك كلَّ يوم برازِ[2]
وإذا توقــل في ذرى متمنّعٍ صعــبٍ بعيد العهــد بالمجتاز[3]
تــركتِ سنابــكه بصــمِّ صخوره أثــراً يلــوح كنقش صدر البازي

ومنها :

يا أيُّهــا الشيخ الجليل بحقِهِ لا من طريق تملُّــقٍ ومجاز
إن لم يكن ليَ في جنابــك مرتعٌ فالــرأيُ في الإبعــاد لي بجواز

(١) المدنف الحرض : المريض المشرف على الهلاك .
(٢) ومطهمٍ برح العنان : المطهم : المتناهي في الحسن، والبرح : الأمر المعجب المذهل ، والعنان : الزمام .
(٣) توقّل : صعد .

وأنشدني ابنه أبو منصور لأبيه في سفرجل وتفاح ورمان وآذريون أهداها إلى بعض الرؤساء في يوم مهرجان [من المتقارب] :

بعثت إليك ضُحى المهرجان ... بمعشوقةِ العرف والمنظرِ
معطرةٍ صانها في الحجال ... مطارف من سندسٍ أخضر(١)
نضت حين زارتك عنها الفريد ... وجاءتك في سرقٍ أصفر
ببسرٍ وبهنكةٍ نضةٍ ... وثديٍ مبتلةٍ مِعصر(٢)
وبيضاء رائقةٍ غضةٍ ... منقطة الوجه بالعصفر
وحُقٌّ عقيقٍ ملاه الهجير ... من الجوهر الرائق الأحمر(٣)
وأقداح تبرٍ حشت قعرها ... يد الشمس بالمسك والعنبر
فكن ذا قبولٍ لها إنّها ... هدايا مقلٍّ إلى مُكثر
وحيٍّ على الراح قبل الرواح ... ومطربةِ الشدو والمزهر
وعشْ ما تشاء كما تشتهي ... بعزمٍ يدوم إلى المحشر

وله من نتفة يسترجع بها كتاباً معاراً [من الخفيف] :

أنا أشكو إليك فقد نديمٍ ... قد فقدت السرور منذ تولَّى
كان لي مؤنساً يسلِّي همومي ... بأحاديث من منى النفس أحلى
عن أبي حاتم عن ابن قريبٍ ... واليزيدي كلّ ما كان أملى
وهو رهنٌ لديك يشكو ويبكي ... ويغنّي : قد آن لي أن أُخَلَّى
فتفضّل به عليَّ فإنّي ... لست إلاّ بمثله أتسلّى

وله من أخرى في معناها [من المجتث] :

طلبت مني كتاباً ... أَلِفتُهُ في شبابي

(١) الحجال : النساء المترفات .
(٢) البُسر : الغض الطري ، البهكنة : الممتلئة الجسم الناعمة ، ونضة : النعومة والحسن، والمُعصر : المرأة التي أدركت سنّ الشباب .
(٣) الحق : وعاء الطيب .

ألفتـه إلف عظمي لحمـي ولحمـي إهابي[1]
وقـد تأخّـر حتى لبسـت ثوب اكتئابِ
وقـد أتانـيَ عنهُ ما لم يكن في حسابي
مـن نظـم شعـرٍ بديعٍ مستظـرفٍ مستطابِ
أمـا كريمٌ رحيمٌ يرثـي لطـول اغترابي
يا ربَّ يسّـرْ إيابي قد حان وقـت انقلابي

وله في أبي الحسن العتبي [من المجتث] :

يا سائلـي عن وزيرٍ مدحـرجٍ مستديرِ
كبـط شطٍّ سمينٍ عريض صدرٍ قصيرِ
إن كنـتَ أبصـرت قرداً مذ كنـتَ فوق سريرِ
فهـو الـوزير وإن كا ن في عداد الحمير

وله من نتفة في قابض كفه [من مجزوء الكامل] :

الله صوَّر كفَّهُ لمّـا براه فأبدَعَهْ
مـن تسعـةٍ في تسعةٍ وثلاثـةٍ في أربعهْ

وله من أخرى [من الهزج] :

تغيَّرتَ مع الدهر لنـا يا شاعـر البصره
ولـم ترعَ لنـا عهداً قديم الـودِّ والعشره
عسـى صيَّرك الشيخ الـ ـذي يكنـى أبـا مرّه[2]

وله [من الوافر] :

لـزوم البيت أرواح في زمانِ عدمنـا فيه فائـدة البروزِ

---

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) أبا مرّة : من كنى إبليس .

فــلا السلطــان يرفــع من محلّي ولســت علــى الــرعية بالعزيز
ولســـت بواجــدٍ حرّاً كريماً أكون لديه في كنفٍ حريزِ

وله [من المنسرح] :

أشــكو إلــى الله ضيق ذات يدي قد بان صبـري وخاننـي جلدي
وقــد جفانــي الأنــام قاطبةً حتــى عبيدي ، وعقّنــي ولدي[١]

وله في ابنه [من البسيط] :

ربيتــه وهــو فرخٌ لا نهــوض له ولا شكيرٌ ولا ريش يواريه[٢]
حتــى إذا ارتــاش واشتــدّت قوادِمُهُ وقــد رأى أنــه آنــت خوافيه
مد الجنــاحين مدّاً ثم هزّهما وطــار عنّــي فقلبــي فيه ما فيه
وقــد تيقّنــتُ أنّــي لو بكيت دماً لم يرث لي فهــو فظُّ القلــب قاسيه

وله في ابنه أبي طاهر [من البسيط] :

لو كنــتُ أعلــم أنّــي والــدٌ ولداً يكون ، لا كان ، في عينــيَّ كالرَّمد
فلا أســرُّ علــى طول الحياة به جببــتُ نفســيَ كي أبقــى بلا ولد[٣]
كم قد تمنّيت لو أنَّ المنــى نفعتْ ولا مردٍّ لحــكم الواحــد الصَمد
وقلــت لو أنّ قولــي كان ينفعني يا ليت أنِّــيَ لم أولــدْ ولــم ألِدِ

وله في النارنج [من البسيط] :

أمــا ترى شجــر النارنــج طالعةً نجومهــا في غصــونٍ لدنــةٍ ميل[٤]
كأنّهــا بين أوراقٍ تحفُّ بها زهـرُ المصــابيح في خضـرِ القناديل

---

(١) عقني : من العقوق بالوالدين وعدم الاهتمام بهم .
(٢) الشكير : الزّغب في الطائر .
(٣) جبّ : غلبت وقطعت .
(٤) لدنة : طريّة .

وله في البراغيث [من المتقارب] :

وحُمش القوائم حُدب الظهور طرقن فراشي على غِرَّةِ[1]
فنقّطنني بخراطيمهنْ كنقط المصاحف بالحمرةِ

وله في عارض [من المجتث] :

وعارضٍ دنس العر ض ناقصٍ في الصّناعه
كلبٍ بل الكلبُ في لو مه يعاف طباعه
- قد رامني بالدواهي فقصَّر الله باعه

وله [من المجتث] :

إذا الزمان رماني منه بخطبٍ جسيمِ
صبرت صبر كريمٍ على جفاء لئيمِ

وله [من مجزوء الرمل] :

من عذيري من بديع الـ ـحسن ذي قدٍّ رشيقِ
أنبتت في فمه اللؤ لؤ أرضٌ من عقيقِ

وله [من مجزوء الرمل] :

بأبي أنت لقد طبت لنا ضمّاً وشمًّا
ضاق فوك العذب والعين وشيءٌ لا يسمّى

وله من نتفة [من الوافر] :

أساء وقد أتاني مستتيباً أما هذا من العجب العجابِ

وله من أخرى [من الوافر] :

وما آسى على دهرٍ تولّى ولا جسمٍ مباحٍ للسقامِ

---

(١) الحمش : الدقاق ، والغرّة : الغفلة .

ولا ما فات من عمري ولكنْ أحنُّ إلى صلاةٍ من قيامِ

وله من أخرى [من مخلع البسيط] :

عشتُ من الدهر ما كفاني ومرّ ما مرًّ من زماني
وقد حنتني وقوّستني تسعٌ وتسعون واثنتان
وقد سئمتُ الحياة ممّا ألقى من الذلِّ والهوان
ومن أخٍ كنت أرتجيه لحادثِ الدّهر قد قلاني[1]
ومن غلامٍ إذا يُنادي تصامم النذل وهو داني[2]
مدمدمٍ لا أراه إلاّ مقطّبِ الوجه ما رآني[3]

فهذا ما أخرجته من ملح الدينوري فأما ابنه .

***

٤٠ - أبو منصور أحمد بن عبد الله

ففاضل كثير المحاسن ، وعهدي به عاما أول صادراً من أبيورد ، وكان على البريد بها ونازلا داره بسكة البلخية بنيسابور ، وأنا على موعد منه في إخراج ما يصلح لكتابي هذا من شعره وإنفاذه إلى إن شاء الله تعالى .

***

٤١ - أبو منصور أحمد بن محمد البغوي

أحد الصدور الأفراد الأمجاد بخراسان ، بلغ من الأدب والكتابة والثروة والمروءة أعلى مكان ، وتصرف في الأعمال الجلائل ، ثم ولي ديوان الرسائل ، وكان جمع كتابا مترجما بزاملة النتف يشتمل على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من

(١) قلاني : هجرني .
(٢) تصامم : أظهر الصمم ، وهو عدم السماع .
(٣) مدمدم : يتمتم بكلامٍ غير مفهوم .

محاسن الأخبار والأشعار ، ولطائف الآداب ونتائج الألباب ، ويقع في ثلاثين مجلدة بخطه ، وقسمها على أيام شهره ، فكان لا يخلو من إحدى قطاعها مجلسه وديوانه ، وساق حقه لا يكاد يفارقه في سفره وحضره ، ووقع إلى بضع مجلدات منها بعد انقضاء أيامه ، فتنزه الطرف في رياضها ، واستمتعت النفس بثمارها ، ولم يبلغني عنه شعر إلا ما أنشدنيه السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني البغوي لنفسه [من الطويل] :

تراءتْ لنا من خدرها بسوالفٍ كما لاح بدرٌ من خلال سحابِ
ووجنتها من تحت فاحِمِ صدغها كما روَّحت بازٌ بريش عقابِ

وصدر البيت الثاني مما أنسانيه الشيطان أن أذكره ، فغرمته من عندي .

***

٤٢ - أبو [علي] محمد بن عيسى الدامغاني

تثنى به الخناصر ، وتضرب به الأمثال ، في حسن الخط والبلاغة وأدب الكتابة والوزارة ، وكان في حداثته يكتب لأبي منصور محمد بن عبد الرزاق ثم تمكن بالحضرة خمسين سنة يتصرف ولا يتعطل حتى قيل فيه [من الوافر] :

وقالوا العزل للعمَّال حيضٌ لحاه الله من حيضٍ بغيضِ
فإن يكُ هكذا فأبو عليٍّ من اللائي يئسن من المحيضِ

وولي ديوان الرسائل دفعات والوزارة مرات ، وكان يقول الشعر ولا يظهره ، ويحب الأدب ويكرم أهله .

وأنشدني أبو عبد الله بن السري الرامي هذين البيتين له ، ثم وجدتهما لغيره [من الكامل] :

يا أيُّها القمرُ المنيرُ الزاهرُ الأبلج البدرُ العليُّ الباهر

أبلــغ شبيهتــك الســلامَ وهنِّها　　بالنــوم واشهــدْ لي بأنّــي ساهر

وأنشدني السيد الشريف أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني أبو علي محمد ابن عيسى، ولم يسم قائلا [من السريع] :

تــذكّر إذ أرسلتــه بيدقاً　　فيك فوافانــي فرزانا ؟

ثم أخبرني بعض كتابه أن هذا البيت له .

وأنشدني له أيضا [من المنسرح] :

وكاتــبٍ كتبــه تذكّرنــي الـــــقــرآن حتــى أظــلُّ في عَجَبِ
فاللفــظ قالــوا قلوبُنــا غُلْفٌ　　والخــطُّ تبــت يدا أبــي لهب[1]

ولم يذكر أن أحدا من الصدور يسع دعاؤه وتربيته وكنيته واسمه واسم أبيه وبلده بيتاً واحدا من الشعر سواه ، فإن أبا القاسم الأليماني أنشدني لنفسه قصيدة فيه ، ومنها هذا البيت [من الوافر] :

إلــى الشيخ الجليل أبــي عليٍّ　　محمــدِ بن عيســى الدامغاني

***

٤٣ ـ أبو علي الزوزني الكاتب

أخبرني الثقة أنه وقع إلى الحضرة ببخارى في ريعان شبابه ، وله أدب بارع وخط تأخذه العين ويستولي عليه الحسن ، فما زال يتصرف في ديوان الرسائل ويغرس الدر في أرض القراطيس ، وينشر عليه أجنحة الطواويس ، إلى أن ثقلت عليه الحركة ، وأخذت منه السن العالية ، وكان قصير القد طويل الفضل ، وفيه يقول اللحام وما كان يهجو إلا الكبار [من مجزوء الرمل] :

---

(١) غلفٌ : أي لا نفقه القول فهي كالمغلّفة التي لا يدخلها شيء . تبّت : هلكت وانقطعت .

وقصيرٍ من قرى زو زن في قامة شبر
يدّعي الكتّاب إلا أنه في فهم عير[1]
ولقد فكّرت فيه وكذا فكّر غيري
كيف يستدخل أيراً وهو في قامة أير

واقتدى باللحام غير واحد من الشعراء فهجوه بالقصر ، ووصفوا قامته بالصغر حتى قال المعروف بالمضرب البوشنجي [من الكامل] :

للزوزنيّ أبي عليٍّ قامةٌ قامت بسوق هجائه المتراكمِ
هي عمدة الشعراء يعتمدونها بقواضبٍ من شعرهم وصوارم
والبعض شبّهها بأيرٍ قائمٍ والبعض شبهها بجعس جاثم[2]
ياليتها طالت فقصّر طولها عنه طوال معايبٍ وشتائم

وكان أبو علي ـ مع حسن خطه ـ حسن الشعر ، كثير التنكيت ، وهو القائل في أبي جعفر العتبي [من الرمل] :

يا قليل الخير موفور الصّلف والذي قد حاز في التيه السرّفْ[3]
كن بخيلاً وتواضع تحتمل أو سخيّاً يحتمل منك الصّلف

ووجدت بخط الرئيس أبي محمد الميكالي لأبي علي في ابنه [من الكامل] :

يا من تمنّى أن يموت أبوهُ ستذوقُ موتك قبل ما ترجوهُ
إنّ المريد ردى أبيه قبلَهُ يُردى ويُسعد بالحياة أبوه

وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له [من السريع] :

الحمد لله وشكراً له على المعافاة من الأبنه

---

(١) ورد في الأصل : « يدّعي الكتابة إلاّ » ، ولا يستقيم الوزن بذلك .
(٢) الجعس : القصير الدّميم .
(٣) الصلف : الغرور والحمق ، والسرّف : الإفراط .

فليس فيمـا المـرء يبلـى به   أعظـم منهـا في الـورى محنه

وأنشدني حاضر بن محمد له في علوي [من البسيط]:

مَنْ كان خالـق هذا الخلـق مادحه   فإنّ ذلك شيءٌ منـه مفروغُ
فإن أطـلْ أو أقصـرْ في مدائحه   فليس بعـد بلاغ الله تبليغُ

وله أيضاً [من الخفيف]:

إنَّ أذنـي تمـلُّ طولَ كلامه   وفـؤادي يمـلُّ طول مقامِهْ
إنَّ أمـري وأمـره لعجيبٌ   متٌّ من بغضـه وحـبٍّ غلامه

***

٤٤ - أبو عبد الله الشبلي

من حسنات بوشنج وأفرادها ، وكان يكتب ببخارى للألفتكين الخازن ، ويعنون كتبه بمحمد بن أحمد الشبلي ، فلما قلد الوزارة لصاحبه وارتفع مقداره أسقط الشبلي مـن كتبه واقتصر على اسمه واسم أبيه ، وقال فيه بعـض الشعراء [من البسيط] :

محمـد أسقـط الشبلـي من كتبِهْ   ترفُّعـاً باسمـه عن ذكر منتسبِهْ
كأنَّـي بقفـاه وهـو مرتجعٌ   تصـحيف ما قد نفـاه الآن عن كتبه

وتنقلت بالشبلي أحوال بعد هلاك صاحبه ، فبدرت منه أمور أدت إلى نفي صاحب الجيش أبي الحسن بن سمحور إياه إلى النون من بلاد قهستان فلما طال مقامه بها قال [من المتقارب]:

تعلمـت بالنـون أكل الأقط   وغـزل العهـون ونسـج البسط[1]

(١) الإقطّ : الجبن ، والعهن : القطن .

وما كنتُ فيما مضى هكذا ولكنْ من الدهر جاء الغلط

وإنما احتذى فيه قول بابك [من المتقارب]:

تعلَّمت في السجن نسج التِّكك وقد كنت من قبل حبسي ملكْ
وقد صرتُ من بعده عدّةً وما ذاك إلاّ بدور الفلكْ

* * *

٤٥ ـ أبو علي المسبخي

هو الذي يقول فيه الحكام [من الرجز]:

لم أر في الحكام كالمسبخي يطمع في الجلد الذي لم يسلخِ

وكان باقعة في الحكام ، وفي العلوم من الأعلام، وفي نفسه كما قال بعض العصريين من أهل نيسابور في غيره [من الخفيف]:

يا طبيباً منجِّماً وفقيهاً شاعراً شعره غذاءُ الروحِ
أنت طوراً كمثل جامع سفيا ن وطوراً تحكي سفينة نوح

وتولى المظالم ببلخ مرة فكتب إليه أبو يحيى العمادي يداعبه ويطايبه ويستهديه من ثمرات بلخ ، فأهدى إليه عدل صابون ، وكتب إليه كتاباً قال في فصل منه «وقد بعثت الى الشيخ أيده الله تعالى عدل صابون ليغسل به طمعه عني ، والسلام».

وتولى مرة قضاء سجستان فمن قوله فيها [من المتقارب]:

حلولي سجستان إحدى النوب وكوني بها من عجيب العجب
وما بسجستان من طائلٍ سوى حسن نرجسها والرُّطب

وهو القائل فيها [من الخفيف]:

يا سجستان قد بلوناك دهراً في حراميك من كلا طرفيكِ

أنــت لولا الأمير فينــا لقلنا لعــن الله من يصير إليكِ

وله [من السريع]:

وعدتنــي وعــداً وقرَّبتَهُ تقــريبَ حرٍ ليس بالمستزادِ
حتــى إذا ما رمت تحصيله كان بعيداً مثــل يوم المعادِ

وله [من الطويل]:

هل الدهــر إلا ساعــةٌ تنقضي بمـا كان فيهـا من عنـاءٍ ومـن خفضِ
فهونــك لا تحمــل مســاءة عارضٍ ولا فرحــةً سرَّتْ فكلتاهمــا تمضي

وعندي له أبيات قد خفي علي مكانها وفيما كتبته من شعره كفاية .

***

٤٦ - أبو الحسن أحمد بن المؤمل

كاتب أبي الحسن ، فائق الخاصة من كبار الكتـاب بخراسـان، وأكثرهـم محاسن وفضائل ، وله شعر كثير يجمع الجزالة والحلاوة ، فمن ملحه ما أنشدنيه وقوافيه متشابهة في طريقة أبي الفتح البستي [من البسيط]:

طرا علـيَّ رســولٌ في الــكرى طاري من الــطيور وأعطانــي بمنقار[١]
كتــابَ حبٍّ بعيد الــدار أملــح من يمشي على الأرض من بادٍ ومن قاري
تركتنــي في بلادٍ لا أراك بها كأنَّ قلبــك من صخــرٍ ومــن قار[٢]

وأنشدني أيضاً لنفسه [من الخفيف]:

إن أسيافنــا العضــاب الدوامي تركت ملكنــا قرين الدوام[٣]

(١) طرا : أصله طرأ وطاري إسم فاعل منه سهلت الهمزة لضرورة الشعر .
(٢) القار : القطران .
(٣) العضاب : القاطعة ، والقرين: الصاحب والمثيل .

لم نزل نحـن في سداد ثغورٍ وآصطلام الأبطال في وسط لام
واقتحام الأهوال من وقت حامٍ واقتسام الأموال من وقت سام

وله من قصيدة في أبي نصر بن زيد أولها [من الطويل]:

تولى ونار الشوق في القلب واقِدَهْ ونار نشاطي مذ تباعد هامِدَهْ
نهاري بلا أنسٍ وليلي كأنَّني إلى الصباح ملقى تحت ساعد ساعده

ومنها :

تراعى طوال الليل عيني فراقده وعين الذي لا تفقد الألف راقده
أأيامنا هل أنت عائدةٌ لنا كما كنت أم هل في بكائك عائده ؟

ومنها :

أبا نصرٍ القرم الذي عقمت بمن يشاكله في مجده كلٌّ والده[1]
هو القمر الفرد الذي لروائه تظل نجوم الأفق لاشك ساجده[2]

ومنها :

له قلمٌ سوق القضاء إذا جرت به يده في النَّهي والأمر كاسده
ويملي فيصغي الكاتبان تطرُّباً إلى مبدعاتٍ هنَّ والسحر واحده
ولولا خلالٌ يحظر الدين ذكرها لقلت الذي يملي قرانٌ على حده

وله وقد نقل معناه من بيتين للروزكي، وهما [من السريع]:

تصوَّرِ الدنيا بعين الحجى لا بالتي أنت بها تنظُرُ
الدهر بحرٌ فاتخذ زورقاً من عمَل الخير به تعبر

وله وقد نقل معناه من بيتين للمعروفي ، وهما [من الطويل]:

إذا لم تكن لي من لدنك مبرَّةٌ وزال رجائي عن نوالك في نفسي

(١) عقمت : يقال امرأة عقيم أي لا تنجب، ويشاكله : يشابهه .
(٢) الرواء : حسن المنظر .

فأنــت إذاً مثلــي انيسٌ مصوِّرٌ فلم أعبد الشـيءَ المصـوَّرَ من جنسي

وله من قصيدة [من البسيط]:

سقياً لدهـرِ مضـى إذ نحــن في شغل بالعزف والقصف عن شغل السلاطينِ
إذ يومنــا يوم عيدٍ طول مدَّتنا ولينــا كلُّــه ليلُ الشعانينِ
وفتيةٍ كنجــوم اللّيل طالعةٍ شُمِّ العــرانين من شمِّ العرانين[1]
غدوا صحاحاً إلى الحانـات وانصرفوا إلــى المنــازل في عقــل المجانين
عادوا أراجيح من حاناتهــم أُصُلاً وقـد غدوا نحوهــا مثــل الموازين[2]

وله [من الطويل]:

وقائلــةٍ لي ما بالك الدهــر طافحاً وأنــت مســنٌّ لا يليق بك السكرُ
فقلـت لهــا أفــكّرت في الخمــر مرَّةً فأسكرنــي ذاك التوهُّــم والفكرُ

وله في معناه [من السريع]:

وسائــلٍ عن مقتضــى سكري ومــا درى لم هكذا صرتُ
قلــت له استنشقتُ من منتشٍ رائحــة الخمــر فأسكرتُ

وانشدني أبو بكر الخوارزمي قول الآملي من قصيدة يذكر فيها حنينه إلـى أحمد بن حجر [من الطويل]:

وحِجـرٍ علـى عينَيّ أن يطعمـا الكرى إلى أن يرى حجراً يناغي على حجر[3]

فقال : الآن علمت أنه إنما سمى ابنه حجراً ليطرد هذا البيت . وقال [من الطويل]:

---

(١) الشمّ : من الشمم وهو الإباء والعلاء ، والعرانين : الأنوف .

(٢) الأراجيح : متمايلين من الخمر ، والأصل : جمع أصيل وهو المساء ، والموازين : يعني بها أعتدالهم قبل احتسائهم الخمر .

(٣) حجر في أول البيت بكسر الحاء وسكون الجيم ، وهو وصف معناه ممنوع ، والثانية إسم علم والثالثة حجر الإنسان بكسر فسكون أيضاً .

نأى مذ نأيتـم نوم عينـي فلـم يعدْ | وغبتـم فغابـت سرتـي ومسرتي
كفـى بي اعتبـاراً أنّنـي مذ عبرتُمُ | كيعقوب ما ترقا من الشـوق عبرتي[1]

* * *

٤٧ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي

من الأعيان في علم اللغة والنحو ، وورد بخارى فأجل وبجل . ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها وأخذوا عنه ، وولي التصفح في ديوان الرسائل فلم يزل يليه إلى أن استأثر الله به ، وله شعر لم يقع إلي منه إلا أنشدنيه حاضر بن محمد الطوسي من قصيدة له في بعض رؤساء الحضرة يستهدي منه جبة خز أبيض غير لبيس وهو هذا [من الكامل]:

وأعـنْ علـى برد الشتـاء بجبَّةٍ | تذر الشتـاء مقيَّداً مسجونا
سوسيةٍ بيضـاء يتـرك لونها | ألـوان حسّـادي شواحـب جونا[2]
عذراء لم تُلبس فكفُّـك في العلا | تؤتـي عذاراهـا وتأبـى العونا
تسبـي بهجتهـا عيونـاً لم تزلْ | تسبـي قلوبـاً في الهـوى وعيونا
مثـل القلـوب من العـداة حرارةً | مثـل الخـدود من الكواعـب لينا

* * *

٤٨ ـ أبو جعفر الرامي محمد بن موسى بن عمران

من أفراد الأدباء والشعراء بخراسان عامة ، وحسنات نيسابور خاصة . إذ هو من الرام أحد رساتيق نيسابور ، وكان مع سبقه في ميادين الفضل راجحاً في موازين العقل ، وترقت حاله من التأديب بنيسابور إلى التصفح في ديوان الرسائل ببخارى بعد أبي إسحاق الفارسي ، وهبت ريحه وبعد وصيته ، وله شعر كعدد الشعر غلب

---

(١) ترقا : تنقطع وتفارق ، والعبرة : الدمعة .
(٢) الجون : الأسود وهو من الأضداد .

عليه التجنيس حتى كاد يذهب بهاؤه ، ويكدر ماؤه «وكل كثير عدو الطبيعة» فمن ملحه التي تستملح من وجه ولا تستجاد من آخر قوله هذه الأبيات [من الطويل] :

مضى رمضانُ مرمضَ الذنب فقده وأقبل شوَّالُ تشول به قهرا[1]
فيا لك شهراً أشهر الله قدره لقد شُهرت فيه سيوف العدا شهرا

ومن تجنيسه المستجاد المرتضى قوله من مقصورة في وصف السيف [من الرجز] :

مهندٌ كأنَّما صقيلُه أشربه بالهند ماء الهندبا
يختطف الأرواح في الروع كما تُختطف الأبصار حين ينتضى[2]

وقوله في جارية له توفيت [من مجزوء الكامل] :

لي في المقابر درّةٌ أمسى التراب لها صدفْ
لما غدت هدف البلا أصبحت للبلوى هدفْ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

ومَنْ منصفي من ريب دهري فإنّني صريحٌ بآدابي يد الدّهر للدّهرِ
أسير أسيراً للحوادث مقصداً بدهياء مقصوداً بفاقرة الفقر
فإن تكن الأيام أزرت بهمتي فلا ضير إنّي قد شددت لها أزري[3]
أويت إلى كهف المكارم والعلا لأغلي به قدري وأعلي به قدري
أعادت سجاياه اللجين بجوده نضاراً وقد أهدت نثاراً إلى التبر
لقد صيغ من بيض السبائك طبعه فحالُ سبيك الصفر صيغَ من الصفر

(١) مرمض الذنب : من الرمضاء ، وهو شدّة الحرارة ، وتشول : ترفع. والقهر : الغلبة .
(٢) ينتضي : يسحب من غمده .
(٣) أزرت : استهانت .

وله من تشبيب قصيدة [من الكامل]:

مزَجَـتْ سوابـق عبـرةٍ بعبير ... وسـرَتْ عزائـم صبوتـي لمسيري
وتبسَّمـتْ بين البـكاء فخلتها ... برقـاً تألَّـق من خلال صبير[1]
فكأنّمـا هي روضـةٌ ممطورةٌ ... ترنـو إلـيَّ بنـرجس ممطور

ومن أخرى [من الكامل]:

لشـؤونِ عينـي في البـكاء شؤون ... وجفـون عينـي للبـلاء جفونُ[2]
وخـلالَ أثوابـي خلالُ مذهّبٍ ... أضنـاه همٌّ في الحشـى مدفونُ
أبـديتُ مكنـون الهـوى لمـا بدا ... للعين ذاك اللؤلـؤ المكنونُ[3]
وأزارنـي جون العقـارب بغتةً ... وردان فوقهمـا عقـارب جونُ
والقلـب مقـرونٌ بكلّ بليَّةٍ ... مذ لاح ذاك الحاجـبُ المقرونُ

وله من أخرى [من الكامل]

لـزم السخـاء فلا يقـالُ ضنينُ ... ونحـا الوفـاء فلا يقـال ظنينُ
مـا البـائس المسـكين غير تلاده ... إذ يعتفيه البـائس المسكين[4]

وله من أخرى [من المنسرح]:

السحـر من مقلتيك ينتثرُ ... والخمـر من وجنتيك يُعتصرُ
يا شادنـاً سِحْـر الجمـال له ... فكلُّ أفكارنـا له سُخَرُ
الـريق والطـرف منـك ياسكني ... ضدّان ذا سكرٌ وذا سُكَرُ
خصّرنـي خصـرك الهضيم ولا ... دواء إلا رضابـك الخصِر[5]

---

(1) الصبير : الغمام الأبيض .
(2) شؤون العين : مجاري الدمع .
(3) المكنون : المستور ، المحاط .
(4) التلاد : المال القديم الموروث ، يعتفيه من العفاء : وهو الهلاك والزوال .
(5) الرضاب الخصر : الريق البارد .

الله فينا فإنّ رحمته حِجْرٌ على من فؤاده حجر(1)
صورك الله فتنةً فغدت صوراً إليك العيون والصُّوَرُ
غادرت في جفن ناظري غُدُراً يمدُّها الغدر منك يا غِدِرُ(2)
يسومني الصبر عاذلي سفهاً والصبر عن مثل وجهك الصبر
هان على الأملس المسيب ما يلقاه من ثقل حمله الدبر(3)

وله من أخرى [من الخفيف]:

لي حبيبٌ بالشطِّ شطَّت دياره وغدا للأسود زاراً مزارُهْ
كان جاري فجار عنِّي ، لا ، بل جار بغياً عليَّ واللَّهِ جارُهْ
فرَّ منِّي تدلُّلاً ثمّت افترَّ ، بنفسي فراره وافتراره !
رشأ أرسل الرشاء من المسك على عارضٍ يروق احمراره(4)
عاذلي اعذرا فإنّ عِذاري عانق الشيب حين طرَّ عذاره(5)
لم يعانق ظلاميَ الصبح إلاّ بعد أن عانق الظلام نهاره

وله من نتفة [من الخفيف] :

أيها السيد الجليل الذي أصبح في المجد والمكارم فردا
استمع من قريض عبدك بيتاً سار في الخافقين غوراً ونجدا
ليس غير الكريم من ينجز الوعد ولكن من يجعل الوعد نقدا

* * *

---

(1) حجرٌ : منعٌ .
(2) الغُدُر : من الغدير وهو الماء المتجمّع في منخفضٍ من الأرض .
(3) أخذه من مثل لهم وهو « هان على الأملس ما لاقى الدبر » .
(4) الرشأ : الغزال ، والرشاء : الحبل وهنا ربمّا يعني به الشال ، والعارض : صفحة الخدّ .
(5) طرّ عذاره : طرّ : نبت ، وأضاء ، والعذار : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

٤٩ ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجرجاني

المقلب طر مطراق

كاتب شاعر ، ظريف فاضل ، من أعيان العمال ببخارى ، وقد تقدم ذكره عند ذكر الهزيمي .

أنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه [من السريع] :

نصيبنا من طول آمالنا ... تعسُّفٌ في خدمةٍ دائبهْ
وحاصل الذلِّ بلا طائلٍ ... والشأن في منتظر العاقبه

ومما يستظرف ويستلمح من شعره قوله في فتى من أبناء الموالي ببخارى وكان متهالكاً في هواه [من الرمل] :

أنا والصبر فقدْ بشرني ... نائب المسك بصفحات العقيقِ
سنةٌ أخرى وقد أخرجني ... شعر خديك من العِقد الوثيق

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب له من قصيدة في وصف الجركاه [من البسيط] :

كأنَّه سحبٌ من فضةٍ ضُرِبَتْ ... وزيِّنت بدنانيرٍ مفاصِلُهُ
إنْ قرَّ ليلٌ كفى النيران ساكبه ... أو جاد غيثٌ بغشاه هاطِلُهُ
لا تحذر الهدمَ فيه حين تنزله ... إذا توالت على بيتِ زلازله

* * *

٥٠ ـ أبو محمد عدي بن محمد الجرجاني

من ذوي الفضل ، الطالبين للفضل ببخارى ، والمتصرفين على عمل البريد منها ، وله شعر حسن مشهور ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

متى أُشرِبَتْ ماء الحياة وجوهنا ... تنقَّلَ عنها ماؤها وحياؤها

إذا كانت الصهباء شمساً فإنّما يكون أحاديث الرجال هباؤها

* * *

٥١ ـ عبد الرحيم بن محمد الزهري

أديب شاعر ، يقول لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عزيز قبل وزارته [من مجزوء الكامل] :

اليمنُ انشقني نسيمُهْ وأزاح عن قلبي همومَهْ
بمكانة الشيخ الرئيس وعزّ رتبته العظيمَهْ
فلأغنينّ بفضله عن ذكر خدمتي القديمه

ويقول في مرثية ابن العتبي [من السريع] :

مرَّ على قبرك أعوانكا فكلُّهم هالهم شانكا
ولم يزيدوك على قولهم عزَّ على العلياء فقدانكا

***

٥٢ ـ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري

كاتب شاعر ، أدركته حرفة الأدب فأزعجته عن وطنه ورمت به إلى بخارى ، فلم يجد للغربة شافع أدبه وفضله ، ووجد متصرفا فتماسكت حاله ، ولما انقضت الدولة السامانية عاود وطنه ثم فارقه وورد به على أبي الفتح البستي فأقام عليه مدة ثم قصد الفاريات واستوطنها ، ومن ملحه قوله وهو منقول من بيتين بالفارسية للأعاجم [من البسيط] :

إن شئت تعلم في الآداب منزلتي وأنني قد عداني العزُّ والنعمُ
فالطّرف والسيف والأوهاق تشهد لي والعود والنرد والشطرنج والقلمُ[1]

(١) الطّرف : الكريم من الرجال ، والأوهاق : جمع وهق : حبل في أحد طرفيه عقدة يطرح في عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ ، وهنا يقصد أنّه كان يمسك بزمام الأشياء ويسيرّها كيف يشاء .

وله وقد دعاه إخوان له إلى بعض المنتزهات ببخارى فخرج فلم يهتد إليهم [من الوافر] :

ظننتـــم في التجشُّـــم بي جميلاً ... وأرجـــو أن أكون كمــا ظننتم
ومـــا أعصيكُمُ أمـــراً ونهياً ... ولـــكنْ لســـتُ أدري أين أنتم

وله من قصيدة [من الطويل] :

نهـاري ولـــم أبصِـرْ محيَّاه مظلمٌ ... وليلـــي إذا أبصرتـــه غير مظلمِ
أتظلمنـــي الأيام وهـــي خبيرةٌ ... بأنَّ إليه ـ إن ظلمـــت ـ تظلُّمي

ومن أخرى [من البسيط] :

ببـــاب غيرك للأخيار أخبيةٌ ... ومـــا ببابـــك إلا الفقـــر والبوسُ
أيخدمونـــك لا والله عن مِقَةٍ ... وما لهـــم منـــك مطعـــومٌ وملبوسُ[١]

وله من نتفة [من الطويل] :

جميلٌ مَحيَّاهُ ، وكالـــدعص رِدفُهُ ... حميد سجاياه ، وليس له خصمُ[٢]

وله من قصيدة في ابنه [من الوافر] :

نصحتـــك في التأدُّبِ ألفُ مرَّه ... فلـــم ينفعْـــكَ نصحـــي فيه ذرَّهْ
أؤمـــلُ أن تكون لكلِّ بابِ ... من الآداب للأدبـــاء غُرَّهْ
فلمـــا خنـــت فيك رجـــوت أنْ لا ... تخـــلَّ بكلِّهـــا فتـــكون عرَّهْ[٣]
ولســـت أقـــول أنـــت فتـــىً غبيٌّ ... ولـــكن فيك إعجـــاب وشِرَّهْ
ولا أنّـــي علمـــت الســـرَّ لكنْ ... أدلائـــي علـــى الســـرِّ الأسرَّهْ

---

(١) المقة : المحبّة .
(٢) الدّعص : الكثيب من الرمال ، والردف : إلية المؤخّرة ، والسجايا : الصفات .
(٣) العرّة : العيب ، والخلّة القبيحة .

وكم من مضمرٍ أمراً خفياً تعرفني الأسرةُ فيه سرّهْ
إذا ما لم تطعْ من أنت منه فلا تأمل تحفّيه وبرَّهْ[1]
ولا تغفلْ بحلوِ هواك وعظي فإنّ مغبَّةَ الإغفال مرهْ

وكتب إلى أبي الحسن أحمد بن منصور [من الكامل] :

ما لي وكنتُ مقرّباً أقصيتُ وذُكرت فيما قبلُ ثم نسيتُ
وحُجبتُ بعد الإذن ، كنت مشرفاً بجماله في أيٍّ وقتٍ شيت
وحرمتْ حظي من تحفّيك الذي قد كنت مسعوداً به فشقيتُ
ألزلةٍ فأتوبُ أم لملالةٍ فألوم إذ شمل الملوك شتيتُ
إن كنت ترضى بالقطيعة شيمةً فبطاعتي لك حيث كنتَ رضيتُ
إن لم أكُنْ في خدمتي ومودتي لك مخلصاً فمن الإله بريت

***

٥٣ ـ أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم

صاحب كتاب أشعار الندماء ، وكتاب الإنتصار للمتنبي ، وغيرهما ، وله ديوان شعر كبير ، ورأيته ببخارى شيخا رثِ الهيئة تلوح عليه سيماء الحرقة ، وكان يتطبب ويتنجم ، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر ، ومما أنشدني لنفسه [من البسيط :

وفتيةٍ أدباءٍ ما علمتهمْ شبّهتهم بنجوم اللّيل إذ نجموا[2]
فروا إلى الراح مِن خطبٍ يلمُّ بهِمْ فما درت نُوَبُ الأيام أين همُ

ومما أنشدني أيضاً لنفسه [من الطويل] :

تلوم على ترك الصلاة خليلتي فقلت آغربي عن ناظري أنت طالقُ

(١) تحفّيه : من الحفو : وهو العطاء والإكرام .
(٢) نجموا : طلعوا .

فوالله لا صلَّيتُ لله مفلساً يصلـي له الشيخ الجليل وفائقُ
وتـاش وبكتـاشٍ وكنبـاشَ بعده ونصـر بن ملكٍ والشيوخ البطارقُ
وصاحـب جيشِ المشـرقين الـذي له سراديبُ مالٍ حشوهـا متضايق
ولا عجـب إن كان نوحٌ مصلِّياً لأنّ له قسـراً تدين المشارقُ
لمـاذا أصلـي ؟ أين باعـي ومنزلي وأين خيولـي والحلـى والمناطقُ ؟
وأين عبيدي كالبـدور وجوههم وأين جواريٌّ الحسـان العواتقُ ؟
أصلّـي ولا فِتـرٌ من الأرض يحتوي عليه يمينـي ؟ إنَّنـي لمنافقُ[1]
تركت صلاتـي للـذين ذكرتُهُمْ فمن عاب فعلي فهـو أحمـق مائقُ[2]
بلـى ، إن علـيٌّ اللهُ وسَّـع لم أزل أصلّـي له ما لاح في الجـوِّ بارقُ
فإن صلاة السـيِّءِ الحـالِ كلّها مخـارق ليسـت تحتهـن حقائقُ[3]

وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له في فتـى صبيح من أولاد الرؤساء خلع عليه دراعة وقد كان لبسها [من المجتث] :

أتـت علـى ماء ظهري درّاعـةٌ أهـديت لي
إذا علتنـي تذكّر ت من عَلَتْـهُ فأدلي

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الرمل] :

وصـديقٍ جاءنـي يسـألنـي ماذا لديكْ
قلـت : عنـدي بحـر خمرٍ حولـه آجـامُ نيك[4]

ومن ملح الإفريقي في غلام تركي [من السريع] :

قلبـي أسيرٌ في يديّ مقلةٍ تركيةٍ ضاق لهـا صدري

(١) الفِتر : ما بين طرف الإبهام وطرف السبّابة إذا فتحتهما جمعه أفتار .
(٢) المائق : الغبي مع الحمق .
(٣) المخارق : من الخرق : وهو الجهل ، أو الذي لا يحسن القيام بالعمل .
(٤) الآجام : الحُصُن .

كأنّهـا من ضيقهـا عروةٌ ليس لهـا زرٌّ سوى السحرِ

وقوله في معناه [من المنسرح] :

قد أكثـر النـاس في الصفـات وقد قالـوا جميعـاً في الأعين النجل[1]
وعين مولاي مثـل موعده ضيِّقـةٌ عن مراود الكحل

***

٥٤ ـ أبو الحسين أحمد بن محمد بن ثابت البغدادي

أحد الفضلاء الطارئين على تلك الحضرة والمقيمين بها ، وله شعـر كثير النكت ، كقوله وأنشدنيه له أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان [من الخفيف] :

قـال لي من يسـرُّهُ أن يراني ناحـلَ الجسـم لا أطيقُ حِراكا
قـم أضحى يسِرُّ وجـداً ويذري دمعـة العين منـه سحّـاً دراكا[2]
أين من كان واصلاً لك في الصّحة حتـى إذا اعتللـت جفاكا
كلُّ من لم يعِدْكَ في حالة السُّقـــم تمنّى لـك الـرّدى والهـلاكـا
حـذراً أن يراك يومـاً من الدهـــر صحيحـاً فيستحـي أن يراكا
قلـت لا تعجلنْ فإنّ رحـا الدهـــر بأنيابـه تزور عداكا
سـوف تبـرا ويمرضـون وتجفو هم فإن عاتبـوا فقـل ذا بذاكا
كلُّ من لم يعِـدْكَ في حالـة السُّقـم تمنَّـى لك الـرّدى والهلاكا

وله [من الخفيف] :

هـي حالان شدّةٌ ورخاءُ وسجـالان نعمـةٌ وبلاءُ
والفتـى الحـازم اللبيب إذا ما خانـه الدهـر لم يخنْـهُ العزاءُ

---

(١) النجل : الواسعة .
(٢) سحّاً : سحّ الماء أي هطل ، والوجد الحب الشديد ، ويسرّ : يخفي .

إن ألمَّـت مُلمّـةٌ بي فإنّي في الملمـات صخـرةٌ صمّاءُ
صابـرٌ في البـلاء طبٌّ بأن ليـس على أهلـه يدوم البلاءُ
فالتدانـي يتلـو التنائـي والإقـتـار يرجـي من بعـده الإثراءُ
وأخـو المـال مالـه منـه في دنـيـاه إلاّ مذمّـةٌ أو ثناءُ
وإذا ما الرجـاء أسقـط بين النـاس فالنـاس كلُّهـم أكفاء

***

٥٥ ـ أبو منصور البوشجني
الملقب بمضراب الشعر

استغرق أيامه ببخارى يشعر بلا رأس مال في الأدب ، وكثيرا ما يأتي بالملح ، وجل قوله في الوزراء ، فمن ذلك قوله [من السريع] :

أبـو علـيٍّ وأبـو جعفرٍ ويوسف الهـالك بالأمسِ
ثلاثـةٌ لم يكُ لي منهُمُ نفـعٌ بدينـارٍ ولا فلسِ
لـذاك لم أبـكِ علـى هالكٍ غُيِّبَ منهُـمْ في ثرى رمسِ[١]

وقوله [من مخلع البسيط] :

نحـن بأبـواكم حيارى وأنتُـمُ مثلُنـا حيارى
فبعضُنـا يسـتجير بعضاً وبعضُنـا عنـدكم أسارى
وكلُّنـا من شراب جهلٍ بوصف أحوالنـا سكارى
وأي عذرٍ لنـا فحولٌ تُعَـدُّ في جملـة العذارى

وقوله [من المتقارب] :

وكنّـا زمانـاً ندمُّ الزمان ونرثـي الـوزارة بالبلعمي

(١) الرمس : القبر .

فأخّرنـا العمـر حتـى انتهت ... من البلعمـي إلـى البرعشي
وسـوف تؤول علـى ما أراه ... من البرعشـيّ إلـى البرمكي

وقوله [من الطويل] :

وكنـا نذم الدهـر من غير خبرةٍ ... بيوسفـه والبلعمـيُّ وغيرِهِ
إلـى أن رمانـا بالغفـاريِّ بعدَهُمْ ... وعاندنـا في عبـده وعزيْرِهِ
ومـا قد رعانـا في ابـن عيسى وزوره ... وفـي ابـن أبـي زيد السـفيه وسيْرِهِ
ولـم نرض بالمقـدور فيهـم فأمنًّا ... بكلٍّ كسيرٍ في الـورى وعويرِهِ

وأنشدني أبو النصر العتبي في أبي الحسن العتبي [من الوافر] :

قلـوبُ النـاس والهـةٌ سقاما ... ونفس المجـد والهـةٌ سقيمه
ومـا فجعـت بك الـدنيا ولكنْ ... تركْتَ بفقـدكَ الـدنيا يتيمه

***

الباب الثالث

في ذكر المأموني والواثقي ، ومحاسن أخبارهما وأشعارهما

لما كان أبو طالب المأموني وأبو محمد الواثقي من جملة الطارئين على بخارى والمقيمين بها ، ومميزين عنهم بشرف المنصب ، وكرم المنتسب ، وفضل المكتسب ـ أفردت لهما باباً يتلو الباب المقصور عليهم ليجاوراهم ويقارباهم من جهة ، ويفارقاهم ويباعداهم من أخرى .

* * *

٥٦ ـ أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني

من أولاد المأمون أمير المؤمنين . كان أحد ـ بل أوحد ـ أفراد الزمان شرف نفس ونسب ، وبراعة فضل وأدب ، فياض الخاطر بشعر بديع الصنعة ، مليح الصيغة ، مفرغ في قلب الحسن والجودة ، ولما فارق وطنه بغداد لحاجة في نفسه وهو حدث لم يبقل وجهه ورد الري وامتدح الصاحب بقصائد فرائد ملكه العجب بها ، وأبهره التعجب منها ، فأكرم مورده ومثواه ، وأحسن قراه ، ووعده ومناه ، فدبت به عقارب الحسدة من ندماء الصاحب وشعرائه ، وطفقوا يركبون الصعب والذلول في رميه بالأباطيل ، ويتقولون عليه أقبح الأقاويل ، فطوراً ينسبونه إلى

الدعوة في بني العباس ، ومرة يصفونه بالغلو في النصب[1] واعتقاده تكفير الشيعة والمعتزلة ، وتارة ينحلونه هجاء في الصاحب يعرب عن فحش القدح ، ويحلفون على انتحاله ما أصدر من شعره في المدح ، حتى تكامل لهم إسقاط منزلته لديه ، وتكدر ماؤه عنده وعليه ، وفي ذلك يقول من قصيدة يستأذنه فيها للرحيل أولها [من البسيط] :

يا ربعُ كنتُ دمعاً فيك منسكباً ... قضيتُ نحبي ولم أقض الذي وجبا
لا ينكرنْ ربعك البالي بلى جسدي ... فقد شربت بكأس الحبِّ ما شُربا
ولو أفضتُ دموعي حسب واجبها ... أفضتُ من كلِّ عضوٍ مدمعاً سربا[2]
عهدي بعهدك للذّاتِ مرتبعاً ... فقد غدا لغوادي السحب منتحبا
فيا سقاك أخو جفن السحاب حياً ... يحبو ربا الأرض من نور الرياض حبا
ذو بارقٍ كسيوف الصاحب انتضيتْ ... ووابلٍ كعطاياه إذا وهبا

ومنها :

فكنتَ يوسف ، والأسباط ، وأبو الـ ... أسباط أنت ، ودعواهم دماً كذبا
وعصبةٍ بات فيها الغيظ متّقداً ... إذ شِدْتَ لي فوق أعناق العدى رتبا
قد ينبح الكلب ما لم يلق ليث شرىً ... حتى إذا ما رأى ليثاً قضى رهبا
أرى مآربكم في نظم قافيةٍ ... وما أرى لي في غير العلا أربا
عدّوا عن الشعر إن الشعر منقصةٌ ... لذي العلاء وهاتوا المجد والحسبا
فالشعر أقصر من أن يستطالَ به ... إن كان مبتدعاً أو كان مقتضبا

---

(١) النصب : بفتح فسكون : مقاله لقوم جعلوا ديدنهم النيل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومناصبته العداء .

(٢) سرباً : جارياً .

ومنها :

أسير عنك ولي في كلّ جارحةٍ فمٌ بشكرك يجري مِقولاً ذربا[1]
ومن يردُّ ضياء الشمس إن شرقتْ ومن يردّ طريق الغيث إن سكبا
إني لأهوى مقامي ذي ذراك كما تهوى يمينك في العافين أن تهبا
لكن لساني يهوى السير عنك لأنْ يطبق الأرض مدحاً فيك منتخبا
أظنّني بين أهلي والأنام همُ إذا ترحّلتُ عن مغناك مغتربا

ثم إنه فارق الري وقدم نيسابور ، فأشار عليه أبو بكر الخوارزمي بإنشاء قصيدة في الشيخ أبي منصور كثير بن أحمد يسأله فيها تقرير حاله عند صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور ، فعملها وأوصلها أبو بكر ووشعها من الكلام بما أوقعها موقعها ، أولها [من المتقارب] :

أبى طارق الطيف إلاّ غرورا فينوي خيالك أن لا يزورا
فما أكرَهُ الطيف في نفسه ولكنّني أكره الوصل زورا
إلى الله أشكو مُنىً في الحشى تضمّن جنباي منها سعيرا
تفارق بي كلَّ يوم خيلا وتفجع بي كلَّ يوم عشيرا
فإن تسألاني يا صاحبي نص السّرى تجداني خبيرا
ففي كل يوم تراني الركاب أفارق ربعاً وأحتلُّ كورا[2]
إذا سرت عن صاحبي قلت عد لعودي السنين وخلّ الشهورا
أراني ابن عشرين أو دونها وقد طبق الأرض شعري مسيرا
إذا قلت قافيةً لم تزلْ تجوب السهول وتطوي الوعورا
ولو كان يفخر ميتٌ بحي لكان أبو هاشمٍ بي فخورا
ولو كنت أخطب ما أستحق لما كنت أخطبُ إلاّ السريرا

---

(١) ذربا : لسان ذرب أي فصيح،والسيف الذرب : الحادّ القاطع .

(٢) الربع : المقام بين قومٍ من الأقوام،والكور : المحمل ، وهنا دليل على كثرة ارتحاله .

ولـو سرت صاحـت ملـوك البلا ... د بين يديَّ النفير النفيرا
ولكنَّنـي مُكْتفٍ باليسير ... إذا سهَّـل الله ذاك اليسيرا
إذا أكثـر النـاس شيم الغمام ... فلا شمـت في الأرض إلا كثيرا[1]
فتـىً ملئـت بردتـاهُ علاً ... ونبـلاً ومجـداً وفضـلاً وخيرا
إذا ضمّـه الدسـت ألفيته ... سحابـاً مطيرا وبـدراً منيرا
وإن أبرزتـه وغـىً خلته ... حسامـاً بتـوراً وليثـاً هصورا
فطَـوْراً مفيداً وطـوراً مبيداً ... وطـوراً مجيراً وطـوراً مبيراً[2]
ترى في ذراه لسـان المنى ... طويلاً وبـاع الليالـي قصيرا
تضـمُّ الأسـرة منـه ذكاً ... وتحمـل منـه المـذاكي ثبيرا[3]
إليك من الشعـر عذراء قد ... طوت طيَّـاً وأجـرت جريرا
إذا أنـا أنشدتهـا أفحـم الزمان ... وأسمـعَ قولـي الصـمّ الصخورا[4]
ولـو أن أفئـدة السامعيـ ... ن تسـطيع شقّـت إلـيَّ الصدورا
ولسـت أحـاول مهـراً لها ... سوى أن تُبلـغ أمـري الأميرا
فأنـت يدٌ ولسـانٌ لهُ ... إذا أحـدث الدهـر خطبـاً كبيرا
فلا زلتمـا للعلـلا معصمين ... تُدعـى الأميرُ ويُدعى الوزيرا

فلما وقف على صورة حاله أنهاها الى صاحب الجيش ، فاستدعاه وحين وصل إليه استقبله بخطوات مشاها إليه ، وبالغ في إعظامه ، وأبلغ في إكرامه ، ثم خيره بين المقام بنيسابـور وبين الانحـدار إلـى الحضـرة ببخـارى ، فاختـار الخروج ، فوصله وزوده من الكتب إلى وزير الوقت وغيره من الأركان ، ووكيله بالباب أبي جعفر الرّماني ، فأحسن موقعه وأثره ، وحصل معه وطره .

---

(١) شيم الغمام : النظر إليه .
(٢) مبيراً مهلكاً .
(٣) المذاكي : الخيل الفتيّة ، وثبير : جبل من الجبال ، وهذا دليل على قوته وعظمته .
(٤) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن .

ولما دخل بخارى لقي أبا الحسن عبد الله بن أحمد بقصيدته التي منها [من الطويل] :

وليلٍ كأنِّـي فيه إنسـانُ ناظـرٍ ... يقلِّـب في الآفـاق جفنيه دانيا
إذا ما أمالتنـي به نشـوةُ الكرى ... تمـايل في كفّـي المثقَّفُ صاحيا
وإن ما طمـي لجٌّ المنـى بين أضلعي ... تعسّفت لّجاً من دجى الليل طاميا[1]
فأمسى شجـاً في ظلمـة الليل والجاً ... وأضحى قذىً في مقلة الصبح غاديا[2]
حسامـي نديمي والـكواكب روضتي ... وبيت السّـرى ساقـي والسير راجيا
ولمـا رأى الشيخ الجليل إقامتي ... عليه وتطليقـي لديه المهاريا
دعانـي وأدنانـي وقـرب منزلي ... ورحّـب بي وانتاشنـي واصطفانيا[3]
همـامٌ يبـكّي المشـرفية ساخطاً ... ويضحـك أبـكار الأمانـي راضيا
ولـو أن بحـراً يستـطيع ترقياً ... إليه لأمَّ البحـر جدواه راجيا

وبقصائد غيرها ، فتقبله بكلتا اليدين ، وأعجب منه بفتى من أولاد الخلافة يملأ العين جمالاً والقلب كمالا ، وواصل صلاته ، وخلع عليه ، وألحقه في الرزق السلطاني بمن كان هناك من أولاد الخلفاء كابن المهدي وابن المستكفي وغيرهما .

ولما قام أبو الحسن المزني مقام العتبي زاد المأموني إكراماً وإجلالا وأفضل عليه إفضالاً بسبب مناسبة الآداب التي هي من أوكد الأسباب وأقرب الأنساب .

ولما كانت أيام ابن عزيز وأيام الدامغاني وأيام أبي نصر بن أبي زيد جعل كل منهم يربي على من تقدمه في الإحسان إليه ، وإدرار الرزق عليه ، وإخراج الخلع

(١) لجّ : ألج ، واللُّجّ : معظم الماء، وطما : ارتفع موجه وغمر ماؤه ما حوله .
(٢) الشّجا : ما اعترض في الحلق من عظم أو نحوه والقذى : ما وقع في العين من وسخٍ وغيره .
(٣) انتاش : طلب ، واصطفى : اختار .

السلطانية والحملانات بمراكب الذهب له ، حتى حسن حاله ، وتلاحق مالـه ، وظهرت مروءته .

فمن شعره في المزني قوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

أنـا بين أحشـاءِ الليالـي نارُ ... هي لي دخـانٌ والنجـومُ شرارَ
فمتـى جلا فجـرُ الفضـاءِ ظلامَها ... صَليت بيَ الأقطـارُ والأمصارُ[1]
بيَ تحلـمُ الـدنيا وبـالخير الذي ... ليَ منـه بين ضلوعهـا أسرارُ
فبـكلّ مملكةٍ علـيّ تلهفٌ ... وبـكلٍّ معـركةٍ إلـيّ أوارُ[2]
يا أهـلُ ما شطَّت برجلـيَ رحلةٌ ... إلا لتُسفـرَ عنّي الأسفارُ
ليَ في ضمير الدهـر سرٌّ كامنٌ ... لا بدَّ أن تستلّـه الأقدارُ
حقنـت يداه دَم المـكارم مذ غدا ... دمُ كلٍّ حرٍّ فاه وهـو جبار
طبعـت مَزينـة منـه عضبـاً ما له ... في غير هامـات الأسـود قرار[3]
أراؤُه بيضُ الظُّبـى وحديثُهُ ... روضُ الربـى ويمينـهُ تيَّار
ضمَّـت علـى الـدنيا بدائـعُ لفظه ... فكأنّهـا زنـدٌ وهـنَّ سِوار
وإذا العلـوم استبهمـت طرقاتها ... فذووه أعـلامٌ لهـا ومنار
عزماتهـم قضـبٌ وفيضُ أكفِّهم ... سحـبٌ وبيضُ وجوههـم أقمار
ختـم الرياسـة بالـوزارة فيهمُ ... أسـدٌ له السُّمـر الذوابـل زار[4]

ومنها :

يا من إذا طرأ القبائـل شاعرٌ ... صلَّـتْ علـى آبائِـهِ الأشعار
فارحـم بمنكبـك السمـاء أمـا ترى ... لسُواك في خطـط النجـوم جوار

(١) صليت : أوقدت وأصلى النار ، أوقدها .
(٢) الأوار : حرّ الشمس والنار ، واللهب والدخان .
(٣) العضب : السيف القاطع .
(٤) السمر الذوابل : الرماح الدقاق ، وزار : من زئير الأسد ، أي أنّ زئيره يكون رماحاً على الأعداء .

والأرض ملكك ، والـورى لك غلمةٌ والدهــر عبــدك ، والعــلا لك دار

ومن شعره في أبـي محمـد عبـد الله بن أحمـد بن عزيز قولـه من قصيدة [مـن الطويل] :

سيخلف جفنـي مخلفــات الغمائمِ على ما مضـى من عمــري المتقادمِ
بأرضٍ رواق العــزِّ فيهــا مطنّبٌ على هاشــمٍ فوق السّهـى والنعائم
يدين لمــن فيهــا بنـو الأرض كلّهم وتعنــو لهــم صيد الملــوك الأعاظم
ويهمـاء لا يخطـو بهـا الوهــم خطوةً تعسّفتهــا بالمرقــلات الرواسم[1]
وقد نشـرت أيدي الدجـى من سمائها رداء عروسٍ نُقطــت بالدراهم
فخلنــا نجومــاً في السمــاء أسنةً مذهّبــةً ما بين بيضٍ صوارم
أعــطُّ قميصــي قسطــلٌ ودجنةٌ بذات الشــكيّم أو بذات العزائم[2]
أيمّــم عبــد الله نجـل محمدٍ وزير بنــي سامــان تتميم حاتم
فمــن مبلــغٍ أهلــي بأنّــي واجدٌ طلا بيَ من بحــر النــدى والمكارم
وأنّــي من الشيخ الجليل وظلّهِ مطنّــب بيتٍ تحــت ظلٍّ الغمائم
وأنّ عيون الجــود طوع أناملي تدفّــق حولــي بالسيول السواجم[3]
لقــد علمــت أرض المشــارِق أنّها بيمنــك قد عادت بليث ضبارم[4]
وقــد أيقنــت أن ليس غيرك يُرتجى لقمــعِ الأعــادي أو لدفــع المظالم
فلاذتْ بلا وانٍ ولا متقاعسٍ ولا ناكلٍ عن نصــرةِ الــدّين جاثم
ولا تاركٍ رأياً تلّونا ولا قارعٌ عنــد النــدى سنَّ نادم
يعمّــم بالهنــديِّ حين يسلّه أسـود الوغـى بالضــرب فوق العمائم

---

(١) المرقلات : السريعة ، والرواسم : الجمال السائرة رسياً أي التي تترك أثرها على الرمال .
(٢) أعط : شقّ القسطل : الغبار ، الدجنّة : الظلمة ، والشكيم : الاباء وقوّة القلب .
(٣) السواجم : الغزيرة .
(٤) الضبارم : الشديد الخَلق من الأسود ، ومن الناس : المحارب الجريء .

ويسهم من أعماله في خيارها ... ويشرك من أمواله في الكرائم
فلا مُلْكَ إلاّ ما أقمتَ عروشَهُ ... ولا غيث إلا ما أفضتَ لشائم[1]
ولا تاج إلا ما توليت عقدَهُ ... على جبهة الملك المكنَّى بقاسم
أبدر العزيزيين رفقاً فطالما ... كفيتَ ببيض الرأي بيضَ الصوارم
فرأيك نجمٌ في دجى الخطب ثاقبٌ ... وعزمك عضبٌ في طلى كلّ ناجم[2]

ومنها :

وقد كان ملك الأرض قد زال نجمه ... فكنت له بالرأي أفضلَ ناظم
أخذت بضبع الدين حتى رفعته ... إلى حيث لا يسمو له وهمُ واهم[3]
وكان سرير الملك قبلك باكياً ... فأبدى لنا من خطةٍ ثغرَ باسم
محوت بما أثبته من ملاحمٍ ... أعدت بها الإسلام كتب الملاحم
فلا زلت للملك الذي قد أعدته ... حمىً واقياً من كلّ خطب وداهم

ومن قصيدة أخرى [من الوافر] :

سألت الله مبتهلاً مناكا ... فأضعف ما سألت وقال هاكا
وردَّ على يديك الملك لمّا ... غدا بالترك يُنتهك انتهاكا
فأنت لربّ هذا الملك سيفٌ ... إذا ما نابه خطبٌ نضاكا
وقد أبت الوزارة في بخارى ... سواك كما أبتْ إلاّ أباكا
وكان الصدر مذ أخليت منه ... يمجُّ رجاله حتى احتواكا
وما أخلاه منك الملك إلاّ ... ليبلي من عداك بما بلاكا[4]
فما أغنوا غناءك في فقيرٍ ... وهل يغني غناءك من عداكا

---

(١) أفضت : أنعمت ، وشائم : متطلّع .
(٢) العضب : السيف ، والطلى : الليل ، والناجم ما طلع من نجوم أو من نبات .
(٣) ضبع الدين : أي بيدبه ، والضبع ما بين الإبط إلى نصف العضد .
(٤) ليبلي : ليمتحن .

وكنت السيف أُغمِد يوم سلمٍ		فلما شبّتِ الحرب انتضاكا
وقد كانت على الأعداء أمضى		وأقضى من سيوفهم رقاكا
ولو نهضت رجال الأرض طرّاً		بما كلّفت ما أغنوا غناكا(١)
فعلت ببعض قولك كلّ فعلٍ		ونبت بعفو رأيك عن ظباكا
غذيت بدر ضرع العلم طفلاً		ففقت الخلق في المهد احتناكا
فلا شرب الطلا ألهاك يوماً		ولا بيض الطلا عمّا عناكا
وإن غمّ الممالك ليل خطبٍ		جلاه صبح رأيك أو سناكا
فأفسح من خطى الخطيّ قدماً		إذا أقدمت في حربٍ خطاكا
وأسمح من ملثّ القطر جوداً		إذا ما صاب صيّبُهُ نداكا(٢)
وما انفتحت بلا ، شفتاك يوماً		ولا انضمّتْ على نشبٍ يداكا(٣)
تأخّر عن مداك البحر لمّا		جريت ، فلم نسمّيه أخاكا ؟
وما جاراك صوبُ المزن لمّا		جرى وجرى نداك ولا حكاكا
ولكنّ الغمام عني سجوداً		على وجه الثرى لك إذ رآكا(٤)
فأنت أجلُّ قدراً أن تجارى		وأرفع رتبةَ من أن تحاكى
وقد سامى السماء وماس زهواً		على فرع السُّهى بلدٌ نماكا
فأهلوه ومن فيه وقاءٌ		لنفسك من جميع من ابتغاكا
فها هو جنّةٌ لك فاغتنمها		وهم لك جُنَّةٌ ممّا دهاكا

ومنها :

أكاد إلى العزيزين أعزي		لإلحاقي بهم نفسي اشتباكا
فلو أجريت لحظك في فؤادي		رأيت دليل ذاك كما أراكا

---

(١) طرّاً : قاطبة .
(٢) ملثٌ القطر : وصيّبه : قطره وهطوله . والندى : الكرم والعطاء .
(٣) النشب : العقار ، والمال الأصيل من نقود وماشية .
(٤) عنى : أذعن وأحنى وأطاع .

أعبـد الله لا خيِّرت بيتاً مدى الأيام إلاّ في علاكا
فكم لك من يدٍ قلّدتنيها فلسـت أرى لهـا عنّـي انفكاكا
ولـو حمّلـت ما حمّلتنيه شمـام لمـا استطـاع به حراكا
وقـد ألبستنـي أثـواب عزٍ وقـد أوطـأت أخمصيَ السّماكا[1]
فحسبـك من علا أعليت كعبي برفعـكه فقـد بلـغ السّماكا
فلا حطّت لك الأيام مجداً ولا ارتجـع المهيمـن ما حباكـا
سرى كلٌّ السّـرى في الأرض شعري وخيّم إذ رآك فمـا خطاكا
وكنتُ علـى النّـوى صممـتُ حتى منعـت فبـتُّ مبتغيـاً رضاكـا
ولـو لم تقتصـر حالـي الليالي لمـا أزمعـت سيراً عن حماكا
وقـد سميّتُ لي أمـرين حسبي ببعضهمـا إذا آثـرت ذاكا
وإن لم ترض لي بالنجـم نعلاً ولا خطّ المجـرة لي شراكا
فدع ما ترتضيه لنـا وخفِّضْ فأنفسنـا ومـا ملـكت فداكا
ومـا استنكفـت من جدواك ، لكنْ كفانـي بذل ودِّك عن لهاكا
ولـو كان استمـاح البحـر خلقاً لأمَّـك يسـتمحيك وانتحاكا[2]
فلا يممـتُ غير نداك بحراً ولا خيّمـت إلاّ فـي ذراكا

ومن شعره في أبي نصر بن أبي زيد قوله من قصيدة وصف فيها داره التي بناها وانتقل إليها عند تقلده الوزارة [من الخفيف] :

قد وجدنـا خُطـى الـكـلام فساخا فجعلنـا النسيب فيـك امتداحا
وأفضنـا ما في الصـدور ففـاض الـمـدح قبـل النسيب فيك انفساحا
وعمدنـا إلـى عـلاك فصغنـا لصـدور القـريض منهـا وشاحا
وصدعنـا في أوجـه الشعـر من بيـض مسـاعيـك بالنـدى أوضاحا

---

(١) الأخمص : يريد به قدمه ، والسماك : نجمٌ في السماء ، وأوطأ : أداس .
(٢) أمَّك : قصدك ، ويستميح : يطلب السماح والمعذرة ، وانتحاكا : أي طلب ناحيتك .

غرّستْ في ثرى الصدور عطايا ك غروساً أثمرن وداً صراحا
كم كسيرٍ جبرته وفقيرٍ مستميحٍ رددته مستماحا
وبلادٍ جوامحٍ رضتها بالعزم حتّى أنسيتهنّ الجماحا[1]
وأمانٍ خرسٍ بسطت لها في القول حتّى أعدتهنّ فصاحا
شهرت منك آل سامان عضباً ينجح السعي غربه إنجاحا[2]
أحمدت رتبة الوزارة من أخمد ناراً تُجري القنا والصفاحا
فلو أن الممالك استنطقت فيه لقامت بذكره مداحا
مغرمٌ بالثناء مُغرى بكسب الحمد يهتزُّ للسماح ارتياحا[3]
لا يذوق الإغفاء إلاّ رجاءً أن يرى طيف مستميحٍ رواحا
يا أبا نصر الذي نصر الملك فأنسى المنصور والسفّاحا
ضاقت الأرض عنك فارتدت ربعاً يسع البحر والحيا والسماحا
وإذا ضاقت المصانع بالسّيل أبى أن يحلّ إلا البطاحا
فهنيئاً منها بدارٍ حوت منك جبالاً من الحلوم رجاحا
كونها توءم الوزارة ممّا زاد برهان سعدها إيضاحا
ذات صدرٍ كرحب صدرك قد زاد على ظنٍّ آمليك انفساحا
يغرس الصيد في ذراها من التقبيل غرساً فيجتنيه نجاحا
بفناءٍ نطيل فيه خطى اللحظ ونلقي للفكر فيه انسراحا
بهوها يملأ العيونَ بهاءً صحنها يملأ الصدورَ انشراحا
شيدُها فضةٌ وقرمدها تبرٌ قد امتيح من نداك امتياحا[4]
وثراها من عنبرٍ شيب بالمسك فإن هبّت الصبا فيه فاحا[3]

(١) الجماح : التمرُّد ، واتباع الهوى ، ورضتها : أي جعلتها تنقاد .
الغرب : السهم الذي لا يعرف راميه . (٢) السماح : الكرم والعفو .
(٣) امتيح : غُرِف ، وامتاح فضله آتى يطلبه ، والتبر : الذهب .
(٤) شيب : خولط .

مقنعـات فيهـا الأسـاطيـن من فو   ق صخـور قد انبطحـن انبطاحا
كلٌّ نادٍ منهـا قد اتشـح الفر   ش بثـوب الـربيع فيه اتّشاحا
وأرى بين كلّ نحيين كالرو   ض خليجـاً من البسـاط مساحا[1]
وسقـت ماؤه حدائـق غربيـه   إلـى أن غدت به ضحضاحا
صبغـةٌ من دم القلـوب فمـن أبصـره   اهتـزّ صبـوةً وارتيـاحا
ما بكاء الـرياض بالظـلّ إلاّ   خجـلاً مـن رياضهـا وافتضاحا
شابـه النقش فرشهـا مثـل ما شا   به ولدانهـا دماهـا الصباحا
وكأنّ الأبـواب صحـبٌ تلاقيـن   انغلاقـاً ثم افترقـن انفتاحا
وكأنّ الستـور قد نشـر الطا   ووس منهـا في كلِّ بابٍ جناحا
وكأنّ الجامـات فيهـا شموسٌ   أطلعتهـا ذرى القبـاب صباحا
والسـواري مثـل السواعـد كبّت   تحتهـا من أساسـهـا أقداحا
وبيوتٍ كأنّهـنّ قلاعٌ   مزمعـاتٌ للنيرات نطاحـا
ورواق كأنّمـا بسطـت فيـه   دعـاء أيدي الأسـاطين راحا[2]
وجنـانٌ لو كنـتُ في جنّـة الفر   دوس لم أبـغ غيرهـنّ اقتراحا
وإذا دارت الـكؤوس بهـا أبصـرت   خلـد النعيم ثمَّ مباحا

ومنها :

من يدي كلُّ ساحر الطـرف يجنـي الـورد   مـن وجنتيه والتُّفاحا
وإذا الـزير جاوب النـاي ضرباً   جاوب البلبـل الهـزار صياحا
في مقـامٍ تمحـو الهمـوم به النشـوة   عنّـا وتثبـت الأفراحا[3]
تُطلـع الشّـمس أنجمـاً كلّمـا هزّ   ت شمـوس الطسـوس منهـا رماحا

(١) نحيين : جانبين متباعدين .
(٢) الرواق : ما تقدّم من البيت واتسع . والأساطين : الأعمدة .
(٣) النشوة : الشعور بالفرح والسعادة .

وضياء السقاة والخمر والكا ... سات فيه قد عطّل المصباحا
وإذا ما المجامر اضطرمت بالـ ... ـجمر أحيت رياحها الأرواحا[1]
فمتى أطعمت أزجّة عطرٍ ... أشرعت من دخانها أرماحا[2]
فهنيئاً منها بجنة عدنٍ ... ضمّنت منك سيداً جحجاحا
فاقطع الدهر في ميادينها الفيـ ... ـح اغتباقاً على الحيا واصطباحا
واملأ الفكر من موشحةٍ فيـ ... ـك ولا تولها قلىً واطّراحا
فلو أني استوقفت عيناً بما قلـ ... ـت لما اسطاع عن براحي براحا

* * *

قال مؤلف الكتاب : رأيت المأموني ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وعاشرت منه فاضلاً ملء ثوبه . وذاكرت أديباً شاعراً بحقه وصدقه . وسمعت منه قطعة من شعره ، ونقلت أكثره من خطه ، وكان يسمو بهمته إلى الخلافة ، ويمني نفسه قصد بغداد في جيوش تنضم إليه من خراسان لفتحها ، فاقتطعته المنية دون الأمنية ، ولما فارقته لم تطل به الأيام بعدي حتى اعتل علة الاستسقاء وانتقل إلى جوار ربه ولم يكن بلغ الأربعين ، وذلك في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة .

وهذا ما اخترته من شعره في الأوصاف والتشبيهات التي لم يسبق إلى أكثرها .

قال في المنارة [من الطويل] :

وقائمةٍ بين الجلوس على شويٍ ... ثلاثٍ فما تخطو بهن مكانا[1]

(١) المجامر اضطرمت بالجمر : البخور الذي يتصاعد من النار . والأزجة : جمع زجّ وهو الحاجب الرقيق الطويل ..وأزجّ الرمح : جعل له حديدة في أسفله .
(٢) الشّوى : أطراف الجسم كاليدين والرجلين .

علـى رأسهـا نجـلٌ لهـا لم تجنّه حشاهـا ولا علتـه قطُّ لبانا[1]
يشـرّد في أعـلاه كلَّ دجنّةٍ يشـقُّ جلابيب الظـلام سنانا

وقال في الكرسي [من المجتث] :

ومقعـدٍ لي وطيء يقـوم عنـد قعودي
يزهـي بصـدرٍ فسيح رحـبٍ وبـأسٍ شديد
لـه رواقٌ أديمٍ علـى سواري حديـد
إذا جلسـت عليه خلـت الأنـام عبيدي

وفيه أيضاً [من المتقارب] :

ومرتبـةٍ من بوادي الملو ك بين القيام وبين القعود
تمـدُّ بساطـاً لمستوطيءِ ثبوتـه عمـدٌ من حديد[2]

وفيه أيضاً [من المتقارب] :

ومستـوقفٍ لجلـوس الحضور علـى أربـعٍ في الثـرى موثقه
يمـدُّ علـى فرعـه مفرشاً ويظهـر في خصـره منطقه
فمـن شاء صيّره مقعداً ومـن شاء صيّره مرفقه

وقال في طست الشمع [من الكامل] :

وحديقـةٍ تهتـزُّ فيهـا دوحةٌ لم ينمهـا تربٌ ولا أمطار
فصعيدها صفـرٌ ونامـي غصنها شمـعٌ ومـا قد أثمرتـه نار

---

(١) النجل : الولد ، لم تجنّه : أي لم يكن جنيناً فيها ، واللّبان : الصدر أو ما بين الثديين من الصدر .
(٢) كذا ، ولعلّ عجزهُ : تثبته عمدٌ من حديد » .

وأيضاً [من الطويل] :

وطاعنةٍ جلباب كلَّ دجنَّةٍ ... بماضي سنانٍ في ذؤابة ذابل[1]
تجود على أهل الندامى بنفسها ... وما فوق بذل النفس جودٌ لباذل[2]
ويقري عيون الناظرين ضياؤها ... وقد قيدت ألحاظها بالأصائل

وقال في النار [من السريع] :

أم القرى عندك أم بوح ... فقد سرى أبوابه اللوح
أم ذات مرطٍ ذهبي لها ... يعقدها في الجوِّ تطويح
يسقّني أختٌ لها دنها ... جسمٌ لها وهي له روح
كأنّها الشمس وما نفّضت ... من شررٍ عنها المصابيح

وله في الحمام [من الطويل] :

وبيتٍ كأحشاء المحبِّ دخلته ... وما لي ثيابٌ فيه غير إهابي
أرى محرماً فيه وليس بكعبةٍ ... فما ساغ إلا فيه خلع ثيابي
بماءٍ كدمع الصبِّ في حرِّ قلبه ... إذا آذنت أحبابه بذهاب
توهَّمتُ فيه قطعةً من جهنمٍ ... ولكنّها من غير مسٍّ عقاب
يثير ضباباً بالبخار مجلَّلاً ... بدور زجاجٍ في شموس قباب

وله في السطل والكرنيب [من مجزوء الرجز] :

لنا من الأسطال سطلٌ ... شأنه عجيبُ
كالشمس إذ عاجلَها ... في الطفل المغيب[3]

---

(١) الذؤابة : خصلات الشعر في مقدّمة الوجه ، والذابل :الرمح الدقيق .

(٢) ورد في صدر البيت هكذا « تجود على أهل الندى بنفسها » ولا يستقيم به الوزن ، فأقمناه كما أتيت في الأصل .

(٣) طفل المغيب : قبيل غروب الشمس .

كرنيبه كمائحٍ وهو له قليب[1]
قبضته سبيكةٌ في متنها نحيبُ
ضرب دمشقيٌّ فما يُرى لها ضريبُ[2]

وله في حجر الحمام [من السريع] :

لحجر الحمّام عندي يدٌ ومنّةٌ لست أؤديها
وهو لرجلي صقيلٌ لا يني عن طُبَعٍ في الرجل ينقّيها[3]
كأنّها كورةُ نحلٍ إذا غمّستها في الحبر تشبيها[4]

وفي الليف [من مجزوء الرجز] :

للّيف في تنظيف جسم المستحمّ مُعجزهْ
فلا يغور درنٌ في الجسم إلاّ أبرزه
كأنّه ذوائبٌ قد مشّطت مجرّزه[5]

وفي المنشفة [من المنسرح] :

منشفةٌ حملها تخال بها قد فتّ كافورةً على طبق
كأنّما أنبتت خمائلها ما ارتشفتْ من لآلىءِ العرق

وفي الزنبيل [من الوافر] :

وذي أذنين لا يعيَان قولاً وجوفٍ للحوائج ذي احتمال
تكلّف شغل أهل البيت طرّاً وتحمل فيه أقوات العيال

---

(١) المائح : المقترف ، والقليب : البئر .
(٢) ضرب : صنع وسبك ، والضريب : المثل .
(٣) صيقل : مَن صناعته صقل السيوف أو غيرها .
(٤) كورة النحل : خليتها ، أو عسلها في أقراص الشمع .
(٥) مجرّزة : محزّمة كلّ حزمة تفترق عن أختها .

مطيعٌ في الحوائـج غير عاصٍ ... ولا شاكٍ إليك من الكلال
تُسِـرُّ إليه في الأسـواق سرّاً ... فلا يبـديه إلا في الرحال

وله في كوز أخضر محرق [من الكامل] :

وبديعـةٍ للـرّيم منهـا جيدها ... حارت عيون النـاس في إبداعها
كخـريدةٍ في مرط خزٍّ أخضرٍ ... رفعـت يداً لتـردّ فضـل قناعها[1]

وله في الشرابية [من السريع] :

شـمسٌ لهـا من نفسهـا أرجلُ ... ستٌّ إذا ما شئـت أو أربع
تنـوء بالـكوز لظئـرٍ له ... تحضنـه الدهـر ولا ترضع[2]

وله في الجليد [من البسيط] :

حجـارةٌ من صنيع الدهـر تمتعنا ... ببردهـا وضـرامُ الغيظ يستعرُ
كأنّهـا قطـعُ البلّـور ليس بها ... نقـبٌ ولا أثـرٌ بادٍ ولا كدر

وله في ماء بجليد [من الرجز] :

ورائـقٍ مثـل الهـواء صافي ... بات بثـوب القـرِّ ذي التحاف[3]
حتـى نفـى عنـه القـذاة نافي ... فرقّ حتـى صار كالسُّلاف
أسـرع في الجسـم من العوافي ... فيه الجليد راسـبٌ وطافي
* كأنه ودائع الأصداف *

وله في كأس جلاب [من الرجز] :

---

(١) الخريدة : الفتاة الناهد ، المرط : الثوب الطويل .
(٢) الظئر : المرأة المرضع لغير ولدها .
(٣) القرّ : البرد القارص .

وكأس جلاّبٍ بهـا يُطفـي اللهب يقضي بها عنـد الخمـار ما وجبْ
كأنهـا الفضّـةُ شيبـتْ بالذهب تشابـه الجليد فيهـا والحبَبْ(١)
حسبتـه درّاً من المسـك انسرب فبعضـه طافٍ وبعضٌ قد رسب
كأنّما المخـوض فيهـا يضطرب حوتٌ يغـوص تارةً ثم يشبّ

وفيها [من الطويل] :

وكأسٍ من الجـلاّب أطفـأ بردها سعير خمـار الـكأس عنـد التهابِهِ
وكانـت كبـرد العـدل عنـد طلابه وعـود وصـال الحـبِّ بعـد ذهابه(٢)

وله في السكنجبين [من الطويل] :

ومستنتـجٍ ما بين خلٍّ وسكّرٍ دوائـيَ من دائـي به وشفائي
رأيت به في الـكأس أعجـب منظر مذابٍ عقيقٍ فيه جامـد ماء

في الفقاعة [من المنسرح] :

ورب فقاعةٍ رأيت بها ثدي كعوبٍ مسوّد الحلمه
حللت زنارها فأظهر لي شهب بزاةٍ تطير عن أكمه

وفي المعنى أيضاً [من الرجز] :

أجسـام صخـرٍ دفنـت في صخرِ تناسبـا واختلفـا في النّجرِ
تحـكي ثنـايا خفـراتٍ غرٍّ تلـوح من تحـت ثياب خضرِ
أطرافهـا قد ضمّخـت بالحبر كدُرٍّ مفطـوم رضـاع الدرٍّ
أقعـى على أذنابهـن التبري إقعـاء أسـدٍ بصرت بنمر(٣)
تفـور إن حلّـت كفـور القدر بمثـل أحـداق جرادٍ خُزر

(١) الحبب : فقاقيع الماء .
(٢) العدل : الإنصاف وعدم الظلم .
(٣) أقعى : جلس على إليته ونصب فخذيه وساقيه .

أو مثـل أنصـاف صغـار الذرِّ أو صارمٍ فيه الفرنـد يجري
يعلـو وينقضُ انقضـاض الزهر كأنّمـا الليل انجلى عن فجر
تبـدي ذرى هاماتهـا من جمر ومـا عدا رءوسهـا قد عُرِّي
مزنـراتٌ لا لدين كفر دفائـنٌ لا لانقضـاء عمر
في تربـةٍ من صنـع أيدي القرِّ قد حنطـت أجيادهـا بالعطر[1]
وحرمـت حرم أخيذ الأسر دفينهـا ينشر ميت القبر
وبردهـا شفـاء حَرِّ الصّدر تقسـم بالله العـظيم القدر
لا أرضعـتْ إلا فطيم الخمر فهـيَ شفـاء السـكر بعـد السكر

في الأترج المربى [من الرجز] :

ورب سـوسٍ من الأترج متقّـد اللـون اتّقـاد السُّرُجِ
يعـوم من إنائـه في مزج مجّـت عليه النحـل أيَّ مجٍّ
فقـام من رضابها في لجٍّ بظاهـرٍ كقـطع الخلنج[2]
أو العقـار اعتللـتْ بالمزج غصّـت به فوهـاء مثـل البذج[3]
سليمـةٌ من كلفٍ وسحجِ نقيَّةٌ كالعـاج أو كالثلج[4]
قد خرّطـت على قويّ النسج خرم ثوب الخيل بالبرطنج[5]
أفضـل ما أبغـي ومـا أرجّي ومـا أعـدُّ للطعـام الفجّ
وكلّ مأكولٍ بطيءِ النضج وتخـمٍ تغصنِّـي وتشجي
بهـرٌ لهـا كالسائـق المزجي يوسـع ما ضاق لنـا من نهج
يبـرىء من كلِّ أذىً وينجي ويجعـل الأفـواه ذاتِ أرْج
عزاه شاريه إلى الأشجِّ وخطّـه عليـه بالتهجّـي[6]

---

(١) القر : البرد ، وأجيادها : جمع جيد وهو العنق .
(٢) الخلنج : شجرٌ معرّب .
(٣) البذج : ولد الضأن .
(٤) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقعٍ سوداء ، والسّحج : العضُّ الذي يترك أثراً .
(٥) كذا بالأصل .
(٦) الأشجُّ : من كان في رأسه أو في جبينه شجّة أو أثر شجه .

جاء به الحجيج بعد الحجِّ   يفرون كل سبسبٍ وفجٍّ[1]
حتى أتوا منه بما يرجّي   فنلت مأمولي به وفلجي[2]

وله في الإهليج المربّى [من السريع] :

إهليلجٌ خلناه لما بدا   يمرح في لجٍّ من الشَّهدِ
وسائط الجوهر قد أُلقيتْ   في ماء ياقوتٍ من العقد

وله في الترنجبين [من مجزوء الرجز] :

وسكّرٍ ليس من   السكر المستخرج
أبيض كالكافور أو   كاللؤلؤ المدحرجِ
فلو حلفتُ أنّه   طرّزه لم أحرج
فهو غذاءٌ يغتذي   وهو شفاءٌ للشجي
ظلٌّ من السماء يهـ   ـوي فوق نبت العوسج
يسقط مثل اللؤلؤ الـ   ـرطب على الفيروزج

وله في الرطب المعسل في برنية زجاج [من الطويل] :

وشفّافةٍ مثل النسيم كأنّها   مكوّنة الأجرام من ريّق القطر
بها من نبات النخل والنحل ملؤها   يواقيت جمرٍ في مياه التّبر

وله فيه [من المجتث] :

وربَّ ماءٍ من الـ   ـشّهد في زكيٍّ زجاج
فيه يواقيت جمرٍ   يضمُّ أقطاع عاج

---

(١) يفرون : يقطعون : والسبسب : الأرض الواسعة التي لا ماء فيها،والفجّ: الطريق الواسع بين جبلين .

(٢) الفلج : الفوز والظفر .

وله في كعاب الغزال في برنية زجاج [من البسيط] :

وذات لطفٍ كقطرٍ ضمِّنت يققاً كأنه البرد الربعيُّ تشبيها[1]
شفّافةٍ من حدائق الزرق قد طبعت ومن بياض عيون الحور ما فيها

وفيها أيضاً [من الطويل] :

وبيضٍ ظنناهنّ والجامُ محدقٌ بهنّ كصدرٍ هُنَّ فيه فؤادُ[2]
أناملَ غيدٍ ما وَصلن براحةٍ وأعين عينٍ ما لهنَّ سوادُ

وفيهايضاً [من الطويل] :

وبيضٍ إذا ما لُحْنَ في الجام خلتها نجوم سماءٍ في سماء زجاجِ
وإن ضمّنتهنَّ البراني حسبتها أسنة سمرٍ في رقيق عجاجِ

وقال في بنادق القند الخزائني في برنية زجاج [من البسيط] :

وأبيض اللون أودعناه صافيةً تذيع ما استخفيت فيه وتبديهِ
كأنّه بَرَدٌ صاغ الهواء له من ريّق القطر أكنافاً توقّيه

وقال في أعمدة القند الخزائني [من الهزج] :

أنابيبٌ من القنْدِ على الأطباق مبيّضه[3]
كأنّ الجام كفٌّ وهي أطرافٌ لها بضّه
حكت أعمدةً صيغتْ من الثلج أو الفضّه
حكت شهباً غدت في ذ لك المجلس منقضّه
شفاء الشارب الظمآ ن من أطرافها عضّه

(١) اليقق : القطن .
(٢) الجام : إناء من فضّة كالكأس يتخذ للطعام والشراب .
(٣) القند : عسل قصب السكر إذا جمد .
(٤) بضّة : شديدة البياض في سمنٍ وامتلاء .

وله في اللوز الرطب [من الطويل] :

وافت لتخطر في ثلاث مدارعٍ   حذاهن في شكل النواظر حاذي[1]
توابيت في حصر الخدود تضمّنت   مكفّن عاجٍ في مصندل لاذي[2]

وله في اللوز اليابس [من البسيط] :

ومستجنٍّ من الجانين ممتنعٍ   بجبةٍ لم يحكها كفٌّ نساج
درٌّ تضمن من عاجٍ تضمّنه   والبرُّ لا البحر أصدافٌ من العاج

وقال في الجوز الرطب [من الكامل] :

ومحققِ التدوير يعرب نفعه   من كفٍّ من يجنيه ما لم يكسر
درٌّ يسوغ لآكليه ضمّهُ   صدفٌ تكوّن جسمه من عرعر
متدرعٍ في السلم ثوب غلالةٍ   درعاً مظاهرةً بثوب أخضر[3]

وله في الزبيب الطائفي [من المنسرح] :

وطائفيٍّ من الزبيب به   ينتقل الشرب حين ينتقل
كأنه في الإناء أوعية الـ   ـنحاس لكنّ ملأها عسل

وله [من مجزوء الرجز] :

وقشمشٍ كخرزٍ   للنظم لم يثقبِ
يبلى به الكأس لما   بينهما من نسب
يحظى به الشارب في النادي ومن لم يشرب
كأنّه أوعيةٌ   يحملن ذوب الضّرب[4]

---

(١) في الأصل : « وافت تخطر » ولا يستقيم الوزن ، فأقمناه كما أثبت .
(٢) المصندل : من الصندل : شجر هندي أبيض الزهر، اللاذي : ثوب من الحرير الأحمر .
(٣) الغلالة : الثوب الرقيق .
(٤) الضّرب : العسل الأبيض الغليظ أو أنهنّ من صنع ماهر حاذق .

أو لؤلؤٌ قد علاً أعلاه بماء الذهب

وقال في العتاب [من المجتث] :

يروقني العتّابُ فبي إليه انصبابُ
إذ لاح لي منه أطرا ف من أحبَّ الرطابُ
يحكى فرائد درٍّ لها العقيق إهابُ

في الباقلاء الأخضر [من مجزوء الرجز] :

وباقلاء أزهرٍ مثل سموط الجوهرِ[1]
تضمُّه أوعيةٌ من الحرير الأخضر
اوساطه مخطَّفة مثل خصور ضمَّر
أطرافه مذروبةٌ مسروقةٌ من أنسر[2]
وطرفٍ كمخلبٍ وطرفٍ كمنسرِ

وله في الباقلاء المنبوت [من السريع] :

وباقلاء عامرٌ طيبها من حسنه الناظر مبهوتُ
كأنّه أقطاع عاجٍ لها من خشب الساج توابيتُ

وله في البطيخ [من الطويل] :

محقّقةٌ ملء الكفوف كأنَّها من الجزع كبرى لم ترض بنظام[3]
لها حلّةٌ من جلّنارٍ وسوسنٍ مغمّدةٌ بالآس غبّ غمام

---

(١) سموط الجوهر : عقودها .
(٢) مذروبة : محدَّدة والمذروبة هي المدية .
(٣) الجزع : الخرز ، لم ترض : لم تنظم وتقاد .

تمازج فيها لون صبٍّ وعاشقٍ كساه الهوى والبين ثوب سقام
وأبدي له في النّحر تخضير كاعب علامته ذات اعتدال قوام
رياضيّةٌ مسكيّةٌ عسليّةٌ لها لون ديباجٍ وعرف مدام[1]
إذا فُصِّلت للأكل حاكت أهلةً وإن لم تفصل فهي بدر تمام

وله في البطيخ الهندي [من الطويل] :

ومبيضةٍ فيها طرائق خضرةٍ كما اخضرّ مجرى السيل في صيّب الحزنْ[2]
كحقة عاجٍ ضبِّبتْ بزبرجدٍ حوَت قطع الياقوت في عطن القطن[3]

وله في الكمثرى [من الوافر] :

وضربٍ من ثمار الصيف يحكي وقد طلعت لنا منه نجوم
قناديلاً تضيء لها رءوسٌ مثقَّبةٌ وليس لها جروم

وله في رمانة [من السريع] :

رمانةٌ ما زلت مستخرجاً في الجام من حقّتها جوهرا[4]
فالجام أرضٌ وبناني حياً تمطر منها ذهبا أحمرا[5]

وله [من الكامل] :

ليس الإناء بحافظٍ مستودعاً إلاّ إذا وقّيته بغطاءِ
فإذا جعلت له الغطاء فإنَّهُ بجميع ما استودعتَ خير إناءِ
فاحفظ إناءك بالغطاء فإنّه لا خير في أرضٍ بغير سماءِ

(١) العرف : الرائحة .
(٢) الحزن : الأرض اليابسة المرتفعة ،والصيّب : السحاب الممطر .
(٣) الحق : وعاء الطيب ، ضبّبت : زيّنت. وعطن القطن : أي صبغها وألقاها في العطان ، وربمّا يقصد هنا بعطن القطن : بزرها .
(٤) حقتها : غلافها .
(٥) البنان : الأصابع ، والحيا : المطر .

وله في الملح المطيب [من السريع] :

لا تدن مني الملح إن شبته   من الأبازير بألوان
ووجهه أبرص ذو غشّةٍ   بين ثآليلٍ وخيلان(1)
فإنني أحسب أني متى   أدنيته منيَ أعداني
وهاته أبيض ما إن له   في عرصةِ الصحفة من ثاني
فهو متى أفرد من صاحبٍ   إدامُ زهّادٍ ورهبان

وله في خبز الأبازير [من السريع] :

الملح ما أكثر أبزاره   لا ملحُ أهل الزهد والنسك
كأنّ شهدانجه بينه   حبّاتُ روميٍ من الفلك
كأنّما الشيونيز من غوقه   ما نفت الفضة في السبك
كأنّما العنّاب في وجهه   تنقيط قرآنٍ على الصكٍّ
بانجدان فُضّ من مهرقٍ   وسمسمٌ قد فضّ من سلك
يشبه من ثني أبازيره   إذا تأملناه أو يحكي(2)
سحيق كافورٍ مشوبٌ به   قراضةُ العنبر والمسك

وله في الرقاق [من السريع] :

خبزُ الأبازير منيَ كلٌّ من   بترّهاتِ الأكل يشتهرُ(3)
وعندنا منه أتراسٌ من الـ   ـفضّة قد رصّعها الجوهر(؟)
كأصحن الكافور قد حشدت   وذرٌّ في أوجهها العنبر

وله في الرقاق [من المتقارب] :

---

(1) الغشة : غطاء . والتآليل والخيلان : ما يظهر في الوجه أو في غيره من لحم ناتىء .
(2) الأبازير : نوع من الخبز .
(3) ترّهات : الباطل .

وخبّــازةٍ لا تغــذّي الرقاق أرتنــا من الخبــز أمــراً عُجابا
تنــاولُ بيض كتــاب العجين فتنســخُ في الوقــت منهــا ثيابا
وتأتــي بهــا كصفــاح الغديــــــر قد كوّن القطـر فيهــا قبابا

في الجبن والزيتون [من الطويل] :

غرامــيَ بابـن المبــاركـةِ التي بهــا كلّــم الله الــكليم من الرسلْ(؟)
فإن نيط بابـن الضــرع بعــد احتياكه وبعد اعتصــاره الدهــر ما فيه من مللْ
رأيتُ أكفّــاً فضّــةً وأناملاً بهــن خضــابٌ حالك اللــون ما نصلْ
وألفيت منهــا أوجــه الــروم فوقها جعــود شعــور الزنــج أو حدق المقلْ
إذا اجتمعــا لي لم أمِــلْ معهمــا إلى أطــايب أنــواع الــطبيخ ولــم أبلْ(١)
خليلان ضدّان الدجـى والضحـى معاً يضمُّهمــا فتــرٌ من الأرض أو أقلْ
فكلنـي إلـى خدنين ذا وضـح الدجى نقـاءً علـى أرض الخـوان وذا طفل (٢)
فهــذا كخــدٍّ بالعضــاض مؤثرٍ وذاك كصــدغٍ حالكٍ فوقــه انسدل

وله في البوراني والبطيخ [من الطويل] :

لدينــا نديمٌ لم يزلْ طول يومه له في المقالــي فجّــةٌ وفشيش(٣)
وضربٍ من البطيخ في راحتــيٍّ من خشونتــه كلــمٌ بهــا وخدوش(٤)
تخــال ربــا النــواريج أحدقت بها خفيفةً من أن تحفً جيوش(؟)
ومن لم يكن في الصيف هاتان عنده فكيف يرجّــي عمــره ويعيش

---

(١) أبل : أظفر ، وأنل .

(٢) خدنين : صاحبين ، والخوان : ما يوضع عليه الطعام أثناء الأكل ، والطفل : الرخص الناعم من كلّ شيء وطفلت الشمس : مالت للمغيب .

(٣) الفجة : قبّح : فتح وباعد بين رجليه ، وفجّى الشيء : كشفه .
والفشيش : صوت الهواء الخارج من إناء أو غيره .

(٤) الكَلِمَ : الجرح ، والخدوش : الجروح البسيطة .

وله في العجة [من المنسرح] :

عنـــدي للضيف عجّةٌ شرقت بدهنها فهي أعجـبُ العجبِ
قـد عضّت النار وجههـا فغدتْ كياســمينَ بالـورد منتقبِ

وله في الجوذابة [من مجزوء الرجز] :

جوذابــةٌ فوارةٌ في دهنهـا المنسكبِ
كأنّهـا قد ركبت في جامهـا بلولبِ
لائحــةٌ في أهبها آثــار عضّ اللهب
كنقــرةٍ من فضّة في حقّــةٍ من ذهب

وله في الشواء السوقي [من الطويل] :

طرا طارىءٌ عنـد العشـاء فجئته بقـرص عضيضٍ من شواء ابـن زنبور
تخـال قطاع المسـك رصّـع رصفها بفيروزج النعنـاع في صحـن كافور

وله في سمكة مشوية [من السريع] :

مـاويةٌ فضيّةٌ لحمها ألـذُّ ما يأكلـه الآكل
يضمُّهـا من جلدهـا جوشنٌ مذيَّلٌ فهـو لهـا شامل[1]
كوِّنـت من فضّتهـا عسجداً بالقلـي لما ضافنـي نازلِ

وله فيها [من السريع] :

مـاويةٌ في النـار مصليةٌ يصبـغ من فضّتهـا عسجدُ
كأنّمـا جلدتهـا جوشنٌ من رفـنُ الصنعـة أو مبرد[2]

---

(١) الجوشن : الدرع .
(٢) مزرفن : أي له حلقات كحلقات الباب .

وله في السفود [من الطويل] :

وأسمــر قد لفَّ السـعيرُ إهابه ينــوء بحجـزٍ من ثنياتـه سمر[1]
إذا ضمَّ أنـواع السـميط وحـطّ في بعيدة قعـرٍ ماؤهـا لهـب الجمر
أتـاك بمـا في ضمنهـا فكأنَّهُ محـبٌ كوى أحشـاءه ألـم الهجر

وله في الهريسة [من المنسرح] :

هريســةٌ خلتهـا وقـد ملأ الـــطبَّـاخُ منهـا الإنـاء ما وَسِعا
دراً نثيراً أسـلاكه قطعٌ في ماء ورد وصنـدلٍ نُقِعا

وقال في ماء الخردل [من الخفيف] :

أتحفونـي علـى الخـوان بمقطو بٍ يحـاكي في الطعـم فقـد الأليفِ
يضحك الكأس منه عن شائب المفــرق يبـكي من غير ضربِ ضيوفِ
فـإذا ذيق أسبلـت قطـرةٌ منــه سيولاً من أعينٍ وأنوفِ
وإذا ما أصغـى وعنّـي ذوي الأكــل تداووا منـه بشـمّ الرغيف

وله في البيض المفلق [من الرجز] :

وضاحــكٍ في الجـام منّ تفصيل حبوبـه كالجوهـر المحلولِ
زيتونـه كالسبـج المصقول جزره فواصـل التنزيلِ
حمّصـه كالـدرّ في التشكيل عدسـه منتخـبُ الجليلِ
كخـرزٍ محقّـق التعديل أو ذهـبٍ بفضّـة قد غولي
ولـوبياء كخـدودِ حيل أو أعينٍ حذر الحـذاق حولِ[2]

---

(١) ورد صدر البيت « وأسمر قد لفح السعير اهابه وهو غير مستقيم الوزن فأصلح كما أتيناه .
وينوء : يعجز وينُعل ، وثنياته : يقصد بها قطع اللحم .
(٢) حيل : ـ جيّدة المنظر ـ ماهرة ، والحذاق : المهرة .

فيهـا بقـايا رمـدٍ قليل منقّـطٍ مزيّن التعسيل[1]

وقال في البيض المفلق [من الرجز] :

ياقوتـةٌ ما ضمّهـا مخنَّقة في درّةٍ في حقـةٍ محقّقهْ
كأنّهـا وقـد غدت مفلّقة مذ نشـرتْ أثوابهـا المرققهْ

* تبرحوته من لجين بوتقه *

وقال في أقراص السحور [من الرجز] :

عنـدي للأكل إذا ما قمـتُ للتّسحُّرِ
ملتوتـةٌ بسمنها بسمسـمٍ مقشّرِ[2]
مثـلُ البـدور الطالعا ت في صدر الأشهر
أو أوجـه التـرك إذا أثّـر فيهـا الجُدري

وله في اللوزينج اليابس [من الطويل] :

ولوزينج يشفـي السـقيم كأنّه بنـانُ أكفٍّ بضّـةٍ لم تغضّنِ[3]
بعثنـاه بالقطـر الـزكيِّ محنطاً ليدفـنَ إلاّ أنّـه لم يكفّنِ

وله في اللوزينج الفارسي [من الطويل] :

ولوزينج يُعزى إلـى الفـرس خلته بنـانَ عروسٍ في رقـاق الغلائلِ
فإن حملت إحـداه خمسٌ حسبتها زيادة كفٍّ بين خمس أنامل

وله في الخبيص [من السريع] :

خبيصـةٌ في الجـام قد قدِّمت مدفونـةً في اللـوز والسكّرِ

(١) ورد العجز هكذا : « منقطيزينه التعسيل » وهو لا يستقيم مع الأبيات السابقة لغةً .
(٢) ورد العجز هكذا « سمسمٌ مقشر » وهو لا يستقيم مع سابقه لغة .
(٣) بنان : الأصابع ، وبضّة : بيضاء سمينة ، لم تغضّن : لم تتجعد وتتكسر .

يأكل من يأكلهـا خمسةً بكفِّـهِ فيهـا ولـم يشعرِ

وله في الفالوزج المعقود [من السريع] :

فالـوزجُ يُمنـع من نيله ما فيه من عقـدٍ وإنضاجِ
يسبـح في لجّـةٍ ياقوتةٍ للّـوز حيتـانٌ من العاجِ
كأنّمـا أُبـرِزَ من جامه ثوبٌ من الـلاّذ بديباجِ

وله في مشاش الخليفة [من الطويل] :

جمعتَ حباب الكأس حتى لحقته فكوّنـتَ منـه في الإنـاء بدورا
فإن لمستـه الـكأس لمسـاً لكفِّهِ رأيتَ الـذي نظّمـتَ منـه نثيرا

في أصابع زينب [من الطويل] :

أحـبُّ من الحلـواء ما كان مشبهاً بنـان عروسٍ في حبيرٍ معصّبِ(١)
فمـا جملـت كفُّ الفتـى متطعّماً ألـذُّ وأشهـى من أصابـع زينب

وفيها [من الطويل] :

وضـربٌ من الحلـو الـذي عزَّ إسمه لوجـدي بمـن يُعـزى إليه ويُنْسَـبُ
يصـدّق معنـاه آسمـه فكأنّه بنـانٌ بأطـراف البنـان مخضَّبُ

***

وله في عدة من المطعومات

قال في المزورة [من الخفيف] :

كم تكون المـزورات غذائي إن أكل المـزورات لزورُ

---

(١) الحبير المعصّب : الناعم المزيّن ، يقال حبّر الثوب : أي وشّاه وطرّزه .

وإلــي ما يكون أدمــي خلٌّ　　وقليلٌ من البقــول يسير[1]
فاحجبــوا عنّــيَ الــطبيب وقولوا　　أنــا بالطــبِّ والــطبيب كفور
هــات أين الكبــاب أين القلايا　　أين رخص الشــواء أين القدير
أنــا لا أتــرك التــدّيخ ولا البــــــطّيخ والتين أو يكون النشور[2]

وقال في المدية [من السريع] :

وذات شبٍّ في يديّ قائمٍ　　أمــرد ينفــي الســوء عن قاعدِ
شبّهتهــا حين تأمّلتُها　　بلحيةٍ شُدَّت إلــى ساعدِ

وله في مجمع الأشنان بما فيه من المحلب والخلال [من المجتث] :

أرضٌ من العقيان　　في صورة الطيلسانِ
الشــكل شكل رداءٍ　　والنقش نقش الصواني
بهــا ثلاث ركايا　　حفــت بهــا بيران[3]
ففــي الــركايا ثلاث　　رحــبٌ ومخنوقتان
مــن الزجــاج القــديم الــــــمستعمــل المرواني
وكلُّهــن مــلأى　　بالسعــد والأشنان[4]
والمحلــب المتروي　　من طيِّب الأدهان
وفــي القليبين أيضاً　　زهــا خلال الرهان
حــورين لا لشنانٍ　　أسرعــن لا لطعان
نــوعٌ عراضٌ تحاكي　　مضــارب العيدان

(١) الأدم : الطعام .
(٢) التدّيخ : كالبطيخ نوع من الفواكه .
(٣) الركيّة : البئر ذات الماء .
(٤) الأشنان : الماء البارد .

وآخـــرُ ذو انخذالٍ في دقَّــة السامان[1]
ففــي ولاية هذي الـ ألـوان عزُّ الخوان

وله في طين الأكل [من السريع] :

عــلام نقلـكم بالذي منــه خلقنــا وإليه نصيرْ(؟)
ذاك الـذي يحســب في شكله قطــاع كافــورٍ عليهــا عبيرْ

وله في الجمر والمدخنة [من المتقارب] :

وقــوارةٍ من أديم الصخور تخيّم في حلل الخيزرانِ
تقــري قطاعــاً كعــرف الحبيب وترقــى وليس بهــا مسُّ جان[2]
وتمنــع عن مثــل حرِّ القلوب من الجمــر ما إن لهــا من دخان

في جمر خبا بعد اشتعاله [من الخفيف] :

أمــا ترى النــار كيف أشعلهــا القـــــــرُّ فأضحــت تخبــو وحينــاً تُسعَّرْ
وغــدا الجمــر والرمــاد عليه في قميصين مذهَّــبٍ ومعنبرْ

وله في البرد [من الطويل] :

وبيضــاءَ كالبلــور جاد بهــا الحيا فأهــوت تهــادي بين أجنحــة القطرِ
تذوب كقلــب الصــبِّ لكنّــه جوٍ بنــار هواه وهــي مثلوجــة الصدر[3]

وله في التدرج [من الخفيف] :

قــد بعثنــا بذات لونٍ بديعٍ كنبــات الــربيع أو هي أحسنْ
فــي قنــاعٍ من جلنّــار وآسٍ وقميصٍ من ياسميــن وسوسنْ

---

(١) السامان : الخيزران .
(٢) مسّ جان : المسّ نوع من الجنون ، والجان : أي الجن .
(٣) الصبّ : العاشق ، وجوٍ : محترق من العشق .

ذبحـــتْ وهـــي بنـــت درَّة برٍّ كلٌّ عن بعض وصفها كلُّ محسن[١]

وله في المحبرة [من الرجز] :

ركيةٌ من الزُّجـــاج الصافي كقطـــرةٍ من عارضٍ وكافِ[٢]
تبـــرز للعين في تجفاف ذي حمـــرةٍ مثـــل دم الرعافِ
فهـــي فؤادٌ وهـــو كالشغاف ينبوعهـــا أســـود كالغدافِ[٣]
فهـــي ومـــا تضـــمُّ من نطاف كغســـقٍ بالصبـــح ذي التحافِ
ومـــا تضمّنتـــه من غلاف كحقّـــةٍ فيهـــا ابنـــة الأصدافِ

وله في المقلمة والأقلام [من الطويل] :

ومجدولـــةٍ حمـــرا يُخيَّل متنها من النقس روضٌ ما يغـــذّى بوابلِ[٤]
تُرى كلَّ يومٍ حامـــلاً بأجنةٍ ولـــوداً لهـــم من غيرِ مسٍّ قوابلِ
فأولادهـــا ما بين أسمـــر ذابلٍ بأحشائهـــا أو بين أبيض ناصل[٥]
تســـدَّدٌ منهـــا السّمـــر لا لمحاربٍ وتـــرهف منهـــا البيض لا لمقاتل
فلا السّمر منها اعتـــدن حمـــل عواملٍ ولا البيض منها اعتدن حمل حمائل[٦]

وله في السكين المذنب [من الوافر] :

ومرهفـــةٍ أرقّ شبـــاً وأمضى وأقطع من شبـــا السيف الحسامِ[٧]
تعانـــق في الـــدوي قنـــا يراعٍ ويبقـــى ما استـــكن من السّقامِ

---

(١) كلّ : ضعف .
(٢) الركية : البئر ، العارض : الغيم ، وكاف : سائل وقطر قليلاً .
(٣) الشغاف : حجاب القلب ، والغداف : الشعر الطويل الأسود .
(٤) النِّقس : الحبر ، والنّقس : الناقوس أو نوع من النواقيس .
(٥) الأسمر الذابل : أي الرمح الدقيق ، وأبيض ناصل : السيف القاطع .
(٦) العوامل : الأرجل .
(٧) أرقّ شباً : الشبا : الحدّ والماضي القاطع .

لهـا ذنـبٌ كصيصيةٍ أتمّتْ وصـدرٌ مثـل خافية الحمامِ(١)

وله في المقط [من الطويل] :

وأسـود أحشـاء الـدويّ مقرّهُ يلـوح لنـا في حلـقةٍ من غياهبِ
يعانـق أشبـاه الرمـاح وتعتلي قواه شبيهـات السيوف القواضبِ

وله في المحراك وهو الملتاق [من الرجز] :

أهيف قد أبـدت ذراه غربا متخـذاً من الظـلام أهبا
يخـال في يد الغـلام شطبا يخطـو إذا استنهضتـه مكبّا
يقلِّـب أصـواف الـدويّ قلبا ويكرب النفس عليهـا كربا

وله في الاصطرلاب [من الخفيف] :

وشـبيهٍ للشـمس يسـترق الأخـبـار من بين لحظهـا في خفاء
فتـراه أدرى وأعـرف منها وهـو في الأرض بالـذي في السماء

وفيه [من السريع] :

وعالـمٍ بالغيب من غير ما سمـعٍ ولا قلـبٍ ولا ناظرِ
يقابـلُ الشـمس فيأتـي بما في ضمنهـا من خبـرٍ حاضر
كأنّمـا حاجبـه مذ بدا لعينهـا بالفـكر والخاطر
قـد ألهمتـه علـم ما يحتوي عليه صدر الفلك الدائر

وله في المقراض [من مجزوء الرجز] :

وصـاحبيـن اتفـقـا على الهـوى واعتنقـا
وأقسـمـا بالـودّ والـ إخـلاص أن لا افترقا
ضمّهمـا أزهـر كالـنّجـم بـه قد وثقا

---

(١) الصيصية : الصنارة التي يغزل بها .

لـم يشـك في خصريهما مذ ضمّنـاه قلقـا
مـن تحتـه عينـان منـــــذ انفتحـا مـا انطبقا
وفوقـه نابـان ما حلاً فمـا مذ خلقـا
يفرّقـان بيـن كـــــلٍّ ما عليه اتُّفِقا
فـأيّ شيءٍ لاقيا ه ألفيـاه فرِقـا

وله في مشطي عاج وآبنوس [من مخلع البسيط] :

لـديَّ مشطـانِ ذا كباز لونـاً وهـذاك كالغرابِ
فـذا شبـابٌ لذي مشيبٍ وذا مشيبٌ لذي شبابِ

وله في المنقاش [من السريع] :

لـديَّ منقـاشٌ بديعٌ له مآثـرٌ في النتف مأثوره
تعمـل نابـاه إذا أعملا في الشعـر ما لا تعمـل النوره[1]

وله في الزربطانة [من الطويل] :

مثقّفـةٌ جوفـاً وتحسـب زانةً ولكنهـا لا زجَّ فيهـا ولا نصل[2]
تسـدَّد نحـو الـطير وهـو محلّقٌ وينفـذ عنهـا للـردى نحـوه رسل
يطير إلـى الـطير الـردى في ضميرها فتجري كمـا يجـري وتعلـو كمـا يعلو
تقيّد ما تنجـو به فكأنّه يمـدُّ إليه من بنادقهـا حبل

وله في القفص [من الهزج] :

وبيـتٍ لبنـات الجـــــوِّ لا يسـتر من فيه
حفيظٍ للـذي استحـــــفـظ لكـن لا يواريه

---

(١) النوره : أخلاط تضاف الى الكلس ، كالزرنيخ وغيره تستعمل لإزالة الشعر .
(٢) الزجّ : حديدة الرمح ، والنصل حديدة الرمح والسيف والسهم .

حكت أعمدةُ الفضّةِ والتبر سواريه
فمن مثل قنا الخطّ ثراه وأعاليه

وله في قارورة الماء [من الرجز] :

ركيّةٌ تشفُّ ذات طول من الزّجاج الفائق المغسولِ
تظهرُ ما في الجسم من فضول مفصحةٌ بالطبٍّ لا بقيل
من كلِّ داءٍ غامضٍ دخيل فهي على التحقيق والتحصيل

* مرآة ما في كبد العليل *

وله في اللبد [من المتقارب] :

وواضعةٍ خدّها في الصعيد لأربابها عندها حرمهْ
نسيجة بنت جلود النعاج بغير سدىً ولا لحمهْ
تمدّ على الرقّ رقّ الرمال وتوفي على الحر في النعمه
ويعمر ذا البيت منها غمام به شهبةٌ خالطت أدمه[1]
متاعٌ لمن كان ذا خلّةٍ فقيراً ومن كان ذا نعمه[2]

في قضيب الفول [من المنسرح] :

أهيف قد زاحم الحسان على أخصّ أسمائه إذا اقتضيا[3]
من الملاهي وليس ينكره ذو ورعٍ حين ينكر اللعبا
يلهو به من لها وما اقترف الذنوب في فعله ولا احتقبا[4]
يُضرب وجه الثرى به فترى كلَّ فؤاد وجداً قد اضطربا

---

(١) أدمه : جلده .
(٢) الخلّة : الحاجة والفقر .
(٣) اقتضبا : اقتطع .
(٤) احتقبا : ارتكب الآثام .

إذا تثنّى القلوب وقد أهدى إليها السرور والطربا

* * *

ومما قاله على ألسنة أشياء مختلفة

ما أمر بكتابته على خوان [من المتقارب] :

فَضُلْتُ جميع الأواني وُفقتُ فما فيَّ منقصةٌ واحده
مقري منازل صيد الملوك وفيَّ أتت سورة المائده

وله وأمر بكتابته على فناء دار [من البسيط] :

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من حكم الخلائف آبائي على الأمم
فكلُّ ما فيه مبذولٌ لطارقه فلا ذمام له إلا على الحرم

وفي معناه [من الرجز] :

أبنيةٌ فياحةٌ منيره في كلِّ قطرٍ من بناه كورَهْ[1]
لملك راياته منصوره قد مدّ حول الخافقين سوره
وحطَّ فوق زحلٍ سريره لو أدرك المختار أو عصوره
لأنزل الرحمن فيه سوره أو نطقت أبنيةٌ معموره
لأنطق الله له قصوره وقلن أقوالاً له مأثوره
لا أفقد الله العلي دوره بهاءه وضوءه ونوره

وله في الترس [من السريع] :

إنّي أنا الترس بنفسي أقي من العوالي والظُّبى حاملي[2]

---

(١) الكورة : المدينة .
(٢) الظُّبى : حد السيف والسنان وغيره .

أردُّ حدَّ السّيف في متنه وأقعص اللهــذم في العامل[1]

٥٧ ـ أبو محمد عبد الله بن عثمان الواثقي

من أولاد الواثق بالله أمير المؤمنين ، ينظم بين شرف الأصل ووفور الفضل ، ويجمع أدب اللسان إلى أدب البيان ، ويتفقه على مذهب مالك ، ويشعره .

ومن خبره أنه كان نزع بأهله إلى الحضرة ببخارى راجياً أن يحل بها محل أقرانه من أولاد الخلفاء وأمثاله، أو يقلد من أحد عمل البـريد والمظالـم ببعض الكور ما يصلح من حاله ، فلم يحصل من طول الإقامة بها وكثرة الخدمة لأركانها على شيء ، وضاق به الأمر ، فذهب مغاضباً يتوغل بلاد الترك، إلى أن ألقى عصاه بحضرة عظيمها نهر أقاخان ، وما زال يعمل لطائف حيلـه ودقائـق خدعـه حتـى استمكن منـه واختص به وزين له ما كان في نفسـه من إزالة الدولـة السامـانية والاستيلاء على المملكة [من الخفيف] :

إنّمـا تنجــحُ المقالــة في المر ء إذا وافقــتْ هوىً في الفؤاد

فألقى إليه التركي مقاليد أمره ، وجعل يصدر عن رأيه ، وينظر بعينه ، حتى كان ما كان من إلمامه ببخارى في جيوشه وانحياز الرضى نوح بن منصور عنها إلى أهل الشط على تلك الحال المغنية بشهرتها عن ذكرها ، وكان الواثقي سبباً لخرق الهيبة ، وكشف لثام الحشمة ، وإزالة الدولة . فعلا في بخارى وعظم شأنه ، وبنى التدبير على أن يبايع بالخلافة ويتقلد التركي أعمال خراسان وما وراء النهر من يده ، وهو غافل عما في ضمير الغيب ، وكان يركب في ثلثمائة غلام ويقيم أحسن مروة ويبسط من جناحه في الأمر والنهي والحل والعقد ، فلم يمض إلا أشهر حتى

(١) أقعص : أجهز عليه في مكانه ، واللهذم : الحاد القاطع من السيوف والأسنّة والأنياب ، والعامل : الرمح .

هجمت على التركي علة الذرب[1] ، وكان سببها ـ على ما حكاه كاتبه أبو الفتح أحمد بن يوسف ـ إكبابه على فواكه بخارى وكثرة تضلعه منها مع اجتوائه[2] بهوائها ومائها ، فاضطر إلى الرجوع لما وراءه .

وما زالت العلة تشتد به في طريقه حتى أتت على نفسه ، وعاد الرضى الى بخارى ، واتخذ الواثقي الليل جملا ، بعد أن أتت الغارة عليه وعلى ما معه من مماليكه وذخائره ، ونجا برأسه متنكراً إلى نيسابور ومنها إلى العراق ، وتقلبت به الأحوال في معاودة ما وراء النهر ومفارقته . فهذه جملة من خبره .

* * *

وهذه لمع من شعره

قرأت بخطه في وصف البرد والنار والفحم [من السريع] :

وليلةٍ شاب بها المفرقُ ... قد جَمُدَ الناظر والمنطقُ
كأنّما فحمُ الغضا بيننا ... والنار فيه ذهبٌ محرقُ[3]
أو سبجٌ في ذهبٍ أحمر ... بينهما نيلوفرٌ أزرق[4]

وقوله في الغزل [من الكامل] :

قمرٌ ضياء وصاله من وجهه ... يبدو وظلمة هجره من شعره
فالمسك خالطه الرحيق رضابُه ... سحراً ، ودرٌّ شنوفه من ثغره[5]
وسدّته عضدي وبين محاجري ... لونان مثل عقوده في نحره

(١) علة الذرب : مرض الذرب ، وهو يصيب الكبد .
(٢) اجتوائه : من الجَوَث ، وهو عِظَمُ البطن في أعلاه واسترخاء أسفله .
(٣) الغضا : نوع من الشجر جمرة شديدة الالتهاب .
(٤) السبج : خرز أسود .
(٥) الشّنف : حلية تعلّق في أعلى الأذن .

وبـدا الصبـاح فمـدّ نحـو قراطقٍ يده وشـدّ مزرَّهـا في خصره[1]

ومن قصيدةقالها بكا شغر وصف فيها الثلج والجليد [من الوافر] :

كأنّ الأرض رقٌّ صقَّلتْهُ أكفُّ صوانـعٍ متدفقات
وإن غلـط الزمـان بشـمس دجنٍ بدتْ نقـطٌ عليه مذهبات
تدوس الخيل إنْ مرّت عليها متـون سُجنجـلٍ متراصفات[2]
كأنّ مياههـا ينسـاب فيها أسـاود من لجينٍ ساريات

ومن نتفه في الغزل [من الخفيف] :

نفحـاتُ الصبـا وصـوبُ الغوادي ورياض الهـوى ومـاء الكرومِ
وحـديثٌ غضٌّ وخـلٌّ كريمٌ ومـزاجُ الصّبـا ومـاء النعيمِ

* * *

(١) القراطق : نوع من اللباس (معرّب) .
(٢) السجنجل : المرآة .

البــاب الرابـع
في غرر فضلاء خوارزم

٥٨ ـ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي

باقعة الدهـر[1] ، وبحـر الأدب ، وعلـم النثر والنظـم ، وعالـم الفضـل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغـة والنحـو والشعـر ، ويتكلـم بكل نادرة ، ويأتي بكل فقرة ودرة ، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته ، وملاحة عبارتـه . ونعمـة نعمتـه ، وبراعـة جده ، وحلاوة هزله ، وديوان رسائله مخلد سائر ، وكذلك ديوان شعره .

* * *

وهذه كلمات له تجري مجرى الأمثال أخرجتها من رسائله

الشكر على قدر الإحسان ، والسلع بإزاء الأثمان . الإذكار حيث التناسي ، والتقاضي حيث التغاضي . النفس مائلة إلى أشكالها ، والطير واقعة على أمثالها . الأيام مرآة للرجـال ، والأطـوار معيار النقص فيهـم والكمال . العشرة مجاملـة لا معاملـة ، والمجاملـة لا تسـع الاستقصـاء والـكشف ، ولا تحتمــل الحســاب

---

(١) الباقعة : الرجل الذكي الحذر .

والصرف . الكريم يعز من حيث يهون ، والرمح يشتد بأسه حين يلين ، الاعتذار في غير موضعه ذنب ، والتكلف مع وقوع الثقة عتب . الدواء لغير حاجة إليه داء، كما أنه عند الحاجة إليه شفاء ، الاستقالة تأتي على العثرات ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات . الذنب للعين العشواء ، في محبة الظلماء وكراهية الضياء . فم المريض يستثقل وقع الغذاء ، ويستمرىء طعم الماء ، الكريم إذا أساء فعن خطيئة ، وإذا أحسن فعن عمد ونية . الحر إذا جرح أساء وإذا خرق رفا . وإذا ضر من جانب نفع من جوانب.الحر كريم الظفر إذا نال أنال ، واللئيم سيء الظفر إذا نال استنال . الآباء أبوان أبو ولادة وأبو إفادة، فالأول سبب الحياة الجسمانية ، والثاني سبب الحياة الروحانية.الغيرة على الكتب من المكارم ، بل هي أخت الغيرة على المحارم ، والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه . ومعرفة بفضله ، الرجل إذا قيّده عقال الوجل لم ينطلق نحو مطية الأمل . المحجوج بكل شيء ينطق ، والغريق بكل حبل يعلق ، العاقل يختار خير الشرين ، ويميل مع أعدل الثقتين ، الجواد محتكر بُرٌ ، لا محتكر بِرٌ[1] . والكريم تاجر جمال ، لا تاجر مال . والحرّ وقاية الحر من فقره، وسلاحه على دهره . العفو إلى المقر ، أسرع منه إلى المصر . الفرس الجواد يجري على عتقه ، والفرع ينزع إلى عرقه . وكيف يخالف الإنسان مقتضى نسبته، ويطيب الثمر مع خبث تربته . المسافة صغيرة البقعة ، صغيرة الرقعة ، إذ ذرعت بذرع الهوى ، ومسحت بيد الذكرى ، فهي بعيدة إذا ذرعت بذرع التسلي ، ونظر إليها بعين التغافل والتناسي . الغضب ينسي الحرمات ، ويدفن الحسنات ، ويخلق للبريء جنايات ، المدح الكاذب ذم، والبناء على غير أساس هدم ، الدهر غريم ربما يفي بما يعد ، والزمان حبلى ربما يتم فيما يلد ، الدهر أصم عن الكلام ، صبور على وقع سهام الملام ، يختصر العيدان ويهتصر الأغصان[2] ، ويخترم الشبان[3] ، ويبلي الآمال والأبدان ،

---

(١) البر : الحبُّ ، والبرّ : المعروف .
(٢) يهتصر: يقطع ويكسر .
(٣) ويخترم الشبان : يقضي على أعمارهم .

ويلحق من يكون بمن كان ، الإنسان بالإحسان ، والإحسان بالسلطان، والسلطان بالزمان ، والزمان بالإمكان ، والإمكان على قدر المكان ، الدنيا عروس كثيرة الخطاب ، والملك سلعة كثيرة الطلاب ، الحق حق وإن جهله الورى ، والنهار نهار وإن لم يره الأعمى ، العذل طلاق الرجال، والمحنة صيقل الأحوال . الشجاع محبب حتى إلى من يحاربه ، كما أن الجبان مبغض إلى من يناسبه ، وكذلك الجواد خفيف حتى على قلب غريمه ، والبخيل ثقيل حتى على قلب وارثه وحميمه . الدهر يمطل وربما عجل ، وما شاء الإقبال فعل . الكريم من أكرم الأحرار . والعظيم من صغر الدينار . المصيبة في الولد العاق موهبة ، والتعزية عنه تهنئة . المحبة ثمن كل شيء وإن غلا . وسلم لكل شيء وإن علا ، الدهر يفي بعد غدر ، ويجبر عقب كسر ، ويتوب بعد ذنب ، ويعقب بعد عتب . التقدم للغاية تأخر عنها ، والزيادة على الكفاية نقصان منها . النسيب أخو النسيب ، والأديب صنو الأديب ، الشرف بين الأشراف نسب ولحمة ، وذمام وحرمة ، فالكريم شقيق الكريم، والعظيم أخو العظيم ، وإن افترق بلداهما واختلف مولداهما ، إن السيوف على مقادير الأعضاء تفري ، وإن الخيل على حسب فرسانها تجري . إنما السؤدد بكثرة الأتباع وكثرة الأتباع بكثرة الاصطناع ، وإنما تحوم الآمال حيث الرغبة ، ويسقط الطير حيث تنثر الحبة . إنما النساء لحم على وضم[1] ، وصيد في غير حرم . إلا أن يلاحظن بعين غيور ، ونفس يقظ حذور ، إن الولاية عزل إن لم يعمر جوانبها عدل . إنما يتعلل بالمعازف شوقاً الى الاخوان ، ويؤكل لحم الثيران شهوة للحوم الضأن ، ويتجوز في الزبيبي على اسم العنبي ويستخدم الصقلبي عند غيبة التركي ، شراء الكاسد حسبه ، وحل المنعقد صدقه، وهداية المتحيّر عباده ، معاتبة البريء السليم ، كمعالجة الصحيح غير السقيم ، الفرس الجواد إذا ضرب كبا ، والسيف الحسام إذا استكره نبا[2] ،

(١) الوضم : خشبة الجزّار التي يقطع عليها اللحم .
(٢) نبا السيف عن المضروب : أي لم يصبه .

واللسان الصدوق إذا كذب هفا ، عين الاستحسان آفة من آفات الإحسان ، قبول شكر الشاكر التزام لزيادته ، واستماع قول المادح ضمان لحاجته ، لسان العيان انطق من لسان البيان ، وشاهد الأحوال أعدل من شاهد الأقوال. لسان الضجر ناطق بالهذر[1] ، صغير البر ألطف وأطيب كما أن قليل الماء أشهى وأعذب، ثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمرة العلم العمل الصالح . طول الخدمة تؤكد الحرمة ، وتأكد الحرمة أعقد قرابة ولحمة ، ادعاء الفضل من غير معدنه نقيصة كما أن الإقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة . القتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال وتعرض لسهام الآجال ، باب الإحسان مفتوح لمن شاء دخله، وحمى الجميل مباح لمن اشتهى فعله . وليس على المكارم حجاب ، ولا يغلق دونها باب . قراءة كتاب الحبيب ترياق سمّ الهم ، شكر الرخاء أهون من مصابرة البلاء ، وحفظ الصحة أيسر من علاج العلة . قليل السلطان كثير، ومداراته حزم وتدبير . كما أن مكاشفته غرور وتغرير . شر من الساعي من أنصت له ، وشر من متاع السوء من قبله . لا خير في حبّ لا تحمل أقذاؤه[2] ، ولا يشرب على الكدر ماؤه . خبر الكلام ما استريح من ضده الى ضده ، فرتع بين هزله وجده . لا ستر أكثف من إقبال ولا شفيع أنجح من آمال ، أوجع الضرب ما لا يمكن منه البكاء ، وأشد البلوى ما لا يخففه الاشتكاء ، أبى الله أن يقع في البئر إلا من حفر ، وأن يحيق المكر السيء إلا بمن مكر . ما تعب من أجدى ، ولا استراح من أكدى[3] . حبذا كداً أورث نجحا ، وشوكة أجنت ثمراً لاثبات على سمٍّ الأسْوَد ، ولا قرار على زأرٍ من الاسد . وفي الزوايا خبايا . وفي الرجال بقايا . إذا عتقت المنادمة صارت نسباً دانيا . وكانت رضاعاً ثانياً ، أين يقع فارس من عسكر ، ومتى يقوم بناء واحد بهدم بشر . نعم الشفيع الحب ، ونعم العون على صاحبه القلب . هل يبرأ المريض ، بين

---

(١) الهذر : الكلام الذي تكثر فيه الأخطاء الرديئة .

(٢) الأقذاء : من القذى ، وهو المكروه الذي يقع في العين .

(٣) أكدى : افتقر بعد الغنى .

طبيبين ، وهل يسع الغمد سيفين ، لم أر معلماً أحسن تعليماً من الزمـان ، ولا متعلماً أحسن تعلما من إنسان ، من الناس من إذا ولّى عزلته نفسه ومنهم إذا عزل ولاه فضله ، ربما أكل الحر وهو شبعان ، وشرب وهو ريّان ، ليس إلاّ لأن يسرّ مضيفاً . ويكون ظريفاً ، يشكر القمر على أن يلوح والمسك على أن يفوح ، نعم العدة المدة ، ونعم الـواقية العـافية ، وبئس الخصـم الزمـان ، وبئس الشـفيع الحرمان ، وبئس الرفيق الخذلان ، إن ولاية المرء ثوبه ، فإن قصر عنه عرى منه ، وإن طال عليه عثر فيه ، ما المحنة إلا سيل والسيل إذا وقف فقد انصرف وما الأيام إلا جيش والجيش إذا لم يكر فقد فر . وإذا لم يقبل عليك فقد أدبر عنك . وراء الغيب أقفال ، وللمنح والمحن أعمار وآجال . ما أكثر من يخطىء بالصنعة طريق المصنع ، ويخالف بزرعه غير موضع المـزدرع . أكبـر من الأسير من أسـره ثم أعتقه ، وأشجع من الأسد من قيده ثم أطلقه ، أكرم من النبت الزكي من زرعه . وأكرم من الكريم من اصطنعه ، لا صيد أعظـم من إنسـان ولا شبـكة أصيد من لسان ، وشتان بين من اقتنص وحشيا بحبالته وبين من اقتنص انسياً بمقالته . من أراد أن يصطاد قلوب الرجال ، نثر لها حب الإحسان والإجمال ، ونصب لها أشراك الفضل والإفضال ، في كتمان الداء عدم الدواء ، وفي عدم الدواء عدم الشفاء ، من لم يذكر أخاه إذا رآه فوجدانه كفقدانه ، ووصله كهجرانه ، من أجاد الجلب أخذ به ما طلب ، من ذا الذي يطمس نجوم الليل ويدفع منسكب السيل ، وينضب ماء البحر ، ويفنى أمد الدهر ؟ من تكامل نحسه لم تنصحه نفسه ، ومن لم ينه أخاه فقد أغراه ، ومن لم يداو عليله فقد أدواه[1] ، نعم جنة المرء من سهام دهره نزوله عند قدره ، ونعم السلم إلى الأرزاق طلبها من طريق الاستحقاق .

* * *

(١) أدواه : أمرضه ، وجعله يرتاب منه .

وهذه فصول كالانموذج جاءت من غرره وفقره

على الكريم واقية من فعله ، وله حصن حصين من فضله ، فإذا زلّت به النعل زلة ، أوصال عليه الدهر صولة ، اقامته يد إحسانه، وانتزعته من مخالب زمانه .

فصل ـ الرجال حصون يبنيها الإحسان ، ويهدمها الحرمان ، وتبلغ بثمرها البر واليسر ، ويحصدها الجفاء والكبر ، وإنه لا مال إلا بالرجال ، ولا صلح إلا بعد قتال ولا حياة إلا في ناصية خوف[1] ، ولا درهم إلا في غمد سيف ، والجبان مقتول بالخوف قبل أن يقتل بالسيف ، والشجاع حي وإن خانه العمر ، وحاضر وإن غيَّبه القبر ، ومن حاكم خصمه إلى السيف فقد رفعه إلى حاكم لا يرتشي ولا يفتري فيما يقتضي ، ومن طلب المنية هربت منه كل الهرب ،ومن هرب منها طلبته أشد الطلب .

فصل ـ لا صغير مع الولاية والعمالة ، كما لا كبير مع العطلة والبطالة ، وإنما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها ، ومطية تحسن وتقبح بممتطيها ، وإنما الصدر بمن يليه ، والدست بمن يجلس فيه ، وإنما النساء بالرجال ، كما أن الأعمال بالعمال .

فصل ـ إفراط الزيادة يؤدّي إلى النقصان ، والمثل في ذلك جار على كل لسان ، ولذلك قالوا : صبوة العفيف[2] ، وسطوة الحليم ، وضربة الجبان ، ودعوة البخيل ، وجواب السكيت ، ونادرة المجنون ، وشجاعة الخصي ، وظرف الأعرابي .

فصل ـ قد يكبر الصغير ، ويستغني الفقير ، ويتلاحق الرجال ، ويعقب

---

(١) الناصية : مقدّم الرأس .

(٢) الصبوة : جهل الفتوة ولهوها .

النقصان الكمال ، وكل واد عظيم فأوله شعبة صغيرة ، وكل نخلة سحوق فأولها فسيلة حقيرة[1] . وقد يبتدىء العنب حُصْرماً حامضاً جاسيا[2] ، ثم يخرج الراح التي هي مفتاح اللذات ، وأخت الروح والحياة ، ويكون حشو الصدفة ماء ملحا ، ثم يصير جوهرة كريمة ، ودرة يتيمة ، ويكون أول ابن آدم نطفة ، وعلقة ومضغة ، ثم يخرج منها العالم الأصغر ، والحيوان الأرضي الأكبر ، الذي دحيت له الأرض ، وسخرت له الأنهار ، ومن أجله خلقت الجنة والنار .

فصل ـ قد أراحني فلان ببره ، لا بل أتعبني بشكره ، وخفف ظهري من ثقيل المحن ، لا بل ثقله بأعباء المنن ، وأحياني بتحقيق الرجاء ، لا بل أماتني بفرط الحياء ، وأنا له رقيق بل عتيق ، وأسير بل طليق .

فصل في فضل الحمية من رسالة

ملاك الأمر الحمية ، فإنه لا يكون قوي الحمية إلا من يكون قوي الحمية ، ومن غلبته شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية ، وانخلع من ربقة[3] الإنسانية ، وحق العاقل أن يأكل ليعيش ، لا أن يعيش ليأكل ، وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مآكله وقتيل أنامله ، وأن يجني ببعضه على كله ، ويعين فرعه على أصله ، وكم من نعمة أتلفت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكلات دهر ، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت ، وكم من عذوبة تحتها بشاعة الفوت . وكم من شهوة ذهبت بنفس لا يقوى بها العساكر ، وقطعت جسداً كانت تنبو عنه السيوف البواتر ، وهدمت عمراً انهدمت به أعمار ، وخربت بخرابه بيوت بل ديار وأمصار .

---

(١) الفسيلة : النبتة القصيرة ، والنخلة السحوق : أي العالية .

(٢) الجاسي : اليابس .

(٣) الربقة : من الرّبق ، وهو حبلٌ في عدة عرى .

فصل في اقتضاء حاجة

وعد الشيخ يكتب على الجلمد ، إذا كتب وعد غيره على الجمد ، ولكن صاحب الحاجة سيء الظن بالأيام ، مريض الثقة بالأنام ، لكثرة ما يلقاه من اللئام ، وقلّة من يسمع به من الكرام .

فصل في ذكر آفات الكتب

هذا والكتاب ملقى لا موقى ، تسرع إليه اليد الخاطئة ، وتعرض له الآفات السانحة ، فالماء يغرقه ، كما أن النار تحرقه ، والريح تطيره ، كما أن الأيام تغيّره ، والدخان يسود بياضه ، كما أن الخل يبيض سواده ، والرطوبة تضره ، كما أن اليبوسة لا تنفعه ، فآفاته أسرع من آفات الزجاج الذي يسرع إليه الكسر ، ويبطىء عليه الجبر ، وحوادثه أكثر من حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة ولكل سبع فريسة ، فأقل آفاته خيانة الحامل ، ووقوع الشاغل ، وعوائق الفتوح والقوافل .

فصل في ذكر إلا ولولا

الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب في المحاسن بالقدح المعلى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى . ولم يجعل فيه موضعا للولا ، ولا مجالا لإلا . فإن الإستثناء إذا اعترض في المدح أنضب ماءه وكدر صفاءه . وأنطق فيه حساده وأعداءه ، وكذلك قالوا : ما أملح الظبي لولا خنث أنفه(١) ، وما أحسن البدر لولا كلف وجهه(٢) ، وما أطيب الخمر لولا الخمار ، وما أشرف الجود لولا الإقتار ، وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر ، وما أطيب الدنيا لو دامت [من البسيط] :

(١) الخنث : أي تكسُّرٌ وانثناء .
(٢) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقع .

ما أعلـم النـاس أن الجـود مكسبةٌ للحمد لكنّه يأتـي علـى النشبِ[1]

فصل في الاعتداد

ذكر السيد أن اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعي ، والمعتزلي بالأشعري ، واعتداد الحجازيين بالشافعي ، واعتداد الزيدية بزيد بن علي ، واعتداد الإمامية بالمهدي .

فصل في ذم عامل تقلد الخراج

في هذه الناحية رجل قصْده الدرهم لا الكرم . وغرضه الثراء لا الثنـاء ، وقبلته البيضاء والصفراء ، لا المجد والثناء .

فصل في الاعتذار

ذكر سيدي من شوقه إلى ما لم يتكلم فيه إلا عن لساني ، ولم يترجم إلا عن شأني ، وقد طويت بساط المدام ، وصحيفة المؤانسة والنـدام ، وطلقـت الـراح ثلاثا ، وفارقت الغناء بتاتا ، حتى شكتني الأقداح ، واستخفنـي الـراح ، ونسـي بناني الأترج والتفاح [2] .

فصل في ذكر هدة

بلغني ذكر الهدّة ، فالحمد لله الذي هدم الدار ، ولم يهدم المقدار ، وثلم المال[3] ولم يثلم الجمال . وسلط الحوادث على الخشب والنشب ، ولم يسلطها

(١) النشب : المال من نقد وحيوان .
(٢) الأترُج : شجر من جنس الليمون تسمّيه العامة « الكبّاد » .
(٣) ثلم : انتقص .

على العرض والحسب ، ولا على الدين والأدب ، ولا بد للنعمة من عودة ، ولا بد لعين الكمال من رقية ، ولأن يكون في دار تبنى ، ومال يجبر وينمى ، خير من أن يكون في النفس التي لا جابر لكسرها ، ولا نهاية لقدرها .

فصل في ذكر الرمد

صادف ورود الكتاب رمداً في عيني حتى حصرني في الظلمة ، وحبسني بين الغم والغمة ، وتركني أدرك بيدي ما كنت أدرك بعيني ، كليل سلاح البصر قصير خطو النظر ، قد ثكلت مصباح وجهي ، وعدمت بعضي الذي هو آثر عندي من كلي ، فالأبيض عندي أسود ، والقريب مني مبعد . قد خاط الوجع أجفاني ، وقبض عن التصرف بناني . ففراغي شغل ، ونهاري ليل ، وطول ألحاظي قصار ، وأنا ضرير وإن عددت في البصراء . وأُمِّيّ وإن كنت من جملة الكتاب والقراء . قصرت العلة خطوتي قلمي وبناني ، وقامت بين يدي ولساني . وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تتجانس مبانيها ، وتتكافأ مقاطعها ومعانيها ، فيقولون : القلة ذلة ، والوحدة وحشة ، واللحظة لفظة ، والهوى هوان ، والأقارب عقارب ، والمرض حرض[1] ، والرمد كمد ، والعلة قلة ، والقاعد مقعد .

فصل في مدح الفقر

وإنما يكره الفقر لما فيه من الهوان ، ويستحب الغنى لما فيه من الصوان ، فإذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر ، واليسر هو العسر ، لا بل الفقير على هذه القضية أحسن من الغني ، وأقل منه أشغالا ، لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبة من كل رق ، فلا يستبطئه إخوانه ، ولا يطمع فيه جيرانه ، ولا تنتظر في الفطر صدقته ، ولا في النحر أضحيته ، ولا في شهر رمضان مائدته ، ولا

(١) الحرض : الهلاك .

في الربيع باكورته[1] . ولا في الخريف فاكهته ، ولا في وقت الغلة شعيره وبره ، ولا في وقت الجباية خراجه وعشره ، وإنما هو مسجد يحمل إليه ، ولا يحمل عنه ، وعلوي يؤخذ بيده ولا يؤخذ عنه ، تتجنبه الشُرَط نهارا ، ويتوقاه العسس ليلا[2] ، فهو إما غانم وإما سالم ، وأما الغني فإنما هو كالغنم غنيمة لكل يد سالبة ، وصيد لكل نفس طالبة ، وطبق على شوارع النوائب ، وعلم منصوب في مدرجة المطالب ، تطمع فيه الإخوان ويأخذ منه السلطان ، وينتظر فيه الحدثان[3] ، ويحيف ملكه النقصان .

فصل في ذم عامل

والله ما الذئب في الغنم بالقياس إليه إلا من المصلحين ، ولا السوس في الخز أوان الصيف عنده إلا بعض المحسنين ، ولا الحجاج في أهل العراق معه إلا أول العادلين ، ولا يزدجرد الأثيم في أهل فارس بالإضافة إليه إلا من الصديقين والشهداء والصالحين .

فصل في ذكر الآفات

من آفات العلم خيانة الوراقين وتخلّف المتعلمين ، كما أن آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين ، وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامة ، وقلة الخاصة ، وكما أن من آفة الكرم أن الجود آفة للمنع ، وأن البخل سبب للجمع ، وأن المال في أيدي البخلاء دون أيدي السمحاء ، وكما أن آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبة ، وأن السفيه منيع الحوزة ، وكما أن من آفة المال أنك إذا صنته عرضته للفساد ، وإذا أبرزته عرضته للنفاد ، وكما أن من آفات الشكر أنك إذا قصرت عن غايته غششت من اصطنعك ، وإذا أبلغتها أو أبلغت فيه أوهمت من

(١) باكورته : أول مطره ، والباكورة : أول كلّ شيء .
(٢) العسس : من يطوفون بالليل ويكشفون عن أهل الريبة .
(٣) الحدثان : الليل والنهار .

سمعك ، وكما أن من آفات الشراب أنك إذا أقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض نهمتك ، وإذا أكثرت منه تعرضت للإثم والعار ، وأبرزت صفحتك للألم والنار ، وكما أن من آفات المماليك أنك إذا بسطتهم أفسدت أدبهم وأذهانهم ، وإذا قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم ، وكما أن من آفات الأصدقاء أنك إذا استقللت منهم لم تصب حاجتك فيهم ، وإذا استكثرت منهم لزمتك حوائجهم ، وثقلت عليك نوائبهم ، وكسبت الأعداء من الأصدقاء كما تكسب الداء من الغذاء ، وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميت الطرب ، وأن الحاذق منهم ينسي الأدب .

وهذه جملة من أخباره تطرق لأشعاره

أصله من طبرستان ، ومولده ومنشؤه خوارزم ، وكان يتسم بالطبري ويعرف بالخوارزمي ، ويلقب بالطبرخزمي ، فارق وطنه في ريعان عمره وحداثة سنه ، وهو قوي المعرفة قويم الأدب ، نافذ القريحة حسن الشعر ، ولم يزل يتقلب في البلاد ويدخل كور العراق والشام ، ويأخذ عن العلماء ، ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء ، حتى تخرج وخرج فرد الدهر في الأدب والشعر ، ولقي سيف الدولة وخدمه واستفاد من يمن حضرته ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب ، وشرّق بعد أن غرّب ، وورد بخارى وصحب أبا علي البلعمي ، فلم يحمد صحبته وفارقه وهجاه بقوله [من الخفيف] :

إن ذا البلعمي والعين غينٌ وهو عارٌ على الزمان وشينُ
إن يكن جاهلا بخفيّ حنينٍ فهو الخفُّ والزمان حنينُ

ووافى نيسابور فاتصل بالأمير أبي نصر أحمد بن علي المكالي . واستكثر من مدحه ، وداخل أبا الحسن القزويني ، وأبا منصور البغوي ، وأبا الحسن الحكمي ، فارتفق بهم وارتفق من الأمير أحمد ومدحه ، ونادم كثير بن أحمد . ثم

قصد سجستان وتمكن من واليها أبي الحسين طاهر بن محمد ومدحه ، وأخذ صلته ، ثم هجاه وأوحشه حتى أطال سجنه ، فمما قاله في تلك النكبة قصيدة كتب بها إلى الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي [من الطويل] :

كتابي أبا نصرٍ إليك وحالتي ... كحال فريسٍ في مخالب ضيغمِ [1]
أرقُّ من الشكوى وأدجى من النوى ... وأضعفُ من قلب المحبِّ المتيَّمِ
غدوتُ أخا جوعٍ ولست بصائمٍ ... ورحت أخاعريٍ ولست بمحرِمِ
وقعت بفخّ الخوف في يد طاهرٍ ... وقوع سليكٍ في حبائل خثعمِ

يعني سليك بن سلكة السعدي حين أسره أنس بن مالك الخثعمي .

وما كنت في تركيك إلاَّ كتاركٍ ... يقيناً وراضٍ بعده بالتوهُّمِ
وقاطن أرض الشرك يطلب توبةً ... ويخرج من أرض الحطيم وزمزمِ
وذي علةٍ يأتي عليلاً ليشتفي ... بها وهو جارٌ للمسيح ابن مريمِ
وراوي كلامٍ مقتفٍ إثر باقلٍ ... ويترك قسّاً خائباً وابن أهتم[2]
جنابٌ تجنبناه ليس بمجدبٍ ... وبحرٌ تخطيناه ليس بمرزم[3]

رزم الماء : إذا انقطع ، وأرزمه غيره : أي قطعه .

وماء زلالٍ قد تركنا وروده ... زلالاً وبعناه بشربة علقم
لبست ثياب الصبر حتى تمزَّقتْ ... جوانبها بين الجوى والتندم
أظل إذا عاتبت نفسي منشدا ... (فهلا تلا حاميم قبل التقدم)

المصراع الثاني قاله قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل [4] :

---

(١) الضيغم : الأسد .
(٢) مقتفٍ : متّبع ، وباقل : يضرب به المثل في العيّ .
(٣) مرزم : منقطع .
(٤) وصدره في كلام قاتل محمد بن طلحة : « يذكّرني حاميم والرمح شاجرٌ »

وأنشـد في ذكرى لدارك باكياً « ألا انعم صباحا أيها الربع وآسلم »
ولـم أر قبلـي من يحـارب بخته ويشكو إلـى البؤسـي افتقـاد التنعُّمِ
ولا أحـدٌ يحـوي مفـاتيح جنّةٍ ويقـرع بالتـطفيل باب جهنّمِ
وقـد كان رأسـاً للتـدابير بلعمٍ وقـد صرت في الـدنيا خليفـة بلعمِ

يعني بلعم بن باعوراء . الذي أنزل فيه (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها)لأنه كفر بالله بعد تعلمه الإسم الأعظم ، وجحد نعـم الله سبحانـه وتعالى :

وقد عاش بعد الخلـد في الأرض آدمٌ فإن شئـت فاعذرنـي فإنّـي ابـن آدمِ
فيا ليتني أمسيت دهـريَ راقداً فإنّـي متـى أرقـدْ بذكرك أحلمِ
مكانـك من قلبـي عليك موفّرٌ متـى ما يرمـه ذكر غيرك يحتمي
لغيرك درديّ الوصـال وثيب الـــمقـال وممـزوج المـودة فاعلم[1]
وأنت الـذي صوّرت لي صورة المنى وأركبتنـي ظهـر الزمـان المذمَّم
وصيّرت عندي أنحس الدهـر أسعداً وكذّبـت عنـدي قول كلٍّ منجّم
وصغّـرت قدر النـاس عنـدي وطالما لحظـت صغيراً عن حمـاليق معظم

فجعل الله له من مضيق الحبس مخرجا ، فنهض إلى طبرستان ، وكانـت حاله مع صاحبها كهي مع طاهر بن شار ، فمن قوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

ألا أبلـغ بنـي شارٍ كلامي ومـن لم يلقهـم فهـو السعيد
عـلام ابتعتـم فرسـاً عتيقاً وليس لديكم علفٌ عتيدُ
وفيمَ حبستُـمُ في البيت بازاً يحيصُ الـطير عنـه أو يحيدُ
فـلا قرّبتمـوه فعلتموه ولا خلّيتـم عنـهُ يصيدُ

(١) دردي الوصال : الدُّرديّ من الزيت أو نحوه : ما يبقى في أسفل الإناء من الكدر .
وثيّب المقال : أي الكلام الذي ليس بكراً لأنّ الثيّب : هي التي افتقدت بكارتها .

وقوله من أخرى [من الوافر] :

وقـال أنـا المليك فقلـت حقّاً ... بقلـب الـلام نونـاً في الهجاء
ولـم أر من أداة الملك شيئاً ... لديك سوى احتمـالك للواء

ومنها :

أحين قلعـتُ نابـي كلِّ أفعى ... وحـادت أسـد بيشـة عن فنائي
وقـال النـاس إذ سمعـوا كلامي ... ألـم تكن الـكواكب في السماء
يخوّفنـي الكسـاد علـى متاعي ... وهـل يُخشـى فسـاد الكيمياء

وله من أخرى [من مخلع البسيط] :

لله في كل ما قضاه ... لطـائفٌ تحتهـا بدائع
سبحـان من يطعـم ابـن شار ... ويتـرك الكلـب وهـو جائع

ثم إنه عاود نيسابور ، وأقام بها إلى أن وفـق التـوفيق كلـه بقصـد حضـرة الصاحب بأصبهان ولقائه بمدحه ، فأنجحت سفرته ، وربحت تجارته ، وسعـد جده بخدمته ومداخلته والحصول في جملة ندمائه المختصين به ، فلم يخل من ظل إحسانه ووابله وغامر إنعامه وقابله ، وتزود من كتاب إلى حضرة عضد الدولة بشيراز ما كان سببا لارتياشه ويساره ، فإنه وجد قبولا حسنا واستفاد منها مالا كثيرا ولما انقلب عنها بالغنيمة الباردة إلى نيسابور استوطنها واقتنى بها ضياعا وعقـارا ودرت عليه أخلاف الدنيا من الجهات ، وحين عاود شيراز ورد منها علـلا بعـد نهل ، فأجري له عند انصرافه رسما يصل إليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي كان يحمـل من فارس إلـى خراسـان ، ولـم يزل يحسـن حال من رواء وثـروة واستظهار ، يقيم للأدب سوقا ، ويعيده غضا وريقـا ، ويدرس ويملـي ويشعـر ويروي ، ويقسم أيامه بين مجالس الدرس ومجالس الأنس ، ويجري على قضية قول كشاجم [من الرمل] :

عجبـاً ممَّـنْ تعالـت حاله فكفـاه الله زلاّت الطلبْ
كيف لا يقسـم شطـري عمره بين حالين نعيمٍ وأدبْ

وكان يتعصب لآل بويه تعصبا شديدا ، ويغض من سلطان خراسان ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه ، إلى أن كانت أيام تاش الحاجب ورجع من خراسان إلى نيسابور منهزما ، فشمت به وجعل يقول : قبحا له وللوزير أبي الحسن العتبي ، فأبلغ العتبي أبياتا منسوبة إلى الخوارزمي في هجائه ولم يكن قالها ، منها [من البسيط] :

قل للـوزير أزال الله دولته جزيت صرفاً علـى قول ابـن منصور

فكتب إلى تاش في أخذه ومصادرته وقطع لسانه ، وإلى أبي المظفر الرعيني في معناه ، وكان يلي البندرة بنيسابور إذ ذاك ، فتولى حبسه وتقييده وأخذ خطه بمائتي ألف درهم واستخرج بعض المال وأذن له في الرجوع إلى منزله مع الموكلين به ليحمل الباقي ، فاحتال عليهم يوما ، وشغلهم بالطعام والشراب وهرب متنكرا إلى حضرة الصاحب بجرجان ، فتجلت عنه غمة الخطب ، وانتعش في ذلك الفناء الرحب ، وعاود العادة المألوفة من المبار والأحبية واتفق قتل أبي الحسن العتبي وقيام أبي الحسن المزني مقامه ، وكان من أشد الناس حبا للخوارزمي ، فاستدعاه وأكرم مورده ومصدره ، وكتب إلى نيسابور في ردِّ ما أخذ منه عليه ، ففعل وزادت حاله وثبت قدمه ، ونظر إليه ولاة الأمر بنيسابور بعين الحشمة والاحتشام والإكرام والإعظام ، فارتفع مقداره وطاب عيشه ، إلى أن رمي في آخر أيامه بحجر من الهمذاني الحافظ البديع ، وبلي بمساجلته ومناظرته ومناضلته ، وأعان الهمذاني الحافظ البديع عليه قوم من الوجوه كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاقى ما لم يكن في حسابه من [مباراة المزني وقوته به] وأنف من تلك الحال ، وانخزل انخزالا شديدا(١) ، وكسف باله ، وانخفض طرفه . ولم يحل

(١) انخزل : انقطع وضعف .

عليه الحول حتى خانه عمره ، ونفذ قضاء الله تعالى فيه ، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وكان مولده في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، ورثاه الهمذاني بأبيات دس فيها سعاية ثانية ، وهي هذه [من المتقارب] :

حنانيك من نفس خافتٍ ... ولبيك عن كمدٍ ثابت
أبا بكر اسمع وقل كيف ذا ... ولست بمسمعة الصامت
تحمّلت فيك من الحزن ما ... تحمّله ابنك من صامت
حلفت لقد متّ من معشرٍ ... غنيين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامتٌ ... فقلت الثرى بفم الشامت
وعزّت عليَّ معاداته ... ولا متداركٌ للفائت

وقال فيه من أحسن على إساءته ، وهو أبو الحسن عمر بن أبي عمر الرقاني [من السريع] :

مات أبو بكر وكان أمرأً ... أدهم في آدابه الغرِّ(١)
ولم يكن حراً ، ولكنّه ... كان أمير المنطق الحرِّ

وهذه ملح ونكت من شعره في النسيب والغزل

قال من قصيدة وأبدع في وصف ما يتزايد من حسن الحبيب على الأيام التي من شأنها تغيير الصور وتقبيح المحاسن [من الوافر] :

وشمسٍ ما بدت إلا أرتنا ... بأن الشمس مطلعها فضول
تزيد على السنين ضياً وحسناً ... كما رقّت على العتق الشمول(٢)

---

(١) الأدهم : الأسود ، وأدهم في آدابه : أي يجمع القديم والجديد .
(٢) رقت على العتق الشمول : الشمول : الخمرة ، والعتق : القدم ، ورقّت : أصبحت أكثر صفاءً وعذوبة .

ومن أخرى [من الكامل] :

مضت الشبيبة والحبيبة فالتقى ... دمعان في الأجفان يزدحمانِ
ما أنصفتني الحادثاتُ رمينني ... بمودّعين وليس لي قلبان

ومن أخرى [من الخفيف] :

قلت للعين حين شامت جمالاً ... في وجوهٍ كواذب الإيماض
لا تغرنّك هذه الأوجه الغرُّ ... فيا ربّ حيّةٍ من رياض

ومن أخرى [من الطويل] :

عذيريّ من ضحكٍ غدا سبب البكا ... ومن جنّةٍ قد أوقعت في جهنم
لأنّكِ لا تروين بيتاً لشاعرٍ ... سوى بيتِ «من لم يظلم الناس يظلم»[1]

ومن أخرى [من الطويل] :

عذيريّ من تلك الوجوه التي غدت ... مناظرها للناظرين معاركا
عذيريّ من تلك الجسوم التي غدت ... سبائك تفنى الناس فيها السبائكا

ومن أخرى [من الطويل] :

خليليّ عهدي بالليالي صوافيا ... فما بالها أبدلن جيما بصادها
خليليّ هل أبصرتما مثل أدمعي ... نفدن وحقِّ الله قبل نفادها

ومن أخرى [من الطويل] :

يفلُّ غداً جيش النوى عسكر اللقا ... فرأيك في سحِّ الدموع موفقا[2]
وخذ حجتي في ترك جنبيَ سالماً ... وقلبي ومن حقيهما أن يشقّقا

---

(١) يشير إلى قول زهير بن أبي سلمى المزني من معلقته :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم

(٢) يفلّ : يقطع ويثلم ، والنوى : البعد والهجر ، وسحّ الدموع : هطولها .

يدي ضعفت عن أن تمزق جيبها ... وما كان قلبي ناظراً فيمزّقا

ومن أخرى [من الكامل] :

بسمتْ فأبدتْ جيدها فتكشّفت ... عن نظم درٍّ تحت نظم لآلي[1]
وأرتك خديها ولاح عليهما ... صدغان ذو خالٍ وآخر خالي
فكأن ذا ذالٍ خلت من نقطةٍ ... وكأنّ ذا دالٍ ونقطة ذال

ومن أخرى [من الخفيف] :

قد عصاني دمعي وخِلّي فخِلْتُ الـ ... ـخَلّ دمعاً وخلتُ دمعيَ خِلاً
وأحاطت بي الخصوم فجفناً ... مستهِلاًّ وصاحباً مستقلاً
وفؤاداً لو ظنّ إبليس أنّ ... النار في حرِّه لصام وصلى

ومن أخرى [من الطويل] :

هلّم الخطا بدر الدجنّة وارفقا ... بعينيكما فالضوء قد يورث العمى
ولا تعجباً أن يملك العبد ربه ... فإن الدّمى استعبدن من نحت الدمى

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلةٍ لا أعلم الدهر طيبها ... مخافة أن يقتصّ منّي لها الدهرُ
سهادٌ ولكنْ دونه كلُّ رقدةٍ ... وليلٌ ولكنْ دون إشراقه الفجرُ
وسكر الهوى لو كان يحكيه لذّةً ... من الخمر سكرٌ لم يكُنْ حُرِّم السكر
ولما أدارت مقلةٌ جاهليةٌ ... هلاك امرئٍ في ضمن ثوبي لها نذر
ومالت كأن قد سقيت خمر خدّها ... وكيف يميل الخمر من ريقه الخمر
حسدت عليها ناظري إذ تحلّه ... كما تحسد الأفلاك نعل فنا خسرو

---

(١) ورد صدر البيت هكذا :« بسمت فأبدت جيدها فتكشّف » ولا يستقيم به الوزن .

ومن أخرى [من الكامل] :

ولقد ذكرتك والنجوم كأنّها ... درٌّ على أرض من الفيروزجِ
يلمعن من خلل السحاب كأنّها ... شررٌ تطاير في دخان العرفج[١]
والأفق أحلك من خواطر كاسبٍ ... بالشعر يستجدي اللئام ويرتجي
فمزجت دمعي بالدماء ولم أكنْ ... صرف الهوى والعهد إن لم أمزج[٢]

ومن أخرى [من المنسرح] :

ليس على القلب للعذول يدٌ ... ولا ليومي من الفراق غدُ
كلُّ فؤادٍ مع الهوى عَرَضٌ ... وكلُّ يومٍ مع النوى أمدُ
يا أيها الطالبون بي رشداً ... متى التقى الحبُّ قطُّ والرشد
ولي فؤادٌ مذ صرت أفقده ... لم أنتفعْ بعده بما أجد
ولي حبيبٌ لو كنت أنصفه ... وجدت فيه أضعاف ما أجد[٣]
شهدت للقلب حين علّقه ... بأنه للوجوه منتقد

ومن أخرى [من المتقارب] :

عليك رقيبٌ ثقيل اللّحاظ ... متى لم يحط علمه يحدس[٤]
أنمُّ من المسك بالعاشقين ... وألحظ عيناً من النرجس

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

قلت لما رمدت عيناك والدمع سجام[٥]
إنّما عوقبت عن عيني فاعلم يا غلام

---

(١) من خلل السحاب : من بيته من خلاله ،والعرفيح : شجر سهلي .
(٢) صرف الهوى : خالصه ، والصرف : هو الصافي ومن الخمر : الذي لم يخالط بالماء .
(٣) وجدت : من الوجد وهو العشق .
(٤) يحدس : يظنّ ويخمّن .
(٥) سجام : سائل .

لا أصيبت هذه العين بعيني والسلام

* * *

وهذه لمع من تضميناته التي كانت رشيقة ، وطريقة أنيقة ، يضعها في مواضعها ، ويوقعها أحسن مواقعها ، ويفصح بها عن اتساع روايته وكثرة محفوظاته ، فمنها قوله من قصيدة في عضد الدولة [من الوافر] :

ولمّا أكثر الحسّاد فيه وقالوا قد تغضّنت الخدودُ[1]
أجاب الفضل عنه حاسديه (لأمر ما يسود من يسود)

« لأمر ما » البيت لبلعام بن قيس الكناني

بودّي لو رأى كنفيه يوماً ومن قد عاش تحتهما لبيد

لأن لبيدا يقول [من الكامل] :

* ذهب الذين يعاش في أكنافهم[2] *

ولو أنّ الوليد رآه يوماً غدا ورجاؤه غضٌّ وليدُ
وحلّ عُرى الزماع ولم يردِّدْ « أشرِّق أم أغرِّب يا سعيد »[3]

وله من أخرى [من الكامل] :

حسد السّماك سَميّهُ لما بدا في سرجه شخص الهمام الأبلج

السماك : فرس منسوب لعضد الدولة .

وغدا فأضحى لاحقاً ضدّ اسمه وأراك أعوج وهو عين الأعوج

(١) تغضّنت : تجعّدت .
(٢) هذا صدرُ بيت وعجزه قوله :
« وبقيت في خلفٍ كجلد الأجرب »
(٣) حلّ عُرى الزماع : أي انثنى عن الأمر الذي كان قد أزمع وصمّم على فعله .

فلــو ان شاعــر بحتــرٍ في عَصره | ما قال في فرسٍ ولا في أعوج
(خفّــت مواقــع وطئــه فلــو انّه | يجــري برملــة عالــجٍ لم يرهج)[1]

البيت كما هو للبحتري .

وقوله من أرجوزة [من الرجز] :

وقينــةٍ أحســن من لقياها | تملــي كتــاب الحســن مقلتاها
ونقطــه وشكلــه خداهـا | إذا اجتلاهــا اللحــظ أنشدناها

(* واها لريَّا ثُمَّ واهاً واها[2] *)

المصراع لأبي النجم

ومنها في وصف الناقة :

بجســرةٍ قائــدهـا براهـا | في السير بل سائقهــا رجلاها
قد كتــب العتــق علــى ذفراها | (أيّ قلــوصٍ راكبٍ تراها)[3]

البيت جاهلي قديم

ومن قصيدة [من الطويل] :

لعمــرك لولا آل بوية في الورى | لكان نهــاري مثــلُ ليلُ المتيَّم
وصمــت عن الــدنيا وأفطــرت بالمنى | ولــم يك إلاّ بالحــديث تأدُّمي

---

(١) برملة عالج : مكان كثيرالرمل. لم يرهج : لم يترك غباراً .

(٢) يروى بعده :

هــي المنــى لو أننــا نلناها | يا ليت عيناهــا لنــا وفاها
بثمــنٍ نرضي به أباها | إنّ أباهــا وأبــا أباها

قد بلغا في المجد غايتاها

(٣) ذَفِر الشيء : انتشرت رائحته وانتنت وذفر الناقة : رائحة إبطيها المنتنة ، والقلوص : الناقة .

(٤) تأدمي : طعامي وأكلي .

وأنشـدت في داري وفيمـا أرى بها　　(أمـن أمٍّ أوفـى دمنـةٍ لم تكلم)

المصراع لزهير[1]

ومن قصيدة في الصاحب [من الطويل] :

ومـن نصـر التـوحيد والعـدل فعله　　وأيقـظ نوّام المعالـي شمائله
ومـن ترك الأخيار ينشـد أهله　　(أجل أيها الربـع الـذي خفّ آهله)

المصراع لأبي تمام[2]

ومن أخرى [ومن الطويل] :

أخـو كلمـاتٍ ما جلاهـا لسانه　　علـى أحـدٍ إلا غدا وهـو خاطب
متـى يروهـا أهـل الصناعـة ينشدوا　　(عجائـب حتـى ليس فيهـا عجائب)

المصراع لأبي تمام أيضاً[3]

ومن أخرى [من البسيط] :

مقابـلٌ بين أقـوامٍ وألويةٍ　　مردّدٌ بين إيوان وديوان
إذا أتـى داره الأضياف أنشدَهُمْ　　(وإخوتـي أسـوةٌ عنـدي وإخواني)

المصراع لأبي تمام

يا ترجمـان الليالـي عن معاذرها　　وحجـة الزمـن الباقـي علـى الفاني
يا أبحث النـاس عن شعرٍ وعـن كرمٍ　　يا مورث الطبـع إحسانـاً بإحسان

---

(١) المصراع صدر مطلع في قول زهير وعجزه :
« بجومانة الدرّاج فالمتثلّم »
(٢) المصراع صدر مطلع في قول أبي تمام وعجزه :
« لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله »
(٣) المصراع عجز بيت لأبي تمام وصدره قوله :
« علي أنها الأيام قد صرن كلّها »

يا تاركي منشـداً من ظلٍّ يحسدني   (ليس الوقوف على الأطلال من شاني)

المصراع لعبد الله بن عمار الرقيّ

طلقـت بعـدك مدح النـاس كلِّهم   فإن أراجـعْ فإنّـي محصـن زاني
وكيف أمدحهـم والمـدح يفضحُهُمْ   إن المسيِّب للجانـي هو الجاني
قومٌ تراهـم غضابـى حين تنشدهُمْ   (لكنـه يشتهـي مدحـاً بمجّان)

البيت من قول القائل [من البسيط] :

عثمـان يعلـم أن المـدح ذو ثمن   لكنـه يشتهـي مدحـاً بمجّان

رجع :

ورابنـي غيظهـم في هجـو غيرِهِم   وإنّمـا الشعـر معصـوبٌ بعثمان
ما كلُّ غانيةٍ هنـدٌ كمـا زعموا   وربّمـا سبّ كشحـانٌ بكشحان(١)
فسـوف يأتيك منّـي كلّ شاردةٍ   لهـا من الحسـن والإحسـان نسجان
يقـول من قرعـت يومـاً مسامعه   قد عنَّ حسـان في تقـريظ غسان
الوشـي من أصبهـان كان مجتلباً   فاليوم يهـدى إليهـا من خراسان
قد قلـت إذ قيل إسمـاعيل ممتدحٌ   له من النـاس بخـتٌ غير وسنان(٢)
(النـاس أكيس من أن يمدحـوا رجلاً   حتـى يروا عنـده آثـار إحسان)

البيت كله تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

كتبـتُ ابـن عبـادٍ إليك وحالتي   كحـال صدٍّ طَمَـتْ عليه مَناهِلُهْ(٣)

---

(١) الكشحان بكشحان : حقد بحقد ، وعداوة بعداوة .
(٢) بخت : حظّ ، وسنان : غافل ، والوسن النعاس الذي يسبق النوم .
(٣) الصدّ : المنع ، وطمت فاضت ، والمناهل المشارب .

ومـا ·تركت كفّـاك فيّ خُصاصةً ... ولـكنّ شوقـاً قد غلـت بي مراجله[1]

أبيت إذا أجـريت ذكرك منشداً ... (كأنّـك تعـطيه الـذي أنـت سائله)

المصراع تضمين .

ومن أخرى في عضد الدولة [من البسيط] :

أضحـت ثياب فنـا خسـرو مزرّرةً ... علـى هزبـرٍ وإنسـانٍ وصمصامِ

القائـل القـول عيَّ السامعـون به ... فميّلـوا بين أوهـامٍ وأفهام

والفاعـل الفعلـة الغـراء لامعةً ... أوضاحهـا بين أقـلامٍ وأعلام

والتـارك التّـرك والخـذلان ينشدهم ... (يا بؤس للجهـل ضرّاراً لأقوام)

المصراع للنابغة الذبياني

ومنها :

[أغنيتنـي عن أنـاسٍ كان بعضُهُمُ ... عذري ومكثـيَ فيه بعض إجرامي]

المبغضين ليوم الفطـر جهدهُمُ ... لأنّهـم قطّعـوه غير صُوَّام

قومٌ إذا مرَّ ضيفٌ دحرجـوا حجراً ... وأسمـوا اليوم يوم العيد أو رام[2]

قد قدّمـوا نفـراً قبلـي فأنشدهم ... فضلـي ونقْصُ الأُلـى لاقـوا بإكرام

(قدمـت قبلـي رجـالاً لم يكُنْ لهُمُ ... في الحقِّ أن يلحقوا الأبواب قدامي)

تضمين كله .

ومن أخرى [من الطويل] :

لو أنّـك قد أبصـرت تاشـا وفائقاً ... علـى ظهـر يخـتٍ أدبـرِ الظهـر رازم

وقـد كتـب الإدبـار في جبهتيهما ... بإنشـاء مقمـورٍ وتحـرير نادم

(١) الخصاصة : الحاجة والفقر ، المراجل : جمع مرجل وهو القدر .

(٢) رام : من رام الشيء : قصده ، أو رام عن المكان : ابتعد وفارق .

(فـلا تأمنـن الدهـر حرّاً ظلمته فإن نِمْـتَ فاعلـمْ أنّـهُ غير نائم)

تضمين كله .

ومن أخرى [من الطويل] :

وقائـع لو مرّت بسمـع ابـن غالبٍ لمـا قال ما بين المصلّـى وراقمِ
(أتتنـي ورحلـي بالمدينـة وقعةٌ لآل تميمٍ أقعـدت كلَّ قائم)

البيت للفرزدق ، قاله حين سمع وهو بالمدينة قتل وكيع بن أبي الأسود لقتيبة بن مسلم .

سلِ الله واسـأل آل بوية إنّهمْ بحـار المعالـي لا بحـارُ الدراهمِ
تحبُّهـم البلـدان فهـي نواشزٌ علـى كلِّ زوج بعدهـم أو محارمِ[1]
إذا رامهـا أعداؤهـم تركتُهُم فلـم يلقهـم إلاّ برمـحٍ وصارم
ممـالك قد نادت عليهـم حروبهمْ بطـول القنـا يحفظـن لا بالتمائم[2]

ومن أخرى كتب بها من أرجان إلى الصاحب وصف فيها الحمى [من الوافر] :

ولـو أبصـرتَ في أرجـانِ نفسي عليهـا من أبـي يحيى ذِمامُ
ولـي من أمٍّ ملـدمَ كلَّ يومٍ ضجيجٌ لا يلـذُّ له منامُ
مقبِّلـةٌ وليس لهـا ثنايا معانقـةٌ وليس لهـا التزام
كأنّ لهـا ضرائـرُ من غذائي فيغضبهـا شرابـيَ والطعام
إذا ما صافحـت صفحـات وجهي غدا ألفـاً وأمسـى وهـو لام
إذاً لرأيت عبـدك والمنايا تصيحُ به تنبَّـهْ كمْ تنام
ومـا أستبـكاك من بعـدي أسيرٌ يرضُّ عظامـه الحـقُّ العظام[3]

---

(١) الناشز : التي ترفض الطاعة .

(٢) القنا : الرماح ، والتمائم : جمع تميمة ما يعلقه الانسان في كتفه لردّ الأذى .

(٣) يرضّ : يدقّ ويطحن .

ولا ترجيع ثكلى خلف نعشٍ (أمحمولٌ على النعش الهمام)[1]

التضمين للنابغة الذبياني

ولا ترديد صبٍّ وهو باكٍ (سُقيتِ الغيثَ أيُّها الخيامُ)
ولولا فقد وجهك لم أعبِّسْ على ضيف يقال له الحِمام
فما في العيش لولا أنتَ طيبٌ ولا في الموت لولا أنتَ ذامُ
وكنت ذخرتُ أفكاري لوقتٍ فكان الوقت وقتك والسلامُ
وكنت أطالب الدنيا بحرٍّ فأنت الحرُّ، انقطع الكلام
ولما سرتُ عنك رأيت نفسي وبين القلب والرِّجْلِ اختصام
فذاك يقول منك السير عنه وتلك تقول منك الإغترام
وسائلني بعلمك من أراه وقالوا (ما وراءك يا عصام)
فقلت زكاة ما يحويه علمٌ لمن لغلامه مثلي غلام

آخره تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

ويشربُ لكنْ في إناءٍ من الثرى رحيقاً خوابيها الطلا والمناكبُ[2]
ويسمعُ لكنّ الغناء مدائحٌ ويكنز لكنّ الكنوز مناقب[3]
لو ان حبيباً كان لاقاه لم يقلْ (وأكثر آمال النفوس الكواذب)

آخره تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

---

(١) الترجيع : النواح والبكاء ، والثكلى : الفاقدة .
(٢) الرحيق : الشراب الصافي ، الطلا : الدماء. والمناكب: جمع منكب ، وهو مجمع رأس الكتف والعضد، والمنكب من القدم: عونهم الذي يعتمدون عليه .
(٣) يكنز : يجمع ، والمناقب : الآثار الحميدة .

وفي الدّست شخصٌ ودّت الأنجم التي تقابله لو أنهنّ مجالسُ
فلا تعجبوا أن يحمل الدست عسكراً فما كلُّ أمرٍ تقتضيه المقايسُ
وأن يسع الدست اللطيف لعالمٍ فقد وسعت إسم الإِلَه قراطس
أمينٌ إذا ما الناس مالوا لغيره (ومحترسٌ من مثله وهو حارس)

المصراع الأخير تضمين لعبد الله بن همام سار مثلاً .

ومنها :

وكنت آمرأً لا أنشد الدهر خالياً سوى بيت ضرٍّ نجمه الدهر ناحسُ
(أقلّي عليَّ اللوم يا أمَّ مالكٍ وذمّي زماناً ساد فيه القلاقس)[1]

البيت كما هو لعبد الله بن همام .

فأصبح إنشادي لبيت إذا جرى ففيه نديمٌ ممتعٌ ومؤانسُ
(ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا بها أثرٌ جديدٌ ودارسُ)[2]

البيت لأبي نواس .

ومن أخرى [من الكامل] :

يا من يدرِّس خالياً حجابه سهل الحجاب مؤدبُ الخدامِ
كم تطرد الدنيا وترجع بعد ما (قد طُلِّقَتْ تطليقة الإسلام)

المصراع الأخير لابن هرمة .

فكأنّها شيعيَّةٌ قُمِيَّةٌ وكأنَّ سيدنا الوزير إمامي[3]
ويقولِ للخطاب غيرك (ليس ذا وقتُ الزيادة فارجعي بسلام)

(١) القلاقس : العبيد .
(٢) أدلجوا : أدخلوا ، ودارسٌ ، بالٍ .
(٣) قمّية : نسبة إلى قم في إيران وبها حوزة علمية مشهورة للطائفة الشيعيّة .

من بيت جرير [من الكامل] :

طرقتـك صائـدة القلـوبِ وليس ذا وقـتُ الـزيارة فارجعـي بسلام

ومن أخرى [من الطويل] :

وجدنـا ابـن عبـاد يؤدّي فرائضاً من المجـد ظنَّتهـا اللئـام النوافلا
جديرٌ بأن يغشـى الكريهـة منشداً (أقاتـل حتـى لا أرى لي مقاتلا)

المصراع لزيد الخيل .

ومن أخرى [من الطويل] :

تعـاصيهُـمُ أسيـافُنـا فكأنّمـا يرين بريئـاً من سَفـكن له دما
كأنّ ظُباهـا ساعـة الـروع عُلِّمت (ولن تستـطيع الحلـم حتـى تحلّما)

المصراع الأخير لحاتم الطائي .

ومن عضدية [من الطويل] :

وكم عصبـةٍ قرحـي عصـوك فأصبحوا بهـم يومهـم خمـرٌ وفـي غدهـم أمرُ
وصارخـةٍ للـزوج كان غناؤها (لهـا كنية عمـروٍ وليس لهـا عمرو)

من بيت أبي صخر الهذلي [من الطويل] :

أبـى القلـب إلاّ حبّهـا عامرية لهـا كنية عمـروٍ وليس لهـا عمرو

رجع :

فصيّرتها ثكلى وأصبح قولها (كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر)

المصراع الأخير تضمين .

ومن قصيدة في أبي نصر بن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أُضحـي من عطـاياك شاعراً لقد صرت أمسـي من جنابـك مفحما

أبيت إذا أجـريت ذكرك منشداً وأن أعتـبَ الأيام فيه فربَّما
وما لي من الأصـوات مقتـرحٌ سوى (أعالـج وجـداً في الضـمير مكتّما)

المصراع الأخير للبحتري .

ومن قصيدة في الأمير أبي نصر الميكالي [من الطويل] :

نجـر ذيول الفخـر حتـى كأنّنا لعزتنـا في آل ميكال ننتمي
هم شحمـةُ الـدنيا فإن نتعدَّهم إلى غيرهم نحصل على الفرث والدم[1]
سقى الله ذاك الـروض جوداً كجودهم وصيَّر آجـال العـداة إليهمِ
وأبقـى أبـا نصـرٍ ليربـي عليهمُ سنين كمـا أربـى بنينٌ عليهمِ
وعـاش إلـى أن يتـرك النـاس مدحه ومـن ذا الـذي يرجـو إياب المثلَّمِ[2]

وفي الأمثال « لا أفعل ذاك حتى يؤوب المثلم » .

هو الحـرُّ لا يحبـو بثـوبٍ مطرَّزٍ غسيلٍ ولا يدعـو بكيسٍ مختَّمِ[3]
ولا يعـدم الراؤون منـه ثلاثةً عطـاءً وعـذراً وانبساطـاً لديهمِ
ويعـذُب إنْ ينصفْ كمـا عذُبـت نعمْ ويثقـلُ إنْ يظلـمْ كمـا ثقلـتْ لَمِ
صفـوحٌ عن الجهـال ينشـد فعله (ويشتـم بالأفعـال لا بالتكلمِ)

المصراع تضمين ، وهو جاهلي معروف .

ومن قصيدة في الهجاء [من الكامل] :

زمـن المـروءة عهـده بفتوَّةٍ عهـدي بتـرك الشّـرب في شوالِ
غضبـانُ ينشـد حين يبصـرْ سائلاً كُفِّـي دعـاءك إننـي لك قالي

---

(١) شحمة الدنيا : أي أحسن وأطيب شيء فيها ، الفرث : الروث من الحيوانات ، أو بقايا الأطعمة في كروشها .
(٢) الإياب : العودة : المثلَّم : أي الذي ثلمه الدهر في نفسه وماله .
(٣) يحبو : يجود ويعطي .

وله مواعدُ قد حكت في طولها ... (آلت أمور الشرك شر مآل)

البيت ابتداء قصيدة لأبي تمام في المزنيين .

ومن أخرى [من الوافر] :

متى ما زرتُهمْ أوصيت أهلي ... وصية عائدٍ بالجرم بادي
بتجديد الصنادق للهدايا ... وتوسيعِ المرابط للجيادِ
وإن ودَّعتهم أنشدت فيهمْ ... (سقى عَهد الحمى سيل العهاد)

المصراع لأبي تمام .

ومن أخرى في شمس المعالي [من الطويل] :

شموسٌ لهنّ الخدر والبدر مغربٌ ... فطالعها بالبين والهجر غاربُ
ولكنّما شمس المعالي خلافها ... مشارقه ليست لهنَّ مغاربُ
فما لقبوه الشمس إلا وقد رووا ... (بأنّك شمسٌ والملوك كواكبُ)

المصراع الأخير من بيت النابغة .

أقول لزوّار الأمير ترجّلوا ... فمن زاره من راجلٍ فهو راكبُ
وإن زاره الفرسان كنت كفيلهُمْ ... بأن يرجعوا والخيل فيهم جنائب[1]
إذا رجعوا عن بابه فنشيدهُمْ ... (وإن سكتوا أثنت عليه الحقائب)
ألا أبلغوا عنّي الأمير رسالةً ... تدلُّ على أني على الدهر عاتب[2]
إلى كم يحل المرء مثلك بلدةٍ ... بها منبرٌ فيها لغيرك خاطب
لقد هان من أمسى ببلدة غيره ... (وقد ذلّ من بالت عليه الثعالب)

---

(١) جنائب : الفناء .

(٢) عاتب : لامه على مكروه فعله .

هذه من سقطاته وعرره ، الواقعة في غرره فإن فيه سوء أدب ، وهو بالتقريع أشبه منه بالتقريظ ، وليس مما يخاطب به الملوك .

ومما زل فيه أقبح زلة ، قوله من قصيدة في الصاحب . وقد اعتل [من الطويل] :

نعوا ليَ نفسَ المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس[1]

فإن في لفظه النعي ما فيها من الطيرة ، إذ هي مما يقع في المرثية لا في العيادة ، ثم قال :

فهلاّ فداه منهُ من ليس مثله ومن ربعه في ساحة الجود دارسُ[2]
جزى الله عنّي الدهر شرّاً فإنّهُ يضايقني في واحدٍ وينافسُ

ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب من قصيدة [من الخفيف] :

ومهيبٍ كأنّما أذنب النا س إليه فهم مُغشون ذلاً
وظريفٍ كأنّ في كلٍّ فعلٍ من أفاعيله عرائس تُجلى

فإن الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف ، إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مخنثاً لما زاد ، والكامل من عدت سقطاته ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

***

(١) السقام : المرض ، ويمارس : يعاني ويلاقي .
(٢) دارس : متقادم عهده .
(٣) ورد في صدر البيت « ألا أبلغنا عنّي الأمير رسالة » ولا يستقيم الوزن كذلك .

وهذه غرر من مدحه وما يتصل بها

فمن ذلك قوله من عضدية [من الطويل] :

غريبٌ على الأيام وجدانُ مثلِهِ ... وأغربُ منه بعد رؤيته الفقرُ
فلا حرٌّ إلاّ وهو عبدٌ لجوده ... ولا عبدُ إلاّ وهو في عدله حرُّ
عجبت له لم يلبس الكِبْرَ حلّةً ... وفينا لأنْ جزنا على بابه كبرُ

وله من أخرى [من البسيط] :

متى أشقُّ رواق الملك تلحظني ... عين آمرىءٍ بغيوب المجد علاّمِ
متى أرى قمرَ الديوان مطّلعاً ... في سطو بهرام بل في ملك بهرامِ
متى أقبّل فرشاً لا يقبّله ... عافٍ فيفرق بين الترب والسامِ(١)
ما لي أبيت بشيرازٍ وأصبح في ... داري فدت يقظتي نومي وأحلامي
ما يطلب الحلم من قلبي يقلّبُهُ ... عندي من السُّقم ما يكفيه أسقامي
أصبحت أشكر ليلاً أشتكي غده ... الليلُ عوني والأيام غُرَّامي
والأرض تعلم أنّي سوف أمسحها ... حتى أرى من يرى بالليل أوهامي

ومن أرجوزة [من الرجز] :

يا عضد الدولة من يمناها ... يا مهجة قالت لها أعلاها
من أسخط الدرهم أرضى الله ... ومن أزال المال صان الجاها

وقال من قصيدة [من الوافر] :

بحمدك لا بحمد الناس أُضحي ... وكيلي ليس يكفيه وكيلُ
وكانوا كلّما كالوا وزنّا ... فصرنا كلما وزنوا نكيلُ
وزدت من العيال وذاك أنّي ... كتبت على لقائك من أعولُ

---

(١) العافي : الطالب المعروف ، أو الضيف .

وعشـت ونـاقصٌ رزقـي فأضحى مفاعلتـن مفاعلتـن فعولُ
وكنـت أبيع من سقـط القوافي وأحجـر ما تضمنـت الحمولُ
وأكتـمُ من أبـايع دِقَّ بَزّي فقـاض عليه نائلك الجزيلُ(١)

ومن أخرى [من الطويل] :

ألا حركا لي أبـرويز بن هرمزٍ وقـولا له قُمْ تلْـقَ أعجوبـةً قمِ
نطلّـع إلـى الـدنيا لتعلـم أنَّ ما ملـكت من الـدنيا بمقـدار درهمِ
لعمـرك لولا آل بوية لم يكن نهـاري إلاّ مثـل ليل المتيَّمِ

ومنها :

وهـم جعلونـي بين عبـدٍ وقينةٍ ودارٍ ودينـارٍ وثـوبٍ ودرهم
وهـم تركوا الأيام تعجـب أن رأتْ سلـوّي ولا أرقـى السمـاء بسلم
وهـم حالفونـي أوطـأوا في صلاتهم وصلـت عن الأبطـال شعـري فيهم

ومن أخرى [من الكامل] :

ختمتْ بك العجـم الملوك وراجعت بك تاجُ ملكِهِـمِ القـديمِ المنهجِ
لم يفقـدوا بك أزدشير وإنّما فقـدوا نقيصـة دينـه المستسمجِ(٢)

ومن أخرى [من البسيط] :

وغـاظ مدحـك أقوامـاً وفـي يدهمْ لو طاوعوا الجـود تقديمـي وإحجامي
ومـا ظعنـتُ علـى نهـرٍ فأغضبهُ لكنْ ذكرت عبـاب الزاخـر الطامي(٣)
أكلُّ فاضـلِ أقـوامٍ شهـدت له يغتـاظ من ذكره مفضـولِ أقوام

(١) دقّ بري : أي النفيس منها ، والنائل : العطاء .
(٢) المستسمج : الثقيل المكروه .
(٣) طعنت : رحلت ، العباب الزاخر : الماء الكثير الواسع ، والطامي الفائض .

ومن صاحبية [من الطويل] :

وأبيضَ وضّــاح الجبين كأنّما محيّاه قد درَّت عليه شمائله
يقبِّـل رجليه رجــالٌ أقلُّهمْ تقبَّـل في الدّســت الــرفيع أنامله

ومنها :

أقبــل أشعــاري إذِ آسمــك حشوها وأشتــم ملبوســي لأنّــك باذله
وأخطــر في حافــات دارٍ ملأتها طرائف باقـي العيش منهـا وحاصله(١)

وله من أخرى [من الطويل] :

وأنــت امــروٌ أعــطيت ما لو سألته إلهـك قال النــاس أسرفــت سائلا(٢)
وإنــي وإلــزاميك بالشعــر بعدما تعلّمتــه منــك الــذّرى والفواضلا
كملــزم ربٍّ الــدار أجــرة داره ومثلك أعطــى من طريقين نائلا

ومن أخرى [من الكامل] :

ولقــد عهـدتُ العلــم أكســد منْ بهتــانِ فرعــون لدى موسى
فأقــام قاعــد سوقــه رجلٌ ميت الرجــاء ببابــه يحيا
فالعلــم أصبــح في الــورى علماً والشعــر أمســى يســكن الشِّعرى(٣)

ومن أخرى [من مجزوء الوافر] :

بنيت الــدار عاليةً كمثــل بنائــك الشَّرفا
فــلا زالــت رؤوس عدا ك في حيطانهــا شُرُفا

ومن قصيدة في مؤيد الدولة ذكر فيها افتتاحه قلعة من أبكار القلاع واستنزاله

---

(١) أخطر : أمشي على مهل ، والطرائف : جمع طريف : المال الحديث النعمة .
(٢) في هذا البيت مبالغة بغيضة .
(٣) علماً : أي جبلاً ظاهراً ، والسّعرى : نجم في السماء .

صاحبها المسمى كوشيار منها [من الطويل] :

وكنت سماءً والعجاج سحائباً وخيلك أبراجاً وجيشك أنجما[1]
وأنزلت منها كوشيار وإنّما تقنَّصت من فوق المجرَّة ضيغما
عرفتك صياد الأسود ولم أكُنْ عرفتك صياد الأسود من السما
خدمتُكُمُ يا آل بوية مدّةً غدا بينها فرخ الوسائل قشعما[2]

ومن أخرى في أبي الحسين المزني [من الكامل] :

كَلِمٌ هي الأمثال إلاّ أنها في الناس قد أضحت بلا أمثال[3]
فإذا لقين فإنّهنّ عوالي وإذا شممن فإنهم غوالي

ومن صاحبية [من الطويل] :

تأخّر عن كتبي الجواب ، وإنّما تأخر برد الماء عن كبدٍ حرَّى
فلا تفسدنْ عشرين ألفاً وهبتها بعشرين حرفاً كلامك تُستمرى

ومن ميكالية [من الوافر] :

فديتك ما بدا ليَ قصد حرٍّ سواك من الورى إلا بدا لي
وإنك منهم وكذاك أيضاً من الماء الفرائد واللآلي
وتسكن دارهم وكذلك سكنى الـحجارة والزمرّد في الجبالِ

***

(١) العجاج : الغبار .
(٢) القشعم : النسر .
(٣) وقع هذا البيت في الأصول :
كلمٌ من الناس هي الأمثال إلاّ أنها أضحت بلا أمثال
وهو غير مستقيم الوزن على هذه الصورة .

وهذه فقر من مراثيه

قال من قصيدة رثى بها ركن الدولة أبا علي [من المتقارب] :

ألســت ترى السيف كيف انثلمْ ... وركن الخلافــة كيف انهدمْ
طوى الحســن بن بويه الرَّدى ... أيدري الــرّدى أيَّ جيشٍ هزمْ

ومنها أيضاً :

طــويلُ القنــاة قصير العداتِ ... ذميمُ العــداة حميدُ الشيمْ[1]
فصيح اللســان بديع البنان ... رفيعُ السنــان سريع القلم
يكيل الرجــال بأقدارها ... ويرعــى البيوتــات رعْــيَ الحرم
جــوادٌ عليهــم بخيلٌ بهمْ ... إذا ساء خصَّ وإنْ سرّ عمْ
فيا دهــر سحقــاً ولا تحتشم ... فقــد ذهــب الرجــل المحتشمْ
وخــطَّ الفنــاء علــى قبره ... بخــطِّ البــلا وبنــان السَّقمْ
إذا تمَّ أمــرٌ دنــا نقصه ... توقــع زوالاً إذا قيل تم

ومنها :

إذا كان يبــكي الــورى بالدموع ... وتبــكي بهــنَّ فأين القيمْ
وقــد ساءنــي عُطَــلُ الدهــر منك ... وقــد كنــت حِلياً عليه انتظمْ
فمــا يستحــقُّ الزمــان اللئيم ... مقامــك فيه وأنــت الكرمْ

وله من أخرى في مرثية أبي الفتح بن العميد [من الكامل] :

يا دهــرُ إنّــك بالرجــال بصير ... فلطالمــا تجتاحهــم وتبير[2]
يا دهــر غيري من خدعــت بباطلٍ ... وابــن العميد مغيَّبٌ مقبور

(١) طويل القناة : كناية عن قوته وقدرته ، والقناة : هي الرمح. والشيم : الصفات والمزايا والأفعال .
(٢) تجتاحهم وتبير : تقضي عليهم وتفنيهم .

الآن نادتنــا التجــارب طلِّقوا دنياكُمُ إنَّ الســرور غرورُ
يا دهــر ظلّ لمخلبيك فريسةً رجــلٌ لعمــري لو علمــت كبيرُ
رجــلٌ لو أن الكفــر يحســن بعده هُجِـيَ القضــاء وأُنِّــب المقدور
أشــكو إليك النفس وهــي كئيبةٌ وأذمُّ فيك الدمــع وهــو غزيرُ
وأقــول للعين الغــزير بكاؤها خطــبٌ لعمــري لو عميتِ يسيرُ
قد متُّ بعــدك ميتــةً مستورةً قد ساقهــا لي موتــك المشهورُ
ودفنــت في قبــر الهمــوم وضمَّني كفنــان ضيقُ الصــدر والتفكيرُ
ضحكت إليك الحور ضحـكك كلَّما وافــاك ضيفٌ أو أتــاك فقيرُ
وضفــت عليك ذيول رحمــة ربنا والله برٌّ بالجــواد غفورُ
وسقــى ضريحــك مستهــلٌّ عمره شهــرٌ وعمــر النبــت منــه شهورُ
جودٌ ككفّــك أو كعينــي أو دمٍ أجــراه سيفــك في العــدى مشهورُ
أهــوى القيامــة لا لشــيءٍ أنْ ألقــاك فيهــا والأنــام حضورُ
وأحــب فيك المــوت علمــاً أنني بعــد الممــات إلــى اللقــاء نصيرُ

ومن أخرى [من الطويل] :

أسـرّك أنّ الدهــر يجنــي لمــا جنى ولم يك في الأحبار والنصب يدعي[1]
فيا عجبــي من ناصبــيً وفرحةٍ وأعجــب منــه الحــز ن في المتشيِّعِ
وأعجــب من هذين إظهــارك الأسى لمـن غاب عن دار الأســى والتوجُّعِ
ألــم تر أن الله قال تمتّعوا قليلاً ولــم يُبـقِ قليلَ التمتُّعِ

ومن أخرى يرثي بها مؤيد الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة [من الطويل] .

رزئـت أخــاً لو خُيِّر المجــد في أخٍ من النـاس طهــراً ما عداه ولا استثنى
وقــد جاءت الــدنيا إليك كمــا ترى طفيليةً قد جاوبــت قبــل أنْ تُدعى

(١) الأحبار : جمع حبر ، وهو العالم ، والأسـقف عنـد النصـارى ، ورئيس الكهنـة عنـد اليهـود .
والنّصب : أي من يناصب عليّاً العداء .

صبت بك عشقاً وهي معشوقةُ الورى   فقد أصبحتْ قيساً وعهـدي بهـا ليلى
ولمـا رأت خطّابهـا تركتهُمُ   ولـم ترضَ إلاّ زوجهـا الأوّل الأولى
ولـم تتساهـل في الكفـيٍّ ولـم تقلْ   رضيتُ إذا ما لم تكنْ إبـلٌ معزى
علـى أنهـا كانـت جفتـك تذلّلاً   فخليتهـا حتـى أتـت تطلـب الرجعى

وله من قصيدة رثى بها أبا سعيد الشيبي وكان واداً له عاتبا عليه [من الوافر] :

أيدري السيف أيَّ فتـىً يبيدُ   وأيَّة غايةٍ أضحـى يريدُ
لقـد صادت يدُ الأيام طيراً   تضيق به حبالـة من يصيد
وأصبـح في الصـعيد أبـو سعيدٍ   ألا إن الصـعيد به سعيد(١)
وقـد كانـت تضيق الأرض عنهُ   فلِـمْ وسعـتْ لجثّتـه اللحود
بلـى مسَّ الثـرى قلبـاً رحيباً   فأعـدى التـرب فاتّسـع الصعيد
فـلا أدري أأضحـك أم أبكي   وتهدمنـي المنيَّةُ أو تشيد(٢)
صـديقٌ فقـد فقدنـاه قديمٌ   وثـكلٌ قد وجدنـاه جديد
مصـابٌ وهـو عند النـاس نُعمى   ونحسٌ وهـو عنـد النـاس عيد
تهنّينـي الأنـام به ولكنْ   تعزّينـي المواثـق والعهود
وسيفٌ قد ضربـت به مراراً   فمـن ضرباتـه بي لي شهود
فلمّـا أن تفلّل ظِلْـتُ أبكي   وعنـدي منـه فعـد دمٌ جسيد(٣)
ومـن عجـب الليالـي أنّ خصمي   يبيد وأنّ حزنـي لا يبيد
وأن النصف من عينـي جمودٌ   وإن النصف من قلبـي جليد
إذا سفحـت عليه دمـوع عيني   نهاهـا الهجـر منـه والصدود

---

(١) الصعيد : الثرى ، أو القبر .

(٢) ورد صدر البيت هكذا :

« فلا أدري أأضحك أم أبكي »

ولا يستقيم به الوزن .

(٣) تفلّل : تقطّع وأصابته الفلول فأهلكته ، وجسيد : ملتصقٌ به .

وآثـارٌ له عنـدي قباحٌ ... يجمّش بينهـا الـرأس الحديد
فنصفٌ من مدامعهـا سخينٌ ... ونصفٌ من مدامعهـا برود
فمـن هذا رأى في النـاس مثلي ... أريد من المنـى ما لا أريد
ومـن نكد المنيّةِ فقـد حرٍّ ... تخـالف فيه إخوانـي الشهودُ
فذا هنّـى وقـال مضـى عدوٌّ ... وذا عزّى وقـال مضـى وديدُ
رأيت العقـل ينفـع وهـو قصدٌ ... ويلقـي في المهـالك إذ يزيدُ
كمثـل الـدرع إنْ خفّـت أجنَّتْ ... وإنّ ثقلـت فحاملهـا جهيد[1]
ومثـل المـاء يروي منـه قصدٌ ... ويقتـل منـه بالغـرق المزيد
شهـدت بأنّ دهـراً عشـت فيه ... ومـتٌّ مقيَّداً فرداً مبيد
وقالـوا البحـر جزرٌ ثم مدٌّ ... فما لك قد جزرت ولا تعود
بكيت عليك بالعين التـي لم ... تزل من سوء فعلك بي تجود
فقـد أبكَيتنـي حيّاً وميتاً ... فقـل لي أيُّ فعليك الرَّشيد
فهـا أنـا ذا المهنّـأ والمعزّى ... وهـا آنـا ذا المبـاغض والودود
وهـا أنـا ذا المصـاب بك المعافى ... وهـا أنـا ذا الشقـيُّ بك السعيد
لقـد غادرتنـي في كلِّ حالٍ ... أذمُّ الدهـر فيك وأستزيد
فلا يومٌ تمـوت به مجيدٌ ... ولا يومٌ تعيش به حميد
ومـا أصبحـت إلاّ مثـل ضرسٍ ... تأكّل فهـو موجـودٌ فقيد[2]
ففـي تركي لـه داءٌ دويٌّ ... وفـي قلعـي له ألـمٌ شديد
فلا تبعـد إقامـة رسـم حقٍ ... وإنّـك أنـت للشـيء البعيد
وإنـك أنـت للسيف الحديد ... وإنـك أنـت للعلـم السديد
وإنـك أنـت الـدنيا جميعاً ... ولـكن ليس للـدنيا خلود

---

(١) أجنّت : حفظت وردّت ، وجهيد : متعب .
(٢) تأكّل : تفتّت .

وله من قصيدة يرثي بها أبا الحسن المحتسبي [من البسيط]:

وصاحبٍ ليَ لو حلّت رزيتُهُ ... بالطير ما هتفت يوماً على فنن
عاشرته عشرةً لو أنّها وقعتْ ... بين الضّحى والدّجى ساراعلى سننِ [1]
حتى إذا نلت سؤلي من مواهبه ... وصادني بشباك الوصل والمنن [2]
ثكلته بعد ما سارت محاسنه ... في العظم واللحم سير الماء في الغصن
يا دهرَ أثكلتني حتى أبا الحسنِ ... لقد أمِنْتُ عليه غير مؤتمن
وصلت سهمك منّي يوم قتلكَهُ ... في مقتل القلب لا في مقتل البدن
جمعت ضدّين من خرقٍ ومن أدب ... بطش الجهول ومكر العاقل الفطن [3]
قد كنت أعجب لمْ أخرت من أجلي ... فالآن أدري لماذا كنت تذخرني
ولم يكن في الورى ذا منظرٍ حسنٍ ... في مخبرٍ حسنٍ إلاّ أبو حسن

وله في عائذ بن علي لما ضربته السموم فهلك [من الخفيف]:

عائدٌ قد دعا به المعبود ... وجميع الورى إليه يعود
أهلكته السموم في أرض مكرا ... ن ولله في الرِّياح جنود

وله في أبي سهل البستي الكاتب [من السريع]:

مات أبو سهلٍ فواحسرتا ... ان لم يكن قد مات مذ جُمْعَهْ
ما حزني إلاّ لأن لم يمت ... بموته من أهله تسعَهْ
مصيبةٌ لا غفر الله لي ... إن أنا أذريت له دمعَهْ

***

(١) السنن : الشريعة والحدود .
(٢) المنن : الإنعام .
(٣) الخرق : الجهل والطيش ، والمكر : حسن التدبير .

وهذه نتف من أهاجيه في خلفاء العصر

قال [من البسيط]:

ما لي رأيت بني العباس قد فتحوا   من الكنى ومن الألقاب أبوابا
ولقَّبوا رجلاً لو عاش أولُّهم   ما كان يرضى به للحشِّ بوابا
قلّ الدراهم في كفّي خليفتنا   هذا فأنفق في الأقوام ألقابا

وله في علوي ناصبي [من الوافر]:

شريفٌ فعله فعلٌ وضيع   دنيء النفس عند ذوي الجدودِ
عوارٌ في شريعتنا وفتحٌ   علينا للنصارى واليهودِ[1]
كأن الله لم يخلقه إلاّ   لتنعطف القلوب على يزيد

وله في فقيه [من الخفيف]:

مجبرٌ صيَّر ابنه ناصبياً   مجبراً مثله وتلك عجيبه[2]
ليس يرضى أن يدخل النار فرداً   ساعة الحشر أو يقود حبيبه

وله في أبي سعيد بن مله [من السريع]:

أبو سعيدٍ زحلٌ للكرام   ومنسفٌ ينسف عمر الأنام[3]
لم أره إلاّ خشيت الرّدى   وقلت يا روح عليك السلام
يبقى ويفنى الناس في شؤمه   قوموا انظروا كيف بخوت اللئام

---

(١) العوار : العيب والنقص .

(٢) مجبر ، على زنة اسم الفاعل كمكرم : أي قائل بالجبر ، وملخص هذه المقالة أنّ العبد لا اختيار له في فعل ما يفعل وترك ما يترك من خير وشر وأنّه كالريشة في مهبّ الريح ، وأصحاب هذه المقالة يزعمون أنّ عقاب المسيء ظلم ، وثواب الطائع محاباة ، والناصبي : الذي يدين الله بسبّ عليّ بن أبي طالب وأولاده .

(٣) زَحَل : مبعد ومتعب ، والمنسف : من نسف : دكّ وذرّى .

ثـــم تراه سالمـــاً آمناً يا ملك الموت الـــى كَمْ تنام

وله فيه [من الطويل]:

أرى لك أفعـــالاً تنـــاقض أمرها على أنهـا في القبـــح والعـــار واحد
نبيذك ذا حلوٌ ، ووجهـــك حامضٌ، ومـــاؤة ذا سخـــنٌ ، وفعلك بارد

وله في أبي الطيب البيهقي [من السريع]:

يبـكي من المـــوت أبـــو طيبٍ دمـــعٌ لعمـــري غير مرحومِ
ويشتـــكي ما يشتهـــي غيره شكاية الخير من الشوم
ساكتنـــا الشيخ أبـــو طيّبٍ والصّمـــت أحيانـــاً منَ اللوم

وله فيه [من المتقارب]:

فســـا الشيخ سهـــواً وفـــي كفّه شرابٌ فلمنـــاه لومـــاً قبيحا
فقـــال [لـــي] الدخـــل والخـــرج لي فأدخلـــت راحـــاً وأخرجـــت ريحا

وله في نديم حمامي [من مجزوء الرمل]:

قـــل لمـــن ينـــكح بالعيـــــون جواري الأصدقاءْ
والـــذي يعتقـــد المـــــلك له قبـــل الشراءْ
أنـــت والله نشيط الـ أير كســـلان الوفاء
ليت قلبـــي قدَّ من أيـــــرك في باب الذكاء
أمهل الساقي ولا تخـــــــجله بيـــن الندمـاء
أنـــا بالساقـــي كفيلٌ لك من بعـــد العشاء
فـــإذا ما انصـــرف النا س فجـــد لي بالأداء
لك أيرٌ جاهليٌّ من أيور السفهاء

يـا كثيـر المـاء أقرضـنا ولـو حمَّـة مـاء[1]
أنـت من أيرك هذا في عنـاء وبلاء
أعظـم الله لـك الأجـر علـى هـذا العناء

وله في طاهر السجزي [من الوافر]:

ألا يا سائلـي بأبـي حسينٍ وفـي التجـريب علـمٌ مستفادُ
هو ابـن سميه والطـاء عينٌ وشبـه كنيه والسين صاد[2]

وله من قصيدة [من الوافر]:

فإن أسـكن ببلـدة إبـن شهرٍ فإن البـدر ينـزل في الظّلام
أصغرِّهـا وإن عظُمـتْ ولكنْ لهـا أهلـون ليسـوا بالعظام
وفرسـانٌ ولـكن في الحشايا وأجـواد ولـكن بالكلام
صغـارٌ بالمطالـب والسجايا وإن كانـوا كبـاراً بالعظام[3]

وله أيضاً [من الوافر]:

أبـو زيدٍ فتـىً حرٌّ، ولكنْ لنـا في أمـر ذاك الحـرِّ ظنّه
أراه يشتـري الغلمـان سوداً عفاريتـاً فيوهمنـي بأنّه

وله في فائق وقد قصد الأمير أبا علي لمحاربته [من الرجز]:

قد خطـب الصفـع قفـا الخصي فمرحبـاً بالخاطـب الكفي
ورحـل البـاز إلـى الكركي فأبشـروا بلحمـه الطري

(١) الحمّة : عين الماء الحارّة التي تنبع من الأرض ويستشفى بها .
(٢) والطاء عين : أراد هو ابن عاهر، والسين صاد : أراد أبو حصين ، وهو كنية الثعلب وهو مضرب المثل في المكر .
(٣) صغارٌ بالمطالب والسجايا : أي أن هممهم صغيره ترضى بالدون من الأشياء .

وله في أبي سعيد رجاء وأبي القاسم العباس ابني الوليد [من الوافر] :

ولما [أن] رأيت ابني وليدٍ وبينهما اختلافٌ في الفعال
وهبتُ قبيح ذا الجميل هذا وأسلفتُ العواقب والليالي
إذا اليد أحسنتْ منها يمينٌ فسوّغنا لها ذنب الشمال

وله في رجل جليت ابنته على الختن وهي منه حبلى لأشهر [من المنسرح] :

يا جالي البنت بعد ما ثقبت تبزر القدر بعد ما قلبتْ
هذا كما قد يقال في مثلٍ جصصت الدار بعد ما خربت

***

وهذه فقر وظرف له في فنون مختلفة

قال من قصيدة [من مجزوء الكامل] :

لا يصغر الرجل الكبير بعشرةِ الرَّجل الصغيرِ
بل يكبر الرجل الصغير بخدمة الرجل الكبير
ويركبُ التِّبرُ النفيس على الدنيء من السيور[١]
ماذا يضرُّ البدر قرب النجم منه المستنير
بل ما يضرُّ السيل مجراه على الأرض الحدور
بل ما عسى صغر السفين يغضُّ من عظم البحور
قد زادني شرفاً ولم ينقصه من شرفٍ حضوري
كالنار ليس بناقصٍ منها اقتباس المستعير
تلقي الفتى سهل الشريعة للجليس وللعشير

(١) السيور : جمع سير ، وهو قطعة من الجلد مستطيلة .

أو ما رأيتَ البحر يغــرق منـه بالخطب اليسير
والنـاس مثـل الجسـم يعتمـد القبيل على الدبير[1]
يتحـامـل العضـو الخـطـيـر بقـوَّة العضـو الحقيـر
كتحـامـل الـرمـح الـطـويـل بزجِّـه ذاك القصيـر[2]

ومن أخرى [من السريع]:

يا أيُّهـا الخاطـب مدحـي وهل يورد من غير رشـاءٍ قليبْ[3]
شيئـان لم يجتمعـا لامرئٍ حبُّ الدنـانير وحـبُّ الحبيب

ومن أخرى [من الوافر] :

ولـي والله إخـوانٌ كثيرٌ نصيبـي من فعالهـم سواء
ولكنـيّ رأيتـك من أناسٍ إذا لم يحسنـوا فلقـد أساءوا

ومن أخرى [من الكامل]:

ومتى شتمـت الدهـر تشْتـم صابراً تبـكي ويضحـك ذلك المشتوم

لاومن صاحبية لما ورد حضرته مكتوب من جهة تاش [من الطويل]:

فإن ردّنـي دهـري عليك طريدةً فلا غرو أن يسترجـع القـوس حاجبُ
هو الـوكر طرنـا والـرّيش وافدٌ وعدنـا إليه الآن والـرّيش ذاهب

ومنها :

جزى الله عني أهـل سامـان ما أتوا وفـي الله للثـأر المضيَّعِ طالبُ
هُمُ زوَّجونـي الهـمَّ بعـد طلاقه وذلك عرسٌ للمآتـم جالب

---

(١) القبيل والدبير : الامام والخلف أو الوجه والقفا .
(٢) الزج : حديدة في أسفل الرمح .
(٣) الرشاء : الحبل ، والقليب : البئر .

هُمُ اعطشوا زرعي فشِمْتُ سحائباً غرائب لما أخلفتني القرائبُ[1]
فأنحوا لزرعي بالحصادَ وأنضبوا مياهاً لها أيدي سواهم مذانبُ
أتحصد أيديكم ويزرعُ غيركُمْ فأنتم جرادُ والملوك سحائب

أخذه من قول ابن عيينة [من الطويل] :

أبوك لنا غيثٌ نعيش بظلِّهِ وأنت جرادٌ لستَ تبقي ولا تذرُ

رجع :

إذا طمع السلطان فيما كسبته بشعري فالسلطان بالشعر كاسبُ
فأنتُمْ مدحتم آل بوية لا أنا وأمدح من لفظ اللسان حقائب

ومن أخرى [من مجزوء الكامل] :

لاحت لوجهي أنجمٌ للشيب عُدْنَ به طوالعْ
أودعت منهنَّ الصِّبا من لا يرى ردًّ الودائع
فقصصتهنَّ وإنّما دهري بمقراضي أخادع[2]
وإذا عدوُّك كان بعضك في الخطوب فمن تقارع

ومن أخرى [من الخفيف] :

خضبَّتني الأيام لون بياضٍ وخضاب الأيام ليس بناضي[3]
وتخطتني المنون إلى شعري فأضحى مكفَّناً ببياض
[ولعمري إنِّي لغير لبيبٍ في قتال الأيام بالمقراض]

ومن أخرى [من الكامل] :

---

(١) شمت : نظرت وتطلّعت .
(٢) المغراض : المقصّ ، وأخادع : من الخداع .
(٣) الخضاب : الصباغ ، وناضي : مفارق .

وأراك تشكو الشيب تظلُمُهُ   والشيب زرعٌ بزره العمر
كالخمر يجلُبُها الخِمار وقد   يُهجى الخِمارُ ويمدح الخمر

وله في تلميذ عاق [من الكامل] :

هذا أبو بكر صقلت حسامه   فغدا به صلتاً عليَّ وأقدما
أمسى يجهِّلني بما علّمته   ويريشُ من ريشي لرمي أسهما[1]
يا منبضاً قوساً بكفّي أحكمت   ومسدداً رمحاً بكفي قوِّما
أرقيت بي في سلَّمٍ حتى إذا   نلت الذي تهوى كسرت السُّلَّما

وله يهجو [من الوافر] :

أبا نصرٍ رويدك من حجابٍ   فلست بذلك الرجل الجليلِ
ولا تبخل بهذا الوجه عنّا   فليس بذلك الوجه الجميلِ
وللأشعار قومٌ لست منهمْ   ولكنِّي هجوتك في السبيلِ

ومن قصيدة في الشكوى [من الكامل] :

ولقد بلوت الأصدقاء فلمْ   أر فيهُمُ أوفى من الوفرِ
وكذاك لم أر في العدا أحداً   أنكى لمن عادى من الفقر
ذهب الغنى وورثت عادته   فأنا الغنيُّ وغيري المثري
وتجمَّعتْ في اثنتانِ ولَمْ   يتجمَّعا في سالف الدهر
لا يبرح المقصوص موضعه   ولقد قصصت فطرت عن وكري

ومن أخرى في نكبة المزني [من الكامل] :

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا   دمعي يحاكي لفظك المنظوما

(١) ويريش : من أريش السهم : أي ألصق عليه الريش ، ويريد هنا أن يقول إنه يرميه بسهامٍ من صنعه .

ولقد حزنت عليك حتى قد حكى قلبي فؤاد حسودك المحموما

ومن أخرى فيه [من الكامل]:

قتل المواجر والعجائب جمّةٌ شيخ المشايخ بل فتى الفتيانِ
لا تعجبوا من صيد صعوٍ بازياً إن الأسود تصاد بالخرفانِ(1)
قد غرّقت أملاك حمير فأرةٌ وبعوضةٌ قتلت بني كنعانِ

ومن أخرى في أبي القاسم المزنّي لما قبض عليه [من الكامل]:

وثب الصغير على الكبير وقدْ يُطفي الترابُ حرارةَ الجمر
لا تعجبنَّ فربَّ ساقيةٍ قد كدرت طرفاً من البحرِ
هذا الحسام يفلّه حجرٌ وبه قوام النهي والأمرِ
غصبت جذيمة نفسه امرأةٌ فاصطيد ذاك الحرُّ بالحرِّ
هيهات هذا الدهر ألأم من أن لا يسر العبد بالحرِّ

وله ، وقد طلبت جارية له بعشرة آلاف درهم [من السريع]:

ياطالباً روحي ليبتاعها أنت رسول الغمِّ والحسره
غدوت بالبدرة فارجع بها لست أبيع البدر بالبدرة

وله من أخرى [من الهزج]:

أيا من قربه خبره ويا من بعده عبره
ويا من وصله يومٌ ويا من هجره فتره
ويا من وصله أعلى من الشمأل بالبصره
ويا من نظرةٌ منه تساوي مائتي بدره

(1) الصّعو : عصفور صغير .
(2) بالحرّ : حرُّ المرأة : فرجها .

ويا من قد حكى خدا ه قلبي فيهما جمره
ويا من طرف من أبصر بدراً بعده يكره
ويا من عينه جيشٌ كثيفٌ لأبي مرّه[1]
ويا من نخر الشيطا ن في مولده نخره
وقال اليوم ألقيت بني آدم في الحفره
ويا من أنذرت عينا ه عيني مائتي مرّه
أيا عين ارجعي ما كلُّ وقتٍ تسلم الجرّه
ويا أحسن من يسر يلقى صاحب العسره
وما أعذب في الأنفس من صفحٍ على قدره
ويا من لست أرضي قط بالبحر له قطره
ولا أرضى له البدر على إشراقه غرَّه
ولا أرضى له الأرض على فسحتها حجره
ولا أرضى له بلقيس بجلوها على العذره
ولا أرضى برزق الانس والجنّ له سفره
ولا أرضى من القلب له عشقُ بني عذره
ولا أرضى له السعد غلاماً والمنى سخره
ولا أرضى له الرمل نضاراً والحصى نقره[2]
ولا أرضى له إلاَّ بنفسي أمةً حرّه
قد استخرجت من عيني عيناً في الهوى ثرّه
فلو فجّرتها فجرّ ت منها آثنتي عشره
وقد أضجعني فوق فراش الهم والحسره
وقد علّمتني كيف يموت المرء من نظره

---

(١) أبو مرّة : من كنى إبليس .

(٢) النضار : الذهب الخالص . والنقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

وله في وصف الخمر من قصيدة [من الطويل] :

وصفــراءَ كالدينــار نبـت ثلاثةٍ شمــالٍ وأنهــارٍ ودهــرٍ محرَّمِ
مســرَّةُ محــزونٍ وعــذر معربدٍ وكبــر مجوســيٍ وفتنــة مسلم
ممــاتٌ لأحياءٍ حياةٌ لميّتٍ وعُــدمٌ لمــن أثــرى ثراءٌ لمعدم
يدور بهــا ظبــيٌ تدور عيوننا علــى عينــه من شرط يحيى بن أكثم
ينزّهنــا من ثغــره ومدامه وخــدّيه في شمس وبــدرٍ وأنجم
نهضــن إليهــا والظــلام كأنّه معــاش فقيرٍ أو فؤادُ معلّمِ (١)

وله ، وقد دخل إلى صديق له فبخره وسقاه [من الكامل] :

بخّــرتُ ثم سقيتُ في دار امرىءٍ تضحــي القلــوب طوالبــا لوفاقه
فكأنّمــا سُقِّيتُ من ألفاظه وكأنّمــا بخِّــرتُ من أخلاقه

وله [من البسيط] :

يا من يحــاول صرف الــراح يشربها فلا يلفُّ لمــا يهــواه قرطاسا
الكأس والكيس لم يقض امتلاؤهما ففــرِّغ الــكيس حتــى تمــلأ الكاسا

وله [من الخفيف] :

عزل الــورد عن أنــوف الندامى وأتتنــا ولاية الريحان
فاقض حق الريحــان بالــراح فالريـــــحان والــراح في الــورى أخوان
وآنــدب الــورد وابــكه بدموعٍ من دمــوع الأقــداح لا الأجفان

وله [من الطويل] :

رأيتــك آن الشــرب خيَّمـت عندنا مقيمــاً وإن أعســرت زرت لماما(٢)

(١) فؤاد معلّم : أي به علامة .
(٢) خيّست : سجنت نفسك ، وآن الشرب : أوانه ، لماما : أحايينا أي الفترة بعد الفترة .

فمــا أنــت إلا البــدر إن قلّ ضوؤه أغــبّ وإن زاد الضياء أقاما

وله [من مجزوء الرجز] :

سقانــي الوجــه الحسنِ كأســا فخلّيت الرسنْ
وصــار عنــدي حسناً قتــل الحسين والحسن

وله في الند [من الوافر] :

وطيبٍ لا يخــلُّ بكلّ طيبِ يحيّينــا بأنفــاس الحبيبِ
يظــل الــذّيل يستــره ولكنْ تنــمُّ عليه أزرار الجيوب
متــى يشمُمْــهُ أنفٌ حنَّ قلبٌ كأنّ الأنفس جاســوس القلوبِ

وله من قصيدة [من الطويل] :

عذيري من عين الزمان فإنّها إذا استحسنت مستحسناً قلّ طائله
ومــا أنــت إلا البيت غُنْــمٌ دخوله كثيرٌ عواديه بعيدٌ مراحله

وله في باقة ريحان [من الرجز] :

وضغــثِ ريحــان إذا ما وصفَهْ واصفــه قيل له زدْ في الصفّه[1]
دقّقــه صانعــه ولطَّفه كأنّــه وشــمُ يدٍ مطرَّفه[2]
أو حظٌّ وراقٍ أدقّ أحرفَهْ أو زغبــات طائــر مصفّفه

* أو حلّةٌ بخضرةٍ مفوّفه *[3]

---

(١) ضغث : قبضة من عشب مختلط، رطبٍ ويابس .
(٢) الوشم : السّمة والعلامة على الجلد مطرّفة : مزينة ومعلمة .
(٣) التفويف : التزيين ، ثوبٌ مفوف : أي مزيّن بالألوان .

ومن أرجوزه :

لا تشكر الدهر لخيرٍ سببه ... فإنّه لم يتعمد بالهبه
وإنّما أخطأ فيك مذهبه ... كالسيل إذ يسقي مكاناً خربه
والسمُّ يستشفي به من شربه ... ما أثقل الدهر على من ركبه
حدّثني عنه لسان التجربه ... ما أهون الشوكة قبل الرّطبه

* وأسهل الكدّ على من أكسبه *

وله [من المجتث (١)] :

لا تيأسنّ من حبيبٍ ... إذا توعرّ خلقه
فكلّما صلب الخبز ... كان سهلاً مدقُّه

وله [من الكامل] :

لا تصحب الكسلان في حاجاته ... كم صالحٍ بفسادِ آخر يفسدُ
عدوى البليد إلى الجليد سريعةٌ ... والجمر يوضع في الرماد فيخمدُ

وله [من الطويل] :

عليك بإظهار التجلُّد للعدى ... ولا تظهرنْ منك الذبول فتحقرا
ألست ترى الريحان يشتم ناضراً ... ويطرح في الميضا إذا ما تغيراً(٢)

وله [من الطويل] :

تمنّيتُ خلاَّتٍ على الدهر أربعا ... ولم أر مسئولاً أشحُّ من الدهر
جماعاً بلا ضعفٍ ، وشرباً بلا سكرٍ ، ... وعمراً بلا شيبٍ ، وبذلاً بلا فقر

---

(١) سقط هذان البيتان من « ب » .
(٢) الميضا : مكان الوضوء ، حيث يُغتسل ويُتنظّف بالماء للصلاة .

وله [من الطويل]:

وأنـي لأرجـو الشيبَ ثمَّ أخافه ... كما يُرتجى شرب الدواء ويحذر
هو الضيف إن يُسبق فعيشٌ مكدرٌ ... عليّ وإن يَسبق فموتٌ مقدَّر

وله [من الكامل]:

لا تفرطنْ في حدّة أعملتها ... فيكلَّ ذاك الحدُّ منك وتفشلا[1]
أو ما ترى الصمصام والسِّكين إن ... زادا على حدٍّ الصقال تفلَّلا[2]

وله [من الرجز]:

الملك عندي متعة الشباب ... والعزل عندي فرقة الأحباب
والفقر عندي عدم الشراب ... والشيب عندي كذب الخضاب
والقبح عندي عدم الآداب ... والعرس عندي ليلة الكِتاب
والروض عندي مُلَحُ الأعراب ... والبغض عندي كثرة الإعراب
والسيف عندي قلم الكتاب ... والنجح عندي سرعة الإياب
والطرد عندي كلحة البواب ... والذلّ عندي وقفة الحجاب[3]
والقحط عندي قلة الأصحاب ... والشؤم عندي كثرة العتاب
والعيُّ عندي هذر الخطاب ... والعزّ عندي طاعة الصواب
والإلُّ عندي خلّة القحاب ... والغول عندي طلعة الكذاب[4]
والصفح عندي أبلغ العقاب ... واللوم عندي سفه الشراب
والأمس عندي أسرع الهرّاب ... والمال عندي أسرع الهِراب
والغدّ عندي الحقّ للطلاب ... والفخر عندي أفخر الثياب

(١) يكلّ: يضعف ويتعب.
(٢) تفلّلا: أي تقطّعا.
(٣) الطرد: من طرد يطرد، والكلحة: العبسة.
(٤) الإلّ: الذمة أو العهد.

والسجـن عنـدي منـزل التراب		والهـول عنـدي موقف الحساب

وله من أخرى [من المنسرح]:

ولا تغتـرر بالحليم تغضبه		فربمـا أحـرق الثـرى البرد

***

٥٩ ـ أبو سعيد أحمد بن شبيب الشبيبي

فرد خوارزم ومفخرتها ، وكان جامعاً بين أدب القلم والسيف . وفروسية اللسان والسنان ، صاحب كتب وكتائب [وفضائل ومناقب] ولما اختص بالدولة السامانية . والدولة البويهية ، سمى صاحب الجيشين ، وشيخ الدولتين، وقال [من الرمل]:

ربِّ إنّ ابـن شبيبٍ أحمدا		صاحـب الجيشين شيخ الدولتين
واثـقٌ بالله يرجـو المصطفى		وأخـاه المرتضـى والحسنين

وسمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان الشبيبي في أيام شبابه بخوارزم يقول شعراً غليظاً جاسياً كأشعار المؤدبين ، فلما عاشر الناس ولقي الأفاضل لطف طبعه ، ورق شعره ، كقوله وكتب به إلى [من مجزوء الخفيف]:

للشـبيبـي صنيـعتـك		حسـراتٌ لـفرقـتـك
واشتيـاقٌ إلـى لقا		ء تباشيـر طلعتـك
ربِّ سهِّـل لقاءه		يـا إلّهـي برحمتـك

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامـد قال : أنشدنـي أبـو سعيد صاحـب الجيشين لنفسه في أبي بكر الخوارزمي [من الوافر]:

أبـو بكرٍ له أدبٌ وفضلٌ		ولـكنْ لا يدوم علـى الإخاء
مودّتـه إذا دامـت لخلٍّ		فمـن وقـت الصبـاح إلـى المساء

وأنشدني غيره له في الأمير أبي نصر الميكالي [من البسيط]:

يا آل ميكال أنتم غرَّةُ العجمِ ... لكنَّ أحمد فيكم درَّةُ الكرمِ
لا تحسدوه فإنّ الله فضّله ... منكم عليكم جميعاً ، بل على الأممِ
لا تحسدوا رجلاً ما إنْ له شبهٌ ... فيمن برى الله من عُرْبٍ ومن عجم
فمن يحاكيه في الأفضال والكرمِ ... أم من يناوئْهُ في الآداب والقلم
أم من يساجله في كلِّ مكرمةٍ ... أم من يعادله في الجود والهمم
يا آل ميكال إنِّي قد نصحتكُمُ ... نصح آمرىءٍ في هواكم غير متّهم
فاستسلموا لقضاء الله واعترفوا ... بفضل أحمد طوعاً أو على الرغم

وعندي له مقطوعات تصلح لهذا المكان ، ولكنها غائبة عني الآن .

***

٦٠ - أبو الحسن مأمون بن محمد بن مأمون

له من قصيدة في مدح الأمير أبي العباس مأمون بن محمد أولها [من البسيط] :

أغاظني الدهر من إنصافه جنفا ... هل كان غيري من الأيام منتصفا(١)
أشكو إلى غير مشكوٍ ليشكيني ... هل ينفع الدنف استشفاؤه الدنفا(٢)

ومن أخرى في الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد خوارزم شاه كان [من الخفيف] :

كم له من يدٍ عليَّ إذا ما ... عُدِّدتْ لم يكن لعدَّتها كمُّ
ما لجهلي قصور شكري فمن علوم الضرورات شكر من كان منعمُ(٣)

---

(١) الجَنف : الظلم والميل عن الحق .
(٢) الدنف : المريض .
(٣) لم يكن لعدّتها كمّ : أي لا يمكن عدُّها وإحصاؤها .

لست والله ناسي البرّما انسا ب بطبع الحياة في جسدي الدمُ

ومن أخرى [من المتقارب]:

لئن طال عهدي بوجه الأمير فقد طال عهدي بأن أسعدا
إذا شئت رؤية ما في الزمان فزُرْ شخصه الفاضل الأوحدا
ترى الليث والغيث والنيرين والناس والبحر والمسندا

ومنها :

وبلَّغهُ الله أقصى مناه وأسنى له مُلْكَ ما مهّدا
ولا زال نيروزه عائداً بأفضل حالٍ كما عوّدا

***

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التاجر الوزير كان بخوارزم

قال من قصيدة في أبي سعيد الشبيبي أولها [من الخفيف]:

حُكمُ عينيك نافذٌ فيَّ ماضي كيفما شئت فاقض ما أنت قاضي
وكأنّ الصباح لمَّا تجلّى ليَ سيفٌ له الشبيبيُّ ناضي
الهزبر الذي له الدرع كاللبدة لليث والقنا كالغياض[1]

ومنها في وصف القلم :

ناطقٌ ساكبٌ أصمٌّ سميعٌ قلقٌ ساكنٌ وقوفٌ ماضي
ناحل الجسم نابه الإسم منقّي الوسم في كلّ عاندٍ ذاي اعتراضِ
هاكها يا أبا سعيدٍ عروساً بِكْرُ فِكْرٍ فكنْ لها ذا افتضاض
وابسط العذر في قصوري عن با بك في هذه الليالي المواضي

(١) الغياض : جمع غيضة : الموضع الكثير الشجر والماء .

لم يكن عاق عن لقائك مولا ... ي سوى فرطِ حشمةٍ وانقباض

وله [من مخلع البسيط]:

في كلِّ يومٍ لك ارتحالٌ ... تُصلِح للملك فيه حالْ
ما سرّنا فيك من إيابٍ ... إلاّ وقد ساءنا انتقالْ
فلا نهنّيك بانقلابٍ ... إلاّ وفي عقبه زيال[1]
حتى كأنّا نراك حلماً ... ومنك يعتادنا خيال
بذلت للملك نفس صونٍ ... ما اعتاقها الأين والكلال[2]
فقف قليلاً فقد تشكّى ... إسارك الخيل والبغال
ودم لخوارزم شاه يمنى ... يد لها غيرك الشمال

وقال فيه يستعطفه أيام محنته حين أساء رأيه فيه إذ كان أوحشه في أيام دولته [من البسيط]:

يا من له في المعاني نيّةٌ حسنَه ... حتى جفا جفنه من حُسنها وسنه
ومن حكى خطّه زهر الربى حسداً ... وودّ سحبان من إعرابه لسَنَهْ
أحسنت رأيك في إسحاق فانفرجت ... عنه الهموم وعادت حاله حسنه
كذاك فاحسبه فينا ننج من كربٍ ... يمرُّ فيها علينا اليوم ألف سنه
وأغضِ عمّا مضى فالمُهْرُ ممتنعٌ ... صعبٌ إلى أن يرى في رأسه رسنه
وأنت بدر دجى ، بل أنت شمس ضحىً ... بل أنت بحر حجىً ، بل أنت خصب سنه

وكتب إلى صديق له [من المجتث]:

وعدتني بالرجوع ... من قبل وقت الهجوعِ

---

(١) الزيال : مسيرٌ إلى مكان آخر ، وزيّل الرجل : باعد ما بين فخذيه وهذا دليل على المشي .
(٢) اعتاقها : منعها ، والأين : التعب .

وقـد تغـافلت حتَّى أضـرمتـنـي بالـجـوع
فبـالـرجـوع تفـضَّـلْ أولاً فـبالـمـرجـوع

***

٦١ ـ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الرقاشي

من أبناء الوزراء بمدينة خوارزم ، وكان ككشاجم كاتباً شاعراً منجماً ، فمن غرره قوله من قصيدة في الشبيبي [من الكامل] :

إنّ الهـوى سبـبٌ لكلِّ هوانِ وفـراق من تهـواه موتٌ ثاني
سقياً لدهـرٍ كنـت حلف أغاني فيه وخـدن الـراح والريحان[١]
لم تبقِ لي هممي وحسـن شمائلي منهـا سوى ذكرى علـى الأزمان
ولقـد رضيت بأن أرى متفرِّداً دون القـرين مقارعـاً أقراني
أرمـي إذا حملـوا وأظعـن إن رموا وأقـدُّ منهـم من أراد طعاني[٢]
تنفـي الخناجـر في الحناجـر غصَّتي والبيض في بيض العـدا أحزاني
وأعـدُّ عنـد مواردي ومصادري حكم الكهـول وصولـة الشبان[٣]
مستبدلاً ضرب الطـلا بمصـارع الـــشكوى وضـرب الـدفّ والعيدان
مسـتغنياً بالرمـح أخضـب صدره عن كلِّ مخضـوبِ البنـان حصان[٤]
متسربـلاً زرد الدمـوع كأنّها شعـرٌ تفلفـل في الحـي الحبشان
مستشعـراً باسـم الشبيبـيِّ الذي عمّ الـورى بالبـرِّ والإحسان
يفـدي الكمـاة أبـا سعيدٍ إنَّه حامـي الحمـاة وفـارس الفرسان
يا أحمـد بن شبيبٍ المفـدى على جور الزمـان وسطـوة الحدثان

---

(١) سقياً : دعاءً بالخير لذلك الدهر ، والخدن : الصاحب ، والراح : الخمر .
(٢) أرمي : أضع أحمالي ، وأضعن : أرحل .
(٣) الموارد والمصادر : الشرب من الماء ، والعودة عنه بعد الارتواء .والصولة : الوثبة .
(٤) أخضب صدره : أي أصبغه بالدم الأحمر ، والحصان من النساء : العفيفة .

أنــت القــرين لكلّ جدٍ مقبلٍ   أنــت البشير بكل فتــحٍ داني[1]
لك عزمــةٌ بهــرامُ من أتباعها   لك همَّــةٌ تسمــو إلـى كيوان
فإذا ركبــت ضمنــت كلّ أمان   للخــائفين ونيل كلٍّ أماني
وإذا أقمــت فإن ذكرك ظاعنٌ   تســري به الركبــان في البلدان
فقـت الأنـام حجـىً وفقت شجاعةً   ورجحــت عنـد الجــود في الميزان
إن الفتــوح علــى يديك تتابعتْ   كتتابــع الأنــواء في نيسان[2]
حفــروا الخنــادق حولهــم فكأنما   حفــروا مقابرهــم لدى الخذلان
وتعــزّزوا بالمــاء ثم سقــوا به   كسقــاوة الممطــور بالطوفان
غدروا فغــودر منهــم أرواحهمْ   في النــار والأشبــاح في الغدران
خفقــت بنــودك حولهــم فكأنّما   طارت قلوبهــم من الخفقان
وســرت طوارق لطف كيدك فيهمُ   كلطافــة الأرواح في الأبدان
ولئــن حســدت فلســت أوّل سابقٍ   يرميه بالبغضــاء ألأم واني[3]
إنّ الــكريم محسَّدٌ في قومه   وتــرى الحســود مطيَّةَ الأشجان

وله فيه من أخرى [من مجزوء الكامل] :

أمِــن المــلال أم الخفر   هذا التشاجــي والضرر ؟
أم غرّك الصبــح الذي   أطلعــت من ليلٍ الشعر
أم عرَّضــت أيدي الخطو   ب صفــاء ودّك للكدر
وأرى المقــام ببلدةٍ   لا تشتهــي إحــدى الكبر[4]
وأعــد نفســي في الحضر   لكن همِّــي في السفر

(١) القرين : الصاحب ، والجدّ : الحظ والفتح الداني : القريب .
(٢) الأنواء : الأمطار.
(٣) الواني : الضعيف المتكاسل المنهزم .
(٤) الكبر : الإثم الذي هو من الكبائر كالشرك بالله مثلاً .

ومن أخرى [من الطويل] :

كفـى بنحولـي عن هواي مترجماً وبالدمـع نمّامـاً علـيَّ إذا همّي[1]

تألمـت من ثقـل الهـوى متشبهاً بخصـريه من أردافـه إذ تألّما

ووكّل طرفـي بالنجـوم كأنّني لرعـي نجـومِ الليل صرت منجِّما

ومنها في مدح الشبيبي [من الطويل] :

خرجنـا نهـاراً خلفـه نطلـب العدا فألبسنـا ليلاً من النقـع مظلما[2]

أثرنـا سحـاب النقـع لمـا تجاوبتْ رغـود صهيل الخيل تستمطـر الدِّما

فكم من جوادٍ قد حبسنـاه بعدما أثرناهـم من كثـرة النبـل شيهما[3]

وأشهب قد خضنا به الحـرب فاكتسى دمـاً وقتامـاً عاد أشقـر أدهما[4]

ومن أخرى [من السريع] :

وقينـةٍ تنـطـق يمناهـا وتلقـط العنّـاب يسـراها

إذا سرَتْ نمَّ عليهـا الحليُّ وضـوء خدّيهـا وريّاها

لـو أن إبليس رأى وجهها صلـى لهـا طوعـاً وماناها[5]

تظلمنـي في هجرهـا مثلما أسفلهـا يظلـم أعلاها

مـا تفعـل الخمـر بشرّابها ما فعلتـه فيَّ عيناها

ومن أخرى [من البسيط] :

لا الراح راحـي ولا الريحـان ريحاني ما لم تزرنـي. ولا الندمـان ندماني

---

(١) نمّاماً : واشياً وفاضحاً ، همّى : من همى يهمي ، الدمع : أي يذرف .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) ألشيهم : القنفد الكثير الشوك .

(٤) الأشهب : الأبيض الذي يخالطه السواد ، والأدهم : الأسود .

(٥) ماناها : داراها .

ومـا التعلُّل - والأيام حائلةٌ بينـي وبينـك - بالآمـال من شاني
وما جزعـتُ علـى شيءٍ سوى جزعي إن لم أمـتْ كمـداً من فقـد خلاّني
وقـد ذكرتـك والأبطـال عابسةٌ والمـوت يبسـم عن أنياب شيطان
والنبل كالشهـب في ليل العجـاج وبا ب الأمـن ناءٍ كصبـري والـرّدى داني
والسمـر تبـكي دمـاً والبيض ضاحكةٌ والجـوُّ داجٍ ولـون الملتقـى قاني[1]

* * *

٦٢ - أبو عبد الله محمد بن حامد

حسنة من حسنات خوارزم ، وغـرة شادخـة في جبينهـا ، يرجـع إلـى كل فضل ، ويجمع بين قول فصل وأدب جزل ، ويؤلف بين أشتات المناقب ، وينظم عقود المحامد ، وله خط يستوفي أقسام الحسن ، ونثر كنثر الورد ، ونظم كنظـم الدر .

وكان في عنوان شبابه يكتب لأبي سعيد الشبيبي ، وهو منه بمنزلة الولد ، والعضو من الجسد ، فلما انقضت أيامه واختص بالصاحب أبي القاسـم وغلـب عليه ببراعته ، وحذقه في صناعته ، وتقلدبريد قم من يده وبقي بها مدة بين حسن حال وتظاهر جمال ، وحين حن إلى وطنه وآثر الرجوع إلى بلده قدم من سلطـان خوارزم شاه على ملك مكرم لمورده ، عارف بفضله ، موجب لحقه ، ولـم يزل ومن قام مقامه من أبنائه رحم الله السلف وأبقى عز الخلف يعدونه [وإلى الآن] من أركان دولتهم ، وأعيان حضرتهم ، ويعتمدونه للمهمـات السلطـانية والسفـارات الكبيرة ، وكان أنفذ مرة رسولاً إلى حضرة السلطان المعظم يمين الدولة أطال الله بقاءه ببلخ فاستولى على الأمد في القيام بشروط السفارة ، وملك القلوب ، وسحر العقول بحسن العبارة ، وجمعته وأبا الفتح علي بن محمد البستي الكاتب مناسبة

---

(١) داجٍ : مظلم ، القاني : الأحمر .

الأدب ، ومشاكلة الفضل ، فتجاوروا وتزاوروا وتصادقا وتعاشرا ، وتجاريا في حلبة المذاكرة ، وتجاذبا أهداب المحاضرة ، وجعل أبو عبد الله يرسل لسانه في ميدانه ، ويرخي من عنانه ، فيرمي هدف الإحسان ، ويصيب شاكلة الصواب ، فقال فيه أبو الفتح [من الرجز] :

محمَّدُ بنُ حامدٍ إذا ارتجلْ ... ومرّ في كلامه على عجلْ
نقّب خدَّ كلِّ ندبٍ سابقٍ ... بنثره ونظمه ثوب الخجلْ[1]
أقلامه يسقين كلّ ناصحٍ ... وكاشحٍ كأسيّ حياةٍ وأجل
فناصحوه مشرقون بالأمل ... وكاشحوه مشرقون بالوجل[2]
أبقاه للدين والدنيا معاً ... وللمعالي ربّنا عزَّ وجل

وقال فيه أيضاً [من المتقارب] :

بنفسي أخٌ نفسه أمّةٌ ... وتدبيره في الورى فيلقُ
أخٌ باب إحسانه مطلقٌ ... وباب إساءته مغلقُ
كريم السجايا فلا رأيه ... بهيمٌ ولا خلقه أبلق[3]
محمدُ أنت قِرى ناظري ... فكيف إذا غبت لا أفلق[4]
رهنتك قلبي وحكم القلوب ... إذا رَهَنَتْ أنّها تغلق

وقال فيه أيضاً [من الرجز] :

يا من أراه للزمان حسنَهْ ... ومن حوى من كلِّ شيءٍ أحسنَهْ
إن غبت عني سِنةً فهي سنه ... وسَنَةٌ تحضر فيها وسنهْ[5]

---

(١) النّدب : أثر الجرح ، والندب : السريع إلى الفضائل .
(٢) الكاشح : المبغض ، والوجل : الخوف .
(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض يقصد أنّ أخلاقه مستقيمةلا تتغيّر في حالتي الرضى والغضب .
(٤) أفلق : أتشقق من الغيظ .
(٥) السِّنة : النعاس الذي يتقدّم النوم ، والوسن : غفلة قصيرة .

وعلى ذكر أبي الفتح فلبعض العصريين من أهل نيسابور فيه [من الطويل] :

إذا قيل من فردُ العلى والمحامدِ ... أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد
همامٌ له في مرتقى المجد مصعدٌ ... يلوح له العيّوق في ثوب حاسد[1]
كريمٌ حباه المشترى بسعوده ... وأصبح في الآداب بكر عطارد
به سحبت خوارزم ذيل مفاخرٍ ... على خطّة الشعرى وربع الفراقد
فلا زال في ظلّ السعادة ناعماً ... يحوز جميع الفضل في شخص واحد

وحدثني أبو سعيد محمد بن منصور قال : لما ورد أبو عبد الله رسولا على شمس المعالي ووصل إلى مجلسه فأبلغ الرسالة وأدى الألفاظ واستغرق الأغراض أعجب به شمس المعالي إعجاباً شديداً . وأفضل عليه إفضالاً كثيراً ، ورغب في جذبه إلى حضرته واستخلاصه لنفسه ، فأمرني بمجاراته في ذلك ، ورسم لي أن أبلغ كل مبلغ في حسن الضمان له ، وأركب الصعب والذلول في تحريصه وتحريضه على الانتقال إلى جنبته ، فامتثلت الأمر ، وجهدت جهدي ، وأظهرت جدي في إرادته عليه ، وإدارته بكل حيلة ، وتمنية جميلة ، فلم يجب ولم يوجب ، وقال : معاذ الله من لبس ثوب الغدر والانحراف عن طريق حسن العهد ، وانصرف راشداً إلى أوطانه وحضرة سلطانه .

وقد كتبت لمعاً من شعره وليس يحضرني الآن سواها لغيبتي عن منزلي فتأخر كثير مما أحتاج إليه عني ، قال من قصيدة في الصاحب [من الطويل] :

غدا دفتري أنساً وخطّي روضةً ... وحبري مداماً وارتجالي ساقيا
ولا شدو لي إلا التحفّظ قارئاً ... ولا سكر إلا حين أنشد واعيا
تجشّم أوصافاً حساناً لعبده ... فطوّقه عقداً من العزّ حاليا
فلولا امتثال الأمر لا زال عاليا ... لطار مكان النظم رجلان حافيا

(١) العيّوق : نجمٌ في السماء أحمرُ مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريّا ولا يتقدّمها .

على أنّنـي إن سرتُ أو كنـت قاطناً ... فغـاية جهـدي أن أطـوِّل داعيا
رسائلـه لي كالطعـام وشعره ... كمـاء زلالٍ حين أصبـح صاديا[1]
فإن ظلّـت الآمـال تشـكر ظلَّه ... فإنّ لسـان المـال قد ظلّ شاكيا
كأنَّ إلـه الخلـق قال لجوده ... أفضْ كلَّ ما تحـويه وارزق عباديا

ومن أخرى [من البسيط] :

ما أنسَ لا أنسَ أيامـاً نعمـتُ بها ... وهذّبتنـي بتطوافـي وتردادي
أيام أركبُ متـن الـريح تحملُني ... والطـرس والنقس والأقـلام أذوادي[2]
كافـي الكفـاة أدام الله نصرتَهُ ... نجـل الأمين الـكريم الشيخ عبّاد
غمْـرُ الـرداء لرواد ووراّد ... سهـل الحجـاب لزوّارٍ ووفّادِ
لا زالـت الدولـة العلياء تلزمه ... ما قالـت العـرب حيّوا الحـيّ بالوادي

ومن أخرى [من البسيط] :

ليُهنِـكَ الأهنيان الملكُ والعمُرُ ... ما ساير الأسيران الشِّعـر والسَّمرُ
وطـال عمـر سنـاك المستضـاء بهِ ... ما عمَّـر الأبقيان الكتـبُ والسِّيرُ
يفدي الورى كلّهم كافي الكفـاة فقدْ ... صفـا به الأفضـلان العـدلُ والنظرُ
له مكارم لا تحصـى محاسنها ... أو يحسـب الأكثـران الرمـلُ والشجرُ
لكيده النصـر من دون الحسـام وإنْ ... تمـرَّد الأشجعـان التـركُ والخزرُ
ما سار موكبـه إلاّ ويخدمُهُ ... في ظلِّـه الأسـنيان الفتـحُ والظفر
وإن أمـرَّ علـى طرسٍ أنامله ... أغضـى له الأبهجـان الوشـي والزهر
دامـت تقبّلهـا صيد الملـوك كما ... يُقبِّـلُ الأكرمـان الـركنُ والحجر

وهي تربي على ثلاثين بيتاً

---

(١) الصادي : الضاميء .

(٢) الطرس : الكتاب ، والنقس : الحبر ، وأذوادي : أعواني .

ومن أخرى كتب بها من الري إلى الأهواز يهنئه بدخولها [من الوافر] :

بـريق الـرأي يعبـده الحسامُ وبـرق السَّعـد يخدمـه الأنامُ
وما اتّفقـا كمـا اتّفقـا لقومٍ هو الصمصـامُ والملك الهمام
همـامٌ لا يؤمُّ الخطـب إلاّ [ونصـر الله عزَّ له إمام]
[ومـا من بلـدة في الأرض إلاّ] إليه بهـا نزاعٌ أو هيام
فلـو أنّ البـلاد أطقـن سعياً لسـارَعَ نحـوه البلـد الحرام
أدام الله أيام المعالي وذلك أن يدوم له الدوام
ومـا لي غير ما هو جهـد مثلي دعـاءٌ أو ثنـاءٌ لا يرام

وله من أخرى كتب بها إليه [من الطويل] :

سلام علـى نفسٍ هي الأمَّـةُ الكبرى وشخصٍ هو المجد المنيف على الشعرى(١)
هو الـدّينُ والـدنيا فزره تَرَ المنى وتحصلْ لك الأولى وتحصلْ لك الأخرى

ومن أخرى [من الوافر] :

رأيتـك مرّةً فسعـدت حتى رأيت سعـود عيشـي طالعاتُ
فلـو أنّـي نظـرت إليك أُخرى لأضحـتْ لي الليالـي خادماتُ(٢)

وله من قصيدة في أبي سعيد الشبيبي يوم برز من جرجان بالمضارب ليعسكر بظاهرها متوجهاً إلـى الأمير أبـي علـي وفائـق ، فاتفـق تعـرض أرضين في تلك الصحراء ، فتبادر الغلمان إليهما فصادوهما فتفاءل أنه يغلب العدوين . كما اصطاد الغلمان الأرنبين ، فقال [من الطويل] :

أتـاك بمـا تهـوى وترضـى المحرّم وجـاءك بالنصـر العـزيز يترجم

---

(١) المنيف : المرتفع والمشرف ، والشّعرى : نجم في السماء منير يظهر في شدّة الحرّ .
(٢) في . . « لأضحت لي الليالي خاضعات » .

ولا غرو أن تلقى الـذيْ تبتغـي وما | تحـاول والأفـلاك بالسّعـد تخدم
وبختـك مرفـوعٌ وجـدُّك ُمقبلٌ | وأمـرك متبـوعٌ وقـدرك معظم
ورأيك في قمـع المنـاوين رايةٌ | وهيبتـك الشّمـاء جيشٌ عرمرم[1]
وحسبـك صيد الأرنبين مبشّراً | بصيدك أعـداءً علـى الغـدر أقدموا

وله فيه من مهرجانية على وزن المصراع الذي أنشده في المنام ، وذلك أنه رأى شخصاً مثل بين يديه وقال له [من البسيط] :

* قد نلت ما لم تنله قبلَكَ الأممُ *

فقال [من البسيط] :

البين خمـرٌ ولـكنْ سكرهـا سقَمُ | والحـبّ نُعمـى ولـكن في غدٍ نقمُ
إنّ المحبين أحـرارٌ وأنفسهُمْ | لمـن يحبـون في حكم الهـوى خدَمُ
يا أيّهـا الظاعنـون ، القلـبُ عندكُمُ | إن لم يكن عنـدكُمْ فالقلـب عبدكُمُ
لي بينـكم قمـرٌ في ثغـره بردٌ | في قدِّه غصـنٌ في وجهـه صنم
كأنّمـا ابـن شبيبٍ سلَّ في يده | من مقلتيه حسامـاً حدّه خذم[2]
القائـل القـولَ لم تنطـقْ به عربٌ | والفاعـل الفعـل لم تفطـنْ به العجمُ
علـى الكنـوز أمينٌ غير متّهمٍ | وسيفـه في رقـاب النـاس متَّهَمُ
وقـد غدا وهـو شيخُ الـدولتين كما | للحضـرتين به عزٌّ ومنتظم
لذاك في النوم شخص الصدق قال له | قد نلـت ما لم تنلـه قبلك الأمم

ومن أخرى في أبي العباس الضبّي [من المتقارب] :

زمـانٌ جديدٌ وعيدٌ سعيدٌ | ووقـتٌ حميدٌ فمـاذا تريدُ
وأحسـن من ذاك وجـه الرئيس | وقـد طلعـت من سنـاه السعودُ

---

(١) المناوين : من ناوأ ، أي الأعداء ، وعرمرم : ضخم .
(٢) سلَّ : شهرَ ، الخَذِم : القاطع .

وكم حلـةٍ خطّهـا قد غدتْ على بُردِ آل يزيدٍ تزيدُ[1]

وكتب إليه الشيخ أبو سعد الإسماعيلي قصيدة منها [من الطويل] :

سلامٌ علـى شيخ المحامـد والذي له الـذروة العلياء والشـرف العدُّ[2]
ومـن صحّ منـه ودّهُ ووفاؤه على حين لم يحمـد لذي خلّةٍ عهد

فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

أفخـرٌ وذخـرٌ أم خطـابٌ له مجدُ أسحـرٌ أتـى أم نظـم من لا له ندٌّ[3]
شممـت من العنـوان عنـد طلوعه روائحَ فضـلٍ دونهـا المسـك والندُّ[4]
وساعـة فكّي الختـم أبصـرت جنَّةً سقتهـا غوادي الفـكر فهـي لهـا خلد
فأشجارهـا علـمٌ وأغصانهـا تقىً وأثمارهـا فهـمٌ وغدرانهـا رشد
تجشّمهـا الشيخ الإمـام الـذي به ومنـه وفيه يعـرف الـكرم العدُّ
ومـن بحلـى أخلاقـه تشـرُفُ العلى ويلمـع في الـدنيا بكنيتِـه السّعد

ومنها :

وكيف يؤدي حقّ شعـرٍ شعـاره الـعـلاءِ وراويه ومنشـده المجدُ
وبـي حرفـةٌ مذ غبـت عن حرٍّ وجهه حرارة نار العشـق في جنبهـا بردُ

وله إلى أبي العلاء السري بن الشيخ أبـي سعـد الإسماعيلـي من قصيدة [مـن الوافر] :

قـرأت لمـن له يصفـو ودادي نظيمـاً كالشّـبـاب المستعاد

(١) الحِلة : الثوب ، والبرد : جمع بردة وهي العباءة .
(٢) الشرف العدّ : أي الشرف الكثير .
(٣) النِّدّ : المثيل والقرين .
(٤) المسك والنَّدْ : من الطيب .

سـرياً كاسـم صاحبـه ولكنْ　　به عاد الحنين إلـى ازدياد[1]
فـكان اللفـظ في معنـىً بديعٍ　　ألـذُّ لديَّ من نيل المراد

وكتب إلى الشيخ الوزير أبي الحسين أحمد بن محمد السهيلي لما رزق أبو عبد الله ابناً في المحرم سنة اثنتين وأربعمائة [من الطويل] :

عوائـدُ صنـع الله تكنفنـي تترى　　فتورثنـي ذكراً وتلزمنـي شكراً[2]
فمنهـا نجيبٌ جاء كالبـدر طالعاً　　سويّا سنيّاً شدَّ لي نوره أزرا
ومـا هو إلا خادمٌ وابـنُ خادمٍ　　لسيّدنـا مدَّ الإلـه له العمرا
فمـا رأيه في الاسـم لا زال مسمياً　　مواليه كي يقتنـوا الفخـر والذخرا

فأجابه بهذه الأبيات [من الطويل] :

سكنـت إلـى ما قلتـه أولاً نثرا　　نعـم وإلـى ما صنعتـه آخـراً شعرا
فهنّـأك الله النّجيب فإنَّه　　من الله فضلٌ يوجب الحمـد والشكرا
ومـا جاء إلا أن يكون لصنوهِ　　ظهيراً فقـوّى الآن بينهمـا ظهرا[3]
وأوثـر أن يكنـى بكنيةِ جدِّهِ　　أبـي أحمـدٍ والإسـم اختـارُهُ نصرا
ليحمـد منـه الله تقـواه والهدى　　وينصـره في علمـه والنّهـى نصرا

* * *

٦٣ ـ أبو القاسم أحمد بن أبي ضرغام

أحد شعراء خوارزم المفلقين المذكورين ، وكان يهاجي أبا بكر الخوارزمي ويسابه[4] في عنفوان شبابه ، فمن محاسنه قوله من قصيدة في الشبيبي [من مخلع

(١) السريّ : السيّد الشريف صاحب السخاء والكرم والمروءة .
(٢) تكنفني : تحيطني ، تترى : متتابعة .
(٣) الصنو : الشبيه .
(٤) في ب « ويباريه » .

البسيط] :

ابــن شبيبٍ أبــو حروبٍ أخــو ندىً للحفــاظ خِلّ
ليث قتــالٍ وأيُّ ليثٍ بالسيف والرمــح يستقلّ

ومنها :

خذهــا عروســاً أتتــك بكراً لغيرك الدهــر لا تحلّ
خذهــا وســق مهرهــا إليها إن لم يكن وابــلٌ فطلّ[1]

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

يا ملــكاً آثــر الصوابا فبــاكر اللهــو والشرابا
لا يشــرب الــراح غير حرٍّ يرفــع عن مالــه الحسابا
طابــت لك الــراح فاشربنها صرفــاً فصــرف الزمــان طابا
ستبصــر الأرض عن قريب تلبس من وشيهــا ثيابا
مــا شئــت من طائــرٍ تراه مغــرِّداً ما خلا الغرابا
ولســت ليلاً ترى بعوضاً ولا نهــاراً ترى ذبابا

ومن أخرى أولها [من الطويل] :

ديارك بيضٌ من نثــار الدراهم وبيضــك حمــرٌ من نثــار الجماجم[2]

(١) الوابل : المطر ، والطلّ : الندى .
(٢) نثار الدراهم : ما ينثر في العرس على الحاضرين ،ونثار الجماجم : تساقطها .

الباب الخامس

٦٤ - في ذكر أبي الفضل الهمذاني
وحاله ، ووصفه ، ومحاسن نثره ونظمه

هو أحمد بن الحسين بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ، ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قطوهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها ، لا يخرم حرفا(١) ولا يخل بمعنى ، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها(٢) عن ظهر قلبه هذا ويسردها سرداً . وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها .

وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها .

---

(١) لا يخرم حرفا : أي لا يخطىء في حرف منها أو يغيّره .

(٢) يهذّها : هذّ الحديث : أي سرده .

وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطر منه ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروي من النثر والنظم . ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه .

وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض البديهة ، ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد ، وجمرات الحدة ، وثمرات المدة ، ومجاراة الخاطر للناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغربية ، بالأبيات العربية ، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف يطول أن تستقصى . وكان ـ مع هذا كله ـ مقبول الصورة خفيف الروح ، حسن العشرة، ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس كريم العهد ، خالص الود ، حلو الصداقة ، مر العداوة . وفارق همذان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة ، وقد درس على أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه واستنزف بحره ، وورد حضرة الصاحب أبي القاسم فتزود من ثمارها وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم واختص بأبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائعه لديه ، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف والإفضال على الأفاضل ، ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح علله في سفرته . فوافاها في سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ، ونشر ما بزّه ، وأظهر طرزه . وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ، ثم شجر بينه

وبين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني وعلو أمره وقرب نجحه وبعد صيته ، إذ لم يكن في الحسبان والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينبري لمباراته ، ويجترىء على مجاراته ، فلما تصدى الهمذاني لمساجلته ، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومباهاة ومناظرات ومناضلات ، وأفضى السنان إلى العنان ، وفرع النبع بالنبع ، وغلب هذا قوم وذاك آخرون ، وجرى من الترجيح بينهما ما يجري بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين ، طار ذكر الهمداني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارة الإقبال على أموره ، وأدرّ له أخلاف الرزق[1] وأركبه أكناف العز ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه فخلا للهمذاني ، وتصرفت به أحوال جميلة . وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى وجبى ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرها[2] ، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس إلا استمطر منه بنوء ، وسرى معه في ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم . وألقى عصاة بهراة واتخذها دار قراره ، ومجمع أسبابه ، وما زال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفضل ، والطهارة والستر والقديم والحديث ، حتى وفق التوفيق كله ، وخار الله له في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي وهو الفاضل الكريم الأصيل ، الذي لا يزاد اختباراً ، إلا زيد اختيارا ، فانتظمت أحوال أبي الفضل بصهره، وتعرفت القرة في عينه والقوة في ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعاً فاخرة [وأثر معيشة صالحة وثروة ظاهرة] وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه [وقدم على آخرته] وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، فقالمت عليه نوادب الأدب ، وانثلم حد القلم ، وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها . وبكاه الأفاضل مع الفضائل ، ورثاه الأكارم مع المكارم ، على أنه ما مات من لم

---

(١) أخلاف الرزق : عائده وحاصله .

(٢) المير : الطعام ، ويقال : ما عنده خير ولا مير : أي لا عاجل ولا آجل .

يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظمه ونثره ، والله يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه ، وأنا كاتب من ظرف ملحه ولفظ غرره ، ما هو غذاء القلب ونسيم العيش وقوت النفس ، ومادة الأنس .

فصل من رقعة له إلى الخوارزمي

وهو أول ما كاتبه به

أنا لقرب دار الأستاذ [أطال الله بقاءه] كما طرب النشوان مالت به الخمر
ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر
ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب[1]

ومن رقعة له إلى غيره

يعز علي - أيد الله الشيخ ! - أن ينوب في خدمته قلمي ، عن قدمي ، ويسعد برؤيته رسولي ، قبل وصولي ، ويرد مشرع الأنس به كتابي ، قبل ركابي ولكن ما الحيلة والعوائق جمة [من مجزوء الكامل] :

وعليَّ أن أسعى وليس عليَّ إدراكُ النجاحِ

وقد حضرت داره ، وقبلت جداره . وما بي حب للحيطان ، ولكن شغف بالقطّان ، ولا عشق للجدران ، ولكن شوق إلى السكان .

ومن أخرى - لا أزال لسوء الانتقاد ، وحسن الاعتقاد ، أبسط يمين العجل وأمسح جبين الخجل ، ولضعف الحاسة ، في الفراسة ، أحسب الورم شحما ، والسراب شرابا ، حتى إذا تجشّمت موارده ، لأشرب بارده ، لم أجده شيئاً .

(١) البارح : الريح الحارة في الصيف .

فصل ـ حضرته التي هي كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ، ومنى الضيف ، لا منى الخيف[1] ، وقبلة الصلات ، لا قبلة الصلاة .

فصل ورد للخوارزمي ـ يتقلب فيه عن جنب الحر[2] ـ ويتقلى على جمر الضجر ، ويتأوه من خمار الخجل [ويتعثر في أذيال الكلل] ويذكر أن الخاصة قد علمت الفلج[3] لأينا كان فقلت : است البائن اعلم [والخوارزمي أعرف] والأخبار المتظاهرة أعدل . والآثار الظاهرة أصدق . وحلبة السباق [أحكم وما مضى بيننا أشهد] والعود إن نشط أحمد . ومتى استزاد زدنا ، وإن عادت العقرب عدنا . وله عندي إذا شاء كل ما ساء وناء[4] ، ولن يعدم إذا زاد نقداً يطير فراخه ، ونقفا يصم صماخه ، وما كنت أظنه يرتقي بنفسه إلى طلب مساماتي بعد ما سقيته نقيع الحنظل ، وأطعمته الخرء بالخردل[5]. فإن كان الشقاء قد استغواه ، والحين قد استعواه ، فالنفس منتظرة ، والعين ناظرة ، والنعل حاضرة ، وهو منّي على ميعاد ، وأنا له بمرصاد .

فصل [منه] قد شملتني على رغمه أطراف النعم ، ومطرتني سحائب المنن ، وللراغم التراب ، وللحاسد الحائط والباب ، وللكاره اليد والناب .

فصل من كتاب إلى أبيه

للشيخ لذة في العتب والسبّ ، وطبيعة في العنف والعسف ، فإذا أعوزه من

---

(١) لا منى الخيف : يقصد مكانا قرب مكّة المكرمة حيث يؤدّى مشعرٌ من مشاعر الحجّ ، والخيف : كلّ هبوط وارتفاع في سفح الجبل .

(٢) الحرد : الغضِب .

(٣) الفلج : الفوز والظفر .

(٤) ناء : أثقل .

(٥) الخرء بالخردل : الخرء : الغائط ، والخردل أطيب الطعام ، أو اللحم المقطع .

يغضب عليه . فأنا بين يديه ، وإذا لم يجد من يصونه ، فأنا زبونه ، والولد عبد ليست له قيمة ، والظفر به هزيمة ، والوالد مولى أحسن أم أساء ، فليفعل ما شاء .

فصل من كتاب تعزية إلى أبي عامر عدنان بن [عامر] بن محمد الضبي

الموت خطب قد عظم حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، والدنيا قد تنكّرت حتى صار الموت أخفّ خطوبها ، وجنت حتى صار الحمام أصغر ذنوبها ، فلتنظر يمنة ، هل ترى إلا محنة ، ثم لتعطف يسرة ، هل ترى إلا حسرة .

ومن كتاب له إليه أيضاً

وإن يشأ الله يفض بنا الأمر إلى حال تسعه مولى . وتسعني عبداً . وشد ما بخلت بهذه الكلمة ، ونفرت عن هذه السمة ، هذا الشيخ [الشهيد] أبو نصر رحمه الله مد لها اللحظ ، فلم يحظ ، وهذا ابن عباد شد لها الرحل ، فلم يحل .

ومن رقعة

مثلك في السفارة ، الفأرة ، طفقت تقرض الحديد فقيل لها : ويحك ! ما تصنعين ؟ الناب ودقة رأسه ، والحديد وشدة بأسه ، فقالت : أشهد ، ولكني أجهد ، وإن تنج من تلك الأسباب ، فهي الذباب ، مقاديرك لا معاذيرك .

فصل من رقعة إلى خلف

سمعت منشداً ينشد [من الطويل] :

لحى الله صعلوكاً مناهُ وهمُّهُ   من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً

فقلت : أنا معنى هذا البيت ، لأني قاعد في البيت ، آكل طيب الطعام ، وألبس لين الثياب ، ويفاض عليّ بذل ، ولا يُفوَّضُ إليّ شغل . ويملأ لي وطب[1] ، ولا يدفع بي خطب ، هذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز .

ومنها : الرأس ـ أيد الله الأمير ! ـ كثير الخبوط . والضيف كثير التخليط ، وصب هذا الماء خير من شربه . وبعد هذا الضيف أولى من قربه ، وكأني بالأمير يقول ، إذا قرئت عليه هذه الفصول : الهمذاني رأى بهذه الحضرة من الإنعام ، ما لم يره في المنام ، فكيف من الأنام ، ولعله أنشأ هذا الكتاب سكران ، فعدل به عادل السكر ، عن طريق الشكر ، وكأنه نسي مورده ، الذي أشبه مولده ، وإنما رفع لحنه ، حين أشبع بطنه ، واللئيم إذا جاع ابتغى . وإذا شبع طغى ، والهمذاني لو ترك بجلدته ، يرقص تحت رعدته . ما ارتقى في قعدته . ولا تجشأً من معدته . ولكنه حين لبس الحلة . وركب البغلة . وملك الخيل والخول ، تمنى الدول ، ورأس اليتيم يحتمل الوهن[2] ، ولا يحتمل الدهن ، وظهر الشقي يحتمل عدلين من الفحم ، ولا يحمل رطلين من الشحم ، ولولا الشعير ، ما نهقت الحمير ، ولو لم يتسع حاله ، لم يتسع مجاله . وكذا الكلب يزمن[3] ، حين يسمن ، ولا يتبع ، حين يشبع . وعند الجوع ، يهم بالرجوع .

فصل من كتاب إلى أبي نصر بن أبي زيد

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وفرحي في كريم يحضر ذلك الجناب فيحسن المناب . ولا أعدم إن شاء الله بتلك الساحة الكريمة ، من يتحلى بهذه الشيمة ، على أن الطباع إلى الذم أميل ، والعقرب إلى الشر أقرب ، واللسان بالقدح أجرى

(١) الوطب : وعاء اللبن .
(٢) الوهن : الضعف في الأمر والبدن .
(٣) يزمن : يمرض .

منه بالمدح ، والحاسد يعمى عن محاسن الصبح ، بعين تدرك دقائق القبح ، والهروى جسد كله حسد ، وعقد كله حقد . فلا يجذب التخلق بضبعه[1] عن طبعه ، ولا يأخذ التكلف بخلقه ، عن طرقه .

رقعة له إلى مستميحٍ عاوده مراراً

وقال له : لم لا تديم الجود بالذهب كما تديمه بالأدب ؟!

عافاك الله ، مثل الإنسان في الإحسان كمثل الأشجار في الثمار سبيله إذا أتى بالحسنة ، أن يرفه إلى السنة ، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي وهما فؤادي ويدي ، أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود ، لكن هذا الخلق النفيس ، ليس يساعده الكيس ، وهذا الطبع الكريم ، ليس يحتمله الغريم ، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثرده في قصعة[2] ، ولا صرفه في ثمن سلعة ، ولي من الأدب نادرة جهدت في هذه الأيام بالطباخ أن يطبخ لي من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل ، وبالقصاب أن يسمع أدب الكتاب فلم يقبل ، وأنشدت في الحمام ديوان أبي تمام فلم ينفذ ، ودفعت إلى الحجام مقطعات اللجام فلم يأخذ ، واحتيج في البيت إلى شيء من الزيت ، فأنشدت من شعر الكميت ألفاً ومائتي بيت ، فلم تغنِ ، ولو وقعت أرجوزة العجاج في توابل السكباج[3] ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع فما أصنع ، فإن كنت تحسب اختلافك إليَّ إفضالاً عليّ فراحتي في أن لا تطرق ساحتي ، وفرجي في أن لا تجي ، والسلام .

---

(١) الضبع : ما بين الإبط إلى نصف الساعد .

(٢) لا يمكن ثرده في قصعة : ثرد يثرد الخبز أي فته ثمّ بله بمرق ، أي أنّ الأدب لا يمكن أن يكون كالطعام ، لأنّه موهبة وذوق .

(٣) العَجاج : أحد الشعراء الرجّاز ، والسكباج : مرق يتخذ من اللحم والخل .

وكتب إلى صديق له رقعة نسختها

قد طبخت لسيدي حاجة إن قضاها وبلغ رضاها ذاق حرارة الإعطاء ، وإن أباها وفلّ شباها[1] لقي مرارة الاستبطاء ، فأي الجودين أخف عليه : جوده بالعلق النفيس ، أم جوده بالعرض الخسيس . ونزوله عن الطريف، أم عن الخلق الشريف ؟؟

فأجابه عنها بهذه الرقعة

جعلت فداك هذا طبيخ ، كله توبيخ ، وثريد ، كله وعيد ، ولقم [إلا أنها] نقم . ولم أر قِدراً أكثر منها عظما ، ولا آكلاً أكثر مني كظما ، ما هذه الحاجة ؟ ولتكن حاجاتك من بعد ألين جوانب ، وألطف مطالب !

فصل من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي

كتابي أطال الله بقاء الأمير ، وبودي أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاه ، وبعد فإني في مفاتحته [بين] ثقة تعد ، ويد ترتعد ، ولم لا يكون ذلك والبحر وإن لم أره . فقد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره ، وإذ لم ألقه ، فلم أجهل إلا خلقه ، وما وراء ذلك من تالد أصل ونشب[2] ، وطارف فضل وأدب[3] ، فمعلوم تشيد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تختلف عليه الآثار ، والعين أقل الحواس إدراكاً، والآذان أكثرها استمساكاً .

فصل ، من رقعة إلى الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد :

---

(١) فلّ شباها : قطع نارها وأطفأها بالاستجابة .

(٢) التالد : المال القديم الموروث ، والنشب المال القديم من نقود وحيوان .

(٣) الطارف : المال الحديث العهد .

أنا أخاطب الشيخ الإمام والكلام مجون ، والحديث شجون ، وقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشيء وليس من فعله بد ، هذه العرب تقول لا أبالك في الأمر إذا هم ، وقاتله الله ولا يريدون الذم ، وويل أمه للمرء إذا أهم [ولأولي] الألباب في هذا الباب أن ينظروا من القول إلى قائله ، فإن كان ولياً فهو الولاء وإن خشن ، وإن كان عدواً فهو البلاء وإن حسن .

[وله إليه رقعة]

يا لعباد الله القرض ، ولا هذا الرحض[1] ، والزاد ولا هذا الكساد ، أمرض ولا أعاد ، إذا شبع الزنجي بال على التمر، وهذا بول على الجمر ، ويوشك أن يكون له دخان .

فصل ـ مثله كمن صام حولاً ، ثم لما أنظر شرب بولا .

ومن أخرى

الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه ، تحرك نتنه ، كذلك الضيف يسمج لقاؤه ، إذا طال ثواؤه، ويثقل ظله ، إذا انتهى محله .

فصل من كتاب

نهت الحكماء عن صحبة الملوك ، وقالوا : إن الملوك إذا خدمتهم ملوك ، وإن لم تخدمهم أذلّوك ، وإنهم يستعظمون في الثواب ، رد الجواب، ويستقلون في العقاب ، ضرب الرقاب ، وإنهم ليعثرون على العثرة من خدمهم فيبنون لها مناراً ، ثم يوقدونها ناراً . ويعتقدونها ثأراً ، وقالوا : كن من الملوك مكانك من

(١) القرض : السلفة من المال وغيره ، والرحض : الثوب البالي .

الشمس ، إنها لتؤذيك والسماء لها مدار ، والأرض لك دار ، فكيف لو أسفّت قليلاً ، وتدانت يسيراً ، وإن العاقل ليطلب منها مزيد بعد فيتخذ سرباء[1] لواذا منها وهربا ، ويبتغي في الأرض نفقا ، فراراً منها وفرقا[2] .

رقعة في التماس الحطب

كم لله من حبر إذا جاع حبَّر الأسجاع[3] ، وإذا اشتهى الفقاع كتب الرقاع ، هذا تسبيب بعده تشبيب ، قد عرف الشيخ برد هذا [البرد] وخروجه في سوء العشرة عن الحد ، فإن رأى أن يلبسني من الحطب اليابس فروة ، ويكفيني [من] أمر الوقود شتوة ، فعل إن شاء الله تعالى .

فصل ـ ورد كتاب يضرط الأتن ويعرق الآباط[4]، كالقنفذ من أي النواحي أتيته ، وكالحسك على أيّ جنب طرحته ، ورحم الله فلاناً ! قلت له يوماً : إنك كثير الرغبة سريع الملالة ، فقال : عافاك الله ! هذه غيبة ، وفي الوجوه غريبة ، وإنما يغتاب المرء من وراء ظهره ، لا في سواء وجهه .

فصل ـ أما الكتاب فلفظه فسيح ، ومعناه فصيح ، وأوله بآخره رهين وآخره لأوله قرين ، وبينهما ماء معين وحور عين .

فصل ـ أنا على بينة من أمري ، وبصيرة في ديني ، ولا أقول بعلوم أصحاب النجوم ، وكما أعلم أن أكثرها زقٌّ وريح[5] ، أرى أن بعضها حق صحيح ، وكان لنا صديق لا يؤمن بالصبح إيمانه بالنجوم ، قرىء عليه إن الله يأمر بالعدل

---

(١) السرب : الملجأ .
(٢) الفرق : الخوف .
(٣) الحبر : العالم ، وحبّر الأسجاع : كتبها .
(٤) الأتن : أنثى الحمار، والآباط : جمع إبط .
(٥) الزّق : كير الحداد الذي ينفخ فيه ، أو وعاء من جلد توضع فيه السوائل من ماءٍ وخمر .

والإحسان، فقال : إن رضي النحسان .

فصل ـ والله لولا يدٌ تحت الحجر ، وكبد تحت الخنجر ، وطفل كفرخ يومين قد حبب الى العيش ، وسلب من رأسي الطيش ، لشمخت بأنفي عن هذا المقام ، ولكن صبرا جميلاً والله المستعان .

فصل ـ إنما يحبس البازي ولو ترك القطا لطار كل مطار .

فصل ـ لم أر مثلي علق مضنة يرمي به من حالق[1] ، ولكن رب حسناء طالق .

فصل من رسالة في ذم السذق[2]
[إلى الرئيس أبي عامر]

هذا هو العيد ، وذلك هو الضلال البعيد ، إنهم يشبون ناراً هي موعدهم ، والنار في الدنيا عيدهم ، والله إلى النار يعيدهم ، ومن لم يلبس مع اليهود غيارهم ، لم يعقد مع النصارى زنارهم ، ولم يشب مع المجوس نارهم ، إن عيد الوقود لعيد إفك ، وإن شعار النار لشعار شرك ، وما أنزل الله بالسذق سلطانا، ولا شرّف نيروزاً ولا مهرجاناً ، وإنما صب الله سيوف العرب على رءوس العجم لما كره من أديانها ، وسخط من نيرانها ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم حين مقت أفعالهم .

فصل منه ـ إن هذا الدين لذو تبعات ، الصوم والفطام شديد . والحج والمرام بعيد . والصلاة والمنام لذيذ ، والزكاة والمال عزيز ، وصدق الجهاد والرأس لا ينبت بعد الحصاد ، والصبر الحامض والعفاف اليابس ، والحد

---

(١) علق مضنة : أي نفيساً غالياً يحرص عليه ، وحالقٍ ، عالٍ .

(٢) السّذق : ليلة الوقود (معرّبه) .

الخشن ، والصدق المر ، والحق الثقيل والكظم ، وفي اللقمة العظم .

فصل ـ الوحشة تقتدح في الصدر ، اقتداح النار في الزنـد ، فإن أطفئـت بارت وتلاشت ، وإن عاشت طارت وطاشت ، والقطر إذا تدارك على الإناء امتلأ وفاض ، والعتب إذا ترك فرخ وباض .

فصل ـ من لقينا بأنف طويل ، لقيناه بخرطوم فيل ، ومن لحظنا بنظر شزر ، بعناه بثمن نزر[1] .

رقعة إلى خطيب

المجالس أيد الله الخطيب لا تطيب إلا بالمسامرة ، والخطيب فضيحة الدنيا ونكال الآخرة ، وقد حضر الخطيب كان ، فليحضر الخطيب الآن ، تصديقاً لقول الله تعالى ﴿ومن البقر اثنين﴾ .

أخرى ـ سلمت على فلان فرد جواباً يرد على الوكلاء بشرط الإيماء ، واقتصر من البشاشة ، على تحريك الشاشة ، ومن الاستقبال ، على تحريك السبال[2] .

فصل ـ جارنا رجل يصحب السرير ، ويسحب الحرير ، ويفترش الحبير ، ويخوض العبير ، يحلف رجلاً يزعمه كان يقتات الشعير ، ويعروري البعير[3] ، ويركب الحمير ، ويظلم الصغير ، ويجـالس الفقير، ويواكل الأجير ، بعيد بون بينهما بعيد .

فصل ـ لو كان حماري لنفشت عليه التبن . ونقلت علـى ظهـره اللبـن ، أفأؤدي عنه الغرامة ، لا ولا كرامة ، من ذاك الثور ، حتى يحتمل عنه الجـور ؟

---

(١) نظر شزراً : أي نظر بطرف عينه مغضباً ، والثمن النزر : الثمن البخس .

(٢) السبال : ما فوق الشفة العليا من الشعر أي « الشارب » .

(٣) يقتاتِ : من القوت أي الطعام ، ويعروري البعير : أي يركبه عارياً ، أو يأتي أمراً قبيحاً منه .

الموت والله ولا هذا الصوت ، والمنية ولا هذه الأمنية الدنيّة .

فصل ـ أما الآن والحال من الضيف يحتال ، والأيام كأنها ليال ، توالفت والوجه بال[1] ، والكيس والرأس خال ، واللحم في السوق غال ، والقدر حليف خيال .

فصل له من رقعة

يا شبر ، ما هذا الكبر . ويا فتر[2] ، ما هذا الستر . ويا قرد ،ما هذا البرد. ويا يأجوج ، متى الخروج . ويا فقاع[3] ، بكم تباع . ويا فراني[4] ، متى تراني . ويا لقمة الخجل نحن ببابك ، ويا بيضة النغيلة[5] من أتى بك . ويا دبة ، ويا حبة ، ويا من فوق المكبّة ، ويا من قربه المذبة[6] . ويا من خلقه المسبة . ويا دمل ما أوجعك ، ويا قمل لنا حديث معك . فإن رأيت آذنت والسلام .

فصل ـ أعجوبة ، لكنها محجوبة ، حتى تصلي على النبي بنشاط ، وتنزل عن قيراط ، ما هي رحمك الله ؟ صبرا يا خبيث ، إليك يساق الحديث . إن عشنا وعشت رأيت الأتان تركب الطحّان ، روح ولا جسد ، وصوت ولا أحد والعود أحمق . ومتى فرزنت يا بيدق . ويا أسخف من ناقد على راقد . وشر دهرك آخره ، ويا عجبا أيلد الأغر البهيم ، وولد آزر إبراهيم [من الكامل] :

يا أيُّها العام الذي قد رابني   أنت الفداء لذكر عامٍ أولا

وما أفدى العام ، لكن الأنعام . ولا أشكو الأنام . لكن اللئام . عام أول

---

(١) توالفت : من الولاف : وهو نوع من العدْو تقع فيه القوائم معاً ،والوجه بال :أي رثٍ أصابه البلاء .

(٢) الفتر : ما بين الابهام والسّبابة من اليد اذا فتحتها .

(٣) الفُقاع : شرابٌ يتخذ من الشعير أو غيره.

(٤) الفرّان : الذي يصنع الخبز .

(٥) النغيلة : دودة في الجسم تفسده .

(٦) المذبّة من الأرض : الكثيرة الذباب ، والمذبة : المروحة التي يذب الذباب بها .

عدنان ، والعام هذا القرنان . لنا في كل أوان أمير يملأ بطنه ،والجار جائع ، ويحفظ ماله والعرض ضائع [من الطويل] :

تبدّلتِ الأشياءُ حتّى لخلتها ستبدي غروب الشمس من حيث تطلعُ

كانت السيادة في المطابخ ، فصارت في المباطخ ، أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم[1] . ولئن سمنت أقفيتكم ، لقد أمحلت أفنيتكم [من البسيط]:

رأيتكم لا يصون العرضُ جارَكُمُ ولا يدرُّ على مرعاكُمُ اللَّبنُ

فصل من رقعة إلى من استماحه شراباً في يوم مطير

عافاك الله ! العاقل إن وافى أبوه على جمل البريد ، من المضرب البعيد في الخطب الشديد . يومنا هذا لم يستقبل حمارته . وإن مات لم يشيع جنازته . وحل إلى الركب ، ومطر كأفواه القرب . ورجل ظاهر النفاق يلتمس الشراب ممن لا يرى قربه ، فكيف شربه ، على أنك إلى الشرب أحوج منك إلى السكر ألا ترى كيف منّ الله على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، ألا تنظر إلى هذا المطر ، أمطر عمارة هو أم مطر خراب ، وسقيا رحمة هو أم سقيا عذاب .

فصل - كتابي والتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، طالق ثلاثاً ، مردودة على أهلها من ورائها البعرة ، وفي قفائها النعرة ، لا ترجع لخرقاء ،[2] أو ترجع العنقاء ، وتالله ما نقض الغزل بعد قوة ، أسخف من نقض عهد وأخوة ، ليس أرش الغزل إذا نقض . أرش الفضل إذا رفض . ولم يجعل الله إضاعة الصوف ،

---

(١) المباطخ : اللعق ، بطخ الشيء لعقه .
(٢) القذال : ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس يكنى بذلك عن عدم السمع والطاعة .

كاضاعة المعروف ، والحق ثقيل ، وهو خير ما قيل .

فصل ـ حديث الكتاب ما حديث الكتاب ، وصل جحيم هائل ، ليس وراءه طائل ، وخط مجون ، لا يدري ألف أم نون . وسطور فيها سطور كدبيب السرطان على الحيطان ، وألفاظ أخلاط ، لا يدركها استنباط ، ولا يفهمها بقراط ، هذيان المحموم ، ودواء المهموم .

فصل ـ ومثلك من ذب ، عمن أحب ، ولكن للذب أبواباً ، ولكل امرىء جواباً ، تعلم أنه ليس في أبواب الذب ، أضعف من باب السب ، وإذا تلوت قول الله عز وجل [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً] علمت أن سلاح خصمك أقوى ، والناس رجلان كريم ولئيم ، وكل بأن لا يسب خليق ، إن الكريم لا ينكر الفضل ، وإن النذل لا يألم العذل [من الوافر] :

يُبيحك منه عرضاً لم يصنْهُ ويرتع منك في عرضٍ مصون

وهلم أفرض لك مسألة الذب في الذباب لتعلم أن اتقاءه بالمكبة خير من اتقائه بالمذبة ، وأن ذبه بالمظلة أبلغ من ذبه بالمذلة ، فإن كان لا بد من انتقام واستيفاء فأعيذك بالله أن تجهل أن آذان الأنذال في القذال[1] وهي آذان لا تسمع إلا من ألسنة نعال الأدم ، وترجمة أكف الخدم ، وعلامة فهمها جحوظ العينين ، وخدر اليدين .

فصل ـ وجدتك تعجب أن يجحد لئيم فضل صنيعك ، فخفض عليك يرحمك الله ، إن الذي تعجب منه يسير ، في جنب ما يجحده من الناس كثير. إن الله تعالى خلق أقواماً وشق لهم أبصاراً وآتاهم بصائر فغاصوا بها على عرق الذهب ففصدوه[2] ، ولم يزالوا بالنجم حتى رصدوه ، واحتالوا للطائر فأنزلوه من جو السماء ، وللحوت فأخرجوه من الماء ، ثم جحدوا مع هذه الأفكار الغائصة

---

(١) الفصد : الشّق .

والأذهان النافذة صانعهم فقالوا : اين وكيف ؟ حتى رأوا السيف،فلم تعجب أن جحدوا فضلا ليست الأرض بساطه ، ولا الجبال سماطه ، ولا السماء فسطاطه ، ولا الليل رباطه ، ولا النهار صراطه ، ولا النجوم أشراطه ، ولا النار سياطه .

فصل ـ ما أشبه وعد الشيخ في الخلاف ، إلا بشجر الخلاف . خضرة في العين ، ولا ثمر في البين . فما ينفع الوعد ، ولا إنجاز من بعد ، ومثل الوعد مثل الرعد ، ليس له خطر ، إن لم يتله مطر.

فصل ـ كان عندنا رجل فاره الأفراس[1] ، فاخر اللباس ،لا يعد من الناس ولا تظنّن أن الإنسانية بساط قوني ، ولا ثوب سقلاطوني ، ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن ، أو قعبان من لبن[2] .

فصل ـ لك يا سيدي خلال خير . وخلال فضل ، لا يدفعك عنهما أحد ، ولك في المكارم لسان ويد ، لا تخلو معهما من تورية سوطية ورجل طاووسية ، ولو عريت منها كنت الإمام الذي تدعيه الشيعة وتنكره الشريعة .

فصل ـ معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ، ولا أرضى له غير الصلب ، واعتقد في دار الضرب ، أنها دار الحرب ، ولكن ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ .

فصل ـ لم يكن في عهد رسول الله ﷺ للمهاجرين ، ما في وقتنا للمواجرين[3] ، وما جاز لعلية الأصحاب ، ما يجوز لأزواج القحاب .

فصل ـ كثر ترداد أصحابي إلى فلان ، فما يعيرهم إلا أذناً صماء وبابا أصم وكان فيما بلغني يأذن في باب الخاصة للعامة . فصار يأذن في باب العامة للخاصة

(١) فارة الأفراس : أي نشيطها ومليحها .
(٢) القَعْب : القدح الضخم الغليظ .
(٣) المواجرين : من الأجر : أي الجزاء أو من الوجر : الذعر والخوف .

وإنما تولى جارها من تولى فارها ، ومن لم يول منافعها لم يول مضارها .

فصل من كتاب إلى ابن فارس

نعم أيدالله الشيخ ، إنه الحمأ المسنون[1] وإن ظنت الظنون ، والناس لآدم ، وإن كان العهد قد تقادم ، وارتكبت الأضداد ، واختلط الميلاد ، والشيخ يقول : قد فسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحاً ؟ أفي الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها ، أم المدة المروانية وفي أخبارها [من السريع] :

* لا تكسع الشول بأغبارها*[2]

أم السنين الحربية [من مجزوء الكامل] :

والرمــح يركز في الكلى والسيف يغمــد في الطلى
ومبيت حجر في الفلا والحـــرّتـان وكــربــلا

أم البيعة الهاشمية، وعلي يقول : ليت العشرة منكم براس ، من بني فراس، أم [الأيام] الأموية والنفير إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز ؟ أم الأمارة العدوية وصاحبها يقول : وهل بعد البزول[3] ، إلا النزول ؟ أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول : طوبى لمن مات في نأنأة الإسلام، أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكتي يا فلانة ، فقد ذهبت الأمانة . أم في الجاهلية ولبيد يقول [من الكامل] :

[ذهب الذين يعاش في أكنافهم] وبقيت في خلف كجلد الأجرب

(١) الحمأ المسنون : الطين المنتن الفاسد الرائحة .
(٢) تكسع الشول : كسع : تبع ،والشّول : الخفيف السريع أي أنّ الخيل السريعة لا يمكن أن يلحق بها .
(٣) البزول : قضاء الحاجة ، أو امتطاء البازل من الابل .

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [من الطويل]:

بلاد بها كنّا وكنّا نحبُّها إذِ الناس ناسٌ والزمان زمان

أم قبل ذلك وروى عن آدم عليه السلام [من الوافر] :

تغيّرت البلاد ومن عليها ووجه الأرض مغبرٌّ قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ .

وما فسد الناس ، وإنما اطرد القياس ، ولا أظلمت الأيام ، وإنما امتد الظلام ، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ،ويمسي المرء إلا عن صباح ؟ .

فصل منه - وإني على توبيخه لي لفقير إلى لقائه ، شفيق على بقائه . منتسب إلى ولائه ، شاكر لآلائه[1] ، وإن له على كل نعمة خولنيها الله ناراً ، وعلى كل كلمة علمنيها منارا . ولو عرفت لكتابي موقعاً من قلبه لاغتنمت خدمته به ، ولرددت إليه سؤر كاسه ، وفضل أنفاسه . ولكني خشيت أن يقول : هذه بضاعتنا رُدت إلينا ، وله أيده الله العتبى ، والمودة في القربى والمرباع ، وما ضمه الجلد وناله الباع ، وما ضمنه المشط[من المتقارب]:

ووالله ما هي عندي رضىً ولكنّها جلُّ ما أملك

واثنان قلما يجتمعان الخراسانية والإنسانية ، وأنا وإن لم أكن خراساني الطينة ، فإني خراساني المدينة ، والمرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والإنسان من حيث يثبت ، لا من حيث ينبت ، فإن آنضاف إلى خراسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ولا جنة ولا نار ، فليحتملني الشيخ على هناتي[2]، أليس صاحبنا يقول [من الخفيف]:

---

(١) الآلاء : النعم .
(٢) الهنّة : جمع هنات وهي خصال الشرّ .

لا تلمنـــي علـــى ركاكة عقلي إن تيقّنـــتَ أننّـــي همذاني

فصل ـ بعض الظن إثم ، ولكن بعض الإثم حزم ، وبلغني أن القاضي يريد أن يسجل ، فأريد أن لا يعجل ، حتى أحضر فينظر فيم الخصومة ، وأنظر كيف الحكومة .

فصل ـ أنت أيدك الله إذا قلدت البريد ، وبردت هذا التبريد ، تؤذن أنك لو وليت الديوان ، لحجبت الدبران ، ولو قلدت الوزارة ما كنت تصنع ، أكنت أول من تصفح ، وإن هان على سبال الطبائع وهو الخليفة فمن الجيفة ؟ يا شيخ حشمة في الرأس ، وعرة[1] بين الناس ، وإذا ارتفعـت فآلاتهـا نميمـة ، وليس للنـاس قيمة ، ولو نسجت الدر في الذهب ما كنت إلا حائك ، وإلا من جملة أولئك .

فصل ـ شرابٌ من ذاقه أخّخ[2] ، وصوت من يسمعه بخبخٌ ، وشرف من ناله أرخ .

فصل ـ ألا وإنّ في صدري لغصّة ، وإن في رأسي لقصة ، وإن لكل مسلم فيها لحصة ، وإن هذا المقام فيها لفرصة .

فصل من كتاب إلى عدنان

أشهد لو خير الرئيس ما اختار فوق ما اختير له ، وما في الغيب ، أكثر مما في الجيب ، وما بقي ، أحسن من الذي لقي [من الطويل] :

هنيئـــاً وزاد الله ضبَّـــة سؤدداً وذلك مجـــدٌ يمـــلأُ العين واليدا
لك اليوم أسبـــاب السمـــوات مظهراً ومـــا اليوم ممـــا سوف تبلغـــه غدا

---

(١) الحشمة : الغضب، والانقباض عن الآخرين ، والعرّة : العيب والخلّة القبيحة .
(٢) أخّخ : قال آخ ،عبارة عن التوجّع .
(٣) بخبخ : قال بخ بخ : عبارة عن السرور والتهنئة .

فصل ـ أنا ، وأنا غرس الشيخ ، ألف العمامة ، على فضول لا تقلها جبال تهامة ، ثم أسبح في الماء الغزير ، وأعتضد بالأمير والوزير ، ثم استظهر بسجل القاضي ، ثم الشيخ هو المتغاضي ، ولا حيلة مع ابن جميلة ، العار والله والنار ، والقتل والدمار ، والعسلى والزنار ، والشباب والتراب المثار .

فصل ـ واحربا أتريد جهنم حطبا[1] ، واعجبا أتريد أسوأ منها منقلبا

فصل ـ [أبق أطال الله بقاء الشيخ الرئيس] عبدان : أحدهما الذي أنبت عليه شجرة من يقطين[2] ، والآخر الذي قال : خلقتني من نار وخلقته من طين[3] ، وأنجى هذا من الظلمات ، ومد لذلك في الحياة، فعرف لكل على مقدار حرمته حق خدمته .

فصل ـ مضى العيد فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر ، ولا فضلات القدر ، ولا لفظات الذكر ، وأسمع الناس ، يقولون إن الشيخ مستبرد لي مستوحش مني [وأنا سليم نواحي القول والفعل والنية] وأنا كالحية أضمن أن لا ألسع ولا أضمن أن لا يفزع .

فصل ـ وصلت رقعة الشيخ فسفرت شوهاء ، ونطقت ورهاء[4] . تعثر في أذيالها تقول خذوني ، والطاعون المذنب سكران يتغافل.

فصل ـ يعجبني أن يكون الشيخ عريض اللسان طويله ، حسن البيان جميله ، ولا يعجبني أن يطول لسانه حتى يمس به جبينه ، ويضرب به صدره ، ويحك به قفاه ، فخير الأمور أوساطها ، وأمام الساعة أشراطها . والغاية سوم ،

---

(١) واحربا : واحزناه .

(٢) يعني بذلك النبي يونس عليه السلام .

(٣) يريد بذلك إبليس اللعين الذي أبى أن يسجد لآدم كما امر الله سبحانه وتعالى .

(٤) سفرت شعرها : أي كشفت عن وجهها المشوّه القبيح ، ونطقت ورهاء : أي تكلّمت بكلام ثقيل ، ويقال : امرأة ورهاء أي كثيرة الشحم .

والاستقضاء فرقة .

فصل ـ لولا شفقتك من القلب ، لربطتك مع الكلب ، ولكن لا حيلة لإحصارك ، وكلّي انصارك .

فصل ـ مغرز إبرة . وألفا عبرة ، رعاة رعاع ، ورعايا شجاع ، أمير ولكنه في الحمير ، ووزير ولكنه خنزير . وما شئت من البرود الاتحمية ، ولا شيء من الحمية .

فصل ـ أراني أذكر الشيخ كلما طلعت الشمس أوهبت الريح أو نجم النجم أو لمع البرق أو عرض الغيث أو ذكر الليث أو ضحك الروض ، إن للشمس محياه وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وسناه وللغيث يداه ونداه ولليث حماه وللروض سجاياه ، ففي كل صالحة ذكراه ، وفي كل حادثة أراه ، فمتى أنساه ، واشدة شوقاه ، عسى الله أن يجمعني وإياه .

فصل ـ سألني العم عن حالي بهذه البلاد . وإنني في بلاد وإن لم يكن لأهلها تمييز ، فأنا بينهم عزيز . يطعمونني تقليداً ، ويردونني فريداً ، والمال يجتني فيضاً لكن لا أبلعه ريقا ، ولا أكره آلوه تفريقاً ، فهو يأتي مداً ويذهب جزرا .

فصل ـ خلق ابن آدم خلقة الفراش مماته في المعاش، ومساره طي المضار ، وإلا بين لمثلي إذا خرج من بلدة أن تنبذ خلفه الحصاة ، وتكنس بعده العرصات[1] وتوقد في أثره النار ، ويثار في قفاه الغبار ، ويستنبح لفراقه الكلب ، ويسد لأوبته الأذنان ، وتغمض عن رجعته العيان ، ويقول كم سنة تعد ، ورب سلم لا يرد ، وما قدرت أن الشيخ بعد ما كفاه الله شر مقامى ، وأصحت سماؤه من أشغالي وصفا جوه من لقائي ، يشتاق طلعتي شوقاً ببعثه على عتابي ، ويهزه

(١) العرصات : الساحات .

لاستعطافي ، ولا شك في أنه اشتهاني كما يشتهي الجرب الحك ، وله العتبى فستأتيه كتبي تباعاً ورسلي ولاء ، وحاجاتي قطارا[1] .

فصل إلى الاستاذ أبي بكر بن إسحاق

الأستاذ الاهد يأمر غاشية مجلسه ، أن يفتشوا أعطاف المقبرة وزواياها ، فإن وجدوا قلبا قريحا ، يحمل وداً صحيحاً ، وكبداً دامية ، تقل محبة نامية ، فأنا ضيعتهما بالأمس ، على ذلك الرمس ، رضي الله تعالى عن وديعته ، وعنا معشر شيعته ، فليأمر بردهما إليّ ، فلا خير في الأجساد خالية من الفؤاد ، عاطلة عن الأكباد .

فصل إلى ابن أخته

أنت ولدى ما دمت والعلم شانك ، والمدرسة مكانك ، والدفتر أليفك ، وحليفك ، فإن قصرت ولا إخالك ، فغيري خالك .

فصل من كتاب إلى ابن فريغون[2]

كتابي والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه ، فقد تصورت خلقه ، والملك العادل إن لم أكن لقيته ، فقد بلغني صيته .

فصل ـ إن لي في القناعة وقتاً ، وفي الصناعة بختاً ، لا يبعد عن منال المال ، بل يجبيني فيضا ، ويتطفل علي أيضاً ، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها المأمون ولم يستغن عنها قارون ، فإن الأحب إليّ أن أقصدها قصد موال ، لا قصد سؤال ،

---

(١) القطار : القافلة ، ويريد أنها سوف تأتيه متتابعة .

(٢) في الرسائل : وله إلى الأمير ابن الحرث محمد مولى أمير المؤمنين .

والرجوع عنها بحال، أحب إليّ من الرجوع بمال ، قدمت التعريف ، وانتظر الجواب الشريف .

فصل ـ إن أيامي منذ لم أره ليال ، وإني من حبسي لفي طلل بال . وإن العيش لا يلتئم إلا بعزه ، والعافية لا تطيب إلا في ظله[1] .

فصل ـ إن الجميل عندهم من وراء جدار ، والقبيح نار على منار ، فإذا مدحوا سيرة رجل فقد حمدوا عثرته ، ولم يبق فيه طمع للسبك ، ولا موضع للشك .

فصل ـ ليست التجربة خمسة أجربة ، إنما هي دفعة والتقدمة لفظة ، ثم إن العاقل بفطنته يكيس فيقيس ، والجاهل بغفلته يخس ويخيس ، يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك ، وليست هذه الدار بدارك ، ولا السوق سوق متاعك ، ناسب الكتابة وما وسقت[2] ، والأقلام وما نسقت ، والمحابر وما بسقت ، والأسجاع إذا اتسقت ، واللوم ولا هذه العلوم .

فصل ـ إني والله لأرحم عقل طرفة إذ قال [من الوافر]

وليت لنا مكان الملك عمروٍ رغوثاً حول قبتنا تخور

كيف ضرب المثل في الشر وقلة الخير ، بما هو خير كله . وإن الرغوث لتعذره برسلها ، وتحبوه بنسلها ، وتكسوه بصوفها ، وتنفعه ببعرها ، وتغيظ عدوه بسراحها ، وتقر عينه برواحها [من الوافر] :

وتملأ بيته أقطاً وسمناً وحسبك من غنىً شبعٌ وريّ[3]

ثم أرجع إلى حديثك : تمنى مكانه رغوثاً، وأتمنى مكانك برغوثا ، إن

---

(١) في «ب» . . « والعاقبة لا تطيب إلاّ في ظله » .
(٢) الوسق : الجمع ، ووسقت : حملت .
(٣) أقطاً وسمناً : جبنةً وسمناً، والريّ : من الارتواء . والبيت لامرىء القيس بن حجر الكندي .

البرغوث ، أجدر منك أن يغوث ، اعلم أنك غرسي ، والغرس تيس ، وحشى ، وما حسبتني أفقد منك منافع التيس ، ولكن ما أصنع والعقل ليس .

فصل ـ ما أعرف لعمار مثلاً إلا الغراب الأبقع ، مذموما على أي جنب وقع ، إن طار فيقسم الضمير ، وإن وقع فروعة النذير ، وإن حجل فمشية الأسير ، وإن شحج فصوت الحمير ، وإن أكل فدبر البعير ، وإن سرق فبلغة الفقير ، كذلك ابن عمار ، إن حذفت عينه فالحين . وإن حذفت ميمه فالشين . وإن حذفت راؤه فالرين ، وإن صحف خطه فالمين[1] . وإن زرته فالحجاب الثقيل ، وإن لم تزره فالعتاب الطويل .

فصل ـ بلغني أن الشيخ دائم العبث بلحمي ، والنقل بشتمي ، وأنه حسن البصيرة في نقضي ، كثير التناول من عرضي ، ولحم الوديد ، لا يصلح للقديد ، ودم الصديق ، لا يشرب على الريق ، والولي لا يقلى ، ولا يتخذ نقلا ، وحسب الغريم أن لا يوفى ، ومن منع الصدقة فليقل قولاً معروفاً .

فصل ـ لولا ود الفقيه ، وأنا أستبقيه ، لشتمت العام والخاص ، وذكرت العاض والماص ، ولتجاوزت دار الرجال إلى حجرة العيال ، ما هذه الأسجاع التي كتبها ، والفصاحة التي عرفها ، بكر وتألم الطلق ، أعلى رأسي يتعلم الحلق .

فصل ـ واحرباه ، وإليك شكوى الحرب ، وأظن أجلي قد اقترب ، ربِّ توفني مسلماً ، وألحقني بالصالحين .

فصل ـ حرس الله هذه الدنانير ، ورزقنا منها الكثير ، إنها لتفعل ما لا تفعل التوراة والإنجيل ، وتغني ما لا يغني التنزيل والتأويل ، وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل .

---

(١) المين : الكذب .

فصل من تعزية بحرمة

على أن النساء كالصَّدف ، إذا انتزعت منه درّة الشرف . لم يصلح إلا للتلف ، والسعيد من حمل من دار الأمير نعشه ، وأسعد منه من جدد فرشه ، ولا خلة بالرجل أليق من الصبر ، ولا حصن للنساء أمنع من القبر ، أسأل الله الذي سلبه الكرمة أن يمتعه بعنبها ، ولا خير في النخلة وراء رطبها .

فصل ـ قد توسطت الشباب ، وتطرقت المشيب ، وقبضت من أثر الزمان . ونظرت في أعقاب الأمور ، وطرت مع الملوك ، ووقعت مع الخطوب ، والحي يأمر وينهى * وفارقتها والموت حزنان ينظر *[1] .

فصل ـ لو رآني مولاي وأنا في قميص بأذنين ، وقباء ضيق الردنين ، وعمامة كالقبة ، وخف تركي أعلاه جراب ، وأسفله غراب ، على برذون مضطرب التقطيع ، يرقصني كالرضيع ـ لعلم كيف تجري الفرسان ، وكيف تمسح الأذنان .

فصل من كتاب إلى أبيه

ولسيدنا أسوة بيعقوب في ولده ، إذ ظعن إليه من بلده . وليس العائق سور الأعراف ، ولا رمل الأحقاف ، ولا جبل قاف ، أخاف والله أن أموت ، وفي النفس مني حاجة لم أقضها ، أو منية لم أحظ ببعضها .

فصل ـ مثل الشيخ في التماس الخل ، مثل المكدي في التماس الخل ، تقدم إلى الخلال فقال : يا منكوح العيال صب قليلاً من الخل ، في هذا الإناء الجل فقال الخلال : قبح الله الكسل ، هلا التمست بهذا اللفظ العسل ؟

فصل ـ يا هؤلاء تكابروا الله في بلاده ، ولا ترادوه في مراده ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده . وما أرى آل فلان إلا مقدرين أنهم لم يأخذوا خراسان

---

(١) الرواية : « . . . والموت خزيان ينظر » .

قهرا ، إنما كانت لأمهم مهرا . فلهم حولها تخبيط ، والله من ورائهم محيط .

فصل - إني لأعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق ، ومن عنق يقلُّ ذلك الرأس فلا يندق .

فصل - كتابي كتاب من نسي الأيام وتذكره ، ويطوي العالم وينشره ، ثم ينبذ أبناء دهره، وراء ظهره .

فصل - أنا على قرب العهد بالمهد قطعت عرض الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، فما أحد إلا بالجهل تبعته ، وبالخسران بعته ، وبالظن أخذته وباليقين نبذته ، وما مدح وضعته في أحد إلا أضعته ، ولا حمد صرفته في أحد إلا عرفته ، ومن احتاج إلى الناس ، وزنهم بالقسطاس . ومن طاف نصف الشرق ، لقي ربع الخلق .

فصل في مدح الأمير خلف

جزى الله هذا الملك أفضل ما جزى مخدوما عن خدمه ، ومنعماً على نعمه ، وأعانه على هممه . فلو أن البحار عدده ، والسحاب يده . والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه ، فوالله ما التمر بالبصرة ، أقل خطراً من البدرة ، بهذه الحضرة أني لا أراها تحمل إلى المنتجعين إلا تحت الذيل في جنح الليل ، ولا شيء أيسر من الدينار ، بهذه الديار ، بينما المرء في سنة من نومه لتعب يومه وقصاراه قوت يومه ، إذ يقرع الباب عليه قرعا خفياً ، ويسأل به سؤالاً [حفياً] ويعطي ألفاً خلفياً .

فصل - للشيخ من الصدور ما ليس للفؤاد ، ومن القلوب ما ليس للأولاد فكأنّما أشتق من جميع الأكباد ، وولد بجميع البلاد . سواء الحاضر فيه والباد . وكل أفعاله غرة في ناصية الأيام ، وزهرة في جنح الظلام ، إلا أن ما أوجبه لفلان

من روض أنا وسميه[1] ، وطوقٍ أنا قمريه[2] . وعودٍ جمره لساني ، وخمرٍ سكره ضماني .

فصل إلى أبيه

إن الإبل على غلظ أكبادها لتحن إلى أوطانها ، وإن الطير لتقع عرض البحر إلى مظانها ، وبلغني أن ابن ذي اليمينين طاهر بن الحسين لما ولي مصر داخلها مضروبة قبابها مفروشة أرضها مزخرفة جدرانها والناس ركبانا ورجالاً والنثار يميناً وشمالا ؛ فأطرق لا ينطق حرفاً ، ولا يرفع طرفا ، فقيل له في ذلك فقال : ما أصنع بهذا كله ، وليس في النظارة عجائز بوشنج .

والعجب من حاضر أنطاكية صاحب آل ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر برجله وأهلك قومه من أجله ، وقيل له (ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فكأنه تمنى الجنة بلقيا قومه على سوء جوارهم ، وقبح آثارهم .

وهذا أخو كندة[3] يقول [من الطويل] :

وهل ينعمنْ من كان أقربُ عهده ثلاثين شهراً أو ثلاثة أحوال

فما ظنه بي لاثنتي عشرة سنة ، على أن لي في رسول الله أسوة حسنة ، وعسى الله أن يأتيني بكم جميعاً ، أو يأتيكم بي سريعاً .

فصل ـ وأجدني إذا قرأت قصة الخليل ، والذبيح إسماعيل ، أحس من نفسي لسيدنا بتلك الطاعة ، لو وقع البلاء ، والعافية أوسع ، وأظنه لو تلّني[4]

---

(١) الوسميّ : مطر الربيع .

(٢) الطوق : القدرة على الشيء ، أو الحليّ في العنق ، والقمري : الحمام الحسن الصوت .

(٣) أراد بأخي كندة امرأ القيس بن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المعروف .

(٤) تلّه للجبين : أي قلبه على قفاه وألقاه على عنقه وخدّه .

للجبين ، وأخذ مني باليمين ، لقطع الوتين ، لصنته عن الأنين ، علي بذلك ميثاق من الله غليظ، والله على ما نقوله حفيظ .

فصل ـ فتن تشظّى[1] ، ونار تلظّى ، وناس يأكل بعضهم بعضا ، فالنهار مصادرة ، والليل مكابرة ، وقتل عمرو وسلب زيد ، وانج سعد ، وهلك سعيد ، وثمن الرأس منديل ، والبينة العادلة سكين [ودار الحكم بيت القار ، واليمين الغموس فلان الحمار ، والجامع حانة الخمار] ولا شيء إلا السلاح والصياح وكل شيء إلا السكون والصلاح .

فصل ـ قد أهديت له فارتي[2] مسك تصلان بوصول كتابي هذا، وبينهما من السلام أطيب منهما عرفا ، وأحسن وصفا .

فصل من رقعة إلى الشيخ الجليل أبي العباس

عبد من عباد الله أجرى الله أمره على الجروم والصرود ، وأنفذ حكمه بين اللحوم والجلود ، وأراه البسطة في مراده ، والغبطة في أولاده ، والرشد في اعتقاده ، ومكن له في بلاده ، وله في غده أكثر مما في يده ، وما بقي أطيب مما لقي ،وبلغني أنه يضجر من أبناء الحاجات ترفع إليه ، والقصص تقرأ لديه ، وقد ضجرت ضجرة يحيى بن خالد ، فأرى في المنام فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول « إن ضجرت لازدحام الحاجات إليك ، أضجرناك بانقطاعها عنك » .

فصل ـ وأظن الشيخ لو رآني لقلاني ، وما أقضي لأقصي العجب منه وفيه .

فصل ـ حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال: رأيت الصفا والحجون وقوماً يموجون ، وكعبة تزف عليها الستور ، وترفرف حولها الطيور ، وبيتا كبيتي ،

---

(١) تشظّى : تتفرّق وتتوزّع وتصعب .

(٢) الفارة من المسك : الحقّ المليء به .

ولكن سل عن البخت ، لا عن البيت .

وابتاع بعض الهنود هذا السلجم المشوي فاتزن بدانق أرطالا ، ثم وجد الكمثرى تباع فقال : ما أغلاه نياً . وأرخصه مشوياً ، نويت أن أعتزل الناس حتى يعرفوا الكمثرى من السلجم ، إن لم يعرفوا الدينار من الدرهم ، فأنا اليوم حتى ينتصف المظلوم ، سكن أبو موسى الأشعري المقابر ، فقال : أجاور قوماً لا يغدرون ، فقيل له : مهلا يا أبا موسى ، انما لا يغدرون لأنهم لا يقدرون .

فصل من رقعة إلى ثقيل آستأذنه للخروج

نعم ولا حُمْرُ النعم[1] ، قاعة قعساء[2] ، كأنها ملساء ، ومنهج عريان ، تسلكه العميان ، وسمت لا عوج فيه ولا أمت[3] ، وماء برده الشتاء ، ولا يكدره الرشاء ، فاذهب حيث تشاء ، والدنيا والعراق ، والحبة أبلاق ، ولك بالصين تخت والغنى غنى البحر ، ولك ما سألت بمصر ، وشر الحمام الداجن ، ومقيم الماء آسن . والكسل إضاعة، والطرأة بضاعة ، وإنك لتؤذن بالبين ، وتصبح عن سُري القين ، ويلك ما هذه الرعونة ، وما هذه الأخلاق الملعونة ، تلمح بدلال ، والله إنك مجانا لغال ، فابعدكما بعدت ثمود ، وابرح فقد طال القعود ، واذهب ذهابا لا تعود .

فصل ـ كتبت وليس الشوق إلى لقائه بشوق ، إنما هو العظم الكسير ،

---

(١) حمر النعم : كناية عن الإبل .

(٢) القعساء : القعِس : من خرج صدره ودخل ظهرهُ خلقة . وقعس الشيء : عطفه وأماله .

(٣) والسمت : الطريق ، لا عوج فيه : أي لا اعوجاج فيه ، ولا أمت : ولا عيب .

والنزع العسير ، والسم يسري ويسير . والنار تطيش وتطير . وليس الصبر عن رؤياك بالصبر إنما هو الصبر معجوناً بالصاب ، وتشريح العروق والأعصاب . والقلب في الميسر والأنصاب . والكبد في يد القصاب .

فصل ـ مرحباً بالشيخ وبناقة تحمل رحله ، وبأرض تلبس ظله ، وبيوم يطلع علينا وجهه . وبليلة تلد قربه ، وإيه يا خطى الناقة ، فوق قوى الطاقة . ويا أرض انزوي كما تنزوي الجلدة في النار . ويا منظر انطو انطواء الحية والطومار ، وعجل إلى الظماء ببارد الماء ، ومن على البلد القفر بصائب القطر .

فصل ـ أثنى عليه ثناء لو رمى به الشتاء لعاد ربيعاً ، أو دعى الشباب لآب سريعاً ، أو صب على الفراق لانقلب شملاً جميعاً .

فصل ـ جرجان وما أدراك ما جرجان ، أكلة من التين وموت في الحين ، ونظرة إلى الثمار والأخرى إلى التابوت والحفار ، ونجار إذا رأى الخراساني نجر التابوت على قده ، وأسلف الحفار على لحده . وعطار يعد بين الحنوط يرسمه . وبها للغريب ثلاث فتحات : أولها لكراء البيوت ، والثانية لابتياع القوت ، والثالثة لثمن التابوت .

فصل ـ كأنّما خلق للدنيا تحجيلاً ، ولملوكها تخجيلاً ، وكأنما خلق ليقبل المستحيل مانعه ، وليصدق المحال سمعه . فليؤمن أن البحر يمشي على رجلين ، وأن المجد يتصور للعين . وأن العدل يتجسم ، والفضل يتبسم ، والدهر يتكرم ، والشمس تتكلم .

فصل ـ إن طلبت كريماً في أخلاقه . متُّ ولم ألاقه ، أو حكيماً في جوده ، مت قبل جوده . ولقد أفسدني على الناس وأفسدهم علي ، فما أرضى بعده أحداً ، ولم أجد مثله أبداً . وهذا وصف إن أطلته طال ، ونشر الأذيال ، واستغرق

القرطاس، والأنفاس ، واستنفد الأعمار ، والأعصار، ولم تبلغ التمام ، والسلام .

فصل ـ كتبت ونصفي راحل ، والأحمال تشد ، والعلوفات تعد ، والجمال تقدم والجمال يشتم . وما أشبه نفسي في هذه الأسفار إلا بالخيال الطارق ، أو بلمع البارق ، أو الغلام الآبق ، أو الجواد السابق ، أو بهرب السارق ، أو السهم المارق ، وإنما هو الشد والترحال ، والخيل والبغال، والحمير والجمال .

فصل ـ عنوان الأحمق كنيته ، ثم بنيته ، ثم حليته ، ثم مشيته ، والله لا أعرف البحتري ، فهلا أبو حامد وأبو خالد . وإن امرأة تقعد مدة تعصر بطنها وظهرها ، وتعد يومها وشهرها . فهلا تجعل سرها وجهرها ، ثم تسميه البحتري لرعناء لاستحق مهرها ، وخليقة أن يطم الله نهرها ، فلا تلد دهرها . ثم الوجه اللحيم ، لا يحتمله الكريم ، والأنف السمين ، لا يحتمله الأمين . والقطف سير الحمير ، والهرولة مشية الخنازير .

فصل ـ وما زالت جفنة آل جفنة تدور على الضيف ، في الشتاء والصيف . حتى عثرت بحسان ، فارتهنت ذلك اللسان . فسيّر فيهم القصائد الحسان . فهذا الزمان يخلق وهي جديدة ، وتلك العظام بالية ، وهذه محاسن باقية . وحق على الله أن لا يخلي كرما من لسان يبث أحدوثته .

فصل ـ لسان كمقراض الخفاجي يضعه حيث يشاء ، وبحر لا تكدره الدلاء ، وصدر كأنه الدهناء[٣] وقلب كأنه الأرض والسماء، وشرف دونه الجوزاء .

فصل ـ الإنسان يولد على الفطرة من ظرفه استظرفه ، ومن لمحه استملحه ،

ثم لا يسمى قرطبانا . حتى يسعى زمانا ، فإذا تعب دهراً طويلاً سمى كشحانا ثقيلا ، وإذا شب الصبي كان بالخيار ، إن شاء سمى لحم الحوار ، ولقب ذنب الحمار ، وكنى كذب الخار . وشبه بالجدار ، وأطلال الدار . وإن شاء نزهة الألباب ، ومتعة الأحباب ، ودمية المحراب ، وفرحة الاياب . وعلى الأم أن تلد البنين ، وتغذوهم سنين ، وتلهيهم الليل والنهار ، وتقيهم الماء والنار ، فإن خرجوا مخانيث فقد قضت ما عليها ، وإن قرم السّرم ، فلغيرها الجرم ، وان احتك السرج ، فعلى الله الفرج ، وعلى ابنها الحرج .

فصل ـ الوجه الحسن عنوان مخيل ، وضمان جميل . فإن عضده أصل كريم ، فأنا به زعيم ، وإن نصره بيت قديم ، فأنا له نديم ، والشيخ بحمد الله دارة البدر حسن إشراق ، وفأرة المسك طيب أخلاق ، وشجر الأترج طيب أعراق ، وطيب مذاق ، وطيب ورق وساق ، وحرج على من هذه خصاله ، أن يغبني وصاله . فأنا أخطب إليه مودته . وأبذل روحي لها مهرا ، فإن رأى أن يزوجنيها فعل إن شاء الله تعالى .

فصل ـ يلقى الشيخ بكتابي هذا من ذكر حريته فلقد أجدت ، وثمرة الغراب وجدت[1] . ونعم ما اخترت ، والخير فيمن ذكرت . وأجبته إلى ما سأل ، وسفتجت له إلى الكريم بما أمل[2] ، وقلت : أده الآن ، وخاط كيساً على ماله ، وضمنت له تهنئة آماله ، فإن رأى أن يفك لساني ، من سر ضماني، فعل إن شاء الله تعالى .

---

(١) ثمرة الغراب وجدت : أي لقيت الخصب يقال : هذه أرض لا يطير غرابها «أو ليس غرابها بمطار » أي مخصبة .

(٢) سفتجت : من السفتجة ، وهي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تستردّ بها مالك من شريك أو عميل له في بلد آخر أنت مسافر إليه .

فصل ـ إن رضي الشيخ أن يواكل من لا يشاكل ويجانس من لا يؤانس .

فصل ـ مثلي أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب تقدم إلى القصاب يسأله فلذة كبد ، فسد باليسرى فاه ، وأوجع بالأخرى قفاه . فلما رجع إلى منزله بعث توقيعاً ، يطلب جملاً رضيعاً . كذاك أنا وردت فلا أكرم بسلام ، ولا أتعهد بغلام ، فلما وجدته لا يبالي بسبالي[1] كاتبته أشفع لسواي .

فصل ـ لو علم ما في صدر هذه الأيام ، من حر الكلام ، نفذ في هذه البقاع من ظرف الرقاع . ثم ملكته هزة الفضل ، لطوى السير عاجلاً ، والأرض راجلاً .

فصل ـ سقاها الله من بلد ، وأهلها من عدد ، وفلانا من بينهم ، ولا نصصت إلا على عينهم . وحبذا كتابه واصلاً ، ورسوله حاصلاً ، فأي تحفة لم تصل بوصوله، وفضل لم يستفد من فصوله .

فصل ـ اليوم طلق ، والهواء رطب ، والماء عذب ، والبستان رحب ، والسماء مصحية ، والريح رخاء . فأين سيدي فلان ؟ أشهد ما اليوم جميلا ، ولا الظل ظليلا ولا الماء يبرد غليلا . ولا النسيم يشفي عليلا . وأقسم ما الروض إلا ثقيل ، والأنس إلا دخيل ، والدهر إلا بخيل . وفي ذلك يقول [من الطويل] :

وإنّي لتعروني لذكراك روعةٌ   كما انتفض العصفور بلَّله القطرُ[2]

وليس الشوق إلى مولاي بشوق إنما هو وقع السهام ، ولا الصبر عن لقياه بصبر إنما هو كأس الحمام ، وما للسم سلطان هذا الهم ، ولا للخمر طغيان هذا الأمر .

---

(١) السبال : جمع سبلة : يقال جمل حسن السَّبَلة : أي رقيق الجلد . والسَّبال أيضا : طرف الشارب ومقدّم اللحية .

(٢) عَرَاه : أصابه ، والقطر : الماء والندى . والبيت لأبي صخر الهذلي ، والمحفوظ في صدره «وإني لتعروني لذكراك هزّةٌ » .

فصل ـ إن للشبان نزوة ، وللأحداث رقة . ولكن يربعون إذا جاءت الأربعون . ويفزعون ، وإن كانوا لا يجزعون ، ولقد نظرت في المرآة فرأيت الشيب يتلهّب وينهب ، والشباب يتأهّب ويذهب ، وما أسرج هذا الأشهب[1] إلا لخبر ، وأسأل الله عاقبة خير .

فصل ـ أجدني قد اكتهلت، والكهل قبيح به الجهل ، ولاحت الشعرات البيض ، وجعلت تفرّخ وتبيض .

فصل ـ جزى الله المشيب خيراً فإنه أناة ، ولا رد الشباب فإنه هنات ، وبئس الداء الصبا وليس دواؤه إلا انقضاؤه ، وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار . أظن الشباب والشيب لو مثلاً لمثل الأول كلبا عقوراً ، والآخر شيخاً وقوراً ، ولاشتعل الأول ناراً والآخر نوراً ، فالحمد لله الذي بيّض القار[1] ، وسماه الوقار ، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ، إن السعيدمن شابت جملته ، ولم تخص بالبياض لحيته .

فصل من تهنئة بمولود

حقاً لقد أنجز الإقبال وعده ، ووافق الطالع سعده ، والشأن فيما بعده ، وحبذا الأصل وفرعه ، وبورك الغيث وصوبه ، والروض ونوره ، وسماء أطلعت فرقدا ، وغابة أبرزت أسدا ، وظهر وافق سنداً ، وذكر يبقى أبداً ، ومجد سمى ولداً ، وشرف لحمة وسدى .

فصل ـ كتابي من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق ، وقلبتها كما يقلب الرقيق . وبلعتها كما يبلع الريق ، [والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله] وقد خدمت الشيخ سنين ، والله لا يضيع أجر

---

(١) بيّض القار : يعني جعله شعره أبيض بعد أن كان أسود،والقار : القطران .

المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان ، ومالحته والمماحلة نسب دان ، وسافرت معه والسفر والأخوة رضيعا لبان ، وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان ، وأثنيت عليه والثناء من الله [عز وجل] بمكان ، وأخلصت له والإخلاص محمود بكل لسان ، أفبعد هذه الحرمات ، أنا طعمة فلان وفلان يتناولانني سبعاً في ثمان .

فصل ـ لعن الله فلاناً فلا أراه في النوم ، إلا أصاب في ذلك اليوم .

فصل ـ ورأى أفواهاً فاغرة . وأضراساً طاحنة ، وعيالا وأذيالاً الله وكيلهم ، وأنا أزنهم وأكيلهم .

فصل من كتاب تعزية

ولـم تنسنـي أوفى المصيبـاتُ بعده ولـكنّ نكء القرح بالقـرح أوجع[1]

والله ما يضرب الكلب ، كما يضرب هذا القلب . ولا يقطر الشمع ، كما يقطر هذا الدمع . وما للسم سلطان على هذا الغم ، ونفسي إلى القبر ، أعجل منها إلى الصبر . وأذني بالموت ، آنس منها بهذا الصوت . أولم يكفنا الجرح ، حتى ذر عليه الملح ؟ ألم أكن من فلان مثقل الظهر ، فما هذه العلاوة على الحمل ، ولـم هذه الزيادة في الثقل ؟

فصل ـ وفيما يقول الناس من حكاياتهم أن أعرابياً نام ليلاً عن جمله ففقده ، فلما طلع القمر وجده ، فرفع إلى الله يده . فقال : أشهد لقد أعليته ، وجعلت السماء بيته . ثم نظر إلى القمر فقال : إن الله صورك ونورك ، وعلى البروج دورك . وإذا شاء قورك وإذا شاء كورك[2] ، فلا أعلم مزيداً أسأله لك ولئن أهديت إلى قلبي سروراً ، لقد أهدى إليك الله نوراً ، والشيخ ذلك القمر المنير ، لقد أعلى

(١) نكْء القرح : قشره قبل أن يشفى ويندمل .

(٢) قوّرك : جعل فيك خرماً في وسطك كما يقور الثوب والبطيخ أي جوّفه . وكوّرك : أي لفّك وجعلك كالعمامة .

الله قدره ، وأنفذ بين الجلود واللحوم أمره . ونظر إليه وإلى الـذين يحسدونـه ، فجعله فوقهم وجعلهم دونه .

فصل ـ المرء جزوع لكنه حمول ، والإنسـان في النوائـب شمـوس[1] ثم ذلول . ولقد عشت بعد فراق الشيخ عيشة الحوت في البر ، وبقيت ولكن بقـاء الثلج في الحر .

فصل ـ توجه فلان إلى الحضرة ، ويريد أن يقرن الحج بالعمرة ، ولا يقتصر على المشتري دون الزهرة ، ولا يقنع بالماء إلا مع الخضرة . وقصد من الشيخ الجليل يزخر بحره . وجعل الشيخ سفينة نجاته ، وذريعة حاجاته .

فصل ـ إن ذكر الجمال طلع بدراً ، أو السحاب زخر بحراً ، أو العهد رسخ صخراً ، أو الرأي أسفر فجراً . أو الحياء رشح خمرا ، أو الذكاء توقد جمرا .

فصل ـ جزى الله الشيخ خيراً عن بطن الساغب[2] ، وكف الراغب . وأعانه على همته ووفقه ، وأخلف عليه خيراً مما أنفقه ، فليس لمثل هذا العام ، إلا مثل ذلك الإنعام العام. فلو انتقـر ، لهلك من افتقـر ، ولكنـه أجفـل وغمـر الأعلـى والأسفل ، فكأنما عاد الشتاء ربيعا (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) .

رقعة له إلى أبي محمد إسماعيل بن محمد جواباً عن رقعة صدرت إليه وقد ورد هراة

مرحباً بسيدي إسماعيل ، وجد يفعل الأفاعيل ، ولا رقعة أرقع من هذه ، ما نصنع برقعة ، ونحن في بقعة . فليجعلها زيارة ، ثم الحاجة مقضية ، والحرمات مرعية .

---

(١) الشموس : من الناس ، الصعب المراس الشديد العداوة .

(٢) الساغب : الجائع .

رقعة إليه أيضاً عند انصرافه

أنت يا سيدي أقرب رحما ، وأنفذ حكماً ، ودونك الدار ، ولك فيها المقدار ، ويسرني أن لا تغيب ولا تغبّ[1] ، وتحب الخروج وأحب أن لا تحب . ولو علمت أني إذا ناصبتك أقمت ، فعلت ذلك ولو نقمت . فأقم ريثما تنقضي هذه الأشغال وتنقشع هذه الضبابات . فنتفرغ لقضاء حقك ، ونتسع لواجب لك . ثم إن أبيت إلا الرد ، وإلا الصد ، فإني أراك قبل أن حصلت سرت ، وقبل أن حوصلت طرت . وما قابلنا حقوقك إلا بالعقوق ، والسلام .

فصل ـ لعلك يا سيدي لم تسمع بيتي الناصح حيث قال [من مجزوء الكامل] :

اسمع مقالة ناصحٍ جمع النصيحة والمقه[2]
إيّاك واحذر أن تكو ن من الثقاة على ثقه

صدق [الشاعر] والله وأجاد فللثقاة خيانة في بعض الأوقات . هذه العين تريك السراب شراباً ، وهذه الأذن تسمعك الخطأ صوابا . فلست بمعذور ، إن وثقت بمحذور . وهذه حال السامع من أذنه ، الواثق بعينه . وأرى فلاناً يكثر غشيانك وهو الدني دخلته ، الرديء نحلته ، السيء وصلته ، الخبيث جملته ، وقد قاسمته في أزرك ، وجعلته موضع سرك ، فأرني موضع سرك . فأرني موضع غلطك فيه ، حتى أريك موضع تلافيه . ما أبعد غلطك عن غلط إبراهيم عليه السلام ! إنه رأى كوكباً ، ورأيت تولبا[3] ، وأبصر القمر وأبصرت القدر ، وغلط في الشمس ، وغلطت في الرمس ، أظاهره غرك أم باطنه سرك ؟

---

(١) الغبّ : الزيارة فترة بعد فترة وللرسول الكريم حديث يقول : زرْ غبّاً ولا تزر خبّاً .
(٢) المقه : المحبة .
(٣) التولب : الجحش .

ومن هذا الفصل ـ وافتتح صلواتـك بلعنـه ، وإذا استعـذت من الشيطـان فاعنه .

فصل من رقعة إلى وارث مال

العزاء عن الأعزة رشد كأنه الغي ، وقد مات الميت فليحي الحي ، واشدد علـى حالك بالخمس ، فأنـت اليوم غيرك بالأمس ، قد كان ذلك الشيخ وكيلك يضحك ويبكي لك ، وسيعجم الشيطان الآن عودك[1] ، فإن استنالك رماك بقوم يقولون : خير المال متلفة بين الشراب والشباب ،ومنفقة بين الحباب والأحباب . والعيش بين القداح والأقداح ، ولولا الاستعمال ما أريد المال ، فإن أطعتهم فاليوم في الشراب ، وغـدا في الخـراب ، واليوم واطربـا للنـاس ، وغـدا واحرابـا من الإفلاس .

يا مولاي ، ذلك المسموع من العود ، يسميه الجاهل نقرا ، ويسميه العاقل عقرا ، وذلك الخارج من الناي هو اليوم في الآذان زمر ، وهـو غدا في الأبـواب سمر ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار في هذا العمل بضاعة .

فصل [منه] ـ لله في مالك قسطللمروءة قسم ، فصل الرحم ما استطعت ، وقدّر إذا قطعت ، ولأن تكون من جانب التقدير ، خيرَلكَ من أن تكون من جانب التبذير .

فصل ـ أشار إلى ضالة الأحرار ، وهي الكرم مع اليسار ، ونبـه علـى قدر الكرام ، وهو البشر مع الإنعام ، وحدث عن برد الأكباد ، وهـو مساعـدة الزمـان للجواد ، ودل على نزهة الأبصار وهو الثرى . ومتعة الأسماع وهو الثنا . وقلّمـا اجتمعا ووجدا معاً .

---

(١) أعجم عوده : عضّه وامتحنه ليعلم صلابته من رخاوته .

فصل - الأمير [الفاضل الرئيس] رفيع مناط الهمة ، بعيد منال الخدمة ، فسيح مجال الفضل ، رحيب مخترق الجود ، [طيب معجم العود] [من المجتث] :

فلو نظمت الثريّا والشعريين قريضا
وكاهل الأرض ضرباً وشعب رضوى عروضا
وصغت للدرٍّ ضداًّ أو للهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه سود النوائب بيضا
[أو ادّعيت الثريا لأخمصيه حضيضا[1]
والبحر عبدٌ لهاه عند العطاء مغيضا]

لما كنت إلا في ذمة القصور وجانب التقصير . ولكني أقول الثناء منجح أنى سلك ، والسخي جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرة لائحة فلمحة دالة ، أو إن لم يكن صداء فماء[2] . أو لم يكن خمر فخل ، وإن لم يصب وابل فطل . وبذل الموجود ، غاية الجود [وبعض الحمية آخر المجهود ، وماش خير من لاش] ووجود ما قل ، خير من عدم ما جل ، وقليل في الجيب ، خير من كثير في الغيب ، وجهد المقل ، أحسن من عذر المخل ، وماكان أجود من لو كان ، ولأن تقطف ، خير من أن تقف . ومن لم يجد الجميم[3] ، رعى الهشيم .

فصول قصار، وألفاظ ، وأمثال

المرء لا يعرف ببرده ، كالسيف لا يعرف بغمده ، جرحُ الجور ، بعيد الغور[4] نار الخفاء سريعة الانطفاء ، الحذق لا يزيد الرزق . والدعة لا تحجب

(١) الأخمصان : القدمان ، أو أطرافهما . والحضيض : كلّ ما سفل من الأرض .
(٢) الصداء : العطش .
(٣) الجميم : النبات الكثير المنتشر .
(٤) الغور : العمق والمدى .

السعة احتكم إلى الحجارة ، فالتقتير نصف التجارة ، غضب العاشق أقصر عمراً ، من أن ينتظر عذرا ، إن بعد الكدر صفواً ، وبعد المطر صحواً . الراجع في شيئه كالراجع في قيئه . المرء من ضرسه في شغل ، ومن نفسه في كل . الحبل لا يبرم إلا بالفتل ،والثور لا يربى إلا للقتل ، أرخص ما يكون النفط إذا غلا ، وأسفل ما يكون الأريب إذا علا . لا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة ، ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة ، إن للمتعة حداً ، وإن للعارية ردا[١] . ما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء . ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله ، الكريم عند أهل اللوم ، كالماء في فم المحموم ، وسم المبرسم في الشهد ، والشمس تقبح في العيون الرمد . الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل ، كلفة الفضل متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها بينة . إن الوالي سيعزل والراكب يستنزل النذل لا يألم العذل[٢] . المدبر يحسب النسيئة عطية[٣] ، ويعتد بها هدية . الدهر بيننا جرع ، وفيما بعد متسع ، لا ماء بعد الشط ، ولا سطح بعد الخط ، من ذا الذي لا يهاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه . ود الحضر إخاء ومروة ، وود السفر وفاء وفتوة . قلت قسما إن فيه لدسما ، ليلة يضل بها القطا ، ولا يبصر فيها الوطواط الوطا، شحاذ أخاذ ، وفي الصنعة نفاذ ، وهو فيها أستاذ . فارقنا خشفاً وأتى جلفا [٤] أرب ساقه ، لا نزاع شاقه ، أبعد المشيب أخدع بالدبيب . فعل ذلك على السخط ، من القرط ، خمر في الدنيا متاعها قليل ، وفي الآخرة خمارها طويل الحرب سجال : فيوماً غنم ، ويوماً غرم . ومطل الغنى ظلم . كذب القميص لا ذنب للذيب في تلك الأكاذيب . من الكبائر طفيلي يدب ، ومن النوادر ذباب ينب[٥] ، إنما يجرب السيف على الكلب ، لا على

---

(١) العارية : ما تعطيه غيرك على أن يردّه إليك « الأمانة » .

(٢) العذل : اللوم .

(٣) النسيئة : تأخير العطية .

(٤) الخشف : ولد الغزال ، والجلف : الفظّ الغليظ الطباع .

(٥) ينب : يصيح .

القلب . إذا رضيت أن أخدم ولا أخدم ، فإن العبودية لا تعدم . الجواد لا يجزع من الآكاف[1] جزعي من المخاطبة بالكاف . ما بي المكان لولا السكان ، والله ما أرضى ولو صارت السماء أرضاً ، ولا أريد ولو قطع الوريد . لا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد البهائم تختلف . إن اللئيم لا يخلو من خلة خير ، وكذلك الكريم لا يخلو من خلة ضير . عزيز على أن لا أسعد دون الرقعة بتلك البقعة . العبث بهن الحمار ، من المخاطرات الكبار . ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو أردت لسردت وأوردت .

* * *

ملح وغرر من شعره في كل فن

أنشدني لنفسه في ابن فريغون [من المتقارب] :

ألـم تر أنّـي في نهضتي ... لقيت المنـى والغنـى والأميرا
ولمـا التقينـا شممـت التراب ... وكنـت امـرءاً لا أشـمُّ العبيرا
لقيت امـرءاً ملء عين الزما ... ن يعلـو سحابـاً ويرسـو ثبيرا[2]
لآل فريغـون في المكرمات ... يدٌ أولاً واعتـذار أخيرا
إذا ما حللـت بمغناهُمُ ... رأيت نعيمـاً وملـكا كبيراً

وأنشدني من قصيدة في أبي عامر عدنان بن محمد الضبيّ [من الكامل] :

ليل الصّبـا ونهـاره سكران ... حدثـان لم يعركهمـا حدثانُ
يا زمفـرةً لي لا يكاد أزيزها ... يسـع الضلـوع إليك يا همذان
قسمـا لقـد فقـد العـراق بي آمرءاً ... ليس تجـود بردّه البلدان

---

(١) الآكاف : البراذع .

(٢) يعلو سحابا ويرسو ثبير : أي في علوه يكون كالسحاب ، وفي رسوّه كالجبال .

يا دهــر إنــك لا محالــة مزعجي عن خطتــي ولــكلٍّ دهــرٌ شانُ
فاعمــد براحلتــي هراة فإنها عَدْنٌ وإنّ رئيسهــا عدنان

وله من قصيدة في الأمير أبي علي أولها [من البسيط] :

علــى أن لا أريح العيس والقتبا وألبس البيد والظلمــاء واليلبا[1]

ومنها:

حسبي الفــلا مجلســاً والبــوم مطربةً والسّير يسكرنــي من مسّــه تعبا
وطفلــة كقضيب البــان منعطفاً إذا مشــت وهــلالُ الشهــر منتقبا
تظــلُّ تنثــر من أجفانهــا درراً دونــي وتنظــم من أسنانهــا حببا[2]
قالــت وقــد علقــت ذيلــي تودّعني والوجــد يخنقهــا بالدمــع منسكبا
لا درَّ درُّ المعالــي لا يزال لها برقٌ يشوقــك لا هونــاً ولا كثبا
يا مشرعــاً للمنــى عذبــاً موارده بينــاه مبتســم الأرجــاء إذ نضبا[3]
أطلعــت لي قمــراً سعــداً منازله حتــى إذا قلـت يجلــو ظلمتــي غربا
كنت الشبيبــة أبهــى ما دجـت درجت وكنــت كالــورد أذكى ما أتــى ذهبا

ومنها :

أبــى المقــام بدار الــذلّ بي كرمٌ وهمّــةٌ تصــل التــوحيد والخببا[4]
وعزمــةٌ لا تزال الدّهــر ضاربةً دون الأمير وفــوق المشتــرى طُنُبَا[5]

(١) القتب : الرحال ، والبيد :الصحارى،والبلب : جلود يخرز بعضها إلى بعض وتلبس على الرؤوس ، أو الدروع اليمانية .
(٢) الحبب : الأسنان المنضّدة المتراصفة .
(٣) المشرع : مورد الماء ، النبع ، والموارد : ورود الماء للشرب ، بيناه : أي بينما هو ، ونضب الماء : جفّ .
(٤) الوخد : نوع من الجري ، يقال : وخد الجمل : أي أسرع ورمى بقوائمه كالنعام ، والخبب : كذلك نوع من الجري فيه سرعة .
(٥) الطنب : الأعمدة .

يا سيّد الأمــراء فخــر فلا ملكٌ إلاّ تمنــاك مولــى واشتهــاك أبا
وكاد يحــكيك صوب الغيث منسكباً لو كان طلــق الحميّا يمطــر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصــد والبحــر لو عذبا

ومن أخرى في أبي القاسم بن ناصر الدولة [من مجزوء الكامل] :

غُضّــي جفــونك يا ريا ض فقد فتنــت الحــور غمزا
واقنــي حياءك يا ريــا ح فقـد كددت الغصــن هزّاً[1]
وارفـق بجفنــك يا غما م فقـد خدشــت الــورد وخزا
خلــع الــربيع علــى الرّبى وربوعهــا خزّاً وبزّاً
ومطارفــاً قـد نقّشتْ فيهــا يد الأمطــار طرزا
أســر المطــيٌّ إلــى المدا م على جنــيٌّ الــورد جمزا[2]
أو ما ترى الأقطــار قد أخــذت من الأمطــار عزّاً
أو ليس عجــزاً أن يفو تك حسّهــا ؟ أو ليس عجزا
حلّــت عزاليهــا السما ء فعــادت البيداء نِزّاً[3]
وكأنّ أمطــار الربيــ ــع إلــى ندى كفّيك تُعزى[4]
يا أيهــا الملك الذي بعســاكر الآمــال يُغزى
خلقــت يداك علــى العدا سيفــاً وللعــافيــن كنزا
والمــدح طلّــق ما عنا ك فإن عداك تجــده كزّاً[5]
لا زلـت يـا كنف الأميــر لنـا مـن الأحداث حرزا

ومن أخرى [من الكامل] :

---

(١) اقني : الزمي ، وكددت : أتعبت .
(٢) الجمز : عدوٌ يقارب الإسراع ، أو الوثب السريع .
(٣) العزالي : القرب « يريد شدّة المطر » والنِّز : ما يتحلّب أو يسيل من الأرض من ماء .
(٤) تعزي : تعاد وترجع .
(٥) طلق : حرٌّ طليق . كزّا : فظاً جافياً .

خرج الأمير ومن وراء ركابِهِ غيري ، وعزَّ عليَّ أنْ لم أخرج
أصبحت لا أدري أأدعو طغمتي أم بكتكينٌ أم أصيح ببزعج
وبقيت لا أدري أأركب أبرشي أم أدهمي أم أشهبي أم ديرجي[1]
يا سيد الأمراء ما لي خيمةٌ إلاّ السماء إلى ذراها ألتجي
كنفي بعيري إن ظعنتُ ، ومفرشي كمّي ، وجنح الليل مطرحُ هودجي
يا منجنون بحذف ثاني حرفه إنْ كنت فاعل ما أرى فتحرَّج

ومن أخرى في الرئيس أبي جعفر الميكالي [من مجزوء الرمل] :

اذهب الكأسَ فعرفُ الـ ـفجر قد كان يلوحُ
وهو للناس صباحٌ ولذي الرأي صبوحُ[2]
والذي يمرح بي في حلبة اللهو جموح
اسقينها والأماني لها عرفٌ يفوح
إن في الأيام أسراً راً بها سوف تبوح
لا يغرنَّكَ جسمٌ صادق الحسن وروح
إنّما نحن إلى الآ جال نغدو ونروح
[ويك هذا العمر تفريحٌ وهذا الروح ريح]
بينما أنت صحيح الـ ـجسم إذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يلـ ـفظه الديك الذبيح
هكذا الدنيا فسيحوا ووقعنا لا نصيحُ
إنّما الدهر عدوٌّ ولمن أصغى نصيحُ
ولسان الدهر بالوعـ ـظ لواعيه فصيحُ
نستميح الدّهر والأيام منّا تستميح

(١) الديزج : الخيل « بالفارسية » .
(٢) الصبوح : الخمر .

ضـاع ما نحميه من أنـــــفسـنا وهـو يبيح
نحـن لاهـون وآجا ل المنـى لا تستريح
يا غلام الـكأس فالـــيأس من النـاس مريح
أنـا يا دهـر بأبنا ئك شقٌّ وسطيحُ(١)
وبأبـكار القوافـي لا علـى كفءٍ شحيحُ
يا بنـي ميكال والجو د لعلاّتـي مزيح
شرفـاً إنّ مجـال الـــفضـل فيكـم لفسيحُ
وعلـى قدر الممـــدوح يأتيك المديح
فهنـاك الشـرق الأر فع والطـرف الطمـوح
والنـدى والخلـق الطا هـر والـوجـه الصبيحُ

ومن أخرى في غيره [من مجزوء الكامل] :

طربـاً لقـد رقّ الظلا م ورقّ أنفـاس الصّباحِ
وسـرى إلـى القلـب العلــــيل عليل أنفـاس الرياحِ
ومليحـةٍ ترنـو بنر جسـةٍ وتبسـم عن أقاحِ
قامـت وقـد برد الحلـــــليّ تميس في ثنـي الوشاحِ
تشـدو وكلٌّ غنائها بردٌ علـى كبـد اقتراحي
يا ليل هل لك من صبا حٍ أم لنجمـك من براح(٢)
سـأريق ماء شبيبتي ما بين ريحـانٍ وراحِ
فيم العتـاب ولا لهُمْ ولا غيِّي ولا لهُـمُ صلاحي
وكعاذلاتـي في المليـ ـحة عاذلاتـك في السماح
وهـواي للبيض الصِّبا ح هواك للبيض الصِّفاحِ

---

(١) شقٌّ وسطيح : من كهنة الجاهلية .
(٢) البراح : إسم علم للشمس .

وولـوع كفّـي بالقدا ح ولـوع كفّـك بالرماحِ
وعليك إدمـان الندى وعلـيَّ إدمـان امتداحي
فليعـلُ رأيك إنّهُ يلـوي يد القـدر المتاح
وافخـر فإنـك في الملو ك لك المعلّـى في القداح[1]

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

قسمـاً لا ذَعَـرَ الشَّيـب عن اللّهـوِ رتاعي[2]
ويمينـاً لا تمثّلـت له فقعـاً بقاعِ[3]
إنّمـا الدّهـر الـذي يصـدقني حـرُّ المصاعِ[4]
كالنـي مدا وأجـزيـه من الحلـم بصاع
واغنـم الأيام ما ألـفيتها خضـر المراعي
لا تدعْ من لذة الـعيش عيانـاً لسماع

ومن أخرى في السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملـة أطـال الله بقـاه [مـن الهزج] :

تعالـى الله ما شاء وزاد الله إيمانـي
أأفـريدون في التاج أم الإسـكنـدر الثاني
أم الرجعـة قد عادت إلينـا بسـليمـان
أظلّـتْ شمس محمودٍ علـى أنجـم سـامـان
وأمسـى آل بهرام عبيـداً لابـن خاقان

(١) المعلى : سابع سهام القمار .
(٢) الرتاع : تتبع أماكن اللهو والشراب .
(٣) الفقع : فقع النبات أي اشتدت صفرته يريد أن يقول : إنه لن يتخلى عن حياته المنعّمة المترفة ولو كان الشيب نذير تحوّل له عنها .
(٤) المصاع : من الصاع ، وهو المكيال الذي تكال فيه الحبوب .

إذا ما ركب الفيل لحربٍ أو لميدان
رأت عيناك سلطاناً على منكب شيطان
أمن واسطة الهند إلى ساحة جرجان
ومن قاصية السّند إلى أقصى خراسان
على مقتبل العمر وفي مفتتح الشان
لك السرج إذا شحّت على كاهل كيوان
يمين الدولة العقبى لبغداد وغمدان
وما يقعد بالمغرب عن طاعتك اثنان
إذا شئت ففي أمنٍ وفي يمنٍ وإيمان

ومن أخرى أجاب بها عن قصيدة وردت عليه [من الطويل] :

لعمر المعالي إن مطلبها سهلُ سوى أنها دارٌ وليس لها أهلُ
حنانيك من حرٍّ ألمَّ بمشعرٍ هم الشاء رسلٌ إن أدرت ولا رسلُ
فحاول أن يستلّ بالشعر ما لهم وذلك ما لم يفعل اليد والفعل
شكا الجدَّ والأيام إذ لم تواته فلم يشك إلا ما شكى الناس من قبلُ
عزاءً ففي هذا السواد لنا نخل وصبراً ففي هذا القطيع لنا سخل[1]
ألم تر أنّ الجود والمجد والعلى أمانيّ إنْ تحلم بها يجب الغسل
ألا لا يغرّنّك الحسين وجوده فترجُوَ قوماً ليس في كأسهم فضل
فما كلُّ وقتٍ مثله أنت واجدٌ ولا كلُّ أرضٍ للحسين بها مثل
وما كلُّ جنسٍ تحته النوع داخلٌ ولا كلُّ ما أبصرت من شجرٍ نخل
ولن تفعل الأقوام مثل فعاله ولا سائر الذبان ما تفعل النحل

ومن أرجوزة عدنانية [من الرجز] :

---

(١) السَّخل : ولد الضأن والمغزى ، للذكر والأنثى .

يا آل عصمٍ أنتُمُ أولو العِصَمْ | لم توسموا إلاّ بنيران الكرم[1]
لا ينزع الله سرابيل النعم | عنكم فلا تخطوا بها دون الأممْ
طابت مبانيكم وطبتم لا جرم | يا سادة السيف وأرباب القلمْ
تهمي سجاياكم بعقيان ودم | أنتم فصاحٌ ما خلا في لا ولم[2]
الجار والعرض لديكم في حرَمْ | والمال للآمال نهبٌ مقتسم
أنتم أسود المجد لا أسد الأجم | يا سيداً نيط له بيت القدم[3]
بالعمد الأطول والفرع الأشم | هل لك أن تعقد في بحر الشّيم
عارفةٌ تضرم ناراً في علم | ويقصر الشكر عليها قلْ نعم
أمّا وإنعامك إنّه قسم | وثغر مجدٍ عن معاليك ابتسم
إنك في الناس كبرءٍ في سقم | يا فرق ما بين الوجود والعدم
وبعد ما بين الموالي والخدم | ما أحدٌ كهاشم وإن هشم[4]
ولا آمرؤ كحاتمٍ وإن حتم | ليس الحدوث في المعالي كالقدم[5]
ولا شباب النبت فيها كالهرم | شتّان ما بين الدناني والقمم

وله من قصيدة في الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان [من مجزوء الوافر] :

لسهلٍ في العلا غررُ | فهلاً عندكم لمحُ
وفيه من النّدى بدعٌ | فهلاّ فيكم مُلَحُ

---

(١) العصمة : صفة من لا يقع في الخطأ أو الرذيلة . توسموا : توصفوا .
(٢) تهمي : تمطر ، وسجاياكم : طبائعكم وأخلاقكم والعِقيان : الذهب الخالص . والمعنى العام : إن سجاياكم الكرم والشجاعة والفصاحة ، وليس لِلا ، ولم في لغتكم مكان ، لأنها يشيران إلى البخل وعدم العطاء .
(٣) الأجم : الشجر الكثير الملتف ، ونيط : عُلِّق عليه الأمل مثلاً .
(٤) هشم : كسر ، أو أكرم وعظّم .
(٥) حتم : قضى وأجاب وحكم .

تضمَّنَ أمَّةً رجلٌ وأودع عالماً شبحُ
فمن جاراه منقطعٌ ومن باراه مفتضحُ

وله من قصيدة في إسماعيل بن أحمد الدبراني وفيمن جمعه وإياهم الحبس من العمال [من المنسرح] :

قبحاً لهذا الزمان ما أربُهْ في عملٍ لا يلوح لي سببُهْ
ماذا عليه من الكرام فما تظهر إلا عليهم نوبُهْ
ألم يجد في سواكم سعةً ممّن يسوّي برأسه ذنبُهْ
لا يعرف الضيف أين منزله ولا يرى المجد أين منقلبه
ما لي أرى الحرّ ذاهباً دمُهُ ولا أرى النذل ذاهباً ذهبه
أراحنا الله منك يا زمناً أرعن يصطاد صقره خربه[1]
يا ساغباً جائعَ الجوارح لا يسكن إلاّ لفاضلٍ سغبه
يا ضرماً في الأنام متّقداً والجود والمجد والنهى حطبُهْ
يا خاطباً ساكتاً وليس سوى نعي فتىً أو فتوةٍ خُطبُهْ
يا صائداً والعلى فريستُهُ وناهباً والجمال منتهبُهْ
يا سادتي لا تلنْ عظامُكُمُ لعضّةِ الدّهر إن يهجْ كلبه
فالدّهر لونان لا يدوم على حالٍ سريعٌ بالناس مضطربُهْ
أتى بشرٍّ لم نرتقبه ، كذا يأتي بخيرٍ وليس نحتسبه

وله من قصيدة في أبي نصر بن أبي زيد [من الوافر] :

خلقتُ كما ترى صعب الثّقافِ أردّ يد الخليفة في الخلاف
ولي جسدٌ كواحدة المثاني ولي كبدٌ كثالثة الأثافي[2]

---

(١) الأرعن : الجاهل . الخرِب : الجبان .

(٢) المثاني : من المثانة : مستقر البول وموضعه . والأثافي : حجر الموقد .

هلـمَّ إلـى نحيفِ الجســم منّي لتنظــر كيـف آثــار النحاف
ألــم تر أن طائشــةً لظاها نتيجــة هذه القضــب الضعاف[1]
صحبــت الدهــر قبــل نبــات فيه فلا تغــررْك خافية الغداف[2]
نزلــت من الزمــان ومــن بنيه علــى غصــنين من شجــر الخلاف
ولــو شاء الزمــان قرار جأشي لأسمعنــي نداء أخٍ مصافي
أبــا نصــرٍ نقصتُــكَ صاع قولي وصــاع الفعــل من نعمــاك وافي
متــى يستــطيع عدّ علاك لفظي متــى ينحــي علــى البحــر اغترافي

وله من أخرى في خلف بن أحمد [من الطويل] :

وليلٍ كذكراهُ كمعنــاهُ كاسمِهِ كدين ابــن عبــادٍ كإدبــار فائق
شققنــا بأيدي العيس برد ظلامه وبتنــا علـى وعــدٍ من السير صادق[3]
تزجّ بنــا الأسفــار في كلّ شاهقٍ وترمــي بنــا الآمــال من كلّ حالق[4]
كأنَّ مطايانــا شفــارٌ كأنّما تمــدُّ إليهــنّ الفــلا كفُّ سارق
كأنَّ نجــوم الليل نظّــارةٌ لنا تعجّــبُ من آمالنــا والعوائق
كأنَّ نسيم الصبــح فرصــة آيس كأنّ سراب القيظ خجلــة واثق

ومن أخرى [من الطويل] :

سمـاء الدُّجـى ما هذه الحـدق النُّجْلُ أصدر الدجى حالٌ وجيد الضحى عطْلُ[5]

---

(١) طائشةً : أي سهماً طائشاً ، أو خربةً والقضب : الشجرة امتدّت وطالت أغصانها ، فيتخذ منها القسيّ .

(٢) الغداف : الجناح الأسود والخافية من الريش التي تأتي بعد ريش مقدّم الجناح .

(٣) العيس : النوق ، وفي الديوان : « وبتنا على وعدٍ من الصبح . . . »

(٤) تزجّ : ترمي وتدفع . والمعنى أي تضطرنا الأسفار الى ركوب الصعاب وتدفعنا الآمال الى التحليق في كلّ مكان .

(٥) النجل : الواسعة ، وجيد عطل : أي لا حليٌّ فيه .

لك الله من عزمٍ أجوب جيوبه كأنّي في أجفان عين الدجى كحْلُ
كأنّ الدّجى نقعٌ وفي الجو حومةٌ كواكبها جندٌ طوائرها رسْلُ
كأنّ مطايانا سماءٌ كأنّنا نجومٌ على أقتابها برجنا الرحل[1]
كأنّ السُّرى ساقٍ ، كأنّ الكرى طلا كأنّا لها شربٌ، كأنّ المنى نقل
كأنّ الفلا نادٍ به الجنُّ فتيةٌ عليه الثرى فرشٌ حشيَّته الرّمل
كأنّ أبانا أودع الملك الذي قصدناه كنزاً لم يسع ردَّه مطل[2]
ولمّا بلوناكُمْ تلونا مديحكُمْ فيا طيب ما نبلو ويا حسن ما نتلو
ويا ملكاً أدنى مناقبه العلى وأيسرُ ما فيه السماحة والبذل
هو البدر إلاّ أنّه البحر زاخراً سوى أنّه الضرغام لكنه الوبل[3]
محاسن يبديها العيان كما ترى وإن نحن حدَّثنا بها دفع العقل

ومن أحاجيه قوله في فص برحشاني [من الهزج]:

أحاجيك أناجيك بما يهجسُ في صدري
بما يجمد من خمرٍ وما يخمُدُ من جمر
وما يورد معناه إذا قلت على أمري
ونجم كاد ذو الحاجـ ـة في الليل بِه يسري
وحرفٍ من حروف النصـ ـب لولا خفَّةُ الظهر
أجب إنْ شئت بالنظم وإنْ شئت فبالنثر

* * *

(١) الأقتاب : الرحل الصغير على ظهر البعير .

(٢) المطل : التسويف من المماطلة .

(٣) الضرغام : الأسد الشجاع ، والوبل : المطر .

البــاب الســادس

في ذكر أبي الفتح البستي
وسائر أهل بست وسجستان وإيراد غررهم

٦٥ ـ أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي

صاحب الطريقة الأنيقـة في التجنيس الأنيس . البـديع التـأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة ، وقد كان يعجبني من شعره العجيب الصنعة البديع الصيغة قوله [من البسيط] :

من كلِّ معنـىً يكاد الميت يفهمُهُ   حُسْنـاً ويعبـده القرطـاسُ والقلمُ

ما أراه فأرويه ، وألحظه فأحفظه . وأسأل الله بقاءه، حتى أرزق لقـاءه . وأتمنى قربه كما تتمنى الجنة وإن لم يتقدم لها الرؤية ، حتى وافقت الأمنية حكم القدر وطلع علي بنيسابور طلوع القمر . فزاد العين على الأثر ، والاختبار على الخبر . ورأيته يغرف في الأدب من البحر ، وكأنما يوحى اليه في النظم والنثر ، مع ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز ، وأخذه منها بالحظ الوافر ، وجمعتـه وإياي لحمة الأدب ، التي هي أقوى من قربة النسب . فمـا زلـت في قدماتـه الثـلاث نيسابور بين سرور وأنس مقيم ، من حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرته ، في جنة نعيم أجتني ثمر الغراب من فوائده ، وأنظم العقود من فرائده . ولم يكن تغبني كتبه في غيبته ، ولا أكاد أخلو من آثار وده ، وكرم عهده .

ومن خبره أنه كان في عنفوان شبابه وأمره كاتب الباتيور ، صاحب بست ، فلما فتحها الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين رضي الله تعالى عنه وأسفرت الوقعة بينه وبين باتيور عن استمرار الكشفة بباتيور أعيت أبا الفتح صحبته ، وتخلف عنه ، ودل الأمير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمداً له ، إذ كان محتاجاً إلى مثله في آلته وكفايته ، ومعرفته وهدايته ، وحنكته ودرايته .

فحدثني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي قال : حدثني أبو الفتح رحمه الله تعالى قال : لما استخدمني الأمير سبكتكين وأحلني محل الثقة الأمين ، عنده في مهمات شأنه وأسرار ديوانه ، وكان باتيور بعد حياً ، وحسادي يلوون ألسنتهم بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي ليّا ، أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شيء من تلك الأقوال ، ويقرطس عرض القبول بعض تلك النبال ، فحضرته ذات يوم وقلت : إن همة مثلي من أرباب هذه الصناعة لا ترتقي إلى أكثر مما رآني الأمير أهلا له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات أسراره ، غير أن حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوماً واهتمام الأمير بنقض ما بقي من شغله يقتضيانني أن أستأذنه للاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر له هذا الأمر في نصابه ، فيكون ما آتيه من هذه الخدمة أسلم من التهمة ، وأقرب إلى السداد ، وأبعد من كيد الحساد ، فارتاح لما سمعه ، وأوقعه من الإحماد موقعه ، وأشار علي بناحية الرخج ، وحكمني في أرضها أتبوأ منها حيث أشاء ، إلى أن يأتيني الاستدعاء ، فتوجهت نحوها فارغ البال ، رافغ العيش والحال ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القدم من مخاضات التهم ، وكنت أدلجت ذات ليلة ، وذلك في فصل الربيع ، أؤم منزلا أمامي ، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة محفوفة بالخضرة . معمومة بالنور والزهر . وأمامها أرض كأنها قد فرشت ببساط من الزبرجد منضد بالدر والمرجان ، مرصع بالعقيق والعقيان . ينساب بينها أنهار

كبطون الحيات ، في صفاء ماء الحياة ، وقد فغمني من نسيم هوائها عرف المسك السحيق ، بالعنبر العتيق . فاستطبت المكان ، وتصورت منه الجنان ، وفزعت إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفال على المقام والارتحال ، ففتحت أول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو [من مجزوء الكامل] :

وإذا انتهيت إلى السلا مة في مداك فلا تجاوزْ

فقلت : هذا والله الوحي الناطق ، والفأل الصادق ، وقد تقدمت بعطف ضبني إليها[1] . وعشت ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه ، وأهنأ شرب وأمراه . إلى أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي إلى حضرته بتبجيل وتأميل ، وترتيب وترحيل ، فنهضت وحظيت بما حظيت منها إلى يومي هذا ، فكان اختياره ذلك أحد ما استدل به ذلك الأمير على رأيه وتدبيره ورزانته ، ودرجه به إلى محله ومكانته ، وصار من بعد ينظم بأقلامه ، منثور الآثار عن حسامه ، وينسج بعباراته . وشي فتوحه ومقاماته ، وهلم جرا إلى زمان السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة .

وقد كتب له عدة فتوح ، قال في أحد كتبها : كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها ، والأرض مشرقة بنور ربها .

إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده وإرادته ، فانتقل بها إلى جوار ربه في سنة اربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

* * *

(١) بعطف ضبني : أي بالاتجاه ناحيتها وحطّ الرحال فيها .

ما أخرج من فصوله القصار، ومن ألفاظه وأمثاله

من أصلح فاسده، أرغم حاسده . من أطاع غضبه ، أضاع أدبه . عادات السادات ، سادات العادات . من سعـادة جدِّك ، وقوفـك عنـد حدّك . أفحش الإضاعة الإذاعة ، الخيبة تهتك الهيبة . الدعة رائـد الضعـة . من لم يكن لك نسيباً ، فلا ترج منه نصيباً . الرشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذاتكَ ، بعمارة ذاتك . أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً ، وعلـى السلطـان مدلا . حبيبـك لا يعيبك . الآثار ألسنة الأقدار ، إذا بقي ما قاتك[1] ، فلا تأس على ما فاتك . الدنيا فناء الفناء . البشر عنوان الكرم ، ربما كانت الفطنة فتنة ، والمهنـة محنـة . من حسن أطرافه ، حسن أوصافه من تبرَّج برُّه . تأرّج ذكره[2] . من كان عبد الحق فهو حر . المراء يهدم المروءة[3] . الفهم شعاع العقل . رضي المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه . الحدة والندامة فرسا رهان، والجود والشجاعـة شريكا عنـان ، والتواني والخيبة رضيعا لبان . الفكر رائد العقل . الجود وضع الموجود ، بموضع الجود . نعم الشفيع إلى عدوك عقله ، لا تغتر بصحة مزاجك في الهواء الوبيء ، ولا تغتر بقوة بصرك في الظلمة الراكدة ، إفراط التعاقل تثاقل[4] الحدة تريك صورة الجهل . رب مقال لا تقال عثرته . حسن الأخلاق ، أنفس الأعلاق ، المرء من غرر الأيام في غرر ومن صفوها في كدر ، أفضح الفضيحة عدم القريحة ، الحلم مطية وطية لكل علو ، يوشك أن يقصر من يغلو ويسفل من يعلو . كيف القرار ، على الشرار ، المنية تضحك من الأمنية . مسلك الحزن حزن ، ضيق الصدر ، من صغر القدر . أحصن الجنّة ، لزوم السُّنّة[5] ، الـرد الهائـل، خير من الوعـد

---

(١) إذا بقي ما قاتك : يعني القوت من أجل الحياة .

(٢) تبرّج برُّه : أي انكشف خيره للناس فنالوا منه . تأرّج ذكره : أي أصبح عاطراً .

(٣) المراء : من راءى رئاءً ومراءاةً : أي أرى الآخرين خلاف ما هم عليه .

(٤) الإفراط : الإكثار .

(٥) الجنّة : الدرع ، والسُّنّة : الشريعة .

الحائل . الخلاف غلاف الشر ، من كان رأيه صحيحاً ، لم يكن بميسور البر شحيحاً ، نعم العدة ، طول المدة ، عسى تحظى في غدك برغدك ، زمام العمل بيد الأمل ، البرايا أهداف البلايا . طلوع العقوق ، أفول الحقوق . حد العفاف ، الرضى بالكفاف ، لا ضمان على الزمان ، من لزم السلم سلم. ليكن قرينك من يزينك. الخرق آفة الخلق[1] . إفراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم الصرعة ، ذو السرعة . الفلسفة فلُّ السفه[2] . لكل حادث حديث ، وربما أغنت المداراة عن المباراة . البشر نور الإيجاب ، ما كل خاطر بعاطر . البخل سوس السياسة . العفو يطمس الهفو . العقل جهبذ النقل ، التبدل تبذل . العفيف يكفيه الطفيف ، ثقل العفيف خفيف . لسان النصيح فصيح ، التصلف ترجمان التخلف ، كفى بالنهى ناهياً ، وبالهدى هادياً ، من تعطل تبطل . أدهى المصائب المعايب ، ربما تشوّر من تهور . إفراط الدماثة غثاثة ، إفراط الفخامة وخامة ، رب معبوط مغبوط[3] . إفراط التأنّي تواني . لا ضياع بين الصناعة والقناعة . الإنصاف أحسن الأوصاف . عليك بالحذر من الهذر ، ربما تكون المنية هنية . معنى المعاشرة ترك المعاشرة . ما لخرق الرقيع مرقع . ربما تكون العناية جناية . من أفرط أورط . رب مورد هو مورط ، ورب مصعد هو مهبط . قدر الأمين ثمين . من قصر أمله ظهر عمله ، التضريب زند العداوة ، الشكر جُنَّة الفارس . والصبر جنة الملابس . ظل الجفاء ، يكسف شمس الصفاء ، من لزم الأدب أمن العطب . قوتك قوّتك . البيان علم العلم ، ليكن إقدامك توكلا ، وإحجامك تأملا . إخوان هذا الزمان خوان ، الناس عبيد الخواطر ، الغيث لا يخلو من العيث[4] . الحر نحل السكر إن أجناه المرء من بره شكدا[5] ، أجناه من سكره

---

(١) الخرق : الجهل ، والآفة : البلية .

(٢) الفلسفة فلّ السفة : أي قطع السفاهة والقضاء عليها .

(٣) المعبوط : من عبط الذبيحة أي ذبحها ، أو الموت أخذ الإنسان شاباً ، ومغبوط : من غبط غبطاًوغبطة : أي أن يتمنّى أحدٌ أن يكون حاله كحالِه .

(٤) الغيث : المطر ، والعبث : الفساد في الأشياء .   (٥) الشكد : أي الشكر والإعطاء .

شهدا . إن لم يكن لنا مطمع في درك درك ، فأعفنا من شرك شرك . لفلان طبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة ، وخيم ، وخيم ، باع فلان الباسقات . واشترى الفاسقات .

***

فصل من كتاب له عن السلطان المعظم

إلى شمس المعالي في شأن الشيخين أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي .

من علم الأمير شمس المعالي آدام الله عزه الكريم ، فكأنما علم الغيث سجاما(١) ، والليث إقداما . وذلك لأن المكارم من خصائص معانيه ، ونتائج مساعيه ومعاليه . غير أن العادة جارية بهز السّيف وإن كان ماضي الغرار . وقدح الزند لانتضاء ما فيه من الأنوار .

ومساق هذا القول إلى ذكر شيخينا أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي أيدهما الله تعالى ورحم أباهما فإنهما غصنا دوحة شريفة ، وفرعا نبعة صليبة ، ولكلّ منهما الفضائل التي سارت أخبارها ، والمحاسن التي سألت أوضاحها . ولئن جرى منهما فيما تقدم زلل فقد يكبو الحليم ، وينبو الحسام ومن عادته التصميم ، ولو لم يكن هفو ، لما عرف عفو . والكريم إذا قدر غفر وشكر الظفر، وأنا أسأل الأمير أن يمن عليّ فيهما بما يعيد جاههما ، ويقيل عثرتهما، وينيل بغيتهما ، إن شاء الله تبارك وتعالى .

***

---

(١) السجام : الهطول .

ما أخرج من ملحه في الغزل والخمر

قال [من البسيط]:

يا يوسفَ الحسنِ ليلي بعد فرقتِكُمْ ... يحكي سني يوسف طولاً وتعذيبا
والشأنُ في أنّني أُرمى مِنَ اجلكمُ ... بمثل ما قد رمى إخوانك الذئبا

وله [من الكامل]:

ومهفهف غنج الشمائل أزعجت ... قلبي محاسن وجهه إزعاجا
درت الطبيعة أن فاحم شعرِهِ ... ليلٌ فأذكت وجنتيه سراجا

وله [من الكامل]:

قالت وقد راودتها عن قبلةٍ ... اشفي بها قلباً كئيباً مغرما
لاقـدِّمْ يداً من قبل أنْ تدني يداً ... ومبرَّةً من قبل أنْ تدني فما
إن الغرامَ غرامةٌ فمتى تكُنْ ... بيَ مُغرماً فلتحتملْ بيَ مَغرَما[1]

وله [من الكامل]:

ومهفهفٍ يسعى بكأس مدامةٍ ... والكأسُ فوه والرضاب مدامُهُ
وإذا تثنّى مائساً في مشيه ... فالسرو في ريح الشمال قوامه

وله [من الكامل]:

أرأيت قد قال لي بدر الدجى ... لما رأى طرفي يديم سهودا
حتّام ترمقني بعيني ساهدٍ ... أقصِرْ فلست حبيبك المفقودا

وله [من الرمل]:

---

(١) مُغرماً الأولى : من الغرام وهو الحب .
ومَغْرما الثانية : من الغرم : أي الدين والدّية ونحوهما أداها المرء عن غيره .

وغزتغل كلّ من شبّهه بلالٍ أو ببدرٍ ظلمَهْ
قالَ إذ قبّلت بالوهم فمه قد تعدّيت وأسرفت فمه

وله [من الخفيف]:

بأبي من أدار من خدّيه مثل ما قد أداره بيديهِ
قمرٌ يقمر العقول بسحرٍ ما له مركزٌ سوى عينيهِ
هو أغنى الأنام عنّي ولكنْ أنا من أفقر الأنام إليهِ

وله [من الخفيف]:

يا غزالاً أراه ندّ وصدّا بعد ما كان للوصال تصدّى[1]
بيننا للرقيب سدٌّ فلا تجمع ذي الهوى مع السدِّ صدّا

وله [من الوافر]:

أوانٌ أنت في هذا الأوان عن الراح المروّق في الأواني
تعال إلى الصواني مترعاتٍ وأبرز نورهن من الصواني
وفكّ إسار لذّاتٍ عوانٍ ببكرٍ من كؤوسك أو عوان[2]

وله [من الخفيف]:

ربّ يومٍ للأنس فيه فراغٌ ولكأس السرور فيه مساغُ
قد فرغنا له من البثّ والشكوى وما للكؤس فيه فراغ
عند حرٍّ له قلائد في الأعناق من جوهر الأيادي تصاغ
بيننا للبخور غيمٌ وللما ورد طيشٌ وللغوالي رداغ[3]

---

(1) ندّ : هام على وجهه وشرد ، وصدٌ : امتنع وهجر . والوصال : اللقاء وتصدّى : برز وتهيّأ .
(2) العوان الأولى : الشديدة المتتالية،والعوان الثانية : من النساء المتوسطة في السنّ .
(3) الرداغ : الوَحْل والطين .

وله [من الكامل]:

يومٌ له فضلٌ على الأيّام مزجَ السحابُ ضياءه بظلامِ
فالبرق يخفق مثل قلبٍ هائمٍ والغيم يبكي مثل طرفٍ هامي[1]
وكأنّ وجه الأرض خدُّ متيَّمٍ وصلت دموع سحابه بسجام[2]
فاطلب ليومك أربعاً هنَّ المنى وبهنَّ تصفو لذَّةُ الأيام
وجه الحبيب ، ومنظراً مستشرفاً ومغنِّياً غرداً ، وكأس مدام

وله في وصف الكتب والخط والبلاغة [من الوافر]:

كتابك سيدي جلَّى همومي وجلَّ به اغتباطي وابتهاجي[3]
كتابٌ في سرائره سرورٌ مُناجيه من الأحزان ناجي
فكم معنىً لطيفٍ ضمن لفظٍ هناك تزاوجا أيَّ آزدواج
كراحٍ في زجاجٍ بل كروحٍ سرت في جسم معتدل المزاج

وله [من الطويل]:

بنفسيَ من أهدى إليَّ كتابَهُ فأهدى ليَ الدنيا مع الدين في درجِ
كتابٌ معانيه خلال سطورِهِ لآلىء في درجٍ كواكب في برجِ

وله [من البسيط]:

لما أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلِّ برٍّ وفضلٍ غير محدودِ
حكت معانيه في أثناء أسطره آثارك البيض في أحواليَ السود

وله من نتفة [من البسيط]:

---

(١) الطرف الهامي : العين الدامعة .
(٢) المتيّم : العاشق ، والسجام : الدموع .
(٣) جلى همومي : أذهبها ، وجلَّ اغتباطي أي ازداد وكثر .

إن سلَّ أقلامــه يومــاً ليعملها أنســاك كلَّ كميٍّ هزَّ عامله[1]
وإنْ أمــرَّ علــى رقٍ أنامله أقــرَّ بالــرق كتَّــابُ الأنــام لَهُ

وله [من السريع] :

لم تر عينــي مثلــه كاتبا لكلِّ شيء شاء أو شاء
يبــدع في الكتــب وفــي غيرها بدائعــاً إن شاء إنشاء

وله [من البسيط] :

ما إن سمعــت بنــوّارٍ له ثمرٌ في الوقت يمتع سمع المرء والبصرا
حتــى أتانــي كتــابٌ منــك مبتسمٌ عن كلِّ لفــظٍ ومعنــىً يشبــه الدُّررا
فكان لفظــك من لألائــه زهراً وكان معنــاه في أثنائــه ثمرا
تسابقــا فأصابــا القصــد في طلقٍ لله من ثمــرٍ قد سابــق الزهرا

وله [من مجزوء الكامل] :

بأبــي كلامــك أيهــا الســـــحــر النقــيُّ من العيوبِ
يجنيك من ثمــر الكلا م ويجتنــي ثمــر القلوب

وله [من المتقارب] :

بأبــي كلامــك إنِّــي نظر ت منــه إلــى صورة الفاتن[2]
كلامٌ تهشُّ إليه النفوس ويلقــي القلــوب بلا آذن
بــدا بالمعانــي وتهذيبها فأبرزهــا بالوجــوه الحسان
وقــدَّرَ ألفاظــه بعــد ذاك علـى ما اقتضته قدود المعاني

وله في أبي نصر بن أبي زيد [من المتقارب] :

---

(١) سلّ : شهر ، والكمي : البطل الشجاع ، والعامل : الرمح .
(٢) كذا ، صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .

لــه قلــمٌ غربــه لا يكلّ إذا كان حدٌّ حســامٍ يكلْ
فيوجــز لكنــه لا يخلّ ويطنــب لكنــه لا يمُلْ
وكيف يمــلُّ وتــوفيق منْ أفــاد العلــوم عليه يمِلْ

وله [من البسيط] :

كتــاب مولاي أوفــى بي علــى أملٍ وصــار في كلٍّ نادٍ قبلــة القبلِ
فقلــت لمــا تراءت لي محاسنُهُ وبــرّدت بغــوادي صوبهــا عللي
أمّــا المعانــي فأجســامٌ منعّمةٌ واللفـظ أوشحــةُ الديبــاج والحلل(١)

وله [من الوافر] :

إذا أحببــت أن تحظــى بسحرٍ فلا تختــرْ علــى لفظــي وشعري
فأحســـنُ من نظــام الــدرِّ نظمي وآنــق من نثــار الــورد نثري

* * *

ومن ملحه في الفقهيات

وقوله [من الطويل] :

عليك بمطبــوخِ النّبيذ فإنَّهُ حلالٌ إذا لم يخـطف العقــل والفهما
ودع قول من قد قال إنّ قليله معينٌ علـى الإِسكار فاستــويا حكما
فليس لمــا دون النّصــاب قضية الـــــنّصــاب وإن كان النصــاب به نمّا

وله في معناه [من البسيط] :

معاشر الناس أصحوا قد نصحتُ لكم في الــراح حكمــاً ملحياً غير ممقوتِ

---

(١) الأوشحة : جمع وشاح ، وهو ما تتشح به المرأة .

قليلهـــا مستبـــاحٌ ، والـــكثير حمىً كغرْفَــةِ فردةٍ من نهــر طالوت[1]

وله من قصيدة [من الرمل] :

يا بديع الفضــل لافينــا ولكنْ في كرام النــاس خير النــاس ناسْ
أنــت عين الجــود نصّــاً وقياساً وبيان الفقــه نصٌ وقياسْ

وله من قصيدة [من الكامل] :

زفّــت إليك لنــا عرائس أربعٍ ففضضتهــا بالسمــع وهــي قصائدُ
فابعـــث إلـــيّ مهورهـــنّ بأسرها إنّ النــكاح بغير مهــرٍ فاسدُ

وله [من مخلع البسيط] :

تخطــب ودّي وليس كفواً لودّك المبــدع النبيه
فهــل نكاحٌ بلا نكافٍ يجــوز في مذهــب الفقيه

***

وله من الأدبيات

قال [من مجزوء الرمل] :

وبصير بمعانــي الـ شعــر والإعــراب جدّا
قــال لي لمــا رآني طالبــاً مالاً ورفدا[2]
إن مالــي يا حبيبي لازمٌ لا يتعدى

وله [من الطويل] :

عذلــتُ ولــم أذنــبْ ولــم أكُ جانياً وهــذا الإنصــاف الــوزير خلافُ

(١) كغرفة فردةٍ : يقصد بها الشاعر ما جاء في القرآن الكريم عند ما أعلم طالوت جنوده بأنّ الله مبتليهم بنهر فمن شرب منه لا يكون من أتباعه إلاّ من اغترف غرفة واحدة .
(٢) الرفد : العطاء .

حذفـت وغيري مثبـتٌ في مكانِهِ كأنّـي نونُ الجمـع حين يضافُ

وله [من مجزوء الخفيف] :

إن عبـد العـزيز شيـــخٌ به يُكشف الشُّبَهْ
وتـرى للخليـل فيـه وأقـرانـه شَـبَـهْ
وهـو لا شك شاهدٌ أنّ إبريقنـا شبه[1]

وله [من السريع] :

أدرجـت في أثنـاء نسيانكم حتّـى كأنّـي ألف الوصل

ومن أخرى [من البسيط] :

أفدي الغزال الـذي في النحو كلّمني مناظـراً فاجتنيت الشهـد من شفتِهْ
وأورد الحجـج المقبـول شاهدها محققـاً ليرينـي فضـل معرفتِهْ
ثم افترقنا علـى رأي رضيتُ بهِ والرفع من صفتي والنصب من صفتِهْ

***

ومن الطبيات والفلسفيات

قال [من الخفيف] :

لا يغـرنّـك أنّنـي ليِّـنُ الـمـسّ فغـربـي إذا انتضيـت حسـام[2]
أنـا كالـورد فيه راحـةُ قومٍ ثم فيه لآخـرين زكام

(١) الشبه الأولى : أي ما تشابه من العلم وحصل فيه الالتباس .
والشبه الثاني : المثيل والشبيه .
والشبه الثالث : أي أنّه من النحاس .

(٢) لين المسِّ : أي لين الملمسِ ، الغرب : السهم ، وانتضى : شَهَر .

وله [من المتقارب] :

وإنّـي لأختصُّ بعض الرجالِ وإن كان فدمـاً ثقيلاً عياما[1]
فإنّ الجبـن ـ علـى أنَّهُ ثقيلٌ وخيمٌ ـ يُشهّـي الطعاما[2]

وله من قصيدة [من البسيط] :

فلا تكن عجـلاً بالأمـر تطلُبُهُ فليس يحمـد بعـد النضـح بحران[3]

وله من نتفة [من المتقارب] :

وقـد يلبس المـرء خزّ الثياب ومـن دونهـا حالـة مضنيه[4]
كمـن يكتسـي خدُّهُ حمرةً وعلّتهـا ورمٌ في الريه

وله [من الكامل] :

إن الجهـول تضرُّنـي أخلاقُهُ ضرر السعـال بمـن به استسقاءُ

وله [من الكامل] :

اقبـلْ مشـورة ناصـحٍ نفّاعٍ وتلـقَّ ما يهـدي بسمـعٍ واعي
لا تعتمـد إلاّ رئيسـاً فاضلاً إنّ الـكيان أطـبُّ للأوجاع

وله [من الطويل] :

عذرتـك يا إنسـان إن كنـت مغرماً بعـذرٍ ومغـرىً بالتحيُّل والنكثِ[5]
وكيف ألـوم المـرء في خبـث فعله وأوّل شيءٍ قد غذاه دم الطمث[6]

---

(١) الفدم : الأحمق الغليظ . العيام : العيي الثقيل .
(٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .
(٣) النضح : رشاش الماء ونحوه أي أنه لا ينفع الماء الكثير بعد نضح الزرع بالماء .
(٤) في وفيات ابن خلكان« حاله مضنية » .
(٥) النكث : عدم الوفاء بالعهود والمواثيق .
(٦) الطمث : الحيض .

وله [من الكامل] :

عدِّل قطوبك بالبشاشة يعتدلْ وزناهُما فيمن يذلُّ ويكرم
فالحرُّ طلقٌ ضاحكٌ ولربّما تلقاه وهو العابس المتجهِّم
كالورد فيه عفوصةٌ ومرارةٌ وهو الذكيّ الناضر المتبسِّم(1)

وله [من المتقارب] :

خَفِ الله واطلب هدى دينِهِ وبعدهما فاطلبِ الفلسفَهْ
لئلا يغرّك قومٌ رضوا من الدين بالزور والفلسفه
ودعْ عنك قوماً يعيدونها ففلسفةُ المرء فلُّ السّفَهْ

وله من النجوميات

قال [من البسيط] :

قد غضّ من أملي أني أرى عملي أقوى من المشتري في أوّل الحملِ
وأنني زاحلٌ عمّا أحاوله كأنّني أستدر الحظَّ من زُحلِ

وله [من البسيط] :

إذا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً فاحكم على ملكه بالويل والحربِ
أما ترى الشمس في الميزان هابطةً لما غدا برج نجم اللهو والطرب

وله [من البسيط] :

لا تعجبنّ لدهرٍ ظلّ في صببٍ أشرافُهُ . وعلا في أوجه السَّفلُ(2)
وانقَذْ لأحكامه أنّى تقاربها فالمشتري السعد عالٍ فوقه زحلُ

(1) العفوصة : المرارة والتقبّض يصعب معهما الابتلاع .
(2) الصبب : الإنحدار .

وله [من الوافر]:

سـلِ الله العـظيمَ تسـلْ جواداً أمنـت علـى خزائنـه النّفادا
وإن أدنـاك سلطـانٌ لفضلٍ فلا تغفـلْ ترقبـك البعادا
فقـد تدنـي الملـوك لدى رضاها وتبعـدُ حين تحتفـد احتفادا(١)
كمـا المـريخ في التثليث يعطي وفـي التـربيع يسلـب ما أفادا

وله [من المتقارب]:

ألا فثقـوا بي فإنـي كما تمدّحـت فليمتحـن من يحِبْ
فـلا كوكبـي راجـعٌ في الوفا ولا برج قلبـي بالمنقلِبْ

وله [من المتقارب]:

لئـن كسفونـا بـلا علةٍ وفـازت قداحُهُـمُ بالظّفرْ
فقـد يكسف المـرء من دونه كمـا تكسف الشـمس جُرم القمر

وله [من الرمل]:

شرف الوعد بوعدٍ مثله مثله ما فيه زيغٌ وخلل
ودليل الصدق فيما قلتُهُ شرف المريخ في بيت زحل

وله [من الكامل]:

قلْ للـذي غرَّتـهُ عزَّةُ ملكِهِ حتّـى أخـلَّ بطاعـة النصحاء
شرف الملـوك بعلمهـم وبرأيهمْ وكذاك أوج الشـمس في الجوزاء

وله من نتفة [من المتقارب]:

وقـد يفسـد المـرء بعـد الصلاح فسـاد الأمـاكن والشـرُّ يعدي

---

(١) الحفد : التسرُّع ، أو الاستخدام .

كمــا السعــد يقبــل طبــع النحوس إذا كان في موضــعٍ غير سعد

وله [من الرجز]:

ما أنس ظمــآنَ بعــذبٍ باردٍ من بعــد طول العهــد بالموارد
إلاّ كأنســي بكتــابٍ وارد من سيد محض النجــار ماجد[1]

كأنما استملاه من عطارد

وله من نتفة [من الكامل]:

طبعــي كطبــع المشتــري ما فيه من شوبٍ فهــل من مشتــرٍ للمشتري[2]

ومن أخرى [من الكامل] :

يا من تولّى المشتري تدبيره حاشـاك أن تنقـاد للمريـخ

ومن أخرى [من الكامل]:

لا تفزعــن من كلِّ شيءٍ مُفزعٍ ما كلُّ تربيع البــروج بضائرِ[3]

ومن أخرى [من الخفيف]:

أيُّ عذرٍ أنْ صام عنــه ثنائي وأنــا الدّهر منــه في يوم فطر
وأتــمُّ الأشياء نوراً وحسناً بكر شكرٍ زُفَّــت إلــى صهربرٍّ
ما قران السعــدين في الحــوت أبهى منظــراً من قران برٍّ وشكر

وله [من المتقارب] :

---

(١) محض النجار : صافي الأصل .
(٢) الشوب : ما اختلط بغيره .
(٣) بضائرٍ : بمؤذٍ .

دعانــي إلــى بيتــه سيّدٌ　　له الخلــق الأشــرف الأظرفُ
فلازمــت بيتــي ولاطفته　　بعــذرٍ هو الألــطف الأطرف
عطــارد نجمــي ولا شك أنْ　　عطــارد في بيتــه أظرف

وله [من الكامل] :

يا معشــرَ الكتــاب لا تتعرّضوا　　لرياســةٍ وتصاغــروا وتخادموا
إنّ الــكواكب كنّ في أشراقها　　إلا عطــارد حين صُوِّر آدمُ

* * *

ومن ملح مدحه وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

بسيف الدولــة اتّسقــت أمورٌ　　رأيناهــا مبــدَّدة النّظامِ
سمــا وحمــى بنــي سامٍ وحامٍ　　فليس كمثلــه سامٍ وحامِ

وله [من البسيط] :

يا من أعــاد رميم الملك منشورا　　وضــمّ بالــرأي ملــكاً كان منثورا
أنــت الأمير وإنْ لم تؤت منشورا　　والأمــر بعــدك إن لم تؤتمــن شورى

وله من نتفة [من البسيط] :

وسائـل النــاس شتّــى عنــد سادتهم　　ولــي وسائــل آدابــي وآمالي
فاسحــب لبــرِّك أذيالاً علــى أملي　　أسحــبْ بشــكرك ما عُمِّــرتُ أذيالي

ومن أخرى [من الطويل] :

مدحتــك فالتامــت قلائــد لم يفُزْ　　بأمثالهــا الصيد الــكرام الأعاظم
لأنــك بحــرٌ والمعانــي لآلىءٌ　　فطبعــي غوّاصٌ وقولــي ناظم

وقوله [من الكامل] :

فرواؤه ملءُ العيون ، وفضله ملء القلــوب ، وسيبــه ملء اليد[1]

ومن أخرى [من الوافر] :

أقــول لمــن يعلِّمــه المعالي ويذكره لذي حقٍّ ذمـاما
أراك تعلّــم الصــدر التزاماً لمــن يهــواه، والثغــر ابتساما

ومن أخرى [من المتقارب] :

رعــى الله دولــة كافــي الكفاة وبلَّغَــهُ كنـه آماله
ولا زال إقبــال هذا الزمان يقبِّــل أطـراف أقبالـه[2]

ومن أخرى [من البسيط] :

أفعالُــهُ غررٌ ، أقوالــه سورٌ أقلامــه قُضُــبٌ ، آراؤه شهب .

ومن أخرى [من المتقارب] :

كأنّ الغصــون وقــد أُثقلتْ بمــا حملــتْ من بديع الثمار
رقــاب الأنــام وقــد أصبحت مثقّلــةً بالأيادي الكبـار

ومن أخرى [من الكامل] :

لا تعظمــنّ عليك مدحــة خادمٍ إيّاك يقصــر عن مداك مديحُهُ
فالظفــر وهــو أخسُّ أجــزاء الفتى يشفــي بحــكٍّ جسمــه فيريحُهُ

ومن أخرى [من الطويل] :

فتــىً جمــع العلياء علمــاً وعفّةً وبأســاً وجــوداً لا يفيق فواقا

---

(١) الرَّواء : الماء العذب المروي ، والرُّواء : المنظر الحسن . والسيب : العطاء .
(٢) أقباله : المرتفع من الأرض ، أو مقاصده .

كمـا جمـع التفـاح حسنـاً ونضرةً   ورائحـةً محبـوبـةً ومذاقـا

ومن أخرى [من المتقارب] :

شـكوت إلـى جوده خلّتي   ورقّة حالـي وتقصير قسمي
ففـزّع من رقـة الحـال قلبي   وأفـرغ في قالـب الـرقّ جسمي

ومن أخرى في الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي [من الخفيف] :

جمـع الله فـي الأميـر أبـي نصـرٍ خصـالاً تعلـو بهـا الأقـدارُ
راحـةً ثرَّةً وصـدراً فضاءً   وذكاءً تبـدو له الأسرار
خطّـه روضـةٌ وألفاظـه الأز   هار يضحـكن والمعانـي ثمار

وله [من الطويل] :

ولمـا رأيت النـاس إلاّ أقلّهُمْ   وأطيب ما مجّـوا من السـكر أخبثُ
نشـرتُ ثنـاءً عطّـرَ الأفـقَ طيبُهُ   كذاك ثنـاء الحـرّ ندٌّ مثلَّث
وألَّفـتُ ألحانـاً بشـكرك لم يصبْ   تناسبهـا زيرٌ ومثنـى ومثلّثُ(١)

وله [من الكامل] :

يا سيد الأمـراء يا من جودُهُ   أوفـى علـى الغيث المـطير إذا همى
الغيث يعطـي باكيا متجهماً   ونـداك يعطـي ضاحـكاً متبسّما

وله [من الوافر] :

سقـى الله امـرأً إنْ كفُّ دارت   صروف زماننـا ممّـا يليه
فلـم أر مثلـه حرّاً تولّى   فولّـى ما يليـه ما يليه

وله [من مجزوء الخفيف] :

(١) الزِّير : الوتر الدقيق من أوتار العود .

لا يسوءنّك إن براني دهرٌ فلم يُرِشْ[1]
أنت عشْ سالماً فإنّك إنْ عشتَ أنتعشْ

وله [من الكامل] :

ملكٌ يفيض على العفاة سجاله وعلى العداة بسطوه سجّيلا[2]
وإذا حباك بغرّةٍ من ماله ثنّى وأعقب غرّةً تحجيلا[3]

وله [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرِّزٌ عليه إذا نازعته قصب المجدِ
وللخمر معنىً ليس في الكرم مثلُهُ وللنار نورٌ ليس يوجد للزندِ
وخيرٌ من القول المقدّم فاعترف نتيجته ، والنحل يكرم للشهد

وله [من الخفيف] :

لا تظنّن بي وبرّك حيٌّ أن شكري كشكر غيري موات
أنا أرضٌ، وراحتاك سماءٌ . والأيادي وَبْلٌ ، وشكري نبات

* * *

ومن الإخوانيات

قال [من المتقارب] :

تحمَّل أخاك على ما بِهِ فما في استقامته مطمعُ
وأنّى له خلقٌ واحدٌ وفيه طبائعه الأربعُ

(١) براني : أنحلني وأسقمني . ويرش : أي يجعل لي ريشاً ، أو يغنيني .
(٢) العفاة : المعدمين والسجال : العطاء والسّجيل : الحجارة المسوّمة من نارٍ .
(٣) حباك : وصلك وأعطاك وأعقب غِرَّة : وألحق لك بالخفاء عطاءً آخر .
أي أنّه يعطي علانية وسرّاً والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والتحجيل : الموافاة بالعطاء .

وله في مؤلف هذا الكتاب [من البسيط] :

قلبي مقيمٌ بنيسابور عند أخٍ ... ما مثله حين تستقري البلاد أخُ
له صحائف أخلاقٍ مهذّبةٍ ... منها الحجى والعلى والظرف تنتسخُ

وله فيه أيضاً [من الطويل] :

أخٌ لي زكيٌّ النفس والأصل والفرع ... يحلُّ محلَّ العين منّي والسمعِ
تمسّكتُ منه إذ بلوت إخاءه ... على حالتي وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقلٍ وآنس من هوىً ... وأرفق من طبعٍ وأنفع من شرع

وله فيه أيضاً [من المتقارب] :

إذا نسي الناس إخوانهم ... وخان المودّة خوّانُها
فعندي لإخوانيَ الغائبين ... صحائفُ ذكرك عنوانُها

وله في أبي النصر العتبي [من الهزج] :

كلامٌ لأبي النصر ... موفّى واجبُ النحل[1]
فما أدري جنى النحل ... أتاني أم جنى النخل

وكتب إلى بعض إخوانه [من المتقارب] :

لقاؤك يدني من المرتجى ... ويفتح باب الهوى المرتجِ[2]
فأسرع إلينا ولا تبطئنْ ... فإنّا صيامٌ إلى أن تجي

وكتب أيضاً [من الكامل] :

عندي فديتك سادةٌ أحرارُ ... وقلوبهم شوقاً إليك حِرارُ
وشرابنا شربُ العلوم، وروضنا ... نزه الحديث . وثقلنا الأشعار

---

(١) النّحل : العطاء .
(٢) المرتج : المقفل .

فامنـــن علينـــا بالبـــدار، فإنّما أعمـــار أوقـــات الســـرور قصار[1]

وله من نتفة [من البسيط] :

عرِّج علـــيَّ فمـــا في رونقـــي رنقٌ لمـن أصافـي، ولا في خلتـي خلل[2]

وله من أخرى [من البسيط] :

ولا أصالـــح أُنسـي بعـــد فرقتكم حتـــى يصافـــحَ كفُّ الـــلامس القمرا
ولا أمـــلُّ مدى الأيام ذكركُمُ حتـــى يمـــلَّ نسيمُ الروضـــة السحرا

وله [من المنسرح] :

إن لم تكنْ نيّتـــي مصوّرةً ولـــم تكن واثقـــاً بناجيتي[3]
فســـلْ ثنائـــي فإنّـــه علنٌ تشهـــدْ علـــى نيّتـــي علانيتي

وله [من الكامل] :

قل للـــذي يرجـــو ثبـــات مودتي ودوام ما أعـــطيه من إخلاصي
أيدوم إخـــلاصٌ بغير مودّةٍ كلاًّ ومُنـــزِلُ سورة الإِخلاص[4]

وله [من المتقارب] :

فهمـــت كتابـــك يا سيدي فهمـــت ولا عجـــب أن أهيما
وذاك لأنّـــي تـأمـلـــتُ مـــنـــه دراً نـــطيـــمـــاً وبـــرّاً عـــظيـــمـــا
وصادفتـــه صدفـــاً للعلو م ضمـّــن منهـــا البـــديع اليتيما

(١) البدار : أكياسٌ توضع فيها الدراهم .
(٢) الرّنق : الكدر .
(٣) الناجية : ما أسرّ له من عواطف قلبه .
(٤) سورة الإِخلاص « قل هو الله أحد ، الله الصمد » .

فكم من كواكبٍ تجلو البهيم   وكم من مشارعٍ يروين هيما[1]
وكم روضةٍ تستفيد الريا   ض منهن نوراً ونبتاً عميما
وكم قد قراني لفظاً وسيماً   عليه من الطبع حسنٌ وسيما[2]

وله [من الكامل] :

لا تحقرنّ أخاً وإن أبصرتَهُ   لك جافياً ولما تِحُبُّ منافيا
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضراً   والماء يكدر ثم يرجع صافيا

وله [من الكامل] :

ذكّر أخاك إذا تناسى واجباً   أو عن في آرائه تقصير
فالرأي يصدأ كالحسام لعارضٍ   يطرأ عليه وصقله التذكير

وله [من الطويل] :

أتاني كتابٌ من أخٍ لي ماجدٍ   فأكرِمْ به بين المواهب وافدا
وقلت لروحي كن له من جميع ما   يخاف من الأيام أو يختشي فدا

وله [من الكامل] :

كم من أخٍ قد هدّمت أخلاقه   من آخرٍ ما قد بنى في الأوّلِ
نسي الوفاء ولست أنسى عهد ما   شاهدت منه في الزمان الأطولِ
يرمي سهاماً إن أسرَّ المقت لي   بالكيد لا يقصدن غير المقتل[3]

وله [من مخلع البسيط] :

أرقتُ حتّى كأنَّ عيني   قد وُهبت لي بلا جفونِ

---

(١) البهيم : المظلم المبهم . والمشارع : مكان مشروع المياه للشراب . والهيم : الحيوانات .
(٢) لفظاً وسيماً : أي رائعاً ، وحسنٌ وسيما : أي عليه سيماء الحسن وعلاماته .
(٣) المقت : البغض .

ففـاض في الخدمـاء عيني فحلتـه فاض من عيون
وذاك أنّ الزمـان أفضى بي من سهـولٍ إلـى حزونِ[1]
وسامني البعـد عن أناس هم فارقونـي فأرّقوني

وله [من الخفيف] :

بأبـي من شفـى فؤاداً عليلا بكلامٍ حكى النسيم عليلا
زاد في طولـه ارتياحـاً إليه وغرامـاً به عريضـاً طويلا
كرضـاب الحبيب يروي غليلا ثم ينشـى إلـى المـزيد غليلا

وله [من المتقارب] :

فديتـك قلَّ الصـديقُ الصدوق وقـلّ الخليل الحظـيُّ الوفي
ولـي رغبـةٌ فيك إن ما وفَيتْ فهـل راغـبٌ أنـت في أنْ تفي

* * *

وله من باب الشكوى والعتاب

قال [من الطويل] :

عفـاءٌ علـى هذا الزمـان فإنَّهُ زمـانُ عقـوقٍ لا زمـان حقوقِ
وكلٌّ رفيقٍ فيه غير موافقٍ وكلٌّ صديقٍ فيه غير صدوقِ

وله [من الطويل] :

رأيتـك تكوينـي بميسـم منَّةٍ كأنّك قد أصبحـت علّـة تكويني[2]
وتلوينـيَ الحـقّ الـذي أنـا أهله وتخـرج في أمـري إلـى كلّ تلوين

(١) الحزون : الأرض الوعرة .
(٢) المسم : المكواة أو الآلة ، أو العلامة أو يريد : إنه يكويه بجميل صلاته وأنعامه .

فمهــلاً ولا تمنــن علــيَّ فبلغةٌ ... من العيش تكفيني إلـى يوم تكفيني[1]

وله [من الطويل] :

ومــن عجــبٍ أنّــي لغيرك شافعٌ ... إليك ، وبـي فقــرٌ إلــى ألفِ شافعِ
ولــكنَّ أحــرار الزمــان وإن جفوا ... فشيمتهــم أن يسمحــوا بالمنافعِ

وله [من الكامل] :

يا من عقــدتُ بهِ الرجــاء فلــم يكُنْ ... لي منــه إرفــادٌ ولا إيناس
إن كان قد جَرَحَ المطامــع عفَّتي ... فوراء ذاك الجــرح جرحٌ يأسو[2]

وله [من البسيط] :

لقــاءُ أكثــر من يلقــاك أوزارُ ... فلا تبــال أصــدُّوا عنــك أو زاروا
لهــم لديك إذا جاءوك أوطار ... فإن قضوهــا تنحّــوا عنــك أو طاروا[3]
أخلاقهــم فتجنبهــنَّ أوعار ... ووصلهــم مأتــمٌ للمــرء أو عار

وله [من البسيط] :

لا تغبنــنَّ ولا تخدعــك بارقةٌ ... من ذي خداعٍ يرى بشــراً وإلطافا
فلــو قلبــت جميع النــاس قاطبةً ... وســرت في الأرض أوساطــاً وأطرافا
لم تلفَ فيهــا صديقــاً أبداً ... ولا أخــاً يبــذل الإنصــاف إن صافى

وله [من الطويل] :

أبــا قاســمٍ كم ظالــمٍ متعجرفٍ ... نضا لــيَ حدِّيّ سيفــه وسنانه
فسلّمنــي الله الــكريم بلطفه ... وصيّرنــي في لطفــه وضمانه

---

(١) البلغة : ما يكتفي به من العيش ولا يفضل .
(٢) ياسو : من آسى مواساة : أي عزاه وسلاّه .
(٣) أوطار : غايات ومقاصد .

ومنهم أبوك إنّه سلٌ مصلتاً علـيّ حسامـيّ كيده ولسانه
فلما غلا في ظلمه وعتوِّه وأشبه عيراً لجّ في نزوانه[1]
صبـرت علـى مكروهـه فتكشّفتْ عواقبـه عن عزتـي وهوانه
فإن تتقيه أو صبـرت فإنّما زمانـك أيضـاً منقضٍ كزمانه

وله [من الكامل] :

يا ذا الـذي ركب الفسـاد وعنده أنّـى أسـود إذا ركبـت فسادا
أضللـت رأيك عامـداً أو ساهياً من ذا الـذي ركب الفسـاد فسادا

وله [من الطويل] :

أكتّـاب بسـتٍ كم نناجـزكُمْ على وزارةِ بسـتٍ وهـي سُخنـة عينِ[2]
وخفُّ حنينٍ فوق ما تطلبونَهُ فكم بينـكم يا قوم حَرْبَ حنين[3]

وله [من السريع] :

لله نيسابـور من حلّةٍ ما مثلهـا دارٌ ولا حلَّهْ
للخير والمير بهـا كثرةٌ للشـرِّ والضّير بهـا قلّهْ
فيهـا كرامٌ سادةٌ أجلّة سادوا علـى السـادة والجلّه
مـا عيبهـا إلاّ بعمالها فالبخـل والمنـع لهـم ملَّهْ
جفـوا فمـا في طينهـم للذي يعصـره من بلّـةٍ بلَّهْ
فهـذه أولـى خطابـي لهم وبعدهـا ما يهتـك الكلَّه

وله [من السريع] :

(١) العتوّ : الظلم ، والعير : البهائم .ولجّ : أكثر وألح ، والنزوة : الشرّ والميل الى الفساد .
(٢) سخنة العين : أي لم تقرّ عينه من حزن أو حرارةٍ وألم .
(٣) خفّ حنين : مثلٌ يضربُ بمن سعى إلى شيء ولم يحصل عليه وعاد إلى ديّاره بالفشل والخسران .

قلت لطرف الطبع لما ونى ... ولم يطع أمري ولا زجري
مالك لا تجري وأنت الذي ... تحوي مدى الغايات إذ تجري
فقال لي دعني ولا تؤذني ... حتى متى أجري بلا أجر

وله [من الكامل] :

للناس في محن الزمان مراتبُ ... ولكلِّهمْ فيها نصيبٌ راتبُ
وكأنّ أوفرهم إذا استقريتهُمْ ... منها نصيبا شاعرٌ أو كاتبُ
فأقلَّ عتبُك والعتابُ معاً فَلَمْ ... يسعد بإعتاب الزمان معاتبُ

وله [من الهزج] :

جعلنا أجنبيين ... بلا جرمٍ ولا تبلِ[2]
وأقصينا وما خنًّا ... وما زغنا عن العدل
فقل لي يا أخا السؤد ... د والهمّة والفضلِ
إلى كم نحن في ضيقٍ ... وفي عزلٍ وفي أزلِ[3]
أما تنشط أنْ تملي ... على الكاتب أنتم لي

وله [من مخلع البسيط] :

وجدت ما قد بعثت غثًّا ... مستحقراً ليس بالثمين
فليت شعري قليت شعري ... فكان غثًّا بلا سمين

وله [من المتقارب] :

إذا ملكٌ لم يكن ذاهبه ... فدعه فدولته ذاهبه[4]

(١) ونى : ضعف وانكسر والزجر : النهي بشدّة .
(٢) التبل : العداوة ، والحقد .
(٣) أزلِ : جدبٍ وضيق وحبس .
(٤) ذاهبةٍ : أي صاحب عطاء .وذاهبة : ماضية .

وله [من مجزوء الوافر] :

إلـى حتفـي مشـى قدمي أرى قدمـي أراق دمي
فـكم أنقـدٌ من ندمٍ وليس بنافعـي ندمي

وله [من الوافر] :

ألـم تر ما ارتـآه أبـو عليٍّ وكنـت أراه ذا لبٍّ وكيْس
عصـى السلطـان فابتـدرت إليه جنـودٌ يقلعـون أبـا قبيس
وصيّر طوس معقلـه فأمسى عليه طوس أشـأم من طويس

وله [من البسيط] :

قلْ للـذي غرّه عزٌّ وساعدَهُ فيمـا يحاولـه نقضٌ وإمرار[1]
لا تفتخـر بغنـىً أمـطيت كاهله فإن أصـلك يا فخّـار فخّار

وله [من مخلع البسيط] :

قـل للـوزير الـكريم قولاً يغضٌ من ناظـر الكريم
دارك لي جنـةٌ ولكن بوابهـا مالك الجحيم

وله [من المتقارب] :

إلـى الله أشـكو اتصـال الخطوب وصـرف زمـانٍ بلينـا بهِ
وقـد كان يبسـم عن ثغره فأصبـح يكشـر عن نابِهِ

وله [من مخلع البسيط]:

الدهـر خداعٌ خلوب وصفـوٌ بالقـذى مشوب[2]

---

(١) نقضٌ وإمرارٌ : حلٌّ وربطوفتل من نقض الحبل : حلّه ، وامرّه : فتله .
(٢) ورد الصدر « الدهر خداعة خلوب » . ولا يستقيم الوزن واللغة . ومشوب : ممزوج .

وأكثر الناس فاعتزلهم قوالبٌ ما لها قلوب
فلا تغرنَّك الليالي وبرقها الخلْبِ الكذوب
ففي قفا أنسها كروب وفي حشى سلمها حروب

وله [من الخفيف]:

نحن والله في زمانٍ سفيه يصفع النائبات من كأس فيه
فتشكَّلْ بشكله يكُ أحفى بك ، إنّ السفيه صنو السفيه

وله [من مخلع البسيط]:

الدهر سلمٌ لكلِّ نذلٍ لكنه للكريم حربُ
فارثْ لذي حكمةٍ وإرب فحظهُ غمّةٌ وكربُ
همّته للسماك سمكٌ وخدّه للتراب تربُ

وله [من الوافر]:

إذا أحسست في لفظي فتوراً وخطّي والبلاغة والبيانِ
فلا ترتَبْ بفهمي . إن رقصي على مقدار إيقاع الزمانِ(١)

وله [من الوافر]:

أراح الله قلبي من زمانٍ محت يده سروري بالإساءهْ
فإن حمد الكريم صباح يومٍ وأنّي ذاك لم يحمدْ مساءه

***

(١) ترتب : أي تشك ، والإيقاع الموسيقى والحركات .

وله من باب الذم والهجاء

قال [من السريع]:

شيخٌ لنـا يُقطعنـا عرضه   من قبـل أن يُقطعنـا ماله
أخيَبُ خلـق الله من خالَهُ   حرّاً ومـن شام صدى خالَهُ[1]
وأكثـر الفتيان بثّـاً فتىً   يبثّـه معتفياً حاله
شيخٌ كثير المـال لكنّه   ملَّك ما يملِكِ أقفالَهُ
وكلٌّ ما عنَّ له مشـكلٌ   وراح أن يوضـح أشكاله
يبنـي علـى الفـكرة أعماله   وذاك في التحقيق أعمى له
فقيَّض الرحمـن أفعـى له   تريه في الخلـوة أفعاله

وله [من الكامل]:

من مبلـغ الأشـرار عنِّـي أنّني   ما دام لي حسٌّ وعـرقٌ ينبضُ
أقليهـم طرّاً لأنّـي ضدُّهم   والضـدُّ للضـدِّ المنافـر مبغضُ
فإذا رأونـي مقبـلاً فليعلموا   أنّـي بوجـه الجـدِّ عنهـم معرضُ

وله [من البسيط]:

إذا اتخـذت أخـاً فاسبِـرْ خلائقه   فإن ذا الحـزم والتـدبير من سبرا[2]
ولا تعـول علـى شخصٍ له عم   وصـورةٌ ذات حسـن تبهـر القمرا
فكم فتـىً راق منـه ظاهـرٌ حسنٌ   وكان باطنـه ضدّ الـذي ظهرا
أعددتـه لصـروف الدهـر مدَّخراً   فكان في السبـك والتحقيق مدَّخرا

وله [من السريع]:

---

(١) خاله : حسبه ، وشام : تطلع ونظر . وخاله : تخيَّلهُ .
(٢) سبر : كشف .

يـا قـوم أرعونـيَ أسماعكم حتـى أؤدي واجـب الفرضِ[1]
أشهـد حقّـاً أنَّ سلطانكم ليس بظـلٍّ الله في الأرضِ

وله [من السريع]:

لـي صاحـبٌ أحمـقٌ هلباجه دعْوَتُـهُ الكبـرى بلا باجه[2]
يقـري الأخلاّء . ولكنّهُ يطبـخ في خديه سكباجه

وله [من السريع]:

قلـتُ له لمّـا مضـى وانقضى لا ردَّك الرحمـن من هالكِ
أمـا وقـد فارقتنـا فانتقلْ من ملكِ المـوت إلـى مالكِ

وله [من مجزوء الرمل]:

لـيَ جارٌ فيه حيره عرسُـهُ تلعـن أيره
خلـق الله إلـه النـاس للغيـرة غيـره

وله [من الكامل]:

فـي النـاس من تجنيسـه تجنيس أبـداً كمـا تدريسـه تدليس[3]

***

ومن باب الشيب والكبر

قال [من الخفيف]:

دع دموعـي تسيل سيلاً بدارا وضلوعـي يصـلين بالوجـد نارا[4]

---

(١) أرعوني : أعيروني .
(٢) الهلباجة : الأحمق الضخم الأكول الجامع كلّ شر . باجَهُ : صرفه ، والرجل صاح وأمرٌ باج : أي سواء .
(٣) التدليس : الإتيان في الحديث بغير الثابت المتين .
(٤) سيلاً بداراً : أي سيلاً مسرعاً والوجد : الحب الشديد .

قد أعـاد الأسى نهـاري ليلاً   مذ أعـاد المشيب ليلـي نهارا

وله [من الكامل]:

يا شيبتـي دومـي ولا تترحّلي   وتيقّنـي أنـي بوصـلك مولعُ
قد كنـت أجـزع من حلـولك مرّةً   فالآن من حذر ارتحـالك أجزعُ

وله [من الخفيف]:

ما استقامـت قنـاة رأبيَ إلاّ   بعـد ما قوّس المشيب قناتي

وله [من الطويل]:

أرى المـرء يرجـو أن يطـول بقاؤه   ليدرك ما يرجـو بطـول بقائِهِ
فأيَّةُ جدوى في البقـاء وقـد وهَتْ   قواه وأقـوى قلبـه من زكائه
إذا ما نبـا حسٌّ وكلَّـتْ بصيرةٌ   فطـول بقـاء المـرء طولُ شقائِهِ

***

ومن باب الأمثال والنوادر والحكم والمواعظ
وما يجري مجراها

قال [من مجزوء الرمل]:

بين من يعطـي ومـن يأ   خذ في التقـدير عرضُ
فيد المعطـي سماءٌ   ويد الآخـذ أرضُ
وعلـى الآخـذ أن يشـكر   إنَّ الشّـكر فرضُ

وله [من الخفيف]:

كنـت في نعمـةٍ وظـلٍّ رخاءِ   ونسيمٍ من النعيم رخاءِ
فاتبعـت الهـوى وخالفـت رأيي   واتبـاع الهـوى وبـيءُ الهواء

وله [من الطويل]:

حبست ومن بعد الكسوف تبلُّجٌ تضيء به الآفاق للبدر والشمسِ
فلا تعتقدْ للحبس غمّاً ووحشة فأوَّلُ كون المرء في أضيق الحبس

وله [من الطويل]:

أفد طبعك المكدود بالهم راحةً تجمّ وعلِّله بشيء من المزح(١)
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكنْ بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

وله [من البسيط]:

لا تنكرنَّ إذا أهديت نحوك مِنْ علومك الغرِّ أو آدابك النتفا
فقيِّمُ الباغ قد يهدى لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا

وله [من البسيط]:

لا تحسبنِّي إذا أوليتني نعماً أني أخو وهَنٍ في الشكر أو كسلِ
فإنَّني نحلُ شكرٍ إن جنى ثمراً أجناك من قوله أحلى من العسل

وله [من الكامل]:

لا درّ درُّ نوازل الأحداث نقلتْ أحبتنا إلى الأجداثِ
فغدت مآنسنا وهنّ مقابرٌ وغدت مدائحنا وهنّ مراثي

وله [من الطويل]:

توقَّ خلافاً إن سمحت بموعدٍ لتسلم من هجو الورى وتعافى
فلو أثمر الصفصاف من بعد نوره وإيراقه ما لقَّبوه خلافا

وله [من البسيط]:

من شاء عيشاً رخيّاً يستفيدُ به في دينه ثم في دنياه إقبالا

(١) المكدود : المغلوب ، وتجمّ : ترتاح .

فلينظــرنّ إلــى من فوقــه أدباً ولينظــرنً إلــى من دونــه مالا

وله [من الكامل]:

إن كنــت تطلــب ثروةً وغنىً فعليك بالإجمــال في الطلب
فالرِّســل ليس يدرّ في العلب من غير إبســاس ولا حَلَب[1]

وله [من المنسرح]:

لا تحقــر المــرء إن رأيت به دمامــةً أو رثاثــةَ الحُلل
فالنحــل شيءٌ علــى ضؤولته يشتار منه الفتى جنى العسل[2]

وله [من المتقارب]:

إذا ما اصــطفيت آمرءاً فليكُنْ شريف النّجــار زكي الحسبْ
فنــذلُ الرجــال كنــذل النبات فلا للثمــار ولا للحطبْ

وله [من المتقارب]:

رضيتُ بعيش كفــافٍ حلالِ وبعــت المــدام بمــاءٍ زلالِ
فمــن يك يحلــو له ما يصيب حرامــاً فإنّ حلالــي حلالي

وله [من السريع]:

دعنــي فلن أخلــقِ ديباجتي ولســت أبــدي للــورى حاجتي
علــيّ أن ألــزم بيتــي وأنْ أرضــى بمــا يحضــر من باجتي[3]
منزلــي يحفظهــا منزلي وباجتــي تحفــظ ديباجتي

وله [من السريع]:

---

(١) الرِّسل : اللبن ،والإبسباس :الدعوة للحلب .
(٢) إشتار : يستخرج .
(٣) الباجة : أي ما يخصني .

يا أيّها السائل عن مذهبي ليقتدي فيه بمنهاجي
منهاجيَ العدل وقمع الهوى فهل لمناجيَ مِنْ هاجي

وله [من الطويل]:

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله وليس له ذكرٌ إذا لم يكن نسلُ
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي فإن فاتنا نسلٌ فإنّا بها نسلو[1]

وله [من الوافر]:

نصحتك جامل الإخوان طرّاً على عذبٍ سقوه أو أجاجِ
ولا ترجُ الصفاء بغير مذقٍ فلا يخلو السراج من السناج[2]

وله [من المتقارب]:

إذا ما هممت بكشف الظُلَمْ وحفظ الثغور وسدّ الثُّلَمْ
فعوِّل على خلتين اثنتين خُرق الحسام ورفق القلم[3]

وله [من البسيط]:

لا يعدَمِ المرء كنّاً يستكنُّ به ومنعةً بين أهليه وأصحابِهْ
ومن نأى عنهُمُ قلَّتْ مهابته كالليث يحقر إمّا غاب عن غابِهْ

وله [من الرجز]:

ألذُّ من رشف رضاب الحور ومن رضاع درَّةِ السّرور
والبارد الزلال للمخمور رشف الثناء من فم الشكور

وله [من الطويل]:

تأخَّرتُ عن قومٍ ولا غرو أنّني سأسبقهم بالجدّ والجدُّ معوانُ

(١) نسلي : عاقبتي من بعدي ، ونسلو : نصبر من السلو .
(٢) المذق : المزج ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والسناج : أثر دخان السراج في الحائط .
(٣) الخرق : الغلظة ، والخشونة .

ألســت ترى العنــوان يُكتــب آخراً وأوّلُ مقــروءٍ من الكتــب عنوانُ

وله [من الطويل]:

إذا حيوانٌ كان طعمــه ضدّه توقّــاه كالفــأر الــذي يتّقــي الهرّا
ولا شك أن المــرء طعمــه دهره فمــا بالُــهُ يا ويحــهُ يأمــنِ الدهرا

وله [من الكامل]:

لا يستخفــنّ الفتــى بعدوِّهِ أبــداً وإن كان العــدوُّ ضئيلا
إن القــذى يؤذي العيون قليلُهُ ولربّمــا جرح البعــوض الفيلا

وله [من الطويل]:

أحــرّك بالتــذكير قومــاً لعلَّه يفتِّــحُ من أسماعهــم شدَّةَ الوقر(١)
وإن كان تحــريكي يشــقُّ عليهِمُ فإنّ طنين الــزير والبــمّ بالنقر(٢)

وله [من الطويل]:

لقد هنــت من طول المقــام ومــن يُقِمْ طويلاً يهــن من بعــد ما كان مكرما
وطــول جمــام المــاء في مستقرّه يغيِّره لونــاً وريحــاً ومطعما(٣)

وله [من البسيط]:

لئــنْ تنقّلــت من دارٍ إلــى دار وصــرت بعــد ثواءٍ رهــن أسفارِ
فالحــرُّ حرٌّ عزيز النفس حيث ثوى والشــمس في كلِّ برجٍ ذاتُ أنوارِ

وله [من البسيط]:

إذا تحدثــت في قومٍ لتؤنسَهُمْ بمــا تحــدّث من ماضٍ ومــن آتي

---

(١) الوقر : الصّمم .
(٢) الزير والبم : من أوتار العود ، والنقر : الضرب .
(٣) الجمام : المكوث والراحة .

فلا تعيدُنْ حديثاً إنّ طبعهم موكَّلٌ بمعاداة المعاداتِ

وله [من المتقارب]:

إذا خُذِلَ المرء من نفسه فليس له من سواهُ نصيرْ
وشرّ سلاحٍ يحامي به لسانٌ طويلٌ وباعٌ قصيرْ

وله [من الطويل]:

دعوني وأمري واختياري فإنّني عليمٌ بما أفري وأخلق من أمري[1]
إذا مرَّ بي يومٌ ولم أصطنع يداً ولم أستفد علما فما هو من عمري

وله [من السريع] :

أشفِقْ على الدرهم والعَينِ تسلم من العينة والدَّينِ[2]
فقوَّة العين بإنسانها وقوَّة الإنسان بالعينِ[3]

وله [من الكامل]:

يا من يرجّى أن يعيش مسلَّماً جذلانَ لا يدهى بخطبٍ يُحزنُ
أفرطت في شطط الأماني فاقتصدْ واعلمْ بأنّ من المنى ما يفتنُ
ليس الأمان من الزمان بممكنٍ ومن المحال وجود ما لا يمكنُ
معنى للزمان على الحقيقة كاسمِهِ فعلامَ ترجو أنّه لا يزمنُ[4]

وله [من المتقارب]:

وثقت بربي وفوضت أمري إليه وحسبي به من مُعينِ

---

(١) أفري : أقطع .
(٢) العين : المال والنفيس ، والعينة : الحاجة .
(٣) إنسان العَين : بُؤبؤها .
(٤) يزمن : يمرض .

فلا تبتئس لصـــروف الزمان ودعنـــي فإنّ يَقينـــي يقيني

***

٦٦ ـ أبو سليمان الخطابي احمد بن محمد بن إبراهيم

كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريسا وتأليفا ، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مفحماً. ولأبي سليمان كتب من تأليفه وأشهرها وأسيَرُها كتاب في غريب الحديث وهو في غاية الحسن والبلاغة .

وأنشدني غير واحد له [من الطويل] :

وما غمّـةُ الإنســان في شقَّـةِ النّوى ولكنّهــا والله في عدم الشكلِ
وإنــي غريبٌ بين بســت وأهلها وإن كان فيهــا أسرتــي وبهــا أهلي

وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبي عمر السجزي فقال [من الطويل] :

وليس اغترابــي في سجستــان أنّني عدمتُ بهـا الإخـوانَ والـدار والأهلا
ولكنّنــي ما لي بهــا من مشاكلٍ وإنّ الغريب الفرد من يُعدمِ الشكلا[١]

وأنشدني أبو الفتح قال : أنشدني أبو سليمان لنفسه [من البسيط] :

شرُّ السبــاع العــوادي دونــه وَزَرٌ والنــاس شرّهُــمُ ما دونــه وَزَرُ
كم معشــرٍ سلِمــوا لم يؤزِهــمْ سبعٌ ومــا نرى بشــراً لم يؤذِهِ بَشَرُ

وأنشدني له أيضاً [من البسيط] :

ما دمــت حيّاً فدار النــاسَ كلَّهُمْ فإنّمــا أنــت في دار المداراةِ

(١) المُشاكل : الشبيه .
(٢) العوادي : الضاربة ، والوَزَر : الملجأ .

من يدرِ داري ومن لم يدرِ سوف يرى عمّـا قليلٍ نديمـاً للنداماتِ

وله [من الوافر] :

لعمـرك ما الحياة - وإن حرصنا عليهـا - غير ريحٍ مستعارَهْ
ومـا للـريح دائمةٌ هبوبٌ ولكن تارةً تجـري وتارَهْ

وله [من البسيط] :

وقائـل ورأى من حجّتـي عجباً : كم ذا التواري وأنت الدهـرُ محجوبُ
فقلت : حلَّت نجـومُ العمـر منـذ بدا نجـمُ المشيب ودَيْنُ الله مطلوبُ
فلـذت من رجـلٍ بالاستتـار عن الـ أبصـار إنَّ غريم المـوت مرعوبُ

وله [من الطويل] :

تغنَّـمْ سكون الحادثـات فإنّها وإن سكنـتْ عمّـا قليلٍ تحرَّكُ
وبـادر بأيام السلامـة إنّها رهـونٌ وهـل للرهـن عنـدك مترك

وله [من البسيط] :

قلْ للـذي ظلّ يلحانـي ويعذلني لنائـلٍ فاتـه ، والخيرُ مأمولُ
لا تطلـب السمـن إلاّ عنـد ذي سمنٍ نال الـولاية فالمعـزول مهزولُ

وله [من الكامل] :

قد جاء طوفـان البـلاء ولا أرى في الأرض ويحـي للنجـاة سفينَهْ
فاصعـدْ إلـى وزر السمـاء فإن يكُنْ يعيبك فابـك لنفسـك المسكينه[1]

---

(١) وزر السماء : الملجأ العالي والمنيع . ويعيبك : يحميك ويمنعك .

وله [من الطويل] :

تسامح ولا تستوفِ حقّك كلَّهُ وأبْقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ[1]
ولا تغلُ في شيءٍ من الأمر واقتصدْ كلا طرفيْ قصدِ الأمور ذميم

وله [من مخلع البسيط] :

قد أولع الناس بالتلاقي والمرء صبٌّ إلى هواهُ
وإنّما منهمُ صديقي من لا يراني ولا أراهُ

وله [من الطويل] :

سلكت عقاباً في طريقي كأنّها صياصي ديوكٍ أو أكفُّ عقابِ[2]
وما ذاك إلا أنّ ذنباً أحاط بي فكان عقابي في سلوك عقابِ

وله [من البسيط] :

إذا خلوتُ صفا ذهني وعارضني خواطرٌ كطراز البرق في الظُّلمِ
وإن توالى صياحُ الناعقين على أذني عرتنيَ منه حكلة العجم[3]

٦٧ ـ أبو محمد شعبة بن عبد الملك البستي

سمعت أبا الفتح البستي يقول : لما أنشدني شعبة قوله [من المنسرح] :

فديت من زارني على حذرٍ من الأعادي وقلبه يجِبُ[4]
فلو خلعتُ الدّنيا عليه لما قضيت من حقه الذي يجِبُ

---

(١) استوفى حقه : أخذه بكامله . وأبق : أي اترك ، لم يستقصِ : أي لم ينل حقّه كاملاً ، لأنّ الكريم يتسامح بشيء من ماله .

(٢) العقاب : أي العقبات المعترضة . والصياحي : مخالب في سوق الديكة .

(٣) الحُكلة : العجمة وعدم الإبانة والإفصاح .

(٤) الوجيب : الخفقان .

استحسنته ، وأنا إذ ذاك في زمان الصبا ، فأخذت نفسي سلوك طريقته في المتشابه حتى قلت ما قلت .

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من الكامل] :

إن كنــتَ أزمعــتَ الفــراق فلا تدعْ نفســي تعاجلنــي بوشــكِ فراقِ
وأصِـلْ بكتبــك ميّتــاً يحييه ما يلقــاه فيهــا من غداة تلاقي

وأنشدني غيره له [من البسيط] :

نفسي الفداء لمن لم أخـلُ مذ علقتْ نفســي بذكراه من حســنٍ وإحسانِ
ما إنْ تزال أياديه تواصلني كأنّــهُ ـ وأنـا أهـواه ـ يهواني

وله [من الوافر] :

لكلٍّ من بنــي الــدنيا مرادٌ وما لي غير وصــلك من إرادَهْ
فلــو شاهــدت قلبــي لم تجده تضمَّــن غير حبِّــك والشهاده

أخذه من قول القائل [من السريع] :

لو شُقَّ قلبــي لرأوا بينَهُ حبّــك والتــوحيـد في سطر[1]

وله [من الخفيف] :

ضقــت ذرعــاً بذلتــي واغترابي وفــراق الإخــوان والأحبابِ
جاوز الدّهــر حدَّهُ في اهتضامي وكأنّ الزمــان يهــوى عذابي
لاينــي في حشــاي مسمــومُ نابٍ للّيالــي وفــي فمــي كأس صاب[2]
زمــنٌ جائــرٌ وَجَــدٌّ عثورٌ وأســىً لازمٌ وزنــدٌ كابي

(١) في «ب» « فلو شقّ قلبي رأوا بينه » وصدره غير مستقيم فأصلحناه إلى ما ترى .
(٢) لا يني : لا يتعب ولا يفتر ، والصاب : العلقم .

٦٨ - أبو بكر النحوي البستي

له شعر كثير ، لا يحضرني الآن منه إلا قوله لأبي بكر الخوارزمي ، وكان هجاه بقوله [من مجزوء الرجز] :

نحويكُم في حمقه معرفةٌ لا نكره
ذو لحيةٍ مبسوطةٍ وفطنةٍ مختصره

وغير ذلك ، فقال [من الطويل] :

وعاوٍ عوى منأهل خوارزم خيفةً كذا الكلبُ عند الخوف مجتهداً يعوي
تعاظم فعلي أهل ودّي أن رأوا سكوتي وهجري هجو من دأبه هجوي
فقلت : اسكتوا فالهجو نجوٌ وإنّني حلفت بأن لا أغسل النّجو بالنجو[1]

* * *

٦٩ - الخليل بن أحمد السجزي

كان أحد الأئمة في فقه الحنفية ، ومن شعراء الفقهاء ، وتقلد القضاء لآل سامان بسجستان وغيرها سنين كثيرة ، وهو القائل لأبي جعفر صاحب سجستان في تهنئة بقصر بناه [من السريع] :

شيّدتَ قصراً عالياً مشرفا بطائريّ سعدٍ ومسعودِ
كأنّما يرفع بنيانَهُ جنٌّ سليمان بن داودِ
لا زلت فيه باقياً ناعماً على اختلاف البيض والسّودِ

وكان مكتوباً في صدر الإيوان الذي فيه [من البسيط] :

(١) أغسل النجو : أي الغانط ، بالنجو : بالسحاب الذي صبّ مطره .

من سرّه أن يرى الفـردوس عاجلةً فلينظـرِ اليوم في بنيان إيواني
أو سرَّه أن يرى رضـوانُ عن كثبٍ بمـلء عينيه فلينظـرْ إلـى الباني

ولما قتل أبو جعفر أمر الخليل أن يكتب تحتهما من قبله [من البسيط] :

لو كانـت الـدار فردوسـاً وساكنها رضـوانُ لم يبـلُ فيهـا جسـمُ رضوانِ
المـوت أسـرع في هذا فأهلكه والدهـر أسـرع في تخـريب إيوان

وأنشد الخليل قول التنوخي القاضي [من الطويل] :

خُذِ الفلس من كفٍّ اللئيم فإنَّهُ أعـزُّ عليه من حشاشـة نفسِهِ
ولا تحتشـمْ ما عشـتَ من كلٍّ سفلةٍ فليس له قدرٌ بمقـدار فلسِهِ

فعارضه بقوله [من الطويل] :

صن النفس عن ذلِّ السـؤال ونحسِهِ فأحسـن أحـوال الفتـى صونُ نفسِهِ
ولا تتعـرّضْ للّئيمِ فإنَّهُ أذلُّ لديه الحـرّ من شطـر فلسِهِ

وكتب إليه أبو القاسم السجزي الذي تقدم ذكره يستفتيه [من مخلع البسيط] :

هاك سؤالاً ففيه شرقٌ هاتِ فأحضِرْ له الجوابا
هل في اصطبارٍ لذي اشتياقٍ على فراقٍ ترى ثوابا

فأجابه بهذين البيتين [من مخلع البسيط] :

أحضرتُ عن قولك الجوابا أتلـو ببرهـانـه الكتابا
الله وفّى الصبـور أجراً يفـوت في فضلـه الحسابـا

وكتب إليه مرة أخرى يكنى عن القبلة [من الطويل] :

إمـام الـورى هل للفتـى في اشتيارهِ من الأرى ما يبقّي حشاشتـه وزرُ[١] ؟

---

(١) اشتياره : استخراجه ، والارى : عسل النحل ، والحشاشة : الروح ، والوزر : الذنب .

فأجابه بهذا البيت [من الطويل] :

أرى الأرى في حكم الشريعة شورةً   مباحاً لمن كان قد كان في ملكه الدّبْرُ[1]

* * *

٧٠ - أبو زهير بن قابوس السجزي القاضي

من شعره قوله [من الكامل] :

نظرَتْ إلى رأسي فقالت ما له   قد ضمّ فوديه قناعٌ أدكنُ
يا هذه لولا النجوم وحسنها   لم تألف الليل البهيمَ الأعينُ
فتضاحكت عجباً وقالت يا فتى   نقصان عقلك في قياسك بيِّنُ
الليل يَحْسُنُ بالنجوم وإنّما   ليل الشباب بلا نجومٍ أحسنُ

وله [من المتقارب] :

إذا المرء لم يركب الأشقرا   ولم يصد الشادن الأحورا
ولم يتمتّع بطيب الطعام   ولين اللّباس وقد أيسرا
فقد عدم الرّبعَ من عمره   وقد حصد المتجر الأخسرا

* * *

٧١ ـ أبو القاسم محمد بن محمد بن جبير السجزي

كاتب الأمير خلف ، والآخذ من النثر والنظم بطرفيها ، وله شعر كثير وقع إلي بخطه فلم أستصلح منه لكتابي هذا غير مقطوعات سلك فيها طريقة أبي الفتح وضرب فيها على قالبه ، فمنها قوله [من الكامل] :

بأبي غلامٌ لست غير غلامِهِ   مذ جاد لي بسلامِهِ وكلامِهِ

---

(١) الدبر : بفتح الدال وسكون الباء . أي النحل .

ذو حاجبٍ ما إن رأيت كنونه أبداً ، وصدغ ما رأيت كلامِهِ[1]

وقوله [من الكامل] :

وحديقةٍ صبَّحتُها في فتيةٍ كحديقةٍ ، والطير في أوكارها
كم ماجنٍ فينا وكم متعفّفٍ قد صار يمجن طائعاً أو كارها

وقوله [من المتقارب] :

أرى الدهر ينسي ذنوب الرجال ويذكر ذنبي وذنبي كمالي[2]
يرمون شأوي ، وما إن لهم من الفضل قولٌ وفعل كمالي[3]
فأموالهم قد تصان كعرضي وأعراضهم تستباح كمالْي[4]

وقوله [من السريع] :

يا ماكراً بي وبخلاَّنِهِ مهلاً فما المكر من المُكْرَماتْ
عليك بالصحبة فهي التي تحيا فتحييك إذا المكرُماتْ

* * *

٧٢ ـ أبو العباس أحمد بن إسحاق الجرمقي

كاتب فيلسوف مهندس شاعر ، من كتاب الأمير خلف ، وتنقلت به الأحوال والأسفار بعده ، فوقع إلى نيسابور في عوده إلى بلاده ، ومن مشهور شعره قوله [من المتقارب] :

رحلتُ وذاهبُ عقلي ورأيي لبعدك بادٍ ودانٍ ورائي
أسير أسير الهوى سادراً فعزمي أمامي ورأيي ورائي

---

(١) الصدغ : ما بين العين والأذن من الوجه .
(٢) كمالي : هو هنا « كمال » مضافاً لياء المتكلّم .
(٣) كمالي : هو هنا كاف التشبيه وما الموصولة ولام الجر وياء المتكلّم .
(٤) كمالي : هو هنا كاف التشبيه ولفظ « مال » مضافاً لياء المتكلّم .

وقوله مع الإشارة [من الوافر] :

أنـا من لسـت أعـرف لي سواه ... من الأقـوام ركنـاً أو ملاذا
أحبُّـك حبَّ صبٍّ مستهامٍ ... وفي اسـتِ أمٍّ الـذي يقليك هذا

وكتب لي بإسفرائين شيئاً من شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي ، أولها [من المنسرح] :

غـيري يطـلُّ الدمـوع في الطلل ... مولهـاً بالغـزال والغزلِ
كنـت عزوفـاً عن الملاعـب في ... غدوة عمـري فكيف في الطفَلِ[1]
ولـم يكن لي من الهـوى نهلٌ ... فكيف تسمـو نفسي إلى عللِ[2]
ولـم أقبّل زهـواً يدي ملكٍ ... فأين لعس الشفـاه من قِبَلي

ومنها :

يا عاذلي في قصـور حظـي قد ... ترى اجتهادي فاكفف عن العذل
إن فلّ مالي فذاك من قبـل الـ ... أقـدار إمّـا اعتبـرت لا قبلي

ومنها :

ويلـزم اللـوم في الخصاصـة لو ... كانـت تنـال الحظـوظ بالحِيَلِ
لو كان يسمـو بفضلـه أحدٌ ... لما تأخّـرت عن مدى زحل

ومنها :

إن زال ما كنـت فيه من عملٍ ... فإنّ ما كان فيَّ لم يزلِ
وإنّنـي بعـد من معـاودة الـ ... إقبـال لي آنفـاً على أمل
بيمـن جدّ الأستـاذ مولاي بشـ ... ـر بن علي بن يوسف بن علي

* * *

(١) الطفل : الوقت الذي يسبق الغروب .

(٢) العلل : الشراب .

٧٣ ـ أبو الحسن عمر بن أبي عمر السجزي النوقاني

أديب شاعر فقيه ، من حسنات سجستان ، وله غير رحلة واحدة إلى خراسان والعراق في طلب الأدب والعلم . وكان أقام على حضرة الصاحب برهة يستفيد من مجالسها ويقتبس من محاسنها ، وحين استأذنه لمعاودة بلده والتمس الكتاب بالوصاة به . وقع على ظهر رقعته : كنا نؤثر ـ أطال الله تعالى بقاك ! ـ أن تقيم ولا تريم ، فقد جمعت من آلات الفضل ما يقتضي اصطناعك في خواص الأصحاب : العقل صحيح الطابع ، والدين سليم الباطن ، والعلم غزير المشرع ، والطبع فياض المورد ، سلسال المكرع ، وأما الشعر فرحيب المباءة مشرق المطلع ، كثير البديع ، واسع الخط ، يترقرق فيه ماء القبول . قد صينت جزالته عن صلابة القسوة . وسلاسته عن رقة الركة ، وعمدتا الأدب النحو واللغة ، ولك في كل منهما قدح يجول ، حتى يجلب إليك أعشار الجزول ، وقد استفدت بحمد الله من علم الكلام ما يدعى كفاية المتحقق إن لم يكن مذخورة المتلهف ، ولولا ما وراءك من فرض لا يستحل صدك عن أدائه ، ثم إن لسانك رهينة عندنا على إيابك ، لطال تشبث من لدينا من إخوانك بعطفي مقامك ، ففي دعة الله وحفظه وبركته وعونه ، ومن يقرأ هذا الجواب وخطي عليه مهيمن ولفظي به شاهد يستغنى به عن لقائه بكتاب فاجعله عصرة المبين وعمدة اليقين .

ومن ملح شعره قوله [من الكامل] :

يا ويح قلبي لا يزال يروعه ... ممّن يعزُّ عليه وشك فراقِ
تتقاذف البلدان بي فكأنّني ... وُلِّيتُ أمر مساحة الآفاق

وقوله [من الطويل] :

أبت نفسيَ الدنيا فأنفس مالها ... كتابٌ أبى إلاّ إليه سكونها
أصون كتابي عن يدٍ لا تصونه ... صيانة نفسي عن أخٍ لا يصونها

وقوله [من الطويل] :

غلا الشعر في بغداد من بعد رخصهِ ... وإنّي في الحالين بالله واثقُ

فلست أخاف الضيق والله واسعٌ غناه ، ولا الحرمان والله رازقُ

وقوله [من السريع] :

الفقر والإفلاس والضرُّ ثلاثةٌ أيسرها مرُّ
أحسن بالحرِّ على قبحها من جِدَّةٍ ذُلَّ لها الحرُّ

وقوله [من المجتث] :

إذا بخلتُ ببري ولم أنلْ منك رفدا
فأنت مثليَ عبدٌ وفيم أخدم عبدا

وقوله [من مخلع البسيط] :

إن الدماميل برَّحت بي وأقعدتني عن التحرُّكْ[1]
أزحف مهما أردت مشياً وإن أردت القعود أبركْ

وقوله [من المتقارب] :

وإني لأعرف كيف الحقوق وكيف يبرُّ الصديقُ الصديقْ
ورحبُ فؤاد الفتى محنةٌ عليه إذا كان في المال ضيقْ

وقوله من نتفة [من الوافر] :

يعزّ عليَّ إنفاقي شبابي على حرقِ الهوى والإغترابِ
ولاح بعارضي كافور شيبٍ يكابرني على مسك الشبابِ

وقوله [من الطويل] :

لعمرك إن العمر ما لا يسرّني لموتٍ . وبعض الموت خيرٌ من العمرِ
وإنّ غنىً لا يأمن الفقر ربُّهُ لفقرٍ. وخوف الفقر شرٌّ من الفقرِ

وله من قصيدة في الأمير خلف [من الوافر] :

لك الدنيا ومن فيها ولكنْ تلاحظها بعينيكَ احتقارا
تكبَّرَ ذا الزمان على بنيهِ فعشْ حتى تعلِّمه الصغارا[2]

---

(١) الدّماميل : جمع دمَّل ، وبرّحت : آلمت . (٢) الصَّغار : الضعة والاحتقار .

وصـــار صغارهـــم فيه كباراً فدم حتـــى تردَّهـــم صِغارا
خدمـــت لك الملـــوك أروضُ نفسي لآمـــن تحـــت خدمتـــك العثارا[1]
ولـــو كانـــت لك الـــدنيا جعلنا لك الـــدنيا ومـــا فيهـــا نثارا[2]

* * *

(١) العثار : السقوط والزّلل .

(٢) النثار : ما ينثر في العرس من الدراهم وغيره .

الباب السابع

في تفاريق من ملح أهل بلاد خراسان ، سوى نيسابور وغررهم

٧٤ ـ أبو القاسم الداودي

هو اليوم صدر أهل الفضل ، وفرد أعيان الأدب والعلم بهراة ، يضرب في المحاسن بالقدح المعلى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، وأخباره في الكرم مذكورة ، ومآثره في الرياسة مأثورة .

وهو القائل وكتب به إلى صديق له من الغرباء أنفذ إليه مبرة [من الخفيف] :

ربّما قصَّر الصديقُ المقلُّ عن حقوقٍ بهنَّ لا يستقِلُّ
ولئنْ قلَّ نائلٌ فصفاءٌ في ودادٍ ومنَّةٌ لا تقِلُّ
أرخِ ستراً على حقارة برّي هتكُ ستر الصديق ليس يحِلُّ

وأنشدني يحيى بن علي البخاري لأبي القاسم [من الكامل] :

قالوا ترفَّقْ في الأمور فإنّه يجدي ويمري الدرُّ بالإبساس[1]
ولقد رفقت فما حظيت بطائلٍ ما ينفع الإبساس بالأتياس

وأنشدني غيره له ، ويجوز أن يكون تمثل به [من الكامل] :

وإذا الذئاب استنعجت لك مرَّةً فحذار منها أن تعود ذئابا

(١) يمري الدرّ بالاساس : أس أن استخراج اللبن باللين والملاطفة .

فالذئب أخبث ما يكون إذا بدا   متلبِّساً بين النعاج إهابا[1]

* * *

٧٥ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى الداودي الهروي الفقيه

أنشدني له أبو سعد نصر بن يعقوب في التفاح المنقط [من الخفيف] :

ناولتني تفّاحةً وسمتها   دائراتٍ بحسن نقطٍ عجيبِ[2]
كدموعي ممزوجةٌ بدماءٍ   قاطراتٍ في صحن خدٍّ حبيبي

وله في السفرجل [من المتقارب] :

غصون السفرجل ملتفَّةٌ   فمعتدل القدِّ أو منثنى
وقد لاح في زئبرٍ شاملٍ   كصفراء في معجرٍ أدكن[3]

وله [من الوافر] :

أما شاقتك روضةٍ دستجرد   كعقدٍ أو كوشي أو كبردِ
تطير فراشها بيضاً وحمراً   كريحٍ طيَّرت أوراق وردِ

* * *

٧٦ ـ أبو الحسن المزني

هو أشهر بالشرف والمجد ، وذكره أسير في الأدب والفضل ، من أن ينبه على محله في الوجاهة والسيادة والرياسة والوزارة ، وله شعر كثير لم يعلق بحفظي منه إلا بيت واحد قاله في الأمير أبي الحسن بن سيمجور ، وهو هذا البيت [من الطويل] :

---

(١) الإهاب : الجلِدْ .
(٢) وسمتها : علَّمتها وعضّتها .
(٣) الزئبر : ما يعلو الثوب الجديد من وبر أو نحوه .والمعجر : ثوب تشدّه المرأة على رأسها . والأدكن : المائل الى السّواد .

ولــم أر ظلماً مثــل ظلــمٍ يمسُّنا		يُســاءُ إلينــا ثم نؤخــذ بالشكرِ

* * *

٧٧ ـ أبو سعد أحمد بن محمد بن ملة الهروي

أحـد بلغـاء خراسـان المذكورين ، وفضلائهـا المشهــورين ، وعقلائهـا الموصوفين ، وكان في آخر عمره مرتبطاً بالحضرة السامانية في جملـة المشـايخ الـذين يشاورون في الأمور ويستضاء بآرائهم في ظلم الخطوب ، وكان متبحراً في النثر ، مقلاً من قول الشعر ، وهو القائل [من المتقارب] :

وكان الصــديقُ يزور الصديقَ		لشربِ المدامِ وعـزفِ القيانْ
فصــار الصــديق يزور الصديق		لبــثِّ الهمــوم وشــكوى الزمانْ

وله في نفسه [من الطويل] :

له همــمٌ ما إن تزال سيوفها		قواطــعُ لو كانــت لهــنَّ مقاطعُ

* * *

٧٨ ـ أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي

فاضل بحقه وصدقه ، كاتب شاعر فقيه ملء ثوبه ، ممدوح بألسنة الفضلاء من أهل عصره ، وفيه يقول أبو الفتح [من الوافر] :

أبو روحٍ أدام الله عزَّه		ألذُّ إذا انبرى للخصم عزَّه
وذاك لأنــه هجــر الملاهي		فصــار كثيِّراً والعلــم عَزَّه[١]

وله أيضاً [من الخفيف] :

---

(١) كثيِّر : أحد الشعراء المعروفين بالعشق والنسيب ، وعزّة : حبيبته التي عرف بها وتغزّل فيها .

قل لذي العزّ والمحل النبيه لأبي روحٍ الفقيه الوجيه
من دعاه إخوانه فتباطى لا لعذرٍ عنهم ففيه وفيه

وولى قضاء عدة من بلاد خراسان ، وشعره كثير مدون ، يجمع الجزالة والسهولة ، والمتانة والعذوبة ، ويخرج منه الفقر والغرر ، كقوله من قصيدة [من الكامل] :

السيف يعلم أنّ لي في حدِّهِ سرًّا نهاه الدهر عن إفشائه
والدهر يعلم أن لي في صدره ناراً مضرَّمةً على أحشائه
همم مؤرّقةٌ جفوني كلّما أرخى الظلام عليَّ ذيل خبائه[1]
ولو ان أطراف الرماح وفين لي لأخذت حقّ الدهر من أبنائه
همم النفوس منوطةٌ بعنائها والمرء يخدعه لسانُ رجائه

وقوله ولم يسبق إليه في مدح الطفيلي [من السريع] :

إنّ الطفيلي له حرمةٌ زادت على حرمةِ ندماني
لأنّه جاء ولم أدعُهُ مبتدئاً منه بإحسان
مائدتي للناس مبسوطةٌ فليأتها القاصي مع الداني
أحببْ بمن أنساه لا عن قلىً وهو يجيني ليس ينساني

وقوله وهو في نهاية الملاحة [من الكامل] :

يا مَنْ تذكِّرني شمائله ريحَ الشمال تنفَّست سحرا
وإذا امتطى قلماً أنامله سَحَرَ العيون به وما سحرا

وقوله لبعض أضداده [من الهزج] :

حقيقٌ بك أن تُطعم عفصاً وهو معكوس

(١) وقع هذا البيت في « ب » متأخراً في الترتيب عن البيت الذي بعده .

وأن يلبس جنباك الـــذي مقلوبــه طوس
فهــذا لك مطعوم وهــذا لك ملبوس

***

٧٩ - منصور بن الحاكم أبي منصور الهروي

قد حسن الله شمائله ، وكثر فضائلـه ، فهـو من أعيان هراة ، وآحادهـا ، ومفاخرها وأفرادها ، وشعره مدون كثير الملح ، كقوله [من مجزوء الخفيف] :

يـوم دجـنٍ هواؤه فاختـيٌّ رواؤه[١]
مطرتنـا مسـرّةً حين صابـت سماؤه
أشبـه المـاء راحةً وحـكى الـراح ماؤه[٢]
داوِ بالقهـوة الخما ر ففيهـا دواؤه
لا تَعاتـب زمـاننا إن عرانـا جفاؤه
شـدَّةُ الدّهـر تنقضي ثـم يأتـي رخاؤه
كدر العيش للفتى يقتفيـه صفـاؤه
وكذا المـاء يسبـق الـصفو منـه جفاؤه

وقوله [من الوافر] :

معتّقـةٌ أرقُّ من التصابي ومــن وصـلٍ أتــى بعــد التنائي
يطــوف بهــا قضيبٌ في كثيبٍ تطلّـع فوقــه بدر السماء[٣]

(١) يوم دجن : يوم مظلمٌ بالسحاب الممطر.فاختيٌّ رواؤه : أي رواؤه مباح أو أنه يسمـع لمطـره وهوائـه صويت .
(٢) الراح : الخمرة .
(٣) القضيب : الرشيق القد ، والكثيب : ما علا من الرمل .

لواحظه تبثُّ السحر فينا وفي شفتيه أسباب الشفاء

وله [من الكامل]:

قرن الزمان إلى البنفسج نرجساً متبرّجاً في حلَّةِ الإعجابِ
كخدود عشّاقٍ بدت ملطومةً نظرتْ إليها أعين الأحبابِ

وله [من الوافر]:

وأغيد ساحرِ الألحاظِ أدعجْ يتيه به على الخدِّ المضرَّجْ[1]
أضاف إلى فؤادي السقم لمَّا أضاف إلى شقائقهِ البنفسجْ

وله [من الكامل]:

قم يا غلام فهاتها حمراءَ كالنار يورث شربها السراءَ
فاليوم قد نشر الهواء بأرضنا من ثلجه ديباجةً بيضاءَ

وله [من البسيط]:

خشفٌ من الترك مثلُ البدر طلعتُهُ تحوز ضدَّين من ليلٍ وإضاحِ
كأنَّ عينيه والتفتير كحلُهُما آثار ظفرٍ بدت في صحن تفاحِ

وله [من الكامل]:

الله جار عصابةٍ رحلوا عنّي وقلب الصبِّ عندهُمُ
ما الشأن ويلك في رحيلهم الشأن أنّي عشت بعدهُمُ

وقوله في المرآة [من الرجز]:

زاهيةٌ تشبه كلّ صوره أسرارها مستورةٌ مشهورهْ
تنمُّ إلاَّ أنَّها معذوره نفس أخي الحُسنِ بها مسرورهْ

---

(١) الدعج : السعة في العين مع شدّة البياض والسواد . والمضرّج: المصبوغ بالحمرة الدموية .

وله [من الخفيف]:

روضـةٌ غضّـةٌ علاهـا ضبابُ قد تجلّـت خلالهـا الأنوار
فهـي تحـكي مجامـراً مُذكيات قد علاهـا من البخـور بخارُ

وله [من الوافر]:

أبـا عبـد الإلـه العلـم روحٌ وجدتـك دون كلٍّ النـاس شخصَهْ
لذلك كلُّ أهـل الفضـل أمسوا كحلقـة خاتـمٍ وغـدوت فصَّهْ

وله [من الرجز]:

وشـادنٍ في الحسـن فوق المثلْ أبصـر منّـي بوجـوه العمل
قبّلـت كفّيهِ فقـال انتقلْ إلـى فمـي فهـو محـلُّ القبل

وله [من الوافر]:

بقيتَ مدى الزمـان أبـا عليٍّ رفيع الشـأن ذا جدٍّ عليٍّ
فأنـت من المـكارم والمعالي بمنزلـة الوصـيٍّ من النبيٍّ

وله [من البسيط]:

يا أيُّها العاذل المردود حجّتُهُ أقصرْ فعذريَ قد أبدته طلعتُهُ
ماذا بقلبـيَ من بدرٍ بُليتُ بهِ للّيث أخلاقـه ، والخشفِ خِلقتُهُ

***

٨٠ ـ أبو أحمد الساوي الهروي

قال [من السريع]:

هـراة ارضٌ خصبهـا واسع ونبتهـا اللّفـاح والنرجس

مــا أحــدٌ منهــا إلــى غيرها يخـــرج إلا بعـــد ما يفلس

***

٨١ ـ أبو الربيع البلخي

من المتصرفين على أعمال المظالم من الحضرة السامانية ، وهو القائل في الشاش [من المجتث] :

الشـــاش في الصيف جنَّةْ ومـــن أذى الحـــر جُنه[١]
لكنّـــه يعتريني بهـــا لدى البـــرد جِنَّه

وله [من مجزوء الكامل] :

مـــا يوم منــكوبٍ حزيـــــــنٍ مستهام القلـــبِ خائفْ
بـــأمـــدَّ مـــن يـومِ الــظّــريــف إذا تَجـوَّع للقطائـفْ

وإنما نسج فيه على منوال من قال [من مجزوء الكامل] :

مـــا ليلـــةُ المهجـــوِّ با عدت النّـــوى عنـــه أنيسَهْ
أو ليلـــة الملســـوع حا ذر ميتـــة النفس النفيسه
بأمـــدَّ من ليل الظريـــــــف إذا تجـــوّع للهريسه

***

٨٢ ـ أبو المظفر البلخي

من شعره قوله [من الطويل] :

بلوتـــك يا دنيا مراراً كثيرةً فلـــم تُرَعينـــي في هواك قريره

(١) جنَّة الأولى : من الجنّة أي الظلال الوارفة وجُنّة الثانية : أي السرّ والـدرع . وجنـة الثالثـة : من الجنون .

فإن كنتِ في عين اللئيم خطيرةً فإنّك في عين الكريم حقيره
وإن تصرفي عنّي أذاك فخيرةٌ وإن تصرفي نحوي أذاك فحيره

وله [من مجزوء الكامل] :

قال الحكيم الفارسيّ بزرجمهر ثمّ مزدكْ
لا ترضينّ من الصديق بكيف أنت ومرحباً بِكْ
حتّى تجرِّبَ ما لديه لحاجةٍ إمّا بدت لَكْ
فإذا وجدت فعاله كمقاله فبه تمسَّكْ

***

٨٣ - أبو بكر بن الوليد البلخي

من شعره قوله [من مخلع البسيط] :

ثلاثةٌ فقدها كبيرُ الخبزُ واللحم والشعيرُ
والبيت من كلِّها خلاءٌ فَجِدْ بها أيُّها الأمير

وله من نتفة [من مجزوء الرمل] :

أحسن الأشعار عندي «وآنف بالخمر الخمارا»
وألذُّ الآي عندي (وترى الناس سكارى)

وله [من الخفيف] :

خلّةٌ في منْ خلالِ الحمير لم يطبْ ليَ شربٌ بغير صفير

وله [من البسيط] :

ما سمَّتِ العجم الهميان هميانا إلاّ لإجلال ضيفٍ كان من كانا(١)

(١) ورد عجز البيت : إلى لإجلال ضيفٍ كان من كانا » ولا يستقيم المعنى والوزن .

فالمــهُ أكبرهــم ، والمــان منزلهم، والضيف سيّدهــم ما لازم المانا[1]

***

٨٤ ـ الحسن الضرير المروروزي

في غلام نصراني [من المتقارب] :

ومــا أنس لا أنس ظبــيَ الكناسِ يريد الكنيســة من دارهِ
يحــوط بزنــاره خصرهُ ومرعــى الجمــال بأزرارهِ
فيا حسن ما فوق أزراره ويا طيب ما تحــت زنّاره

***

٨٥ ـ أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الفقيه الطوسي

افتتن بغلام من الشطار فقال فيه [من الطويل] :

أتوعدنــي بالقتــل والقتــل راحتي فلا تخلف الإيعــاد خلفــك ميعادي

وقال في غلام أعطاه كتاب العين [من الوافر] :

كتــابُ العين ظلَّ يقــرُّ عيني ويصلــحُ بين من أهــوى وبيني
كتــاب العين قوّادٌ لطيفٌ يحــلُّ إليك عصــم التفلتين[2]

***

(١) المة : الرفق ، والمان : المؤونة والقوت .
(٢) القوّاد : سمسار المرأة البغيّ . والعصم : المنع . والتفلتين : الشفتين ، فهما ممرّ الريق والبصاق .

٨٦ - أبو محمد الطوسي

قال [من مخلع البسيط]:

أبــوك في النــاس سلَّ سيفا بمضــربيه يفــلُّ صفًّا
وذلك الصفُّ كان غزلاً وذلك السيف كان خُفًّا

***

٨٧ - أبو سهل المعقلي الطوسي

قال [من المجتث] :

يا دولــةً ليس فيها من المعالــي شظيَّهْ
زولــي فمــا أنــت إلاّ علــى الــكرام بليه

***

٨٨ - أبو نصر الروزبازي [الفقيه الطوسي]

من شعره قوله [من مجزوء الرمل]:

لــي خمســون صديقاً بين قاضٍ وشريفْ
وأميرٍ ووزيرٍ وفقيهٍ وظريفْ
فــإذا احتجــت إليهم لم يفــوا لي برغيف



الباب الثامن

٨٩ - في ذكر الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

وإيراد محاسن من نثره ونظمه

وما محاسن شيء كله حسن

القول في آل ميكال وقدم بيتهم ، وشرف أصلهم ، وتقدم أقدامهم ، وكرم أسلافهم وأطرافهم ، وجمعهم بين أول المجد وأخيره ، وقديم الفضل وحديثه وتليد الأدب وطريفه ، يستغرق الكتب ، ويملأ الأدراج ، ويحفي الأقلام ، وما ظنك بقوم مدحهم البحتري ، وخدمهم الدريدي وألف لهم كتاب الجمهرة وسير فيهم المقصورة التي لا يبليها الجديدان، وانخرط في سلكهم أبو بكر الخوارزمي وغيره من أعيان الفضل وأفراد الدهر ، وكان كل من الشيخ أبي العباس إسماعيل بن عبد الله وابنيه الرئيس أبي محمد عبد الله والأمير أبي القاسم على أمة على حدة ، وعالماً في شخص واحد ، وما منهم إلا من يضرب به المثل في الشرف ، والأمير أبو نصر أحمد بن علي الآن بقية الأماجد وغرة الأكارم وعمدة الأفاضل وواحد خراسان ومفخرتها وجمالها وزينتها ، ومن لا نظير له في شرف النفس وبعد الهمة ورفعة الشأن وتكامل آلات السيادة . والأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد يزيد على الأسلاف والأخلاف من آل ميكال زيادة الشمس على البدر ، ومكانه منهم

الواسطة من العقد ، لأنه يشاركهم في جميع محاسنهم وفضائلهم ومناقبهم وخصائصهم ، ويتفرد عنهم بمزية الأدب الذي هو ابن بجدته[1] وأبو عذرته وأخو جملته ، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة وأتم بلاغة ، وكأنما أوحى بالتوفيق والتسديد إلى قلبه . وحبست الفقر والغرر بين طبعه وفكره ، فهو من ابن العميد عوض ، ومن الصاحب خلف ، ومن الصابي بدل ، ثم إذا تعاطى النظم فكأن عبد الله بن المعتز وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وأبا فراس الحمداني قد نشروا بعد ما قبروا ، وأوردوا إلى الدنيا بعد ما انقرضوا . وهؤلاء أمراء الأدباء ، وملوك الشعراء ، وقد أنصف من وصف بلاغته في النثر وبراعته في النظم حيث قال من قصيدة [من الكامل] :

يا من كساه اللّهُ أرديةَ العلى ... وحباهُ عطر ثنائها المتضوِّعِ[2]
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه المسعود قلت لمقلتي فيها ارتعي
وإذا قريت الأذن شهد كلامه ... قلت اسمعي وتمتعي وارعي وعي[3]
وكأنّما يوحى إلى خطراته ... في مطلعٍ أو مخلصٍ أو مقطع[4]
لك في المحاسن معجزاتٌ جمّةٌ ... أبدا لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحرٌ في البلاغة شابَهُ ... شعرُ الوليد وحسن حفظ الأصمعي
وترسُّلُ الصابي يزين علوّه ... خطُّ ابن مقلة ذي المحلِّ الأرفع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى ... وافى الكريم بُعَيْدَ فقر مدقع
وإذا تفتّق نور شعرك ناضراً ... فالحسن بين مرصّعٍ ومضرَّع[5]
أرجلت فرسان القريض ورضت أفـ ... راس البديع وأنت أفرس مبدع

(١) بجدته : أهله ، والعالم المتقن له .
(٢) الأردية : جمع رداء وهو الثوب أو يرتديه الانسان . المتضوّع : الذي يفوح بالعطر .
(٣) قريت الأذن : من القرى : أي اسمعتها أجمل كلامه .
(٤) خطراته : أي ما يخطر في باله من أمر .
(٥) المضرّع : أي ذليلٌ وخاضع .

ونقشت في فَصِّ الزمان بدائعاً تزري بآثار الربيع الممرع
وحويت ما تكنى به طراً فلم تترك لغيرك فيه بعض المطمع[1]

وقال من أخرى [من الكامل]:

يا من له كلّ الذي يكنى به ومفرّق العليا لديه مؤلّفُ[2]
غنّتْ بسؤددك الحمام الهتَّفُ وحكت أناملك الغيوم الوكَّفُ[3]
وتصرّفت بك في المكارم والعلى همم على قمم النجوم تصرّفُ
وملكت أحرار الكلام كأنّها خدمٌ وغلمانٌ لأمرك وُقَّفُ
وكأنّما نَوْرُ الربيع وزهره من وشي خطك في المهارق أحرف[4]

وقال [من السريع]:

إنــي أرى ألفاظك الغرّا عطّلت الياقوت والدرّا
لك الكلام الحرّ يا من غدا معروفه يستعبد الحرّا

وقال [من المنسرح]:

سبحان ربي تبارك الله ما أشبه بعض الكلام بالعسلِ
والمسكِ والسحرِ والرقى وابنه الكرم وحِلْي الحسان والحللِ
مثل كلام الأمير سيدنا نثراً ونظما يسير كالمثلِ

وقال من أخرى [من مجزوء الرجز]:

يا كعبة المعالي وقبلة الآمال
وغرّة الجمال وصورة الكمال
وطالع الإقبال وعارض الإفضال

---

(١) و(٢) : أراد بما تكنّى به : الفضل ، لأن كنيته أبو الفضل .
(٣) الوكّف : الممطرة السائلة .
(٤) الوشي : الزخرفة والاتقان. والمهارق : الصحف البيضاء .

وآفـة الأموال بدر بنـي ميكال
كـم لك مـن مقـال مـن أصفى مـن الزلال
أحلى من السلسال أبهـى من اللآلى
أزكـى مـن الغوالـي أمضـى مـن العوالـي
أقضـى من النصال أضـوا من الهلال[1]
أسـرى من الخيال أبقـى من الجبال
فاسلم على الليالي ودم بخير حال

وقد أوردت في هذا الباب من فصوص فصوله التـي أخرجهـا من رسائلـه وبوبها في كتاب له وسمه بالمخزون ما يؤرخ به محاسن الكلام ، ويزيد في مفاخر الأقلام ، ويستحق أن يدعي لفظ الدر ، وخدع الدهر، وعقد السحر ، وأتبعته من غرر شعره ، وثمار فكره ، بما تجمع منه اليد على البازي الأبيض والحجر الأسود والكبريت الأحمر ، والعيش الأخضر ، وملك بني الأصفر.

فصول من باب وصف الكتب بالحسن والبلاغة ولطف المواقع

من الكتاب المخزون المستخرج من رسائله

فصل ـ إنه ألقي إليّ كتاب كريم ، عنوانه غنم جسيم ، وعيانه فضل عميم ، فلو استطاع قلبي لسعى إليه إعناقاً ، والتف عليه عناقا .

فصل ـ وصل كتابه فأدركت به بغية الحريص ، وخلتني يعقوب وقـد بشـر بالقميص .

(١) أضوا : أراد أضوأ فسهل الهمزة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها وذلك للضرورة الشعرية .

فصل ـ كتابه تعلة الرجاء. وقوت النفس . وعلة النشاط ، وقوة الأنس .

فصل ـ كتابه أوصل الأنس إلى سواد القلب وصميمه ، وأماط الوجد وقد ألح في تصميمه .

فصل ـ أنا أولى بالحمد وقد لحظت مواقع أنامله ، وشمت بوارق فضائله ، من راعى القفر وقد رأى القطر سكبا ، بعد سنين تتابعت جدبا .

فأصاخ يرجو أن يكون حيّا ويقول من فرح هيّا ريّا

فصل ـ الحمد لله ملء القلوب والضمائر ، وفوق وسع الحامد الشاكر ، إذ أقبلت غمامة من ناحيتك برقها خلق كريم ، وقطرها بر عميم ، فروت روض الأنس وقد اكتسى ذبولاً ، وأهدى إليه من نسيم عهده صبا وقبولا ، حتى انجلت عنه غبرته ، وعادت إليه نضرته .

فصل ـ كتابك تميمة فضل ، وثمينة عقد ، ولطيمة خلق ، ويتيمة مجد ، وغنيمة بر .

فصل ـ كتابك يجلو صفحة العهد[1] ، ويجيل قداح الأنس[2] ، ويجل عن قدر الشكر.

فصل ـ نشرت من كتابك عصب اليمن[3] . ونظرت منه إلى الطالع الأسعد والطائر الأيمن .

فصل ـ لقيت كتابك تحلية الإحسان والإبداع ، وحلية النواظر والأسماع ومسن الخواطر والطباع ، وصيقل الأفكار والألباب ، وعيار المعارف والآداب .

فصل ـ كتاب سلب الماء رقته ، والنحل ريقته .

---

(١) العهد : أول مطر السنة ، أو الذمة والميثاق.

(٢) يجيل : من أجال : أي أدار.

(٣) عصب اليمن : أثواب اليمن الملوّنة .

فصل ـ كلامك شهدة النحل ، وثمرة الغراب ، وبيضة العقر ، وزبدة الأحقاب .

فصل ـ وصل كتابك فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف ، واختلفت الألسن في تشبيهه ببدائع الأوصاف ، فمن مدع أنه رقية الوصل ، وريقة النحل ، ومنتحل أنه سلاف العنقود ، وقائل هو نور خمائل ، وسحر بابل ، فأما أنا فتركت التمثيل ، وسلكت التحصيل ، وقلت : هو سماء فضل جادت بصوب الحكم ، ووشى طبع حاكته سن القلم ، ونسيم خلق تنفست عنه روضة الكرم .

فصل ـ سررت بكتابك سرور من فُدي بذبح عظيم ، وبُشّر بغلام عليم .

فصل ـ قلمك ترب البروق ونظيرها[1] ، ويدك أم البلاغة وظئرها[2] وكلامك هو الدر يستغني عن السلك ، والإبريز يجل عن السبك ، والسحر إلا أنه بريء من الشرك .

فصل ـ كتابك شريعة وِرْدي ، ومهب شمالي ، ومرمى طرفي . ومسرح آمالي ، ونجيّ فكري ، وحلم هجودي ، وأرض خصبي ، وسماء سعودي .

* * *

ومن باب الإخوانيات

فصل ـ أيام ظل العيش رطب ، وكنف الهوى رحب . وشرب الصبا عذب ، وما لشرق الأنس غرب .

فصل ـ أنا في مقاساة حر الشوق إليك *كما اعتاد محموداً بخيبر صالب * وفي تذكر الاجتماع معك *كما اهتز من صرف المدامة شارب *وفي تكلف الصبر

---

(١) الترب : المثيل .

(٢) الظئر : المرضع .

عنك * كطالب جدوى خلّة لا تواصل * وفي القلق لفراقك * كطائر جوٍّ أعلقته الحبائلُ * .

فصل ـ أيامي معك بين غرة ولمعة ، وعيد وجمعة .

فصل ـ أنا أخو مودتك الذي لا يخشى نبوه وعقوقه ، وسهم نصرتك الذي نحو العدى نصله ونحوك فوقه(١) .

فصل ـ إني لأجد ريح مولاي فأتنسم روح السكون ، ولا أقول لولا أن تفندون(٢) .

فصل ـ كنت كمن خرج يبغي قبساً ، فرجع نبياً مقدساً .

فصل ـ أشكو إليك شوقاً لو عالجه الأعرابي لما صبا إلى رمل عالج ، أو كابده الخلي لانثنى على كبد ذات حرق ولواعج .

فصل ـ وددت لو أنه ركب الفلك الدائر ، وامتطى النجم السائر . وكان البرق زاملته(٣) ، والبراق راحلته(٤) ، والسماك هاديه ، والخضر حاديه(٥) والصبا إحدى مراكبه ، والجنوب بعض جنائبه(٦) ، لينقضي عمر الانتظار ، ونسعد بالقرب والجوار .

فصل ـ لا خير في ود لا يعرف إلا بشاهد ، ولا ينهض إلا براقد .

---

(١) الفوق : موقع الوتر من رأس السهم .
(٢) تفنّدون : تكذّبون .
(٣) الزاملة : ما يحمل عليه من الدواب .
(٤) الراحلة : ما يمتطى عليه من الدواب .
(٥) الخضر : أحد الأنبياء الذين كتب لهم الخلود .
(٦) الصبا : الريح الشمالية الباردة ، والجنوب الريح الجنوبية .

مشرق السحنة[١] ، واضح السنة ، بعيد من الظنة[٢] .

فصل ـ طالعت عهدي لديه ضاحي البشر ، ضاحك الزهر ، طلق الوجه ، باسم الثغر ، قد رفت عليه ظلال كرمه ، ورقّت له حواشي أخلاقه وشيمه ، فحمى وجه بهائه أن يشحب ، ورونق مائه أن ينضب .

فصل ـ وصل كتابه لا أقبل دعوى ولا يعدله شهود ، ولا يعدله يوم مشهود .

فصل ـ أنا أتوقع كتابك أطول من ليلة الميلاد ، وأمتع من نسيم ريح الأولاد .

فصل ـ كتبت هذه الأحرف وأنا أود أن مدادها سواد طرفي ، وبياضها جلدة بين عيني وأنفي ، وحاملها دون سائر الناس كفي .

فصل ـ لا تفارق نفسي فيك أشواقها ، حتى تفارق الحمائم أطواقها .

فصل ـ لولا التعلل باللقاء لتصدعت أكباد وقلوب ، وكانت بيني وبين النوى شؤون وخطوب .

فصل ـ ما آسى إلا على أيام أمتعتني من مؤانستك بالعين طلقا ما عليه رقوب[٣] ، وأسعفتني من مجالستك بالدهر ليس فيه خطوب .

فصل ـ بي إليك شوق لم يكابده قلب متيّم ، ووجد لم يدعه مالك لمتمم[٤]

فصل ـ أنا في مفارقته كبنات الماء نضب عنها الغدير ، ونبات الأرض أخطأه النوء المطير .

---

(١) السحنة : الهيئة واللون .

(٢) الظنّة : الشبهة .

(٣) رقوب : أي رقيب نحذره .

(٤) مالك ومتمم :هما ابنا نويرة ، قتل مالك في حروب الردة على يد خالد بن الوليد وبكاه متمّم بكاءً أطال لواعجه .

فصل ـ شوق عابث أقاسيه. وامتنع عنه الصبر فما يواسيه .

فصل ـ ذمام ودك عندي لا يخفر ، وإن أتيت بما لا يغفر .

* * *

ومـن باب الشكر والثناء

فصل ـ للنعم عماد من الشكر يحرسها أن تميل وتميد ، وعقال من الثنـاء والحمد يمنعها أن تبيد وتحيد ، وكثيراً ما يسكر الشارب بكأس سرورها . ويعشى عينه بشعاع نورها[1] ، فيذهل عن حفظ ذمارهـا ، ويذهـب عن واجـب مرتبتهـا واستثمارها ، ويكون كمن أزعجها بعد الاستقرار ، وعرضها للنفار، فلا يلبث أن يزل عن مرقاتها قدمه[2] ، ويطول على ترك موجباتها ندمه ، ويحصل منها في برج منقلب ، وينظر من نعيمها في أعجاز نجم مغترب .

فصل ـ كم لك عندي من يد غضّة ما لي بشكرها يدان ، وعلى عاتقي من ثقل منّة يعجز عن حملها الثقلان .

فصل ـ لولا أن من عاداته متابعة النعم لقلت رفقـا بكاهلـي ، فقـد أثقلـه الرفد ، وأناملي فقد أعياها العدّ ، لكنه الغيث لا يستكف واكف سحابه ، والبحر لا يزحم زاخر عبابه .

فصل ـ لو ملكت من مقاود البيان ، ما يملك من مقالة الإحسان ، لأجلبت عليه من شكري بخيل ورِجْل ، وجلبت إليه من فيض بناني سجلا بعد سجل ، وكلاً فقد خذلتني عبارتي مذ تناصرت عندي مواهبه ، ونزفت بلاغتي منذ درت على سحائبه .

---

(١) يعشي عينه : يغضّ طرفه من شدّة النور، والأعشى : الضعيف البصر .

(٢) المرقاة : المنزلة والمكانة ، وارتقى : صعِد .

فصل ـ لا أعدمه الله نعمة يطوق الشكر جيدها ، ويمتري بلطافة الحمد مزيدها[1] .

فصل ـ قلدني منّة تندي ألسنة الشكر ، وتنادي بذكرها أندية الفضل .

فصل ـ ذاك فضل ملك عنانه ومقادته ، فقهر أعيانه وقادته .

فصل ـ لو استطعت لطرت إليه بأجنحة الجنائب[2] ، وخطبت بالشكر على متون الكواكب .

فصل ـ ما هو إلا صوب كرم إذا فاضت منه سجال تلتها سجال ، وإذا جادت بها يمين رفدتها شمال .

فصل ـ خدمته أيام كانت رياسته سراً في ضمير الأيام ، ونوراً في أكمام الظنون والأوهام .

فصل ـ أنامله فرصة كل وارد ، وعرضة كل قاصد .

فصل ـ يذبُّ عن حرم المعالي بذباب حسامه ، ويحمي غربها بغرار أقلامه[3] .

فصل ـ كم له من مكارم جدد منهج أطمارها ، وأذكى سنا أقمارها .

فصل ـ له الأمر المطاع ، والشرف اليفاع[4] ، والعرض المصون والمال المضاع .

فصل ـ مساعيه ضرائر النجوم ، وأنامله ضرائر الغيوم .

فصل ـ أملى محاسنه وأيدي الأيام تكتب ، وأثنى بأياديه وألسنة الحال تشهد وتخطب .

---

(١) يمتري : يستخرج .
(٢) الجنائب : الشوق أو الريح .
(٣) يذبّ : يدفع ويحمي .
(٤) اليفاع : التل المشرف من الأرض .

فصل ـ وهو واحد العصر ، وثاني القطر ، وثالث الشمس والبدر .

فصل ـ ذاك سلطان فضل هو عرابة رايته[1] ، وميدان سباق وهو عكاشة عنايته .

فصل ـ ما هو إلا صفيحة فضل طبعت من سكتك ، وسبيكة مجد ضربت على شكتك[2] .

فصل ـ ما هو إلا نجم طلع في سمائك ، ومعنى اشتق من أسمائك .

فصل ـ أفاض عليه من صوب رشاشه ، ما أروى غلة مشاشه[3] .

فصل ـ ثناء أطيب من فوح الأزاهر ، وأطيب من ترجيع المزاهر .

فصل ـ ثناء كما يتفتق المسك من أكمامه ، وينتفض الروض غبّ رهامه[4] .

فصل ـ ما هو إلا لمعة من برقك ، ورذاذ من ودقك[5] ، ونجم طلع في أفقك ، وشعلة قدحت من نارك ، ورشاش ارفضّ من سحابك[6] .

فصل ـ أحيا كتابك مني نفساً مواتا ، وأنشر أملاً رفاتاً ، وتلافى حشاشة كانت من الهلك على شفا[7] ، وبلّ ريقاً لم يدع للناس فيه مرتشفا .

* * *

---

(١) عرابة : أشار به إلى عرّابة الأوسي الذي مدحه الشّماخ بن ضرار بقوله :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقّاها عرابة باليمين

وعكاشة : أشار به إلى عكاشة بن محصن الذي قال فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام : « سبقك بها عكاشة » .

(٢) الشكة : مختلف الأخلاق والطباع .

(٣) المشاش : النفس .

(٤) غبّ رهامه : بعد ضعفه وذبوله .

(٥) الودق : المطر .

(٦) ارفضّ : هطل .

(٧) شفا : حرف ، وحدّ .

ومن باب العتاب والذم وشكوى الحال

فصل ـ عتاب من قلب خالص ، وصدر سليم من القوارص ، خير من ودّ سامري ، وعرض سائري .

فصل ـ لو تكللت بالشعرى العبور ، وتلثمت بالفجر المنير ، واتخذت الثريا وشاحاً ، والجوزاء نطاقاً ، واستعرت من الشمس ضياء ، ومن البدر إشراقاً ، لما كنت إلا مغموراً خاملاً ، وعقداً عاطلاً .

فصل ـ لست أدري سبب عتبك فأتوب إليك توبة سحرة فرعون ، وأخلص وأعتذر إليك اعتذار النابغة إلى النعمان ، وأبلغ وأخضع لك خضوع المعزول للوالي ، بل خضوع الجرب للطالي ، وأضرع إليك ضراع الصبي للمعلم ، بل الذميّ للمسلم .

فصل ـ كيف ترميني بظنة ؟ وقد علمت أن قلبي لودك غير مظنة .

فصل ـ صدعت بالعتاب أعشار فؤادي[1] ، وتركتني بمنزلة ماء سال به الوادي .

فصل ـ سحب على ذنبه أذناب التجوّز ، وستره بأجنحة التجاوز .

فصل ـ طويت ودي طي الطوامير[2] ، ونبذت عهدي في المطامير .

فصل ـ عاد شرر عتبه ضراما ، وقوارص قوله سهاماً .

فصل ـ إذا نطق لسان الاعتذار ، فليتسع نطاق الاغتفار .

فصل ـ جربني تجدني سهل الرجعة ، سمح المقادة ، قريب المنالة ، دائب الصنيعة ، جامد السكينة ، سريعاً إلى المحافظة ، بطيئاً عن الحفيظة[3] .

---

(١) الأعشار : القطع .

(٢) الطومير : الصحف .

(٣) الحفيظة : الموجدة .

فصل ـ رددني من جفائه زماناً بين إعراض وقطيعة ، وأوردني منها أوخم شريعة[1] ، حتى إذا ورد كتابه وبي فرحة الظمآن وافق بلالاً ، والعليل صادف إبلالاً ، تضمن من مر العتاب ، ما هو أمض من القذف والسباب ، وكان كثاطة مدت بماء[2] ، وجمرة أعينت بحلفاء[3] .

فصل ـ وما زلت أداريه وألاطفه ، أؤمل أن تلين لي مكاسره ومعاطفه ، حتى إذا كشف لي قناع الجفوة ، ومد إلي ذراع السطوة ، جزيته صاعاً بصاع ، وبسطت له باعاً بباع ، وسعيت إلى معارضته بخطى وساع ، وكذلك من ساء سمعا ساء جابة ، ومن زرع مكراً حصد خلابة[4] .

فصل ـ كشف لي قناع المجادل، ورماني من عتبه بالجنادل[5] .

فصل ـ قد تجاريت والدهر في الظلم إلى غاية واحدة ، واخترعتها في العقوق كل بدعة وآبدة[6] ، لعلك تزيد عليه وطأ في الظلم ثقيلا ، وسبحا في التحيل طويلاً ، بل أنت أبعد منه في الإساءة غورا ، وأحد في النكاية غربا ، وأجرى في المناكير قلباً ، لا بل أنت أكثر منه مذقا[7] ، وأمرّ مذاقا ، وأظهر خلافا ، وأقل وفاقا ، فما هذه المكاشفة والمخاشنة ؟ وأين المهادنة والمداهنة ؟ وأين الحياء والتذمم ؟ والعفاف والتكرم ، وأين لين المكسر ، ولدونة المعطف ، وحلاوة المذاق ، وسهولة المقطف ؟

فصل ـ أنا من حاضر جفائك بين ناب ومخلب ، ومن منتظر وعدك بالرجعى

(١) أوخم شريعة : أنتن مورد للماء .
(٢) الثاطة : الحمأة والطين .
(٣) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال ونحوها .
(٤) الخلابة : الخداع .
(٥) الجنادل : الصخور .
(٦) الآبدة : الداهية ، والقافية الشارة .
(٧) المذق : خلط المودّة بالكدر أي لم يخلص في مودته وكلامه .

بين جهام وخلب[1] .

فصل ـ كتابك أقصر من نبقه[2] ، وأصغر من بقه ، وأخون من دره ، وأخفى من ذره .

فصل ـ النعمة عنده تكتسي من لؤمه أطماراً . وتشتكي غربة وإسارا .

فصل ـ طواني في أدراج نسيانه ، وألقاني في مدارج هجرانه .

فصل ـ حاجتي عنده في سر الوعد وإضماره ، وميدان المطل ومضماره[3] .

فصل ـ ناديت منه من لا يمكن لفظي من سمعه ، ودعوت من ضره أقرب من نفعه . فقلت إذ أخلف التقدير ، لبئس المولى ولبئس العشير .

فصل ـ قرأت كلاماً خير منه تعاطي السكوت ، وحجاباً أقوى منه نسج العنكبوت .

فصل ـ لو خلع الصباح على عذري كسوته ، وأمده البلغاء من البيان ما يجلو صفحته ، ثم صلى منه بنار انتقاد ، ولم يرد من صفحه وإغضائه على لين مهاد ، لأتى بنيانه من القواعد وقطع زنده من الساعد .

فصل ـ يأبى الدهر إلا ولوعاً بشمل وصل يشرده ، ونظام أنس يبدده ، ومخلب ظلم يحدده ، ولو انبسطت فيه يدي لكسرت جناحه ، وخفضت جماحه ، ولكنه الحية الصماء[4] لا تستجيب لراقي ، والداء العضال لا يشفى منه طيب ولا واقي .

فصل ـ ما أقول في دهر يعطي تفاريق ويسترجعها جملا ، ويرجع أفاويق وقطعها عجلا ، يأتي شره دفعا ، ويواتي خيره لمعاً ، إن هاجت نوازله خصت

---

(١) جهام وخلب : الجهام : السحاب الذي لا مطر فيه والخلب : الفوز والظفر .

(٢) النبق : الغرس ، وحمل شجر السِّدر .

(٣) المطل : المماطلة ، والمضمار : حيث تضمر الخيل للسباق .

(٤) الصمّاء : المميتة .

الأحرار بالبطش ، وإن سكنت زلازله فكالصل ينبطح بالأرض ثم يثور للنهش .

فصل ـ لا تجز عن من عتابي فالمسك إذا سحق ازداد عبقاً ، والورد إذا أحمي طاب عرقا .

* * *

ومن باب التهاني

فصل ـ أهنأ النعم شرباً ، وأمرعها شعباً، ما جاء عفواً من غير التماس ، ودر سمحا بلا إبساس .

فصل ـ النعم إذا حلت بفنائه فاضت على ا لأحرار فيضا ، وكانت بينه وبينهم فوضى .

فصل ـ عمرك الله حتى ترى هذا الهلال قمراً منيراً ، وبدراً مستديراً ، يكثر به عدد أحفادك ، ويعظم به كمد حسادك .

فصل ـ الحمد لله على النجل الموهوب ، ومرحباً بقرة العيون وريحانة القلوب ، ولد سعيد يهنأ به أكرم والد ، ومجد طريف أضيف الى شرف تالد[1] ، فأبقاه الله لك بسطة عضد تتصل بذراعك ، وخلب كبد تطول به مدة إمتاعك .

فصل ـ ما ارتعنا لفقد الفقيد ، حتى ارتحنا لقيام الخلف الحميد ، ولا استهل الباكي منا للرزية مستعبراً ، حتى تهلل للعطية مستبشراً .

فصل ـ من كانت النعم تزينه فإنها تلبس بك وشاح فخر وخيلاء ، وتحل من أفنيتك بطاح مجد وسناء .

* * *

(١) شرفٍ تالد : موروث .

ومـن باب العيادة

فصل ـ أما علته فقد أرتني الفضل ترجف أحشاؤه فرقاً ، والصبر تنقطع أجزاؤه فرقا .

فصل ـ كأني به وقد طلع كالحسام مجردا ، والهلال مجددا .

فصل ـ صادفني كتابه وفيه علة أجحفت بالجسد ، وتحيّفت جوانب الصبر والجلد[1] ، واستأنفت به برد الحياة ، ولبست عنه برد المعافاة .

فصل ـ كنت صريع سقم قد أولتني عقبه ، وزالت بالبرء عواقبه .

فصل ـ كنت رهين علل لا أرجو من صرعتها استقلالا ، ولا أؤمل من أسر وثاقها انحلالا ، فلم يزل لطف الله ينفث منها في العقد ، ويمسح جانب الداء والألم ، حتى أنشطني من عقال[2] ، وأنهضني من كبوة وعثار .

فصل ـ برز من علته بروز السيف المحلّى ، وفاز بالعافية فوز القدح المعلى .

فصل ـ لو استطعت لخلعت عليه سلامتي سربالا ، وأعرته من جسمي صحة وإقبالا ، فلست أتهنأ بالعافية مع سقمه . ولا أتمتع بنضارة عيشي مع شحوب جسمه .

فصل ـ كان من العلة بين أنياب وأظفار . ومن الردى على شفا جرف هار ، فتداركه الله برحمة رشت على سقمه ماء الشفاء ، ومجّت برد العافية في حرّ الأحشاء[3].

***

---

(١) تحيُّف الشيء : أخذه من نواحيه وإنقاصه .
(٢) العقال : الأسر .
(٣) مجَّت : أدخلت وأشربت .

ومن باب التعازي

فصل ـ لله تعالى في خلقه أقدار ماضية لا ترد أحكامها ، ولا تصد عن الأغراض سهامها ، والناس فيما بين موهبة تدعو إلى الشكر المفترض ، ومرزية يوثق فيها بجميل العوض .

فصل ـ الموت منهل مورود ، وسيان فيه والد ومولود.

فصل ـ كتبت والقلم هائم والدمع هام، والكرب دائم والجفن دام .

فصل ـ كتبت وسكرات المنية بي محدقة ، ولحظات الأجل نحوي محدقة .

فصل ـ أعوذ بالله من كل ما يؤدي إلى موارط نقمته [1] ، ويحجب عن موارد رحمته .

فصل ـ مصيبة طرقت بالمخاوف والأوجال ، وطرقت شرب الأماني والآمال ، وأعادت سرب العيش نافراً ، ووجه الحزن سافرا .

فصل ـ يا لها من مصيبة أصمى سهم راميها[2] ، وأصمّ صوت ناعيها.

فصل ـ وفقه الله للصبر الذي إليه يرجع الجازع ، وإن أغرق في قوسه النازع .

فصل ـ هو من لا تستتر له النوازل عن عزيمة أناته ، ولا تفجعه الفجائع بسكينة حزمه وثباته.

فصل ـ طال تلهفي على هلال استسرّ قبل أن يقمر[3]، وغصن خضد قبل أن يثمر [4].

(١) موارط نقمته : أي الوقوع الأشراك التي يصعب الخلاص منها ويكون فيها الهلاك .

(٢) أصمى : أصاب وقتل .

(٣) استسرّ : احتفى ، من السُّرار وهو أن يكون القمر في جانب المحاق .

(٤) خضد : كسر ، وقطع .

فصل ـ ما سلامة من يرى كل يوم راحلاً مشيعا . وشملا مصدعا ، وصديقا مودعا .

فصل ـ شابت بعده لمم الأقلام[1]، وضلّت مفاتيح الكلام ، ونضبت غدر الأفهام.

فصل ـ لا أملك في مصيبته إلا عبرات ترق ولا ترقأ[2] ، وزفرات تهدُّ ولا تهدأ .

فصل ـ قد نغّص الموت كلّ طيب ، وأعيا داؤه كل طبيب .

فصل ـ الموت يكتال الأرواح بلا حساب، ويغتال النفوس بلا حجاب.

فصل ـ لئن طواه الردى طي الرداء ، لقد نشرته ألسنة الثناء .

***

ومن باب السلطانيات

فصل ـ بين ضرب يصدع جنوبا[3]، وطعن يدع الصدور جيوبا.

فصل ـ إذا عبأ للغزو كتائبه ، وأخرج نحو العدا مضاربه ، خفقت بنصره الأعلام ، ونطقت وراء رماحه الأقلام .

فصل ـ بين صفوف ترصف . وسيوف تقصف ، ورماح تنصف ، وأرواح تخطف ، حيث الدواهي سود المناظر ، والمنايا حمر الأظافر .

فصل ـ لا يقف لمناجزته عدوّ إلا عاد موطىء قدمه شفيرا . وكان سهم الردى إليه سفيرا.

---

(١) اللّمة : الشعر .

(٢) العبرات : الدموع ، وترقأ : تكفّ وتنقطع .

(٣) الجنوب : وهو الجنب من الإنسان، ويصدع : يكسر .

فصل - أصبحوا كغثاء احتمله ظهر سيل جارف[1]، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

فصل - لما مشى إليهم مشت قلوبهم في الصدور، وحلت بهم قاصمة الظهور، فهم بين أعمار تباح، ودماء تساح، وأجسام تطاح، وأرواح تسفي بها الرياح[2].

***

نبذ من شعره في الغزل

قال [من الطويل]:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ... ووكّل أجفاني برعي كواكبِهْ
فيا جزعي مهلاً عساه يعودُ لي ... ويا كبدي صبراً على ما كواك بِهْ

وقال [من المجتث]:

أنكرتِ من أدمعي تترى سواكبها
سلي جفوني هلْ أبكي سواك بها

وقال [من الخفيف]:

إن لي في الهوى لساناً كتوما ... وفؤاداً يخفي حريق جواه[3]
غير أنّي أخاف دمعي عليه ... ستراه يفشي الذي ستراه

وقال [من مجزوء الكامل]:

---

(١) الغثاء : الزبد والرغوة وما يجرفه السيل من أوراق أو ممّا هو على وجه الأرض .
(٢) تسفيها : تذورها .
(٣) الجوى : الحرقة المتولّدة من العشق .

يا من يبيت محبُّهُ منه بليلة أنقد[1]
إن غبت عني سمتني وشك الردى وكأن قد

وقال [من الطويل] :

عذيريَ من رامٍ رماني بسهمه فلم يخطِ ما بين الحشا والترائب[2]
فأصداغه يلسعني كالعقارب وألحاظه يفعلن فعل العقاربي[3]

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ يهفو بلبٍّ المرء منه شمائل
فالردف دعصٌ هائل والقدُّ غصن كائل[4]
والخد نور شقائق تنشقّ عنه خمائل
والعرف مثل حدائقٍ نمّت بهن شمائل
والطرف سيفٌ ما له إلا العذار حمائل

وقال في مخمور جمش وجهه [من الكامل] :

هبه تغيّر حائلاً عن عهده ورمى فؤادي بالصدود فأزعجا
ما بال نرجسه تحوّل وردةً والورد في خدّيه عاد بنفسجا

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ أبدى الجما ل بخدّه روضاً مريعا
فقد الطبيب ذراعه فجرى له دمعي ذريعا
وأمّني وقع الحديد بعرقه ألما وجيعا

(١) بات بليلة أنقد : أي لم ينمْ .
(٢) لم يخطما بين الحشا والترائب : أي أصاب القلب .
(٣) الألحاظ : العيون وفعل العقارُ بي : أي فعل الخمر التي تترك محتسيها سكِراً مخمورا .
(٤) الردف : إلية المؤخرة . والدعص : الكثيب من الرمل .

فأريتــه من عبرتي ما سال من دمــه نجيعا[1]

وقال [من الخفيف] :

وغــزالٍ منحتــه خالص الو دَّ فجــازى بالصــدّ والإجتناب
لــم ألمــه أن أتقــى بحجابٍ ردّنــي والــهَ الفــؤاد لمــا بي
هــو روحــي وليس ينــكر للرو ح توارٍ عن الورى بالحجاب[2]

وله [من الوافر] :

كتبــت إليه أستهــديِ وصالاً فعلّلنــي بوعــدٍ في الجواب
ألا ليت الجــواب يكون خيراً فيشفــي ما أحــاط من الجــوى بي

وقال [من الرجز] :

ظبــيٌ يحــار البــرق في بريقه غنيتُ عن إبريقــه بريقه
فلــم أزل أرشف من رحيقه حتــى شفيت القلــب من حريقه

وقال [من مجزوء الرجز] :

شافــه كفّــي رشاً بقبلــةٍ ما شفتِ
فقلــت إذ قبّلها يا ليت كفّــي شفتي

وقال [من البسيط] :

من لي [كفيلا] بشمــل الأنس أجمعه بشــادنٍ حلّ فيه الأنس أجمعُهُ
ما زال يعــرض عن وصلــي فأخدعه فالآن لي لان بعــد الصــدّ أخدعُهُ[3]

وقال [من مجزوء الرمل] :

---

(١) النجيع : الدم الأحمر الصافي .
(٢) توار : اختفاء .
(٣) يعرض : يصد ويشيح ، والأخدع : عرق في الرقبة ، أي أقبل بجيده نحوه .

ويح جسمي من غزالٍ مقلتاه شفتاه
هو إن جاد بلثمٍ شفتاه شفتاه

وقال [من مجزوء الكامل] :

صدف الحبيب بوصله فجفا رقادي إذ صدفا[1]
ونثرت لؤلؤ أدمعٍ أضحى لها جفني صدف

وقال [من الرجز] :

ماذا عليه لو أباح ريقَهُ لقلب صبٍّ يشتكي حريقهُ

وقال [من الطويل] :

بنفسي غزالٌ صار للحسن كعبةً يُحَجُّ من الفجٍّ العميق ويُعبَدُ
دعاني الهوى فيه فلبيت طائعاً وأحرمت بالإخلاص والسعي يشهدُ
فجفني للتسهيد والدمع قارنٌ وقلبي فيه بالصبابة مفرد

***

قطعة من شعره في الأوصاف والتشبيهات

قال في الريحان [من الكامل] :

أعددت محتفلاً ليوم فراغي روضاً غدا إنسان عين الباغ
روضاً يروض هموم قلبي حسنه فيه لكأس الأنس أي مساغ[2]
وإذا بدت قضبان ريحانٍ به حيث بمثل سلاسل الأصداغ

وقال في الشقائق [من الطويل] :

---

(١) صدف : امتنع ، والرقاد: النوم .

(٢) يروض : يذْهب ويزيل ويقود ويهدىء ،والمساغ : الشراب جعله سائغاً سهلاً .

يصـــوغ لنـــا كفُّ الـــربيع حدائقاً كعقـــد عقيقٍ بين سمـــط لآلي
وفيهـــن أنـــوار الشقائـــق قد حكتْ خدود عذاري نُقِّطـــت بغوالي

وقال فيه [من المتقارب] :

كأنّ الشقائـــق إذ برّزت غلالـــة لاذٍ وثوبـــاً أحمّ[1]
قطـــاع من الجمـــر مشبوبةٌ بأطرافهـــا لمـــعٌ من حمم

وقال فيه [من الخفيف] :

لاح لي في الـــرياض نور الشقيق فحـــكى لي غلائـــلاً من عقيق[2]
ما يشـــقّ الهمـــوم مثـــل شقيقٍ عنـــد راحٍ لكلٌّ روحٍ شقيق

وقال في النرجس [من الطويل] :

ومـــا ضمّ شمـــل الأنس يومـــاً كنرجسٍ يقـــوم بعـــذر اللهـــو عن خالـــع العذر
فأحداقـــه أقـــداح تبـــرٍ وساقه كقامـــة ساقٍ في غلائلـــه الحضرِ[3]

وقال [من المجتث] :

أهـــلاً بنـــرجس روضٍ يزهـــي بحســـنٍ وطيْبِ
يرنـــو بعينـــيٍ غزالٍ علـــى قضيبٍ رطيب
وفيه معنـــىً خفيٌّ يزينـــه في القلوب
تصـــحيفـــه إن نســـقـــت الحـــروف بـــرٌّ حبيـــب

وقال في التيمن بالبنفسج [من المنسرح] :

يا مُهـــدياً لي بنفسجـــاً أرِجاً يرتـــاح صدري له وينشرحُ

---

(١) الغلالة : الثوب الرقيق ، واللاذ : ثوب حرير أحمر ، وأحمّ : اسود .
(٢) نور الشقيق : زهره ، والغلائل : جمع غلالة
(٣) الأحداق : العيون ، والتبر : الذهب الخالص .

بشّرنــي عاجــلاً مصحفه ... بأنّ ضيق الأمــور ينفسح

وقال في ضد ذلك [من المنسرح] :

يا مهــدياً بنفسجــاً سمجاً ... وددتُ لو أنّ أرضــه سبخ[1]
ينذرنــي عاجــلاً مصحفه ... بأن عهــد الحبيب ينفسخ

وله [من الكامل] :

ومدامــةٍ زُفَّــت إلــى سلسال ... يختــال بين ملابس كالآل
فبنــى بهــا حتــى إذا ما افتضّها ... بالمــزج أمهرهــا عقــود لآلي[2]

وقال في اقتران الزهرة والهلال [من الرجز] :

ومدامــةٍ زُفَّــت إلــى سلسال ... يختــال بين ملابس كالآل
فبنــى بهــا حتــى إذا ما افتضّها ... بالمــزج أمهرهــا عقــود لآلي[2]

وقال في اقتران الزهرة والهلال [من الرجز] :

أمــا ترى الزهــرة قد لاحــت لنا ... تحــت هلالِ لونــه يحــكي اللهبْ
ككرةٍ من فضّــة مجلوّةٍ ... أوفى عليهــا صولجــانٌ من ذهبْ

وقال في الفجر [من الكامل] :

أهــلاً بفجــرٍ قد نضــا ثوب الدُّجى ... كالسيف جرِّد من سواد قراب
أو غادةٍ شقّــت صداراً أزرقاً ... ما بين ثغرتهــا إلــى الأتراب

وقال في وصف الثلج الساقط على غصون الشجر [من الكامل] :

نثر السحــاب على الغصــون ذريرةً ... أهــدت لهــا نوراً يروق ونورا[3]

(١) سبخ : جدباء قاحلة .
(٢) بنى بها : أي نكحها وتزوّجها ، وافتضها : أي أزال بكارتها ، والمهر : ما يدفع عند عقد النكاح من مالٍ وغيره .
(٣) الذريرة : من الطيوب .

شابــت ذوائبهــا فعُــدنَ كأنها أجفــان عينٍ تحمــلُ الكافورا[1]

وقال في الجمد [من الرجز] :

ربَّ جنينٍ من جنــى نمير مهتّــك الأستــار والضمير
سللتــه من رحــم الغدير كأنــه صحــائف البلور
أو أكرٌ تجمّســت من نور أو قطــع من خالص الكافور[2]
لو بقيت سلــكاً علــى الدهور لعطّلــت قلائــد النحور
وأخجلــت جواهــر البحور وسمّيت ضرائــر الثغور
يا حسنــه في زمــن الحدور إذ فيضــه مثــل حشــى المهجور
يهــدي إلــى الأكبــاد والصدور روحــاً تحــاكى نفثة المصدور[3]

وقال في مدية وألقاه على طريق الإلغاز [من مجزوء الرجز] :

مأسورةٌ أبــدع في تركيبهــا أصحابها
تركبهــا الأيدي وفي هاماتهــا أذنابها

وقال في الخمر [من الخفيف] :

عيّرتنــي ترك المــدام وقالتْ هل جفاهــا من الــكرام لبيبُ
هي تحــت الظــلام نورٌ وفــي الأكباد بردٌ وفــي الخــدود لهيبُ
قلــت يا هذه عدلــت عن النصح أمــا للرشــاد فيك نصيبُ
إنّهــا للستــور هتــكٌ وبالألبــــــاب فتــكٌ وفــي المعــاد ذنوب

وقال في السيف [من الخفيف] :

---

(١) الذوائب : خصلات الشعر في مقدمة الوجه .
(٢) أُكَر : جمع كرة ، تجمّست : تجمّدت .
(٣) المصدور : المسلول ، أو مريض الصدر .

لي رفيقٌ شهـم الفـؤاد يماني غزلٌ في قصافـة القضبان[1]
لا يعنـي في العظـم إلا إذا أصـــبح نشـوان من نجيعٍ قاني

وقال فيه [من الخفيف]:

خير ما استعصمـت به الـكفُّ يوماً في سواد الخطوب عضـبٌ صقيلُ[2]
عن سؤال اللئـام مغـنٍ وفـي العظم مغـنٍ وللمنـايا رسولُ

وقال في الفرس [من الخفيف]:

خير ما استظـرف الفـوارس طرفٌ كلُّ طرفٍ لحسنـه مبهوت[3]
هو فوق الجبـال وعـلٌ وفـي السهــل عقـابٌ وفـي المعابـر حوت

***

غرر من شعره في الإخوان

قال [من الكامل]:

وأخٍ إذا ما شطّ عنّـي رحلُهُ أدنـى إلـيَّ علـى النـور معروفَهُ
كالـكرم لم يمنعـه بعـد عريشه من أن يقـرِّب للجنـاة قطوفَهُ

وقال في مؤلف هذا الكتاب [من الكامل]:

أخٌ لي أمـانِ الـودّ منـه فرائد وألفاظـه بين الحـديث فرائد[4]
إذا غاب يومـاً لم ينـب عنـه شاهد وإن شهـد ارتاحـت إليه المشاهد

---

(١) اليماني : السيف منسوب الى اليمن ، وقصافة من قصف : أي قطع .
(٢) العضب الصقيل : السيف القاطع الماضي .
(٣) الطرف الأول : الكريم الأصل من الخيل والطرف الثاني : النظر .
(٤) الفرند : السيف .

وقال فيه [من المديد] :

قد أتانـي من صديق كلامٌ كلآلٍ وانهـنّ نظام
فسـرى في القلـب منـي سرورٌ مطـربٌ يعجـز عنـه المدام[1]
مثلمـا يرتـاح شيخ بناتٍ حولـه من جمعهـنّ زحام
فدعـا الله طويلاً يرجّى خلفـاً من نسلـه ما يرام[2]
وأتـاه بعـد يأسٍ بشيرٌ قال يا بشـراي هذا غلام[3]

وقال [من الطويل] :

بنفسـي أخٌ قد برّنـي بشكاتهِ ولـم يجعل الحمى دون مالِهِ
فطـاب ثنـاءً بين أثنـاء سقمه كطيب نسيمِ الـريح عنـد اعتلالِهِ
بوديَ لو نفّسـتُ عنـه سقامه بنفسـيَ لو نافستـه في احتماله
فلـم تصـب الأوصـاب راحـة جسمه ولـم تخطـر الأشجـان يومـاً بباله[4]

وقال [من الكامل] :

تمّـت محاسنـه فمـا يزري بها مع فضلـه وسخائـه وكماله
إلاّ قصـورُ وُجـوده عن جوده لا عون للرجـل الـكريم كمالِهِ[5]

***

(١) في الأصول : « فسرى في الفؤاد مني سرورٌ » ولا يستقيم مع وزن البيت .

(٢) في الأصول : « فدعا الله طويلاً يرتجي » ووزن البيت لا يستقيم إلا كما ذكرنا .

(٣) في الأصول : « وأتاه من بعد يأسٍ بشيرٌ » ووزن البيت لا يستقيم مع ما قبله إلاّ بحذف « من » .

(٤) الأوصاب : الأوجاع ، والأشجان : الأحزان.

(٥) قصورِ وجوده : قصور إقامته .

لمع من شعره في المداعبات وما يشاكلها

كتب إلى كاتب له [من المتقارب] :

أبـا جعفـرٍ هل فضضـتَ الصَّدف ... وهـل إذ رميت أصبـت الهدفْ
وهـل جئـت ليلاً بلا حشمةٍ ... لهـول السُّرى سدفـاً في سدفْ[1]

وقال [من المتقارب] :

يريد يوسِّـع في بيته ... ويأبـى به الضّيق في صدره
فتـىً سخـط النصـبُ في قدره ... كمـا رضـي الخفض في قدره

وقال [من مخلع البسيط] :

لنـا صديقٌ يجيد لقما ... راحتنـا في أذى قفاه
مـا ذاق من كسبـه ولكنْ ... أذى قفـاه أذاق فاه

وقال [من مجزوء الكامل] :

يـا من دهـاه شعره ... وكان غضّاً أمردا
سيّـان فاجـأ أمرداً ... في الخـدّ شعـرٌ أم ردى

وقال [من السريع] :

لنـا مغـنٍّ سمـجٍ وجههُ ... أبـدع في القبـح أبازيره[2]
رام غنـاءً فأبـى صوته ... ورام ضربـاً فأبـى زيره[3]

وقال [من الطويل] :

---

(١) الحشمة : الحياء والمسلك المحمود والسُّرى : المسير ليلاً والسُّدف : الظلم .
(٢) السميح : الثقيل الكريه .
(٣) الزير : وتر العود .

هو السـؤل لا يعـطيك وافـر منّةٍ يد الدهـر إلاّ حين أبصرتـه جلدا

* * *

وفي المراثي

قال يرثي أبا بكر بن حامد البخاري [من مخلع البسيط] :

يا بؤس للدهـر أيّ خطب دهـا به النـاس في ابـن حامدْ
قـد استـوى النـاس مذْ تولّى فمـا يرى موقف الحامِدْ
يبـكي علـى فقـده ثلاثٌ العلـم والزهـد والمحامدْ

وله من قصيدة يرثي بها أبا القاسم علي بن محمد الكرخي [من الخفيف] :

هل إلـى سلـوةٍ وصبـرٍ سبيلُ كيف والـرزء ما علمـت جليلُ
فجعتنـي الأيام لمّـا ألمّت بصـديقٍ وَجْـدِي عليه طويلُ(١)
بأبي القاسـم الـذي أقسـم المجـــد يمينـاً أن ليس منـه بديل
كان معنـى الوفـاء والبـرّ إن حا ل زمـانٌ فودّهُ ما يحـول
كان زين النـدى في العلـم والآ داب ترعـى رياضهـنَّ العقول
كان بدر النهـى فحـان أفولٌ كان شمس الحجـى فحـان أصيلُ

ومنها :

خلـقٌ كالـزلال زلّ عن الصخــــر ونفسٌ للعيب عنهـا زليل(٢)
واجتنـابٌ لمـا يعيب من الأمــــر وعـرضٌ عن الدنـايا صقيل
من يكن بعـده العـزاء جميلاً فاجتنـاب العـزاء فيه جميل

---

(١) وجدي : حزني وأسفي .
(٢) زليل : تحوّل وابتعاد .

ومنها :

أيٌّ مرأىً ومنظرٍ لا يهول من خليلٍ عليه تربٌ مهيل[1]
فعليه سلام ذي العرش يهديه إلى حشو قبره جبريل
وأتاه من رحمة الله كفلٌ هو بالخلد في الجنان كفيل[2]

وقال في غلام له توفي في دهستان [من البسيط] :

لي في دهستان لا جاد الغمام لها إلا صواعق ترمي النار والشُّهبا
ثاوٍ ثوى منه في قلبي جوىً ضرمٍ يشبّ كالسيف حدّاً والسنان شبا[3]
دعاه داعي المنايا غير محتسبٍ فراح يرفل عند الله محتسبا
هلال حسنٍ بدا في خوطٍ أسلحة قد كاد يقمر لولا أنه غربا[4]
لو يقبل الموت عنه فديةً سمحت نفسي بأنفس ذخرٍ دون ما سلبا
لكن أبى الدهر أن ترزا فجائعه إلاّ عقائل ما نحويه والنخبا[5]
تراه قد نشبت فينا مخالبه فليس يبقي لنا عِلْقاً ولا نشبا[6]
لئن أناخ على وفري بِنكبته فالدين والعرض موفوران ما نكبا
أقابل المرَّ من أحكامه جلداً بالحلم والصبر حتى يقضيَ العجبا

* * *

(١) ترب مهيل : أي دثر بالتراب ، وأهال التراب على القبر : أي غطاه به .
(٢) الكفل : أي الرحمة المضاعفة .
(٣) ضرم : متّقد ، والشبا : الحدّ القاطع .
(٤) الخوط : الغصن الناعم ، والأسحلة : شجرة تتخذ منها المساويك ، وهي عيدان تنظف بها الاسنان .
(٥) العقائل : النفائس والأشراف ، والنخب ، أي أفضل ما يختاره الانسان .
(٦) العِلق : النفيس الغالي ، والنشب : المال من دراهم وأملاك .

وفي التوجع وشكوى الدهر

قال [من الكامل] :

يـا دهــر ما أقســاك يا دهرُ	لم يحــظ فيك بطائــلٍ حرُّ
أمــا اللئــام فأنــت صاحبُهُمْ	ولهــم لديك العــطف والنصرُ
يبقــى اللئيم مدى الحياة فلا	يرتــاع منــه لحــادثٍ صدرُ
تصفــو له الــدنيا بلا كدرٍ	ويطيعــه في عيشــه اليُسر
فمرامــه سهــلٌ وكوكبُهُ	سعــدٌ وغصــن سروره نضر
وعلــى الــكريم يدٌ يُسلِّطها	منــك الجفــاء المــرُّ والقسر
إن ناب خطــبٌ فهــو عرضتُهُ	يفــريه منــه النــاب والظفر[1]
أو يبــغ معروفــاً لديك غدا	ينحــي عليه حادثٌ نُكر
مرعــاه جَدبٌ والحظــوظُ لهُ	حربٌ وجانــب عيشــه وعر
وجنــاه شوكٌ والبحــور لهُ	وشــلٌ وحشوُ فؤاده جمر[2]
يا دهــر دعْ ظلــم الــكرام فهم	غقــدٌ لنحــرك لو درى النّحر
سالمهــم واستبــقِ ودَّهُمُ	فهــمُ نجــوم ظلامــك الزّهر

وله في النكبة كفاناها الله تعالى [من الوافر] :

جفــونٌ قد تملّكهــا السهاد	وجنــبٌ لا يلائمــه مهــادُ
وأحــداثٌ أصابتنــي وقومي	يذلُّ من الحليم لهــا القيادُ
فقــد شطّــت بنــا وبهــمْ ديارٌ	وفــرَّق جامــع الشّمــل البعادُ[3]
أقــول وفــي فؤادي نار وجدٍ	لهــا ما بين أحشائــي اتّقاد
وللأحــزان في صدري اعتلاجٌ	وللأفــكار في قلبــي اطّراد

---

(١) ناب : حلّ ، يفريه : يقطعه .

(٢) الوشل : الماء القليل .

(٣) شطّت : بعدت .

ألا هلْ بالأحبة من لمامٍ   وهل شملُ السرور بهمْ مُعادُ[1]
ولا والله ما اجتمعت ثلاثٌ   فراقهُمُ وجفني والرقاد
فإنْ تجمعْ شتيت الشمل منَّا   وفي الأيام جورٌ واقتصاد
تنجَّزنا من الأحداث عهداً   أكيداً لا يزاغ ولا يكاد
وكيف يصح للأيام عهدٌ   وشيمتها التغيُّر والفساد

وقال [من المنسرح] :

ما لليالي ولي كأنّ لها   في مهجتي إن لقيتها غرضا
أظنّها قد تراهنت جملاً   في رميها واتخذنني غرضا

* * *

وفي الحكمة والأمثال والزهد

قال في معنى لم يسبق إليه [من السريع] :

كم والدٍ يحرمُ أولادَهُ   وخيره يحظى به الأبعدُ
كالعين لا تبصرْ ما حولها   ولحظها يدرك ما يبعد

وقال في معنى آخر اخترعه [من البسيط] :

لا تمنع الفضل من مالٍ حبيت به   فالبذل ينميه بعد الأجر يدخرُ
والكرم يؤخذ من أطرافه طمعاً   في أن يضاعف منه الأكل والثمرُ

وقوله [من مجزوء الكامل] :

أخوك من إن كنت في   نعمي وبؤس عادلك[2]

---

(١) لمام : لقاء واحتضاء .
(٢) عادلك : هو هنا مؤلف من « عادَلَ » فعلاً ماضياً وضمير المخاطب .

وإن بدا لك منعماً بالبرِّ منه عادلك[1]

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

جامـل النـاس في المعا ش وخـلِّ المزاحمهْ
وتنصّـح وقـل لمن يتعاطـى المـزاح مه[2]

وقوله [من الكامل] :

يشقـى الفتـى بخـلاف كلِّ معاندٍ يؤذيه حتـى بالقـذى في مائه
يهـوى إذا أصفـى الإنـاء لشربه ويروغ عنـه عنـد صبِّ إنائه

وله [من الطويل] :

دع الحرص واقنع بالكفاف من الغنى فرزق الفتـى ما عاش عنـد معيشِهِ
وقـد يُهلِكُ الإنسـان كثـرةُ ماله كما يُذبـح الطـاووس من أجـل ريشِهِ

وقوله [من البسيط] :

أمْتِعْ شبابـك من لهـوٍ ومـن طرب ولا تصـخْ لمـلامٍ سَمْـعَ مكترث
فخير عيش الفتـى ريعـان جدّتهِ فالعمـر من فضـةٍ والشيب كالخبث[3]

وقوله [من الوافر] :

أتـركضُ فـي ميادين التصابي وقـد ركض المشيب علـى الشباب
وتأمـن نوبـةٍ الحدثـان نفسي ومـا نابٌ لهـا عنـي بنابي[4]
وكيف تلـذُّ طعـم العيش نفسٌ غدت أترابهـا تحـت التراب

---

(١) مؤلف من « عاد » ولام الجرّ ، وضمير المخاطب .
(٢) أمه : اسكت وكفّ ، اسم فعل مبني على السكون وقد يكسر فيقال مهِ .
(٣) ريعان جدّته : ريعان شبابه ونشاطه والخبث : النَّجس ، وما لا خير فيه .
(٤) الحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ومصائبه بنابي : بمبتعد ومفارق .

وقوله [من الخفيف] :

قد أبـى لي خضـاب شيبـي فؤادٌ فيه وجـدٌ بكتـم سرّي ولوعُ
خاف أن يعقـب الخضـاب نصولٌ ونصـول الخضـاب سيرٌ بديع

وقوله [من السريع] :

ذو الفضـل لا يسلـم من قدح وإن غدا أقـوم من قِدْح[1]

وقال وقد نظم كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه [من المجتث] :

تقصيرك الـذيـل حقّاً أبقـى وأتقـى وأنقـى

وقال [من البسيط] :

عمـر الفتـى ذكره لا طول مدّتِهِ وموتـه خزيه لا يومـه الداني
فأحـيِ ذكرك بالإحسـان تودعه تجمـعْ بذلك في الـدنيا حياتان

(١) القَدْح : الذمّ ، وأقوم : أكثر استقامة ، والقدح : السهم .

الباب التاسع

في ذكر الطارئين على نيسابور من بلدان شتى على اختلاف مراتبهم

فمنهم من فارقها ، ومنهم من استوطنها

وسياقة الملح من كلامهم سوى من تقدم ذكره منهم في سائر الأبواب

٩٠ ـ أبو عبد الله الوضاحي البشري محمد بن الحسين

شاعر ظريف الجملة والتفصيل ، ورد نيسابور فاستوطنها إلى أن توفي بها ، وله شعر كثير أخرجت منه ملحاً قليلة ، كقوله في وصف الشموع .

وهو معنى مبتذل [من الوافر] :

عرائسُ تستضيءُ بها الكؤوس كأنّ ضياء أوجهها الشموسُ
لنا من حسنها أبداً نعيمٌ لها منه مدى الأيام بوسُ[1]
تذوق الموت ما سلمتْ وتحيا إذا ما قطِّعت منها الرءوسُ

وقوله في الغزل [من الوافر] :

(١) بوس : يعني البؤس خفّفت الهمزة لضرورة الشعر .

بمثـل هـواك تنتهـك الستورُ ويبـدو ما تضمّنـه الضميرُ
يسِـرُّ بمـا يسُـرُّك كلُّ شيءٍ يرى حتـى يسِـرَّ بك السرورُ
ولسـت البـدر لكنْ فيك حسنٌ تلاشـى في دقـائقه البدورُ

وله من أخرى [من الطويل] :

ومـا النـاس إلا الـرقُّ منـه مصاحفٌ ومنـه بأعنـاق النسـاء طبولُ

وله من قصيدة [من الخفيف] :

عالـم الغيب شاهـدٌ أنّ غيبي لك كالظاهـر الـذي ترتضيه
ليس فخـري ولا اعتـدادي بشيء غير أنـي في عالـم أنـت فيه

٩١ ـ أبو طاهر بن الخبز أرزي

قد تقدم ذكره عند ذكر أبيه وعمه ، وكان ـ على انتحاله كثيراً من أشعار أهل عصره ـ شاعراً لا بأس بكلامه ، ونقب في بلاد خراسان ، وأقام بنيسابـور مدة ، ومن شعره السائر بنيسابور قوله لحاكمها [من البسيط] :

كم منْ سعيدٍ علـى الأيام قد نُحِسا وصاعـدٍ قد رمـاه الدهـر فانتكسا
وحـاكمٍ ظنَّ أنّـي دون ثروته مذبـذبٍ فقـرا لي وجهـه عبسا(١)
سنستجـدُّ خلاف الحـالتين فلا أبقـى فقيراً ولا تبقـى لحـكم نسا

وقوله [من الطويل] :

علـيَّ ثيابٌ فوق قيمتهـا الفلس وفيهـنَّ نفسٌ دون قيمتهـا الإنس
فثوبك مثل الشمس من تحتها الدجى وثوبـي مثـل الغيم من تحتـه الشمس

وقوله [من المنسرح] :

---

(١) مذبذب : متردِّد ، « فقرا لي وجهه عبسا » أي عبس وتولّى وهي سورة من سور القرآن الكريم .

وروضـــةٍ راضهـــا النـــدى فغدت   لهـــا من الزّهـــر أنجـــمٌ زهرُ
تنشـــر فيهـــا أيدي الـــربيع لنا   ثوبـــاً من الوشـــي حاكه القطرُ
كأنّمـــا شقّ من شقائقها   علـــى رباهـــا مطـــارفٌ خضرُ
ثـــم تبـــدّت كأنهـــا حدقٌ   أجفانهـــا مـــن دمائهـــا حمرُ

* * *

٩٢ - أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي

ورد نيسابور فأقام بها سنين يشعر ، ثم فارقها إلى جرجان ، وألقى عصاه بها مدة إلى أن سار منها ، فأنشدني الدهخذا أبو سعيد محمـد بن منصـور ، قال : أنشدني الناهي لنفسه في البعوض والبرغوث [من المنسرح] :

لا أعـــذر اللّيل في تطاوله   لو كان يدري ما نحـــن فيه نَقَصْ
لـــي والبـــراغيث والبعـــوضُ إذا   ألحفنـــا حنـــدسُ الظـــلام قِصَصْ[1]
إذا تغنّـــى بعوضـــه طرباً   ساعـــد برغوثـــه الغنـــا فرقَصْ

المعنى جيد وفي اللفظ خلل .

وقوله [من السريع] :

كنـــت إذا أصبحـــتُ في حاجةٍ   أســـتعمـــل التقـــويم والزيجا[2]
فأصبـــح الـــزيـــج كتصحيفِهِ   وأصبـــح التقـــويم تعويجـــا

* * *

(١) ألحفنا : سترنا ، والحندس : الظلام الشديد .
(٢) الزِّيج : في علم الفلك : جدول يدلُّ على حركة الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم .

٩٣ - أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي

أحد أفراد الدهر ، وأعيان العلم ، وأعلام الفضل ، وهـو الإمـام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ ، وعليه درس ، حتى استغرق علمه ، واستحق مكانه ، وكان أبو علي أوفده على الصاحب فارتضاه ، وأكرم مثواه ، وقرب مجلسه .

وكتب إليه في بعض أيامه عنده هذه المعماة ليستخرجها .

ما أسود غريب ، بعيد الدار قريب ، يقدم فحواه على نجواه ، ويتأخر لفظه عن معناه . له طرفان فأحدهما جناح نسر ، والآخر خافية صقر . يلقاك من مياسره سانح[١] ، ومن ميامنه بارح[٢] . تجودك أنواؤه والسنون جماد ، وتسقيك سمـاؤه والعيش جهاد ، بينا تراه على كواهل الجبال ، حتى يتهيّل الرمال[٣] ، قد تجافى قطراه عن واسطته ، وانضم ساقاه على راحلته . يخونك إن وفى لك الشبـاب ، ويفي لك إن جهدك الخضاب ، رفعته رفعة المنابر ، ورفقته رفقة المحابر ، يروي عن الأحمر ، وإن شئت عن يحيى بن يعمر . قد أفضى بك إلى روضة غناء ينعم رائدها ، وشريعة زرقاء يكرع واردها ، أخرجه أبا الحسين ، أسرع من خطفة عين [من الوافر] :

وذاك له إذا العنقـاءُ صارَتْ مربّيةً وشـبَّ ابـنُ الخصيِّ !

ولما استأذنه للصدر وقع في رقعته : لا استدلال يا أخي على المـلال ، أقوى من سرعة الارتحال ، لكنا نقبل العذر وإن كان مرفوضاً ، ونبسطه وإن كان مقبوضاً ، ولا أمنعك عن مرادك ووفاقك . وإن منعت نفسـي مرادهـا بفراقـك ،

(١) السانح : من الطير ما مرّ من يسار الرائي الى يمينه
(٢) البارح : من الطير ما مرّ من يمين الرائي الى يساره .
(٣) يتهيّل : تهيّل التراب والرمل : انهال وتصبّب .

فاعزم على ذلك وفقك الله في اختيارك ، ووصل النجح بإيثارك .

وأصحبه كتاباً إلى خالة أبي علي هذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته ، وتنفيس مهلته ، وأنا سالم ولله حامد، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب ، ولبر الشيخ أيده الله بكتابه الوارد شاكر ، فأما أخونا أبو الحسين قريبه أيده الله فقد ألزمني بإخراجه إلى أعظم منه، وأتحفني من قربه بعلق مضنة[1] ، لولا أنه قلل الأيام ، واختصر المقام ، ومن هذا الذي لا يشتاق إلى ذلك المجلس ؟ وأنا أحوج من كافة حاضرته إليه ، وأحق منهم بالمثابرة عليه ، ولكن الأمور مقدرة ، وبحسب المصالح ميسرة ، غير أنا ننتسب إليه على البعد ، ونقتبس فوائده عن قرب ، وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة حق الشرح بإذن الله ، والشيخ أدام الله عزه يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته ، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبته . ونقتصر على الخطاب الوسط ، دون الخروج في إعطاء الرتب الى الشطط ، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه ، وينبسط إلي في حاجاته، فإنني أظنني أجدر إخوانه بقضاء مهماته ، إن شاء الله تعالى .

وتصرفت بأبي الحسين أحوال جميلة في معاودته حضرة الصاحب ، وأخذه بالحظ الوافر من حسن آثارها ، ثم وروده خراسان ونزوله نيسابور دفعات وإملائه بها في الأدب والنحو ما سارت به الركبان ، ثم قدومه على الشار صاحب غرسسان وحظوته عنده ووزارته له ، ثم وزارته للأمير إسماعيل بن سبكتكين ، ثم اختصاصَه بعده بالشيخ أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني وأبنائه بغزنة ورجوعه منها إلى نيسابور وإقامته بإسفرائين ، ثم مفارقته إياها إلى جرجان واستقراره بها الآن ، ومحله يكبر عن الشعر إلا أن بحر علمه ربما يلقى الشعر على لسان فضله .

---

(١) علق مضنة : النفيس الذي يحرص عليه المرء ، أي أنّه أولاه الرعاية والحرص .

فمما أنشدنيه وحدثينه أن رئيس مرور الروز سأله أن يجيز قول الشاعر [من الطويل] :

سرى يخبط الظلماء والليل عاكفٌ ... غزال بأوقاتِ الزيارة عارف

فقال [من الطويل] :

وما خلتُ أنّ الشمس تطلع في الدجى ... وما خلتُ أنّ الوحش للإنس آلفُ
ولجلج إذ قال السلام عليكم ... ولا عجبٌ إن لجلج القول خائف
وقمت أفديهِ وقلبي كأنّه ... من الرعب مقصوصٌ من الطير جادف[1]
ولما سرى عنه اللثام بدت لنا ... محاسن وجهٍ حسنه متناصف
وطال تناجينا ورقّ حديثنا ... ودارت علينا بالرحيق المراشفُ
ولا غرو أن لا باخلٌ بخياله ... يسامحنا في وصله ويجازف
فيا لك لبلاً قد بلغت به المنى ... يمانعني طوراً وطوراً يساعف
كأنّ يد الأيام عندي بوصله ... أيادي ابن حسانٍ لديَّ السّوالف
إذا ادخر الأموال قومٌ فذخره ... صنائع إحسانٍ له وعوارف
ومن شَغَفَ البيضَ الأوانس قلبُهُ ... فليس له إلاّ المكارم شاغف

وله من قصيدة في الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي العباس الإسفرائيني [من الطويل] :

فتىً ساد في عصر الفتاء وقد حوى ... شتيت العلى من ساد عصر فتائه[2]
يصدّقُ ظنّ المرتجى ويزيدُهُ ... بأدنى لهاه فوق أقصى رجائه
فلا مطله يمتدُّ قدّام نيله ... ولا منّهُ يشتدُّ خلف عطائه[3]

---

(١) جادف : جدف الطائر من باب نصر أي طار وهو مقصوص الجناح .
(٢) الفتاء : أي الافتاء بالشريعة وأحكامها ، وشتيت العلى : أي جوانبه المتفرّقة .
(٣) المطل : من المماطلة في العطاء، والمنّ :العطاء والتكرُّم .

من الشد ، وهو : العدو .

ومنها :

ألا أبلـغِ الشيخ الجليل رسالةً مترجمـةً عن شكره وثنائِهِ
تقلَّبـتُ في نعمـاك عشـراً كواملاً حلبـت بهـن العيش ملء إنائه
وأنقذت شلـوي من يد المـوت بعدما ترامتـه من قدامـه ووارئه[1]
وسببـت لي عيشـاً يسـدّ خصاصتي ووجهـيَ محقـونٌ صبابـة مائه[2]
أأكفـرُ من صغـرى أياديه مهجتي وبلغـة عيشـي من دقـاق حبائه
أعـدت قوى حبلـي وشيَّدت بنيتي وكم رمَّ بانٍ مسـترمٌّ بنائه
وتـربية المعـروف شرط تمامه وهـل تمّ شرطٌ دون ذكر جزائه

الشرط والجزاء في النحو معروفان .

ولا بدّ من سرٍّ إليك أبثُّهُ ففـي نفثـةِ المصـدور بعض شفائِهِ
تمـادى علـيٌّ في الجفـاء ولـم أكنْ خليقـاً بمـا أبـداه لي من جفائه
كأنّـي يومـاً عِقْتُـهُ عن سماحه كأنـيَ يومـاً لُمْته في سخائه ؟[3]
طوى كشحـة من دون عتـبٍ أسرُّهُ وجهـل أمـرىءٍ بالـداء جهـل دوائه[4]
تكدّر بالإدمـان صفـوُ وداده فحاولـت بالإعتـاب عود صفائه
فإن جرّ تخفيفـي علـيٌّ قطيعةً فربّ سقيمٍ سقمـه لاحتمائه

وله من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) الشلو : العضو ، وكلّ مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقيّة .
(٢) الخصاصة : البلغة والحاجة .
(٣) عقته : من عاق : أي منع ، والسماح الكرم مع المروءة ، والسخاء : الكرم .
(٤) طوى كشحه على أمر : أي أخفاه وطوى كشحه عنه : أعرض عن لقائه والكشح ما بين الخاصرة والسُّرة ووسط الظهر .

ولا غصــنُ إلاّ ما حواه قباؤه ولا دعصُ إلاّ ما خبتــه مآزرُه(١)
وأمضــى من السيف المنــوط بخصره إذا شيم سيفٌ تنتضيه محاجرُهُ

وله من أخرى في الأمير خلف [من الطويل]:

ومـا كتبت سطـراً من الوجــد أدمعي لنحــوك إلاّ وهــو بالــدم معجم
وما لي ألقــى في جنابـك غلّةً وحوضــك للعــافين غيري مفعَمُ
وقــد يغتــدي الــورّاد يبغــون نُجعةً فيرزق مرتــادٌ وآخــر يحومُ(٢)

وله من أخرى [من الكامل]:

كم أعقبــت نوب الزمــان جميلاً وكفين خطبــاً قد ألــمّ جليلا
لا تستقــل جميل دهــرك إنّه ليس القليل من الجميل قليلا
واســألْ بي الأيام حين جسسنني بخطوبهــا جسّ الــطبيب عليلا
أقريتهــا لمّــا نزلنَ بساحتي صبــراً علــى ريب الزمــان جميلا

ومنها :

يرعــى محياه الجميل رواؤه ثمــر القلــوب محبّــةً وقبولا
حلــو الــكلام كأنّمــا أنفاسه ألقــت عليه خلقــه المعسولا

ومنها :

يا راكبــاً والجوسقــان قصاره يجفــو مبيتــاً دونــه ومقيلا
قل للأمير إذا سعــدت بوجهه وقضيت حقّ بساطــه تقبيلا
لا تيأســن من الإلــه فروحه إن لم يغــادك بكرةً فأصيلا(٣)

---

(١) القباء : الثوب والخباء ، والدعص : الكثيب من الرمل تشبّه به أرداف المرأة، وخبته المآزر :أي أخفاه الإزار الذي تتشح به المرأة في وسطها .
(٢) النُّجعة : طلب العيش في أماكنه .
(٣) الروح : الفرج ، والكرم ، والرحمة . ويغادك : من الغدو صباحاً ، والأصيل : المساء .

وأَمَــلْ لطــائف صنعــه فلطالما كشف الهمــوم وبلّــغ المأمولا
يا ربَّ مكروهٍ تعــذّر حلُّهُ ليلاً فأصبــح عِقــده محلولا
وملمّــةٍ أعيا نهــاراً خطبها أمســت فسهّــل خطبهــا تسهيلا
ذكّرتــك الصبــر الجميل وإنّني كمــذكّرٍ غزل النسيب جميلا

وله في وصف الفرس من قصيدة [من الكامل]:

ومطهّــمٍ ما كنــت أحســب قبله أنّ الســروج علــى البــوارق توضع[1]
وكأنّمــا الجــوزاء حين تصوّبت لبــبٌ عليه والثــريّا برقع[2]

٩٤ - أبو سعد نصر بن يعقوب

تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة ، والبراعة في الصناعة . وله في الأدب تقدم محمود ، وفي المروءة قدم مشهــورة ، وفــي المعالـي همـة بعيدة ، وشهادة الصاحب له بالفضل ، تسجل بها أحكام العدل . وفيما أحكيه من كتابه إليه في ارتضاء تآليفه ونظمه ونثره ، غنى عن الإسهاب في ذكره ، والإطناب في وصفه .

ولما بعث إلى حضرته بكتابـه المترجـم بروائـع التوجيهـات ، من بدائـع التشبيهات ، مقروناً بكتاب يشتمل على كل صواب ، وقصيدة في فنها فريدة ، ورد عليه كتاب هذه نسخته :

كتابي - أطال الله بقاءك يا ولدي - وقد شارفت أصبهان سالما ، والحمد لله حمداً دائماً . ووصل كتابك أيدك الله فأنبأ من محاسنك عن مجال فسيح ، ونطق في فضائلك بلسان فصيح . وأذكر بحرماتـك وإنهـا لمحصـدة المرائـر . وخبّـر

(١) المطهّم : التام الحسن .
(٢) تصوّبت : انحدرت وهمت ، واللبب : موضع القلادة من الصدر ، أو سير يشدّبه السّرج . البرقع : قناع للدواب .

بقرباتك وإنها لخالصة السرائر . فأما كتاب التشبيهات فقد فرعت به كافة الأشباه[1]، وأنبهت على سبقك كل الإنباه . إذ تعاطاه ابن أبي عون فلم يطاول يدك . وحمزة بن الحسن فلم يبلغ أمدك ، وهذان شيخان مقدمان ، وفحلان مقرمان[2] ، وما ظنك بكتاب نفرته على نظائره[3] ، وصار ألزم لمجلسي من مساوره[4] ، وحين هزني نثرك حتى كأنه نثر الورد ، عطفت على نظمك فإذا هو نظم العقد . وإني ليعجبني أن يكون الكاتب شاعراً ، كما يعجبني أن يكون الشعر سائراً فها نحن ندعيك في فضلاء هذا الصقع ، ونجتذبك اجتذاب الأصل للفرع ، فاكتب متى شئت ، عامراً من الحال ما أسست ، ومستثمراً من الخصوص ما غرست ، إن شاء الله . خاطبت أيدك الله في معنى الضيعة وليس حلها لك بمستنكر ، ولا إطعامك اياها بمستكثر إلا أن الرأي والرسم أوجبا أن يجعل بدء النظر تسويغا ، يعود من بعد تمليكا وتخويلا . فليقبض المرسوم ، لينتظر الموعود، إن الهلال يدور بعد ليال بدراً كاملا ، والطل يكسب ثم يعود وابلا ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله .

ولأبي سعد كتب كثيرة سوى ما تقدم ذكره ، فمنها كتاب ثمار الأنس في تشبيهات الفرس ، وكتاب الجامع الكبير في التعبير ، وكتاب الأدعية ، وحقة الجواهر في المفاخر ، وهي من مزدوجة بهجة في الأمير خلف ، وهو الآن يتولى عمل الفرض والإعطاء بنيسابور ، وإذا احتاج السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة الإجابة عن كتب الخليفة القادر بالله أطال الله بقاءهما اعتمد فيها عليه ، لما يتحققه من حسن كلامه ، وقوة بيانه ، وغزارة بحره ، وشرف طبعه .

وله شعر كثير قد كتبت منه ما حضرني الآن إلى أن الحق به أخواته

---

(١) فرعت به : تجاوزت وافتضضت .

(٢) مقرمان : القرم : السيد .

(٣) نفرته على نظائره : أي فضّلته وقدّمته .

(٤) مساوره : مشاربه ، أو آساده.

فمن ذلك قوله للصاحب من قصيدة أولها [من الوافر] :

أبـى لي أن أبالـي بالليالي وأخشى صرفها فيمـن يبالي
حلولـي في ذري ملكٍ كطودٍ رفيعٍ مشـرف الأعـلام عالي
إلى شمس الشتاء إلى ظلال الـمصيـف إلى الغمام إلـى الهلال
إذا ما جاءه المذعـور يوماً وحـلّ ببابـه عقـد الرحال
تبـوّأ من ذراه خير دارٍ فلـم يخطـر لمـكروهٍ ببال

ومنها عند ذكر القصيدة :

بودّي لو نهضـت بهـا ولكنْ ضعفـت عن الحـراك لضـعف حالي

وله إليه في صدر كتابه [من الرجز] :

نعـم رسـولُ الخـادم المحتشم إلـى الـوزير السيد المحترم
الصاحـب البـرّ الأجـل الاكرم كافـي الكفـاة ولـيِّ النعمْ
مدبّـر الأرض وراعـي الأمم بلّغـه الله أقاصـي الهممْ

* ما في الكتاب من ثمار القلم *

وله من قصيدة إلى أبي محمد الخازن [من الطويل] :

أتانـي كتـاب الشيخ مولاي بغتةً فطـار له غمّي كمـا طاب موردي
وفيه معـانٍ لا تدين لكاتبٍ وتعنـو لعبـد الله أعنـى ابـن أحمد[1]
فأسـكرن حتّـى دونهـا خمـر بابلٍ وأطربـن حتى دونهـا لحـنُ معبد[2]
قرأت سواداً في بياضٍ كأنَّهُ طراز عذارٍ لاح في خدِّ أمرد

وله من أبيات في وصف الزلزلة [من الرمل] :

---

(١) لا تدين : أي لا تخضع ، وتعنوا : تسمع وتطيع .
(٢) معبد : أحد المغنين المشهورين .

أسقني كأساً كلون الذهبِ   وأمزجِ الريق بماء العنبِ
فقدِ ارتجَّتْ بنا الأرض ضحىً   كارتجاج الزئبق المنسرب
وكأنّ الأرض في أرجوحةٍ   وكأنّا فوقها في لولبِ

وقوله في كسوف القمر [من الرجز] :

كأنّما البدر به الكسوف   جامُ لجينٍ رائقٍ نظيف[1]

* في نصفه بنفسج قطيف *

***

٩٥ - أبو نصر سهل بن المرزبان

أصله من أصبهان. ومولده ومنشؤه قاين ومستوطنه الآن نيسابور وهو غرة في جبهة عصره ، وتاج على رأس أهل مصره ، وخارج بمحاسنه وفضائله عن المعتاد، إلى ما لا يدرك بالاجتهاد . واقف من الآداب على أسرارها ، قاطف من العلوم أحلى ثمارها ، وبلغ من غلوه في محبتها ، وشدة حرصه على اقتناء كتبها . أن ركب إلى قرارتها بغداد الشقة ، وتحمل فيها المشقة ، ولم يرض بذلك مرة ، حتى كر إليها كرة ، ليس له بها غير الأدب أرب ، ولا سوى الكتب طلب ، أنفق على تلك الفوائد ، من الطارف والتالد ، ما عوضه عنه صنوف المحامد ، وقديما قيل :

إنفاق الفضة ، على كتب الآداب ، يخلفك عليها ذهب الألباب .

وليس اليوم بنيسابور ديوان شعر غريب يجري مجرى التحف ، ولا كتاب جديد يشتمل على بدائع الطرف ، إلا ومن عقده انتثر ، ومن يده انتشر ، ولا بها سواه من تسمو همته على يساره ، لارتباط الوراقين في داره ، وله من مؤلفاته كتاب

(١) جام لجين : الجام : إناء ، واللّجين الفضة .

أخبار أبي العيناء وفيه يقول [من الهزج] :

تفاءلـتُ علـى علمٍ بأخبـار أبـي العينا
إذا ما قرأ القاري بهـا قرَّ بهـا عينا

وله كتاب أخبار ابن الرومي مما ألفه لي ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ، وكتاب ذكر الأحوال في شعبان وشهر رمضان وشوال ، وكتاب الآداب في الطعام والشراب ، وله شعر كثير النكت ، وقد كتبت أنموذجا منه ، كقوله [من الكامل] :

كم ليلـةٍ أحييتهـا ومؤانسي طرفُ الحـديث وطيبُ حثِّ الأكؤسِ
شبَّهـتْ بدرِ سمائهـا لمـا دنتْ منـه الثـريا في قميصٍ سندسي
ملـكاً مهيبـاً قاعـداً في روضةٍ حيّاه بعض الزائـرين بنرجس

وقوله [من الرمل] :

قـال لمـا قلـت لم تهجرنا إن أتـى بردٌ وإن ثلـجٌ وقَعْ
أنـا كالحيّة أشتـو كامناً ثم أنسـاب إذا الصيف رجعْ

وقوله لبعض الرؤساء [من المتقارب] :

إذا ما سكت علـى ما أسأم فنفسـي بتكليفـه لا تفي
وإمّـا نطقـت فعيبٌ يمضٌّ ولـومٌ يجـدُّ ولـم أنصفِ[1]
فهـل من سبيلٍ إلـى ثالثٍ لأسلـكه وهـو عنـي خفي

وقوله [من البسيط] :

لم ألـق مثـل أبـي بكرٍ معدلكم في الآدميين شبانـاً ولا شيبا
حكى علـيَّ أحاديثـاً أكاذيباً وفـي اختـلاس حقوقـي قد حكى ذيبا

---

(١) في ب « وإذا ما نطقت فعيبٌ يمضّ » ولا يستقيم الوزن ، إلاّ بحذف « إذا » .

وقوله [من الطويل]:

تسبّ صديقي في المجالس عائباً ... ومن عابه يوماً كمن هو عائبي
فدع مثل هذا جانباً في الملاعب ... وإلاّ فدعني مثله في الملاعبِ

وقوله في لدغة عقرب أصابته [من الطويل]:

تداويت من أوجاع لدغٍ أصابني ... براحٍ شفتني من سموم العقارب
فحمداً للطف الله حين أزالها ... ومن بعده حمدٌ لفعل العقاربي

وله في كتاب الذخيرة [من المتقارب]:

إذا أنت عالجت ذا علّةٍ ... فخذ للعلاج كتاب الذخيره
فنعم الذخيرةِ للمقتني ... ونعم الغياث لنفسٍ خطيره

وله [من السريع]:

لا تجزعن من كلِّ خطبِ عرى ... ولا تُرِ الأعداء ما يُشمِتُ
أما سمعت الله في قوله ... (إذا لقيتم فئةً فاثبتوا)

وقوله [من المتقارب]:

مجاوزة الحدّ والاعتدال ... إلى ما يقود المنايا سريعه
فلا تفرطن في جميع الأمور ... فكلٌ كثيرٍ عدوٌ الطبيعة

وقوله [من الطويل]:

تجنَّبْ شرار الناس واصحب خيارهُمْ ... لتحذوهم في جلِّ أفعالهم حذوا
فإنّ لأخلاق الرجال وفعِلهِمْ ... إلى غيرهم عدوى توافيهم عدوا[2]

---

(١) فعل العقار بي : أي فعل الخمرة وأثرها .
(٢) توافيهم عدواً : أي تأتيهم مسرعة .

وكتب إليه مؤلف هذا الكتاب يحاجيه [من الرجز] :

حاجيت شمسَ العلـم فرد العصْرِ نديم مولانـا الأمير نصرِ
ما جاجـةٌ لأهـل كلٍّ مصرِ في كلّ ما دار وكلٍّ قصرِ

يباع في الأسواق بعد العصر

فكتب إليه [من الرجز] :

يا بحـر آدابٍ بغير جزر وحظـه في العلـم غير نزر
حزّرت ما قلـت وكان حزري أنّ الـذي عنيت دهـن البزر

* يعصره ذو قوةٍ وأزر *

***

٩٦ - أبو محمد الحسن بن أحمد اليروجردي

كاتب بحقه وصدقه ، متبحر في ترسله ، منقطع القرين في كتاب عصره ، آخذ بأزمّة الكلام البارع يقودها كيف أراد ويجذبها كيف شاء ، قد خدم الصاحب في عنفوان شبابه ، وتأدب بآدابه، واختص به ، وراض طبعه على أخذ نمطه ، ومن جانبه وقع إلى بلاد خراسان فاشتهر بها ، وسار كلامه فيها ، وهو الآن صدر كتاب الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي ، ولعل ما قد ارتفع من سواد رسائله إلى هذه الغاية يقع في أربعة آلاف ورقة وتزيد أبوابها على خمسة وعشرين، وله محاضرة حسنة مفيدة . وشعر كتابي كثير المحاسن مستمر النظام ، ومن أوائله أن الصاحب اتهم بعض المرد في مجلسه بسرقة كتبه ، فقال [من المجتث] :

سرقْـتَ يـا ظبـيُ كتبِي ألحقـت كتبـي بقلبي

وأمر أبا محمد بإجازته فقال [من المجتث] :

فلـو فعلـت جميلاً رددت قلبـي وكتبي

وأنشدني بحضرته يوما هذان البيتان [من المديد] :

يا نسيم الريح من بلدٍ خبِّري بالله كيف هُمُ
ليس لي صبرٌ ولا جلدٌ ليت شعري كيف صبرُهُمُ

فأمره بإجازتهما ، فقال [من المديد] :

ولسانُ الدمع يشهد لي وهو ممّنْ ليس يتهم

ومن ملحه قوله [من الخفيف] :

قد سمعنا بكل آبدةٍ نكـ راء تبلى بمثلها الأحرارُ
وغفرنا الجميع للدهر لكن ما سمعنا بكاتبٍ يستعارُ

وقوله في حوض لبعض الرؤساء [من الكامل] :

حوضٌ يجود بجوهرٍ متسلسلٍ ساد الجواهر كلَّها بنفاستهْ
لا زال عذباً جارياً ببقاء من هو مثله في طبعه وسلاستِهْ

وقوله من مزدوجة كتب بها إلى أبي سعد نصر بن يعقوب [من الرجز] :

أهلاً بمن أهدى إلينا الجُونه ولا عدمنا أبداً مجونه[1]
فقد أعاد منزلي خصيباً وازددت في الخير به نصيبا
فمن فراخٍ رخصةٍ مسمَّنه قد جعلت برسمها مطجنه
وباقلاء كالليالي عظمتْ معقودةٌ في سلكها قد نظمتْ
إذا التقطت حبّها من الأقط حسبتني بها اللآلي ألتقط[2]
وبعضها في خلّه منقوعُ جوع الفتى بطيبه مدفوعُ

(١) الجَوْنة : الخابية ،والجُونة :سلة صغيرة مغطاة بالجلد يوضع فيها الطيب ،وهي المقصودة،والمجون : التظرُّف والمداعبة .

(٢) الأقط : الجبن .

وفلكٍ بالـروع يدعـى رازي — خطفتـه باللقـم خطف البازي
وبعـد هذا كلّـه شهـد العسل — ينـزع عن ذائقـه ثوب الكسل
شكرت مولاي علـى ما حمّلا — ولا يسـاوي كلّ هذا جملا

وكتب إلى صديق له [من الوافر] :

بسـاط الأرض مسـكٌ أو عبيرُ — وزهـر الـروض وشـيٌ أو حريرُ
وللعيدان عيدانٌ عليها — بمنطـق طيرهـا بمٌّ وزير[١]
وقـد صفّـى الزمـان الخمـر حتى — لقـد عادت لدينـا وهـي نور
ومـن يردِ السـرور يعشْ هنيئاً — إذ العيش الهنـيء هو السرور
وعنـدي اليوم فتيانٌ كرامٌ — وجوههـم شمـوسٌ أو بدور
وقطـب الأمـر أنـت وهـل لأمرٍ — بغير القطـب فيه رحـىً تدور[٢]
فرأيك في الحضـور فحـقٍّ يومي — عليك وقـد دعيت له الحضور

وكتب إلى آخر [من مخلع البسيط] :

حضـرتُ مولاي للسلام — وقـت الضحـر وهـو في المنام
فقلـت هذا دليل صدقٍ — عنـدي علـى جودة المدام
والعتـب في تركه دعاني — إليه في جملـة الندام

كتب [من المنسرح] :

يوم الثلاثـا للسـرور فلا تكُنْ — عنـه بغير السـرور مشتغلا[٣]
والدهـر في غفلـة وعيشـك لا — يطيب إلاّ والدهـر قد غفلا
عجّـلْ وبـادر بدار مغتنمٍ — فالدسـت والله لأمـري عجلا

---

(١) البم والزير : من أوتار العود .
(٢) قطب الأمر : أي صاحبه ومالكه ،والرحى : المطحنة .
(٣) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .

وله في سكين [من مخلع البسيط] :

سكينٌ عزٍّ لمن مداه في العزّ يغنيه عن مداه
فلو سطا ضاربٌ بعود لعاد سيفاً على عداه

***

٩٧ ـ أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي

هو لمحاسن الأدب وبدائع النثر ولطائف النظم ودقائق العلم كالينبوع للماء ، والزند للنار ، يرجع معها إلى أصل كريم ، وخلق عظيم .

وكان فارق وطنه الري في اقتبال شبابه . وقدم خراسان على خاله أبي نصر العتبي ، وهو من وجوه العمال بها وفضلائهم ، فلم يزل عنده كالولد العزيز عند الوالد الشفيق ، إلى أن مضى أبو نصر لسبيله ، وتنقلت بأبي النصر أحوال وأسفار في الكتابة للأمير أبي علي ، ثم للأمير أبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي ، ثم النيابة بخراسان لشمس المعالي ، واستوطن نيسابور ، وأقبل على خدمة الآداب والعلوم .

وله كتاب لطائف الكتاب وغيره من المؤلفات . وله من الفصول القصار شيء كثير ، كقوله :

تعز عن الدنيا تعز ، الشباب باكورة الحياة ، للهم في وخز النفوس ، أثر النفوس في خزّ السوس ، لسان التقصير قصير .

ولا بأس أن أورد أنموذجاً من سائر نثره البهج . وكلامه الغنج الأرج .

رقعة في إهداء نصل

خير ما تقرب به الأصاغر إلى الأكابر . ما وافق شكل الحال ، وقام مقام الفال ، وقد بعثت بنصل هندي إن لم يكن له في قيم الأشياء خطر ، فله في قمم

الأعداء أثر ، والنصل والنصر أخوان ، والإقبال والقبول قرينان والشيخ أجل من أن يرى إبطال الفال ، ورد الإقبال .

رقعة في الاستزارة يوم النحر

أمتع الله مولاي بهذا العيد واليوم الجديد ، وأطال بقاءه في الجد السعيد والعيش الرغيد . هذا يوم كما عرفه التاريخ العام ، وغرة الأيام ، قد قضيت فيه المناسك ، وأقيمت المشاعر ، وأديت الفرائض والنوافل ، وحطت عن الظهور بها الآصار والمثاقل[1] ، فالصدور مشروحة ، وأبواب السماء مفتوحة والرغبات مرفوعة ، والدعوات مسموعة . وليت المقادير أسعدتنا بتلك المواقف الكرام والمشاعر العظام ، فنحظى بعوائد خيراتها ، ونستهم في محاسن بركاتها ، وإذ قد فاتنا ذاك فما أحوجنا إلى أن نحرم من ميقات الطرب . ونغتسل من دنس الكرب ، ونلبس إزار المجون ، ونلبي على تلبية الأوتار ، ونطوف بكعبة المزاح ، ونستلم ركن النشاط ، ونسعى بين صفاء القصف ومروة العزف ، ونقف بعرفة الخلاعة ، ونرمي جمرات الهموم ، ونقضي تفث[2] الوساوس ، ونضحي ببدن الأفكار في العواقب[3] ، فإن رأى أن يتفضل بالحضور ، لتتميم حجة السرور ، فعل إن شاء الله .

رقعة في خطبة الود

أنا خاطب إلى مولاي كريمة وده ، على صداق قلب معمور بذكره ، مقصور على شكره . معترف بفضله ، عالم بتبريز خصله . على أن أصونها من غواشي

---

(١) الآصار : جمع إصر : وهو الذنب والإثم .
(٢) النفث : ما يلقيه الشيطان في قلب الانسان .
(٣) البدن : الضحية في مكة المكرمة كالبقرة والناقة والشاة .

الصدر في سجوف[1] . وأمسكها مدى الدهر بمعروف ، وأنحلها من عادة الرفق ، ودماثة الخلق ، ووطاءة الجناب ، ولطافة العشرة والاصطحاب ، ما لا تكتسي معه نفوراً وانقباضاً ، ولا تشتكي نشوزاً وإعراضاً ، فإن وجدني مولاي كفؤاً له بعد أن جئت راغباً ، وبلسان الخطبة خاطباً ، أنعم بالإسعاف ، وجعل الجواب مقدمة الزفاف ، حامياً به ديباجه السؤال. عن خجلة الرد ووصمة المطال ، وقد قدمت بين يدي هذه النجوى صدقة ، طلبا للتحاب لا على حكم الاستحقاق والاستيجاب ، ومهما أنعم مولاي بقبولها أيقنت استكفاءه إياي لوده ، واستغرقت الوسع والإمكان في شكره . والتحدث بعظيم بره ، إن شاء الله تعالى .

وله كتاب

هذا كتاب من ديوان العتب والاستبطاء ، إليك يا عامل الصدود والجفاء .

أما بعد ، فقد خالفت ما أوجبه التقدير فيك ، وأخلفت ما وعده الظن بك ، وافتتحت ما توليته من عمل الوداد بهجران أطار وادع القرار . وأودع القلب أحر من النار . وتعقبته بخلع عذار الوفاء أصلاً ، ومعاقرة ندمان الجفاء نهاراً وليلاً . وشغلك خمر الهجران ، وخمار النسيان ، عن ترتيب أمور المودة وتهذيب جرائد الوصال والمقة[2]، واستعراض روزنامجة الكرم ، واسترفاع ختمات العهد المقدم ، وتأمل مبلغ الورد والإخراج من الود ، وتعرف مقدار الحاصل والباقي من أثر الرعاية في القلب ، وسلطت أيدي خلفائك ، وهم عدة من إعراضك وصدك وجفائك ، على رعية النفس وهي التي جعلت أمانة عندك ووديعة قبلك ، فأسرفوا في استيكالها ، وهموا باجتياحها واغتيالها ، غير راع لحرمة الثقة بك ، ولا واف بشرط الاعتماد عليك ، ولا قاض حق الإيثار لك، والاستنامة إليك[3] ، ولا ناظر

---

(١) السُجوف : الستور .

(٢) جرائد الوصال : مقالاتها ،والمقة : المحبة .

(٣) الإستنامة : الاستئناس والسكون .

لغدك إذا استعدت إلى الباب ، وطولبت برفع الحساب ، واستعرضت جريدة أفعالك ، واستقريت صحيفة أعمالك ، هنالك يتبين لك ما جنى عليك سوء صنيعك ، وما الذي جاش إليك فرط تضييعك ، فتصحو تارة عن سكرة جفائك ، وتسكر أخرى عن سورة أحبائك ، وكم تقرع من ندم اسنانك ، وتعض من سدم بنانك[1] .هيهات! لا ينفع اذ ذاك إلا القلب السليم ، والعهد الكريم ، والعمل القويم ، والسنن المستقيم ، ومن لك بها وقد سودت وجوه آثارك ،وتلقيت امانة العهد بسوءجوارك ،وقبح إخفارك، ولولا التأميل لفيأتك وارعوائك ، وانتهائك عن تماديك في غلوائك لأتاك من أشخاص الإنكار ما يقفك على صلاحك ، ويكفك عن فرط جماحك ، فاجلُ أعزك الله الغشاء عن عين رعايتك ، واطرح القذى عن شرب مخالصتك ، وارع ما استحفظته من أمانة الفؤاد ، واعلم بأنك مسئول عن عهدة الوداد ، واكتب في الجواب بما نراعيه منك ، وتعذر إن كان فيما أقدمت عليه لك ، إن شاء الله تعالى .

رقعة استزارة

هذا يوم رقت غلائل صحوه ، وخنثت شمائل جوّه ، وضحكت ثغور رياضه ، واطرد زرد الحسن فوق حياضه . وفاحت مجامر الأزهار ، وانتثرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار . وقام خطباء الأطيار . فوق منابر الاشجار ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح ، في بروج الأقداح ، وقد سيبنا العقل في مرج المجون ، وخلعنا العذار بأيدي الجنون . فمن طالعنا بين هذه البساتين وأنواع الرياحين ، طالع فتياناً كالشياطين ، ونصارى يوم الشعانين ، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك ، والمروة التي قصر عليها أصلك وفرعك ، إلا تفضلت بالحضور ، ونظمت لنا بك عقد السرور .

---

(١) السّدم : الغضب والندم والحزن .

رقعة أخرى

أمتع الله الشيخ بعنوان الشتاء ، وباكورة الديم والأنواء . وهنأه الله اليوم الذي هو نسخة جوده ، ومجاجة ماء أرواه الله بماء المجد من عوده[1] . وعرفه من بركاته ، أضعاف قطر السماء بأقطاره وساحاته ، وأضحك قلوبنا ببقائه ، كما أضحك الرياض بأندائه ، وحجب عنه صروف الأيام ، كما حجب السماء عنا بأجنحة الغمام ، قد حضرني أيد الله الشيخ عدة من شركائي في خدمته ، فارتحت لاشتراكهم إياي فيما آدرعته من فضل نعمته[2] ، وأشفقت من سمة التقصير لديه ، فقدت هذه الرقعة جنيبة عذر بين يدي عارض التقدير إليه ، وفي فائض كرمه ما حفظ شمل الأنس على خدمه ، لا زال مأنوس الجناب ، بالنعم الرغاب ، مأهول المعاهد ، بالقسم الخوالد .

فصل في الإنكار على من يذم الدهر

عتبك على الدهر داع إلى العتب عليك ، واستبطاؤك إياه صارف عنان اللوم إليك ، فالدهر سهم من سهام الله منزعه عن مقابض أحكامه ، ومطلعه من جانب ما حررته مجاري أقلامه . والوقيعة فيه بمرس بحكم خالقه وباريه ، ومجاري الأشياء على قدر طباعها ، وبحسب ما في قواها وأوضاعها . ومن ذا الذي يلوم الأراقم على النهش بالأنياب ، والعقارب على اللسع بالأذناب ، وأنى لها أن تذم ، وقد أشربت خلقتها السم ، وحكم الله في كل حال مطاع ، وبأمره رضى واقتناع ، فاعف الزمان عن قوارص لسانك ، واضرب عليها حجاب الحرص بأسنانك ، واذكر قول النبي ﷺ « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » وعليك بالتسليم ، لحكم العلي العظيم ، فذلك أحمد عقبى ، وأرشد ديناً ودنيا .

---

(١) مجاجة الماء : عصارته ، وعوده : أي عطائه .

(٢) ادرعته : أي اتخذته درعاً فيه حمىً ووقاية .

رقعة إلى صديق له قامر على كتب لها خطر فقمر

المحن ـ أيدك الله ـ معلقة بين جناحي تقدير، وسوء تدبير. فأما التي تطلع من جانب المقدار، فالمرء فيه معفى عن كلفة الاعتذار، وأما التي أوكتها يده ونفخها فوه[١]، فليس لخرقها أحد يرفوه[٢]. وفي فصوص الأفلاك الدائرة، ما يغني عن فصوص العظام الناخرة، اللهم إلا إذا عميت عين الاختبار، وصمت أذن الروية والاعتبار، والله ولي الإرشاد إلى طريق الصواب والسداد. وبلغني ما كان من خطارك بما اعتددته غرة الغرر، ودرة الدرر. ونهبة الأدب، وزبدة الحقب. حتى قمرته الأيدي الخاطفة، واختطفته الأطماع الجارفة، فأعدمت من غير لص قاطع، وأصبت بغير موت فاجع. فيا له من غبن يلزم المغرم، ويحرق الأرم. ويقطع البنان، ويحير العين واللسان، نعم يا سيدي قد مسني من القلق لسوء اختيارك، وقبح آثارك، ما يمس من يراك بضعة من لحمه، ودفعة ن دمه، ولا يميزك عن نفسه، في حالتي وحشته وأنسه، لكن من طباع النفوس الناطقة أن تنفر عمن يسيء النظر لذاته، وتذهب عمن يعمل الفكر في مصالح أموره وجهاته. ومن غفل عن صلاح نفسه فهو أغفل عن صلاح من سواه، ومن عجز عن تدبير ما يخصه فهو أعجز عن تدبير من عداه. والله يلهمك الصبر على ما جنته يدك، ويدرعك السلوة عما أورطتك فيه نفسك، ويجعل هذه الواحدة منبهة لك من سنة الضلال، ومزجرة عن سنة الجهال. وبعد فلم ينقص من عمرك ما أيقظك، ولا ذهب من مالك ما وعظك، فإياك ان يطمعك اللجاج في معاودة تلك الخطة الشوهاء[٣] فإنها تأخذ منها أكثر مما تعطيك، وتسخطك فوق ما ترضيك، وإن يرد الله بك خيراً يهدِك، ويسعدك بيومك وغدك.

* * *

(١) يشير بهذه الفقرة إلى مثل لهم، وهو قولهم: «يداك أوكتا وفوك نفخ» وأوكى الوعاء: شدّه بالرّباط.

(٢) الخرق: الفتحة، ويرفوه: يصلحه.

(٣) اللجاج: الإلحاح في الطلب.

ملح وغرر من شعره

قال [من الوافر] :

لـه وجـهُ الهـلال لنصف شهرٍ وأجفـانٌ مكحّلـةٌ بسحرِ
فعنـد الابتسـام كليل بدرٍ وعنـد الانتقـام كيوم بدر[1]

وقال [من الوافر] :

بنفسـي من غدا ضيفـاً عزيزاً علـيَّ ، وإن لقيت به عذابا
ينـال هواه من كبـدي كباباً ويشـرب من دمـي أبـداً شرابا

وقال [من الطويل] :

أيا ضرَّةَ الشـمس المنيرة بالضحى ومن عجزت عن كنهها صفة الورى[2]
عذرتـكِ إنْ لم أحـظ منـك برؤيةٍ فأنت لعمري الـروح والـروح لا ترى

وقال [من البسيط] :

لي شادنٌ ما أطيق الدهـر هجرتَهُ أمَّـنْ يجرعنـي داءً يداويني
شمسٌ تظلِّلنـي ، نجـمٌ يضلِّلني ماءٌ يسكّرنـي ، راحٌ تصحيني

وقال [من البسيط] :

إنّـي أضـنٌ بحبّيه علـى سقمي وليس والله داء الحـبٌ بالأمم
قال الـطبيب اقتصـد يومـاً فقلـت له أخشـى خروج هواه مع خروج دمي

وقال [من الوافر] :

(١) يوم بدر : يوم انتصار المسلمين على الأعداء في أول معركة مواجهة .
(٢) ضرّة الشمس : شبيهتها ، والضرّة هي المرأة الثانية التي يتزوجها الرجل مع ابقاء الأولى في عصمته
والكنه : المعرفة والاحاطة .

فتــكت بمهجتــي عمــداً ، فهلاّ طويت الجــرم في ثنــي اعتذاركْ
أرى نار الصــدود علــى فؤادي فمــا بال الدخــان علــى عذارك

وقال [من الطويل] :

بنفســي مَنْ نفســي لديه رهينةٌ يجرّعهــا صبــراً ويمنعهــا الصبرا
أغــارَ علــى قلبــي فلمــا استباحَهُ أغــار علــى دمعــي فنظَّمــه ثغرا

وقال [من الطويل] :

وقائلــةٍ ما بال خدّك كلّما رآنــيَ يلقانــي بصفــرة جلبابِ
فقلــت كذا بدر السمــاء إذا بدا أفـاض على الغبـراء صفــرة زرياب

وقال [من الكامل] :

عجبــتْ لفاقــع سحنتــي ومدامعي منهلّــةٌ ، ورأتــه قبــلُ مورَّدا
فأجبتهــا لا تعجبِــنَّ فإنّه يصفــرُّ لون الزعفــران من الندا

وقال [من الكامل] :

يا ذا الــذي فتــن الــورى وبوجهه أحيا رسومــاً للمحاســن عافيه[1]
يحــكي محياه خلال عذارِه علــم السلامــة في طراز العافيه

وقال [من المتقارب] :

إذا رمــتَ من سيِّدٍ حاجةً فراعِ لديه الرضــا والغضبْ
فــإنِ التهجُّــم ليلُ المنى وإنّ الطلاقــة صبــحُ الأدب

وقال [من الكامل] :

لا تحسبــنّ هشاشتــي لك عن رضىً فوحــقٌ فضــلك إنّنــي أتملّقُ

---

(١) عافيه : دارسه وممحيّة .

ولقـد نطقـت بشـكر برّك مفصحاً ... ولسـانُ حالـي بالشـكاية أنطقُ

وقال [من الطويل] :

شكرتـك طول الدّهـر غير مقابلٍ ... ندىً لك ، بل جرياً علـى طول منتي
ومـن لك بالطـرف الجـواد بمسكه ... بلا سنبـلٍ يرعـاه في أرض تبَّتِ

وقال [من المتقارب] :

أدلّ علـى ثقـة بالهوى ... وقلـبٍ تضمَّـن صفـو المقه
فـلا تنـكرنّ دلالاً له ... فإنّ الـدلال دليلُ الثقه

وقال [من الكامل] :

أدّى الخـلاف لك الخـلاف تشابهاً ... وكلاهمـا في الاختيار ذميمُ
لو كان خيراً في الخـلاف لزانه ... ثمـرٌ، ولـكنّ الخـلاف عقيمُ

وقال [من البسيط] :

الله يعلـم أنّـي لسـتُ ذا بخل ... ولسـت مطّلبـاً في البخـل لي عللا
لكنّ طاقـة مثلـي غير خافيةٍ ... والنمـل يعـذر في القـدر الـذي حملا

وقال [من البسيط] :

ما أنت في الأخذ من دون العطاء سوى ... صابـونِ غاسلـةٍ معنـىً ومرتسما
فمـا ترى دسمـاً يومـاً بظاهره ... ودأبـه أبـداً أن يغسـل الدّسما

وقال [من الكامل] :

لمـا سئلـت عن المشيب أجبتُهمْ ... قول امـرىءٍ في أمـره لم يمذق[1]
طحـن الزمـان بريبـه وصروفه ... عمـري فثـار طحينـه في مفرقي

(١) لم يمذق : لم يوارب ولم يخالف الحقيقة .

وقال [من الكامل] :

شيبي عزيزٌ غير أنَّ شبيبتي علقٌ كريمٌ لا يجاوزه الأملْ
من ذا الذي ساوى سواد لحاظه ببياض عينيه وحسبُك ذا المثل

وقال [من الطويل] :

تعلّمْ من الأفعى أمالي طبعها وآنسْ إذا أوحشت تعفُ عن الذَّمِ
لئن كان سمٌّ ناقعٌ تحت نابها ففي لحمها ترياقُ غائلة السُّمِ

وقال [من البسيط] :

يا من يقابل ديناري بدرهمه أقصِرْ فدعواك طاووسٌ بلا ريش
وأيُّ عيبٍ لعين الشمس إنْ عميتْ أو قصّرت عنه أبصار الخفافيش

وقال [من الطويل] :

عليك بإغباب الوصال فضدُّهُ يعيد حبال الودّ منك رثاثا[1]
ولو كَلِفَ الإنسان رؤية وجهه لطلَّقهُ بعد الثلاث ثلاثا

وقال [من الطويل] :

أظنُّ زمان السوء قارف أبنةً فإني أراه يتبع العلج والغمرا[2]
زففتُ إلى دهري عروس كفايتي فطلّقها قبل الدخول بها عشرا

وقال يعزي الشيخ أبا الطيب سهل بن أحمد بن سليمان عن ابنه [من البسيط] :

من مبلغٍ شيخ أهل العلم قاطبةً عنّي رسالة محزونٍ وأوّاهِ
أولى البرايا بحسن الصبّر ممتحناً من كلِّ فتياه توقيعٌ عن اللهِ

(١) إغياب الوصال : أي اللقاء فترة بعد فترة ، الرثاث : أي رثاً بالياً .
(٢) قارف : قارب ، الأبنة : العيب والحقد ، والعلج : الحمار الأحمق ، والغمر : الجاهل .

وقال [من البسيط] :

عليك عند اعتراض الهمِّ بالقدح فإنَّه أبداً قدّاحةُ الفرح

وقال [من الرجز] :

عبس لما أن مسست نقله كأنّني نزعت منه مقله

وقال له يوماً أبو الفتح البستي : يا شيخ ، ما تقول في الكرنب ؟ فقال مرتجلا :

* أطعمه إن لم يكن كرى بي *

***

٩٨ ـ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

من أعاجيب الدنيا ، وذلك أنه من الفاراب إحدى بلاد الترك ، وهو إمام في علم لغة العرب ، وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي ، ثم هو من فرسان الكلام ، وممن آتاه الله قوة وبصيرة ، وحسن سريرة وسيرة ، وكان يؤثر السفر على الوطن ، والغربة على السكن والمسكن، ويخترق البدو والحضر ، ويدخل ديار ربيعة ومضر ، في طلب الأدب ، وإتقان لغة العرب . وحين قضى وطره من قطع الآفاق ، والاقتباس من علماء الشام والعراق ، عاود خراسان ، وتطرق الدامغان ، فأنزله أبو علي الحسن ابن علي ـ وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء ـ عنده وبذل في إكرام مثواه وإحسان قراه جهده . وأخذ من أدبه وخطه حظه ، ثم سرحه بإحسان إلى نيسابور فلم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف ، والدفاتر اللطائف ، حتى مضى لسبيله ، عن آثار جميلة ، وأخبار حميدة .

وله كتاب الصحاح في اللغة ، وهو أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة ، وأقرب متناولا من مجمل اللغة ، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد

النيسابوري وعنده الكتاب بخط مؤلفه [من المنسرح] :

هذا كتابُ الصحاح سيِّدُ ما صُنِّف قبل الصحاح في الأدب
يشمل أنواعه ويجمع ما فُرِّق في غيره من الكتب

وللجوهري شعر العلماء ، لا شعر مفلقي الشعراء ، وأنا كاتب من لمعه ما أنشدنيه أبو سعد بن دوست وإسماعيل بن محمد ، فمن ذلك قوله [من السريع] :

لو كان لي بدٌّ من الناس قطعت حبل الناس باليأس
العزُّ في العزلة لكنَّهُ لا بدّ للناس مـن الناس

وقوله من نتفة [من الوافر] :

فها أنا يونس في بطن حوتٍ بنيسابور في ظلل الغمام
فبيتي والفؤاد ويوم دجنٍ ظلامٌ في ظلامٍ في ظلام

وقوله [من المتقارب] :

رأيت فتىً أشقراً أزرقا قليل الدماغ كثير الفضول[1]
يفضل من حمقه دائماً يزيد بن هندٍ على ابن البتول

وقوله [من السريع] :

يا صاحـب الدّعـوة لا تجزعنْ فكلُّنـا أزهـد من كرز
والمـاء كالعنبـر في قومسٍ من عزّه يجعـل في الحرز
فسقِّنـا ماءً بلا منّةٍ وأنـت في حلٍّ من الخبز

***

(١) الفضول : الحشرية والتطفُّل .

٩٩ - أبو منصور أحمد بن محمد اللجيمي

أديب كاتب شاعر ، خدم الصاحب ومدحه ورثاه ، ووقع من الدينور إلى نيسابور فتصرف بها وتأهل ، ومما أنشدنيه لنفسه قوله [من البسيط] :

وقفتُ يوم النوى منهم على بعد ... ولم أودعهُمُ وجداً وإشفاقا
إنّي خشيت على الأظعان من نفسي ... ومن دموعيَ إحراقاً وإغراقا

وقوله [من المنسرح] :

ودّعت إلفي وفي يدي يده ... مثل غريقٍ به تمسّكتُ
فرحت عنه وراحتي عطرت ... كأنّني بعده تمسكتُ

وقوله من قصيدة كتب بها إلى ابن بابك [من الكامل] :

يا من يجدّدني مع الأوهام ... عهداً ويطرقني مع الأحلامِ
ومجال ودّك إنّه متحصنٌ ... بمجال أفكاري مع اللّوامَ
ما أومضتْ نحو العراق عقيقةٌ ... إلاّ سرى معها إليك سلامي
فارجع إذا نحت الجبال تحيةً ... تحيي قتيل صبابةٍ وغرام
ومخيّم للأنس حفَّ بفتيةٍ ... بيض الخلائق والوجوه كرامِ
تابعت فيه بادّكارك مترعاً ... حامى بوابل دمعيَ السجّامِ[1]
وتركت عرضته بذكرك روضةً ... نابت عن النسرين والنّمامِ
بأبي خلائفك التي لو أنها ... في الراح لم يك شربها بحرام[2]
أوفى الزمان غداً نهاراً كلّه ... لا يعقب الإصباح بالإظلام
أهدى إليَّ لك الحجيج عرائساً ... تجلي فتجلو نقبة الأفهام

---

(١) حامني : احتفى ، دافع .
(٢) العِرْض : الوادي الذي فيه قرى وشجر .

غرّاً إذا شدخ الـرواة بهـا الفلا أغنـت مجاهلهـا عن الأعلام[1]
فسرحـت فيهـا ناظـريَّ مفدِّياً خلاًّ يصـون علـى البعـاد ذمامي
وغـدتْ صحيفتهـا علـيَّ تميمةً تشفـي من الأسقـام والآلام[2]
فاجعـل أخـاك لأختهـا أهـلاً فما يخشـى عليك عوائـق الإفحام

[وقوله في مرثية الصاحب وقد حمل تابوته من الري إلى أصبهان ودفن في محلة تعرف بباب ذرية [من الطويل]:

مضى من إذا ما أعـوز العلـم والندى أصيبـا جميعـاً من يديه وفيه
مضى من إذا أفكرت في الخلق كلِّهم رجعـت ولـم أظفـر له بشبيهِ
ثوى الجـود والكافـي معـاً في حفيرةٍ ليأنس كلٌّ منهمـا بأخيه
همـا اصطحبـا حيين ثم تعانقا ضجيعين في قبـرٍ ببـاب ذريه

وقال أيضاً فيه [من الوافر]:

أكافينـا العـظيم إذا وردنا ومولينـا الجسيم إذا فقدنا
أردنـا منـك ما أبـت الليالي فأبطـلَ ما أرادت ما أردنا
شققـتُ عليك جيبـي غير راضٍ به لك فاتّخـذت الوجـد خدنا[3]
ولـو أنّـي قتلـت عليك نفسي لكان إلـى قضـاء الحـق أدنى
أفدنـا شرح أمـرٍ فيه لبسٌ فإنّـا طالمـا كنّـا استفدنا
ألـم تك منصفـاً عدلاً فأني عمـرتُ حفيرةً وقلبـت مدنا
وكيف تركت هذا الخلـق حالت خلائقهـمْ فليس كمـا عهدنا
تملّكنـا اللئـام وصيّرونا عبيداً بعـد ما كنّـا عبدنا

(١) شدخ الرواة : تناقلوها ونشروها ، وشدخ : قطع .
(٢) التميمة : ما يتعوّذ به الانسان دفعاً للعين .
(٣) الوجد : الحزن ، والخدن : الصاحب .

لئـــن بلغـــت رزيتـــه قلوباً فذبـــن وأعينـــاً منّـــا فجدنا
لمـــا بلغـــتْ حقائقهـــا ولكنْ علـــى الأيام نعـــرف من فقدنا

وله من قصيدة [من الكامل] :

ولـــربَّ مخطفـــةٍ تضـــمُّ جفونها عينـــي مهـــاة بالصريمـــة خاذل[١]
تغتـــال رامقهـــا بقـــدٍّ رامحٍ وتصيد وامقهـــا بطـــرفٍ نابل[٢]

ومن أخرى [من البسيط] :

يا ليلةً حزنـــت فيهـــا كواكبها وضاعفـــت كمـــدي أذيالهـــا السّودُ
أنـــت الفـــداء لليلٍ شرّدتْ حزني فيه الأغـــاريد والغيد الأماليد[٣]
وقهـــوةٍ في احمـــرار الـــورد شعشعها مورَّد الثـــوب في خديه توريد
تمـــرُّ محثوثـــةً حث الـــركاب بنا تحـــدو بهـــا نغـــم القينـــات والعود[٤]
ما أنس لا أنس ذات الخال إذ حسرت قناعهـــا فبـــدت تلك العناقيد
وأطلعـــت بمحيّاهـــا وجُمّتها شمســـاً عليهـــا رواق الليل ممدود[٥]
بي من هواهـــا رسيسٌ لا يزال له في حبّه القلـــب تصـــويبٌ وتصعيد[٦]

ومن أخرى [من الخفيف] :

لا تلمنـــي علـــى الدمـــوع التـــي لو لاك لم تدم من جفونـــي غربا[٧]

---

(١) المخطفة : السريعة أو التي تمرّخلسة والصريمة : القطيعة ، أو الرمال ذات الشجر . وخاذل : منفردة ، وخذل ، تخلى .
(٢) الرامق : المتطلع ، والوامق : المحب والطرف : العين ، ونابل : من النبل .
(٣) الأماليد : جمع أملد وهو الناعم اللين من الناس والغصون .
(٤) محثوثة : مسرعة .
(٥) الجُمّة : مجتمع شعر مقدّم الرأس . والرُّواق : مقدم الليل أو جانب منه .
(٦) الرسيس : الشيء الثابت ، وتصويب : من صوّب السهم : وجّهه إلى الهدف والتصعيد : الإرتقاء .
(٧) الغرب : السيلان الذي لا ينقطع .

طرف الغصن لا تلام على القطـــر إذا النار شعّلت فيه رطبا

وله [من السريع]:

لو ضمّ قلـب الدهـر ما ضمّه قلبـي من حرّ النـوى والبعادِ
لاحتـرق الحوتـان من دونه فصـار ما بينهمـا كالرماد

***

١٠٠ - أبو جعفر محمد بن الحسين القمي

كاتب شاعر، أقام بنيسابور يكتب للعمال، ويتصرف في الأعمـال، وهـو القائل [من الهزج]:

أرى عمـال نيسابور دهـرُ الله في النّحسِ
فمـن يعمـلْ بهـا يوماً يقـع شهـرين في الحبس
بهـا يضـرب بالقلـس أعـزُّ النـاس في فلس[1]

وقال في معقل وكان بندار نيسابور [من الكامل]:

يا أيُّهـا الشيخ الـكبير المفضّلُ آقبض يديه فمعقـلٌ لا يعقِلُ
ظلمـوه إذ ودعـوا دواةً عنده ولـديه يوضـع منجـلٌ أو معولُ

وقال لأبي محمد بن أبي سلمة [من الرمل]:

أيهـا الشيخ الـذي كلّ الورى يتلقـى وجهـه بالتفديه
هل يوازي فضـلك المشهـور أن تحضـر الـديوان يوم التورويه

وقال [من المجتث]:

---

(١) القَلْس : حبل ضخم للسفينة .

يا من إليه المعالي من كلٍّ أوبٍ تُحازُ
إن لم يكن ليَ فيه شغــلٌ لديكم فجازوا[1]

وقال [من الهزج] :

يقــول النــاس لي جامعٌ خطيب المسجــد الجامع
ومــن ذا يأكل الميتة إلا الجائــغ النائع[2]

وقال [من الخفيف] :

يا جواد اللســـان من غير جودِ ليت جود اللّســـان في راحتيكا

***

١٠١ - أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني

أعرابي جهوري ، متقعر في كلامه[3] ، كثير الشعر ، قليل الملح ، وممن ثقل حتى خف ، وقبح حتى ملح ، طرأ على نيسابور أطواراً ، وأقام بها في المرة الأولى بضع سنين ينتسب الى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقرأ القرآن بجهارة شديدة، ويشعر ويتعاطى الفواحش ، فإذا قيل له : كيف أصبحت أيها الشريف ؟ قال : أصبحت جوالا في السكك ، حلالاً للتكك[4] ، على رأسه طائركم معكم سرمدا ، وعلى جبينه ولن تفلحوا إذاً أبدا ، وكثيراً ما ينشد لنفسه [من الطويل] :

تلبَّس عمــلاق بن غيداق للشقا وللحـزن والإفـلاس أثــواب حارس
يطـوف بنيسابــور في كلّ سكةٍ خليفــة مولاه طُفيل العرائس

(١) ورد العجز « شغل لديكم فجواز » ولا يستقيم به الوزن ، فأصلحناه وجازوا : أي أنعموا .
(٢) النائع : العطشان .
(٣) متقعّر في كلامه : أي يخرجه من حلقه .
(٤) التكّة : رباط السراويل .

وذلك أن طفيل العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه[1].

ومدح عملاق فائق الخاصة بقصيدة أولها وهو أمير شعره [من المنسرح] :

يا دولـــةً أيّدت بخالقها وبـــالأمير الجليل فائقها

فأمر بإثبات اسمه في جملته واستصحبه ووصله ولم يزل معه إلى أن فرق الدهر بينهما ، ثم إن الشيخ الجليل أبا العباس أحسن النظر له ، وأجرى إنعامه عليه ، ووصله وهو الآن ممن يعيش في كنفه ، ومما سمعته ينشد لنفسه قصيدة أولها [من الطويل] :

لبسنا لهـذا الفصـل حمــر المطارفِ وفيه انسلخنــا من لبــاس المصايف
وفاقــم صقــلاب وأفتـــاك خدلج حذار رياح الزمهـــرير العواصف
وسنجـــاب خرخيد وسمـــور بلغر وأوبـــار آبـــاء الحصين التوالف[2]
مع الخـــز والديبـــاج حيكا بتستر وبالسقلاطونـــي تحـــت الملاحف

***

١٠٢ ـ أبو المعلى ماجد بن الصلت المعروف بناقد الكلام اليماني

ورد نيسابور متطرقاً لها إلى غزنة ، وآدعى اكثر مما يحسن ، وأنشد لنفسه شعراً كثيراً أخرجت منه قوله في ممهد الدولة هذه [من الكامل] :

بعـــدت صفاتـــك يا ممهـــد وآدَّنتْ كغمـــوض معنـــىً في كلامٍ ظاهر
خفيت وأظهرهـــا الطبـــاع خفيّةً كالنـــور يوجـــد في سواد الناظر

---

(١) في كتاب المعارف أنه من ولد عبد الله بن غطفان بن سعد .
(٢) التوالف : المجتمعة بعضها إلى بعض .

وقوله [من الكامل]:

لم يكفنـي بالـريّ خيبـة مطلبي — حتـى حرمـت لذاذةِ الإيناس
كالأعـور المسـكين أعـدم عينه — وأعيض عنهـا بغضـةً في الناس

وقوله [من الطويل]:

إذا فكرّ الإنسـان فكرة عاقلٍ — رأى عيشـه معنـىً لمغنـى مماته
إذا نال يومـاً زائـداً في معاشه — فذلك يومٌ ناقصٌ من حياتِهِ

وقوله [من السريع]:

أنـت لعمـري خير شرٍّ الورى — ترضـاك من ترضـى بإقلال
والأعـور المقـوت مع قبحه — خيرٌ من الأعمـى علـى حال

وقوله [من مخلع البسيط]:

في ثغـر عبـد الـكريم شيءٌ — من فمـه ليس بالكريم
تحسـب طول الحياة فاهُ — يمـجُّ خمـراً بغير ميم

وقوله [من المنسرح]:

ربَّ صديقٍ قدمـت من سفرٍ — فجئـت من مقدمـي أهنيه
لا حقٌ لي عنـده فيقضيه — وحقّـهُ لا أزال أقضيه

وقوله [من الكامل]:

ظلـم امـرؤ ندب التجـار إلـى العلى — حسـب التجـار دفاتـر الحسبان
همـمٌ لهـم بين النقـود وصرفها — والسعـر والمـكيال والميزان

وقوله [من الوافر]:

لسـان الحـقٌ أفصـح من لساني — وصمتـي عن كلامـي ترجماني

وأنـت لمـن رمـاه الدهـر عونٌ   فكن عونـي علـى صرف الزمان

***

١٠٣ ـ عبد القادر بن طاهر التميمي أبو منصور

فقيه وجيه ، نبيه قليل الشبيه ، يتفقه على مذهب الشافعي ، ويتكلم على مذهب الأشعري ، ويرجع الى رأس مال في الأدب ، والنحو ، وكان أبـوه عبد الله[١] انتقل من بغداد إلى نيسابور ومعه أبو منصور فتفقه بها وبرع وبلغ ما بلغ ، وله شعر يحذو في أكثره حذو منصور الفقيه البصري ، كقوله [من مجزوء الرجز] :

يا سائلـي عن قصتي   دعنـي أمُـتْ بغصّتي
المـال في أيدي الورى   واليأس منهـم حصّتي

وقوله [من مجزوء الرجز] :

يا ماجـداً فاق الورى   لا زلتَ مأوىً للقِرى[١]
علـيَّ دينٌ مانعٌ   عينيَّ من طيب الكرى
فـكن لدينـي قاضياً   يا خير من فوق الثرى

وقوله [من المتقارب] :

ألا إنّ دنياك مثـل الوديعهْ   جميع أمـانيك فيهـا خديعه
فلا تغتـرِرْ بالـذي نلـت منها   فمـا هو إلاّ سراب بقيعه[٢]

وقوله [من المتقارب] :

إذا ضاق صدري وخفْـتُ العدِى   تمثّلـت بيتـاً بحالـي يليـقُ

(١) القِرى : الضيافة .
(٢) السراب : ما يشاهد في الصحراء أثناء الحرّ وكأنّه ماء . وبقيعة : المكان المتسع الذي فيه أشجار مختلفة .

فبـالله نبلـغ ما نرتجي وبـالله ندفـع مـا لا نطيق

وقوله [من الطويل]:

سقتني لتـروي الـروح راحـاً وحققّت مواعدهـا ذات الوشـاح بإنجاز
علـى نرجسٍ حيِّتْ به فكأنّما أناملهـا انضمّـتْ علـى حدق البازي

***

١٠٤ ـ أبو علي محمد بن عمر البلخي الزاهر[١]

كان فارق بلدته في صباه ، وركب الأسفار إلى العراق والشام ، وتلقب بالزاهر مقتديا بقوم من الشعراء تلقبوا بالناجم والناشي والنامي والزاهـي والطالـع والطاهر ، ثم كر إلى خراسان ، وألقى عصاه بنيسابور ، وتكسّب بالشعر ، واستكثر منه ، فمما علق بحفظي مما أنشدنيه لنفسه قوله ويروي لأبي الحسـن علـي بن محمد الغزنوي [من الطويل]:

أقـول وقـد فارقـت بغـداد مكرهاً سلامٌ علـى عهـد القطيعـة والكرخِ
هواي ورائـي والمسيرُ خلافه فقلبـي إلـى كرخٍ ووجهـي إلـى بلخِ

وقوله [من البسيط]:

قولـوا لقـومٍ بنيسابـور أمدحُهُمْ عنـد الضـرورة والإفـلاس والضيقِ
أصبحـت فيهـم وحـقِّ الله خالقِنا كمصـحفٍ دارسٍ في بيت زنديقِ

***

١٠٥ ـ أبو القاسم يحيى بن علي البخاري الفقيه

من أبناء التجار المياسير ببخارى ، وورد مع أبيه نيسابور متفقهاً ، وهو من آدب الفقهاء وأحفظهم لما يصلح للمحاضرة ، فبقي بها مدة ، واختير للامامة في المسجد الجامع ولم يزل يتولاها إلى أن آثر العزلة فقاده زهده وورعه إلى المرابطة

بدهستان وهو بها الآن ، وكان أنشدني وكتب لي من شعره غرراً لا يحضرني منها إلا قوله [من الهزج]:

أيا من همّه الجمعُ لما حاصله القوتُ
كأنّي بك يا نائم قد أيقظك الموتُ

فصل

كان من حق هذا الباب أن يتضمن ذكر أبي الحسين الرخجي ، وأبي الحسن الممتاخي صاحب كتاب من غاب عند النديم ، وأبي الحسن الحنظلي السهروردي ، وأبي سعيد البلدي ، وأبي القاسم علي بن محمد الكرخي ، وأبي الحسن محمد بن عيسى الكرخي ، وأبي المظفر الكمال بن آدم الهروي ، وأبي الحسن علي بن محمد الحميري ،ولكن لم يحضرني شيء من أشعارهم في هذه الغربة ، وإن نفس الله المهل ، وعاودت الوطن ، جبرت كسره بما يصلح له من كلامهم ، وإن عاق محتوم الأجل عن ذلك فإني أرغب إلى من ينظر بعدي في هذا الكتاب من الفضلاء الذين يصيدون شوارد الكلم وينظمون قلائد الأدب ، أن ينوب عن أخيه فيه ، ويلحق ما يجده منه بمواضعه من هذا الباب ، إن شاء الله تعالى ، وبه التوفيق، ومنه الإعانة .

***

الباب العاشر

في ذكر النيسابوريين الذين تقع محاسن أقوالهم في هذا الباب وكتبة لطائفهم وظرائفهم .

١٠٦ ـ رئيس نيسابور أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي

هو أشهر ، وذكره أسير ، وفضله أكثر ، من أن ينبه عليه وله ـ مع كرم حسبه وتكامل شرفه ـ فضيلة علمه وأدبه . وكان من الكتابة والبلاغة بالمحل الأعلى ، وله من سائر المحاسن القدح المعلى ، فكان يحفظ مائة ألف بيت للمتقدمين والمحدثين يهذها في محاضراته[1] ، ويحلها في مكاتباته ، وله شعر كتابي يشير لشرف قائله ، لا لكثرة طائله ، فمن ذلك ما قاله على لسان كاتبه أبي الطيب [من الرمل] :

يوم دجنٍ قد تناهى طيبُهُ ... وحقيقٌ أن يجينا بالمطرْ
والثلاثاء ينادي غدوةً ... ما للهوٍ بعد هذا منتظرْ
هل يجوز الصحو في أثنائه ... إن هذا الرأي من إحدى الكبر

وقوله في النكبة التي عرضت له في آخر أيامه [من الخفيف] :

خانني الأير حين خان زماني ... وجفاني كأنه إخواني

(١) يهذها : يسردها .

وثنــى عنّــي العنــان غزالٌ كان قبــل المشيب طوع عناني
يتجنّــى علــيَّ من غير جرمٍ ويرانــي كأنَّــهُ لا يراني
كيف يصبــو إلــيَّ وهــو عليمٌ أن أيري كعطفــة الصولجان
ليس يرجــى له انتبــاهٌ من النو م ولا صبــوةٌ لذكر الغواني
كان من قبــل سامعــاً مستجيبا مسعــداً لي فعقّنــي وجفاني
بل رآنــي مصــادراً مستكينا فرثــى لي من انقــلاب الزمانِ
ولــوى جيده فأصبــح لدناً يتثنّــى تثنّــي الخيزران[1]
لا يجيــب الصــريح في غســق الليــل ولا دعــوة الــوجوه الحســان[2]
لم أكلّفــه حمــل غرمٍ ثقلٍ لا ولا دفــع معضــلٍ قد عراني[3]
إنمــا الغــرم والوبــال علــى الما ل فمــاذا عليه ممّــا دهاني
هل سمعتــم بمقمــعٍ من حديد ذاب من فرط خيفــة السلطان
ليتــه عاد تابعــاً لمرادي فأسلّــي به جوى الأحزان
أيهــا العــاذلان حسبــيَ ما بي فدعانــي من المــلام دعاني
وارثيا لي من البــلاء وكفًّا إنّنــي في يد الحــوادث عاني[4]
إن يكُنْ خاننــي الأحبَّــة طرّاً فشجــاني جفاؤهــم وبراني
فعلــى الله في الأمــور اتّكالي وبــه الاعتصــام ممّــا أعاني

* * *

١٠٧ ـ ابنه أبو جعفر محمد بن عبد الله بن إسماعيل

كان متقدماً في الأدب . متبحراً في علم اللغة والعروض ، مصنفاً للكتب مستكثراً من قول الشعر ، ولعل شعره يربى على عشرة آلاف بيت ، ولما أنشد أباه

---

(١) اللدن : الطري الرخص ، يتثنّى : يتلوّى .
(٢) الصريخ : المستنجد ، والغسق : الظلام .
(٣) الغرم : الدين والغرامة . وعراني : حلّ بي .
(٤) العاني : المتعب ومقهور .

قوله في مقصورة له هذا البيت [من الرجز] :

إذا ركبتَ كنتَ خير راكبٍ وإن نزلت كنت خير من مشى

قال له : استحييت لك يا بني ، ما تركت رسول الله ﷺ ؟ وأمره بإسقاط هذا البيت من القصيدة ، فلم يفعل ، وعندي أن أمير شعره قوله [من الرجز] :

إذا أراد الله أمراً بامرئٍ وكان ذا عقلٍ ورأيٍ وبصرْ
وحيلةٍ يعملها في كلِّ ما يأتي به جميع أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى قلبه وسلَّه من رأيه سلَّ الشعرا[1]
حتى إذا أنفذ فيه أمرَهُ ردّ عليه عقله ليعتبِر

***

١٠٨ ـ الأستاذ أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي

معلوم أنه كان في العلم علما ، وفي الكمال عالماً ، ومن شاهد الآن ابنه الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رأى شجرة للعلم نمت على عروقها ونفسا غذيت في حجر الفضل فجرت على سنن أولها . وأحيت فضائله بفضائلها . وولدا أشبه والده في الإمامة ، عند الخاصة والعامة . وله شعر كثير يذكر في شعر الأئمة ويروى لشرف صاحبه وتحسين الكتب بذكره، فمن ذلك ما أنشدنيه الشيخ الإمام أبو الطيب قال : أنشدني والدي لنفسه [من الطويل] :

سلوتُ عن الدنيا عزيزاً فنلتها وجدت بها لمّا تناهت بآمالي
علمت مصير الدهر كيف سبيله فزايلته قبل الزوال بأحوال[2]

وأنشدني له أبو الحسن الفارسي الماوردي الفقيه [من مجزوء الوافر] :

دع الدنيا لعاشقها ستصبحُ من ذبائحها

---

(١) وسلّه : أخرجه .
(٢) زايل : فارق ، والزوال : الانتهاء . وأحوال : جمع حول : وهو العام .

ولا تغـــرُرْكَ رائحـةٌ تصيبـك مـن روائحها
فمـــادحهـا بغفلته يصير إلـــى فضائحها

* * *

١٠٩ ـ علي بن أبي علي العلوي

كان في نهاية النجابة فاحتضر في عنفوان شبابه ، وله شعر علق بحفظي منه ما أنشدنيه أخوه أبو إبراهيم له [من الكامل] :

همـم الرجـال تبين في أفعالهم والفعـل عدلٌ شاهـدٌ للغائب
ولنـا تراث المجـد حُزْنـا فضلَهُ عن خير ماشٍ في الأنـام وراكب[١]

والآن أخوه أحمد نعم العوض عنه ، والخلف منه :

* والشمس تسليك عمًّا حلَّ بالقمر *

وله شعر حسن لا يحضرني منه إلا قوله [من الطويل] :

هواك من الـدنيا نصيبـي ، وإنّني إليك لمشتـاقٌ كجفنـي إلـى الغمض
فزرنـي وبـادر يوم ثلـجٍ كأنّه شمائـم كافـورٍ نثـرن علـى الأرض

* * *

١١٠ ـ أبو البركات علي بن الحسين العلوي

يزين تالد أصله ، بطارف فضله ، ويحلي طهـارة نسبـه ، ببراعـة أدبـه ، ويرجع من حسن المروءة وكرم الشيمة وعفة الطعمة إلى ما تتواتر به أ- باره . وتشهد عليه آثاره ، ويقول شعراً صادراً عن طبع شريف ، وفكر لطيف كقوله من قصيدة [من السريع] :

(١) حزْنا : حصلنا وامتلكنا .

مـدامعـي تهتـك أستاري		تعلن بين النـاس أسراري
أنـكرت ما بي، غير أن البكا		قرَّر بالإقـرار إقـراري

ومنها :

أحببـت خشفـاً ليس في مثلِهِ		تحمُّـل العـار من العار(١)

ومنها :

كأنّمـا إبريقنـا طائرٌ		يحمـل ياقوتـاً بمنقار

ومنها :

كأنّ ريح الـروض لمـا أتتْ		فتَّـتْ علينـا مسـك عطّار

وقوله [من الطويل] :

وأغيدُ سحّـارٌ بألحـاظ عينه		حكى لي تثنّيه من البـان أملودا(٢)
سلخـت بذكراه عن الصبـح ليلةً		أنادمـه والـكأس والنـاي والعودا
ترى أنجـم الجـوزاء والنجـم فوقها		كباسـط كفّيه ليقـطف عنقودا

وله [من المنسرح] :

مكذِّبُ الظـنِّ ناقص الأمل		يقطـر من خدِّهِ دمُ الخجلِ
يكاد ينفض فصّ وجنته		إذا علاه الحياء للقبلِ

وقوله [من السريع] :

يا عصبـة الأتـراك أولادُكُمْ		من يوسف الحسـن وبلقيسِ
ألحاظـكم تحيي وتـردي الورى		وحسنـكـم فتنـة إبليسِ
لا تقربـوا منّـي ففـي قربكم		هلاك دين المـرء والكيس

(١) الخشف : ولد الغزال ، والعار : العيب .

(٢) البان : شجر لينّ ، ورقه طويل ، أبيض الزهر . والأملود : الغصن الطري الناعم .

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

وكأنّي ركبت للصيد ريحاً ... لا يبالي بحزنها والسهول[1]
أدهمُ اللون مثل ليلٍ بهيمٍ ... ذي صباحٍ من غرّةٍ وحجول
فهو يطوي البسيط كالبسط طيّاً ... بيديّ طالبٍ ورجليّ عجول[2]

وقوله من نتفة [من البسيط] :

الشيخ ينجز وعداً منه قد سبقا ... وليس الغصن من إفضاله الورقا
إنّي غريقٌ ببحرِ المطل منتظرٌ ... حالاً تكشّف عنّي الموج والغرقا

* * *

١١١ - أبو الحسن محمد بن ظفر العلوي

شريف فاضل ، عالم زاهد ، يلبس الصوف ، وكان في صباه يقول الشعر ، فمن ذلك قوله [من مخلع البسيط] :

أسكرني طرفه ولكنْ ... خمار أجفانه حمامُ[3]
إنَّ دمي عنده حلالٌ ... وهو لدى غيره حرامُ
وهكذا سحر كلِّ طرفٍ ... يصنع ما تصنعُ المدام

وله [من الرجز] :

وأمردٍ أزهدُ من صهيب ... في علم موسى وتقى شعيبِ
إذا رأى شعر أبي ذؤيب ... أو فارسيات أبي شعيب

---

(١) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .
(٢) البسيط : الأرض .
(٣) الخمار : أثر الخمرة ، والحمام : الموت .

تحسبه أشعر من نُصيبِ إن لم تساعدني فوي بي وويبي[1]

وله [من الطويل] :

إذا عضّك الدهر الخؤون بنابه وأسلمك الخدن الشّفيق إلى الهجرِ
فلا تأسفنْ يا صاحِ واصبر تجلُّداً فلا شيء عند الهجر أجدى من الصبر

* * *

١١٢ ـ أبو العباس محمد بن يحيى العنبري

من أبناء نيسابور ، وأهل البيوتات بها ، وله شعر كثير ، منه [من الكامل] :

لا يشغلنْك حديث ما في الكاس شرب المدام محلَّلٌ في الناس
الله حرّم سكرها لا شربها فاشرب هنيئاً يا أبا العباس
صفراءَ صافيةً كأنّ شعاعها ضوءُ الصباح وشعلة المقباس[2]
تنفي بها داءً وحزناً كامناً في القلب ليس بشربها من باس
وإذا قميصك بلّلته مدامةٌ وعرتك منه وساوسُ الخنّاس
فدع القميص يُشمُّ منه ريحها واغسل فُؤادك من أذى الوسواس

وقوله [من الكامل] :

متفقهٌ شغف الفؤاد بحبّه خضعت محاسن وجهه لمحبِّهِ
أحببت كورة زوزنٍ من أجله ورجالها ونساءها من حبّه

وله [من الوافر] :

يقول الناس لي رجلٌ سديدٌ وما فعلي بفعل فتىً سديد

(١) نَصيب : هو نصيب بن رباح ، أبو محجن شاعر مقدّم في النسيب والمدح .
فوي بي : أي فعجباً بي ، ووي : هي كلمة للزجر والتهديد ، وويبي : المصيبة الفضيحة
(٢) المقباس : الضوء ، والنار .

إذا ما كنت لا أخشى وعيدا فما يغني مقالي بالوعيد

* * *

١١٣ ـ [أبو] سلمة بن أحمد المعاذي

حضر بعض مجالس الأنس بنيسابور فانصبت محبرة فتى مليح على ثوبه فخجل الفتى ، فقال أبو سلمة [من الكامل] :

صبٌّ المدام وما تعمّد صبَّهُ فتورّد الخدُّ البديع الأزهرُ
يا من يؤثر حبرُهُ في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

* * *

١١٤ ـ أبو سهل سعيد بن عبد الله التكلي

من أدباء نيسابور وفضلاء المتصرفين بها ، يقول [من الطويل] :

وكان فؤادي جامحاً في عنانه إذا انتابه العذالُ في غيِّه أبى
وأقصَرَ عن قصد التصابي وصدَّهُ مقال بنيٍّ بعد خمسين يا أبا

وقوله [من المتقارب] :

همومٌ تفيضُ وصبرٌ يغيضُ وجسمٌ صحيحٌ وقلبٌ مريضْ
يُبيِّضُ ما اسود من لمتي خطوبٌ حداهن سودٌ وبيضْ
ورؤية من يدّعي أنّهُ علا فلك الشمس وهو الحضيض
فإن سكتوا فشفاهٌ تغيض وإن نطقوا فبظور تحيض[١]
وأمتع من شرب كأس الحمام حياةٌ يشارك فيها بغيض

(١) تغيض : أي تبلع ، وغاض الماء : ذهب في الأرض . والبظور : جمع بظر يعني به فرج المرأة . والحيض : معروف وهو العادة الشهرية عند المرأة .

وقوله [من الوافر] :

ألا قالت أمامة إذ رأتني ... وماء الوجه بالجاديّ شيبا[1]
تعرّتك الهموم فقلت حقّاً ... همومٌ تجعل الولدان شيبا

وقوله [من الكامل] :

إن المقصر في الحضور لخدمةٍ ... في مثل هذا اليوم للمعذور
يومٌ كأنّ الأرض فيه سنجنجلٌ ... والجوُّ فيه صارمٌ مأثور

* * *

١١٥ ـ القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد البستي

آدب قضاة نيسابور وأشعرهم ، ولما تقلد قضاءها في أيام شبيبته مضافاً الى ما كان يليه من قضاء كورة نسا لقب بالكامل ، وله شعر كثير كتب لي بخطه صدرا منه وأنشدني بعضه ، فمن ذلك قوله [من المنسرح] :

انظر إلى النفس وهي واقفةٌ ... نصب عيون الوشاة والحرسِ
يخفى على الناظرين موقفها ... كأنّها نفس آخر النّفَسِ

وله [من الكامل] :

قل للذي حبس الفؤاد بصدّه ... فوددت أنّي عند ذاك فؤادي
مسترخص المبتاع لا يغلى به ... ولذاك ما أرخصت بيع ودادي

وقوله [من الطويل] :

يقولون أبلِ العذرَ فيما ترومه ... فإبلاء عذرٍ في الأمور نجاحُ
فقلت لهم إبلاء عذرٍ وخيبةٍ ... نجاحٌ كما افتضَّ العروس نجاح

---

(١) الجاديّ : الزعفران ، وشيبا : خلط .

وله في وصف طين الأكل [من الرجز] :

وتحفـةٍ نقّلنيهـا غاليه ذو همـمٍ في المكرمـات عاليه
شبّهتهـا من بعـد ما أهـدى ليه قطـاع كافـورٍ عليهـا غاليه(١)

وله في البندق [من مخلع البسيط] :

وبنـدقٍ لبُّهُ عجيبٌ للـدر والمسـك فيه شركه
أشبـه شيءٍ به يقينا لؤلـؤةٌ ضمّخـت بمسكه

وله في الورد [من الكامل] :

حيّا بمـا خجـل العقيق للونِهِ لمـا أتانـي في الصبـاح بورده
لولا لحاظـي لحاظـي خدّه من بعده لقضيت أن عليه جلـدة خده

وله في الورد الموجه [من الطويل] :

حبانـي بوردٍ جامـعٍ بين وصفه ووصفـيَ لمّـا زرتهـم وجفَوني
علـى جانـبٍ منـه تورّد خدُّهُ وفـي جانـبٍ منـه تلـوّن لوني

وله في البهار [من الطويل] :

حكانـي بهـار الـروض حتـى ألفتهُ وكلٌّ مشـوقٍ للبهـار مصاحبُ
وقلـت له ما بال لونـك شاحباً فقـال لأنّـي حين أقلـب راهب

وله [من مجزوء الكامل] :

يا من قنعـت بحس رأ يٍ منـه لو أعـطيت رايه
إن قمـت في أمـري برأ يٍ صادقٍ أعـطيت رايه

---

(١) الغالية : أخلاط من الطيب .

وله [من مجزوء الخفيف] :

مستبدٌّ برأيه عازبُ الرأي معجبُ[1]
وتماديه بعد ما عرف الغيَّ أعجبُ

وله [من الرجز] :

يعجبني من كلّ شعرٍ جزلْ جيِّدُ جدٍّ وركيكٌ هزل[2]

* * *

١١٦ ـ أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست

من أعيان الفضلاء بنيسابور وأفرادهم ، يجمع من الفقه والأدب ، بين التمر والرطب . ومن النظم والنثر ، بين الياقوت والدر ، وشعره كثير الملح والنكت ، حسن الديباجة ، كأنه يصدر عن طباع المفلقين من شعراء العراق وهذا أنموذج منه [من الهزج] :

ألا يا ريمُ خبّرني عن التفاح مَنْ عضّهْ
وحدِّثْ بأبي عن حسنك البكر من افتضَّهْ
وختمُ الله بالورد على خدّك من فضّه
لقد أثّرت العضّه في وجنتك الغضّه
ولاح الدرّ إذ بضّ على جلدتك البضّه[3]
كلون العنبر الورديّ إذا فضٌ عن الفِضّه

---

(١) العازب : البعيد الطلب .
(٢) الجزل : الفصيح والفخم والمتين .
والهزل : الضعيف الرديء .
(٣) بضّ : إذ ظهر أبيضاً ، والجلدة البضّة الرقيقة اللينة في سمنٍ وامتلاء .

وله [من الكامل] :

ولقد مررت على الظباء فصادني ظبيٌ وعهدي بالظباء تصادُ
نفذت لواحظه إليَّ بأسهمٍ أغراضها الأرواح والأجسادُ

وله [من الوافر] :

جعلت هديتي لكُم سِواكاً ولم أقصد به أحداً سواكا[1]
بعثت إليك عوداً من أراكٍ رجاءً أن أعود وأن أراكا[2]

وله [من الكامل] :

ومهفهفٍ ملك القلوب وحازا خطَّ الجمال بعارضيه طرازا
شبَّهته قمراً فكان حقيقةً وغدا له قمر السماء مجازا
ما باع بزّاً قطُّ إلاّ أنّه بزَّ القلوب فلُقِبَ البزّازا

وله [من السريع] :

وشادنٍ نادمت في مجلسٍ قد مطرت راحاً أباريقه
طلبت ورداً فأبى خدّه ورمزت راحاً فأبى ريقه

وله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ قلت له هل لك في المنادمه
فقال ربَّ عاشقٍ سفكتُ بالمنى دمه

وله [من الوافر] :

يغيب البدر يوماً ثم يبدو فما لك غُبتَ عن عيني ثلاثا
فإن لم تطلع الاثنين عصراً فلست بواجدي يوم الثلاثا

(١) السواك : عود يستعمل لتنظيف الأسنان من بقايا الأطعمة ، وهو طيب الرائحة .
(٢) الأراك : شجر يتخلّل الناس بعود لطيب رائحته .

وله [من الوافر] :

وقالــوا اصفــرّ وجهــك إذ تراءى ... وقــد صار الفــؤاد له شعاعا
فقلــت لأنّـــي قابلـــت بدراً ... فقــد ألقــى علــى وجهـــي الشّعاعا

وله [من مجزوء الكامل] :

الــدهـرُ دهـر الجاهليـــــن وأمـرُ أهـل العلـم فاترْ
لا سوق أكســدَ فيه من ... سوقِ المحابـر والدفاترْ

وله [من البسيط] :

عليك بالحفـظ دون الجمـع في كتب ... فإنّ للكتـــب آفــاتٍ تفرقُها
المــاء يغرِقُهــا ، والنــار تحرِقُها ... والفــار يخرقُهــا ، واللصُّ يسرقها

وله في الفصد [من الرجز] :

لمــا رأيت الجســم ذا اعتلالِ ... ودبّــت الآلام في أوصالي
دعــوت شيخــاً من بنــي الجوالي ... بطــريقُ عمٍّ جاثليق خال(١)
فســلّ سيفــاً ليس للقتال ... ومرهفــاً ليس من العوالي
أدقّ في العين من الخيال ... أقطــع من هجــرٍ ومــن ملال
أحســنَ من وصــلٍ ومــن إقبال ... كأنّــه نصفُ من الهلال
ففتّــح القفــل عن القيفال ... بضربــةٍ تشبــه نصف الدال
أو شكلــةٍ في موضــع الاشكال ... ولــجّ دمــع العــرق في انهمال
كقهــوةٍ تبــز ل بالمبزال ... فولّــت العلــة في انفلال(٢)
فأقبلـــتْ عســاكرُ الإقبال ... محفوفــةً بالبــرء والإبلال
ومثّــل الجســم من المثال ... كأنمــا أنشــط من عقالِ(٣)

---

(١) البطريق والجاثليق : من كهنة النصارى .
(٢) المبزال : المصفاة التي يصفّى بها الشراب أو نحوه . فولّت : ذهبت ، انفلال : انقطاع .
(٣) العقال : الأسر .

وله [من السريع] :

قل للأمير الأريحيِّ الذي نفديه بالأنفس إن جازا
جودك قد أورق لي موعداً فكيف لا يثمر إنجازا

وقوله [من الرمل] :

أيها البدر الذي يجلو الدجى قل لنجمي في الهوى ِكم تحترِقْ
أنا من جملة أحرارِ الهوى غير أنّي من هواكم تحت رق[1]

* * *

١١٧ ـ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي

هو وأخوه أبو سهل من حسنات نيسابور ومفاخرها ، فأبو عبد الرحمن من الأعيان الأفراد في الفقه ، وأبو سهل من الأعيان الأفراد في الطب . وما منهما إلا أديب شاعر آخذ بأطراف الفضائل ، فمن ملح شعر أبي عبد الرحمن قوله [من المنسرح] :

وذي جدالٍ لنا كشفتُ لهُ عن خطأٍ كان قد تعسَّفَهُ
فلم يجبني بغير ما ضحكٍ والضحك في غير حينه سفَهُ

وله [من البسيط] :

أدركْ بقية نفسٍ روحها رمقٌ فقد أذابت هموم الناس أكثرها
وإنّما سلمتْ منها بقيتُها لأنّها خفيَتْ ضعفاً فلم ترها

وله [من مجزوء الرجز] :

أعرضتُ لمّا عرضتِ سهام تلك الحدقِ

(١) الرق : العبودية .

ظننــت أنّي هاربٌ منهــا بأدنــى رمق
فقــال لي فيهــا الهوى هيهــاتَ ممّـا تتّقي
إنّ سهــام الحدقِ لا تُتّقــى بالــدّرق[1]

وله [من مجزوء الرمل] :

نحــن في مجلسِ أنسٍ بـك تحقيقُ مجازه
لُـطفُ الدّهــر عزيـزٌ فتجــلّد لانتهـازه
قــد نسجنــا الأنس ثوباً فتفــضّــلْ بطــرازه

وله [من الرمل] :

يوم غيمٍ زاد قلبـي شجناً ذو نشيجٍ وهــو قد أنشجنا[2]
وسحــابٍ قد حكى لمّــا بكى يوم قالــوا (عــارضٌ ممطرنا)

وله [من الوافر] :

تغــاضَ عن البخيل ولا تلمْهُ ودعْ ما في يديه ولا ترمْهُ[3]
ومــن لم يحــو غير المــال فضلاً وجــاد بفضلــه جهــلا فلُمْهُ

وله [من المجتث] :

خلعــتُ خفّــيّ من خلــــع ذا السحــاب عذاره
فــاليوم ليل ظلامٍ والأرض حـشٌ قذاره
مــن حق ذا العقــل فيه أن لا يفــارق داره

(١) الدّرق : الصلب من كلّ شيء .
(٢) الشجن : الحزن ، والتشيج : الصوت في الصدر .
(٣) تغاضى : أي غضّ الطرف ، ولا ترمهُ : أي لا تقصده .

وله [من البسيط] :

أما تراني على بغي العلاء لأحمـــال العناء حمولاً دائم النصبِ[1]
فما استوى شرفٌ إلاّ على كلفٍ ولا صفا ذهبٌ إلاّ على لهبِ

وله [من السريع] :

أفدي الذي أكره أنْ أفديَهْ لأنّه جلّ عن التفديَهْ
يقتل بالعين ، ولا بدَّ لي من طلبي من شفتيه الدِّيَهْ[2]

وله [من مخلع البسيط] :

إذا رأيت الوداع فاصبرْ ولا يهمنَّك البعادُ
وانتظر العَوْدَ عن قريبٍ فإنّ قلب الوداع عادوا

وله من نتفة [من البسيط] :

للنار في وجه من أحببته أثرٌ فاللون في خدّه والفعل في كبدي

* * *

١١٨ ـ أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي

قد تقدم ذكره[3] ، وجاء الآن شعره ، قال [من المجتث] :

قد رضتُ باليأس نفسي فعلُ اللبيب الحكيمِ[4]
قنعتها بكفافٍ وفيه كلٌّ النعيمِ
فما يدٌ لكريمٍ عندي ولا للئيمِ

---

(١) النصب : التعب .
(٢) الدّية : الغرم ، أي المال الذي يدفع لذوي القتيل .
(٣) رضت : من راض أي ذلّل وكبح الجماح . الخلّة : الصداقة .

وللقنـاعـة روحٌ يـا طيبـه مـن نسيمِ

وقال [من الخفيف] :

يا مفـدًّى العـذار والخـدُ والقـــــدٌ بنفسـي ومـا أراهـا كثيرا
ومعيري من سقـم عينيه سقماً دمـت مضنـىً به ودمـت معيرا
سقّنـي الـراح تنفُ لوعـة قلبٍ بات مذ بنـت للهمـوم سميرا
هي في الـكأس خمـرةٌ فإذا ما أفرغتْ في الحشى استحالـت سرورا

وقال [من البسيط] :

رجـوت دهـراً طويلاً في التمـاس أخٍ يرعـى ودادي إذا ذو خلَّـة خانا[٣]
فكم أَلِفـت وكم آخيت غير أخٍ وكم تبدّلـتُ بالإخـوان إخوانا
فمـا زكى لي علـى الأيامِ ذو ثقةٍ ولا رعـى أحـدٌ ودِّي ولا صانا
فقلـت للنفس لمـا عزَّ مطلبها بالله لا تألفـي ما عشـتِ إنسانا

وقال [من البسيط] :

دب المشيب إلـي فوديَّ مبتكراً وللشبـاب رداءٌ ليس بالخلقِ
فقلـت يا نفس حتّي للـرحيل ضحىً فأقصـرُ الليل أدنـاه من الفلق

وقال [من الكامل] :

نشـر الـربيع الغضُّ قبـل أوانه لمـا نشـرت كتـاب فردِ زمانه
أنـوارَ لفـظٍ من جنـاب جنابِهِ ونسيمَ وردٍ من غراس بنانه
فأراح أنسـاً عازبـاً بوروده وأراح قلـب الصـبٌ من أشجانه
وأرى بنـي الآداب معجـز نظمه أن ليس في الإمـكان نيل مكانه
فأسـرَّتِ الألبـاب إجـلالاً له وفـدى المسامـع ترجمـان جمانه[١]

(١) الجمان : اللؤلؤ .

وقوله [من مخلع البسيط] :

رُقٌ لمـن قد ملكتَ رقَّهُ   حقٌ له لو رعيت حقَّهُ
ذاب فما مثله خِلالٌ   ولا هلال ضياً ورقه(١)

وقال [من مجزوء الرجز] :

الله في متيَّمٍ   عذّبتهُ فراقبِ
يكفيك ما أبقيتُهُ   من ألم الفراق بي

وقال [من الرجز] :

من وجهه يطلع نجم المشترى   ياقوتةً تثمر شهداً فاشترِ
يا من نضا باللحظ سيف الأشترِ   إذا وجدت الحرَّ عبداً فاشترِ

* * *

١١٩ ـ أبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان

أنفق ماله على الأدب ، فتقدم فيه ، وبرع في علم اللغة والنحو والعروض ، وأخذ عن الجوهري الذي تقدم ذكره ، واستكثر منه ، وحصل كتابه كتاب الصحاح في اللغة بخطه ، واختص بالأمير أبي الفضل الميكالي ومدحه وأباه بشعر كثير ، ثم آثر الزهد والإعراض عن أعراض الدنيا ، وقال لما أزمع الحج والزيارة [من الوافر] :

أتيتك راجلاً ووددت أنّي   ملكت سواد عيني أمتطيه
وما لي لا أسير على المآقي   إلى قبرٍ رسولُ الله فيه

(١) الخلال : عودٌ يزال له الطعام من بين الاسنان .

وقال [من الطويل] :

أيا خير مبعوثٍ إلى خيرِ أمّةٍ نصحتَ وبلّغتَ الرسالةَ والوحيا
فلو كان بالإمكان سعيي بمقلتي إليك رسول الله أنضيتها سعيا

وقال [من مخلع البسيط] :

عبدٌ عصى ربّه ولكنْ ليس سوى واحدٍ يقولُ
إن لم يكن فعله جميلاً فإنّما ظنُّهُ جميلُ

وقال للأمير أبي الفضل الميكالي [من مجزوء الكامل] :

في دار مولانا الأمير محلُّ أهلِ العلم عالي
لا سوق أنفق فيه من سوق المكارم والمعالي

وقال لصديق له [من الوافر] :

نصحتك يا أبا إسحاق فاقبلْ فإنّي ناصحٌ لك ذو صداقه
تعلَّمْ ما بدا لك من علومٍ فما الآداب إلا في الوِراقه[1]

وقال من قصيدة في مرثية البديع [من الوافر] :

وما الإنسان في دنياه إلاّ كبارقةٍ تروق إذا تلوحُ
نفيسةُ نفسه نفسٌ توالى ومدّته مدىً ، والروح ريحُ

وقال من أخرى [من الكامل] :

عزّ الغزال بمِسْكِهِ لا مَسْكِهِ والصرف للدينار لا الصّرفان
شبه الزمرّذ لا يكون زمرّذاً ولئن تقارب منهما اللونان

---

(١) الوراقة : أي في الأوراق التي تجمع ما كتب من أدبٍ وغَيْرِه . والوراقة : صناعة الورق أو ملازمتها .

وقال [من مجزوء الرمل] :

خفْ إذا أصبحـــت ترجو وارجُ إن أمسيت خائفْ
ربَّ مكـروهٍ مخـوفٍ فيــه لله لطائـفْ

ولولا أنه سألني أن لا أورد في كتابي هذا شيئاً من شعره في الغزل والمدح لكتبت من ذلك جملة صالحة ، لكنني انتهيت إلى رأيه ، وعملت بما سألني به ولم أتعده .

* * *

١٢٠ ـ أبو حفص عمر بن علي المطوعي

شاب لبس برد شبابه على عقل مكتهل، وفضل مقتبل . وسما الى مراتب أعيان الأدباء والشعراء ، التي لا تدرك إلا مع الانتهاء ، واتصل بخدمة الأمير أبي الفضل الميكالي ، فتخرج بالاقتبـاس من نوره ، والاغتـراف من بحـره ، وألف كتاب « درج الغرر ، ودرج الدرر ، في محاسن نظـم الأمير ونثـره » وحين ألف صاحب هذا الكتاب كتاب « فضل من اسمه الفضل » عارضه بكتاب « حمد من اسمه أحمد » وله كتاب « أجناس التجنيس » وغيره ، وشعره كثير الملح والظرف ، لا يكاد يخلـو من لفـظ أنيق ، ومعنـى بديع ، كقولـه في وصف النارنـج [مـــن الكامل] :

أهــلاً بنارنـــج أتانــا غدوةً في منظـــرٍ مستحســـنٍ مومـوقِ
أصبحـــت أعشقــه ويحــكي عاشقاً يا حسنــه من عاشـــقٍ معشوقِ

وقال [من الوافر] :

ومعشـــوقِ الشمائــل قام يسعى وفــي يده رحيقٌ كالرّحيق
فسقّانـــي عقيقــاً حشــو درٍّ ونقّلنـــي بدرٍّ في عقيـق

وقال [من الطويل] :

ألســت ترى أطبــاق وردٍ وحولها | من النــرجس الغضّ الطــري قدودُ
فتلك خدودٌ ما عليهــن أعينٌ | وهــذي عيونٌ ما لهــنّ خدود

وقال [من السريع] :

وشــادنٍ ما مثلــه في الصِّباح | كالشــمس أو كالبــدر أو كالصباح
لي من ثنــاياه ومــن طرفِهِ | وخــدِّهِ راحٌ وراحٌ وراحِ

وقال [من الكامل] :

سحــر العيون غداة خطَّــتْ كفُّهُ | في رائــق القرطــاس رائــقَ سطرِهِ
فأتــى بمثــل الوشــي واحــد نسجه | أو مثــل زهــر الــروض ثانــي قطره
خطٌّ يحــاكي منــه سحــرَ جفونِه | وطــرازُ عارضــه ولؤلــؤَ ثغره

وقال [من الطويل] :

بنفســي من تمَّــت محاســن وجههِ | فمــا هو إلاّ البــدر عنــد تمامِ
وأرســل صدغــاً فوق خطٍّ كأنّهُ | جنــاح غرابٍ فوق طوق حمام

وقال [من السريع] :

انظــر إلــى وجــه صديق لنا | كيف محــا الشــوك به النقشا
قد كتــب الدهــر علــى خدِّهِ | بالشعــر (والليل إذا يغشى)

وقال [من الوافر] :

غدا منــذُ التحــى ليلاً بهيماً | وكان كأنَّــهُ البــدرُ المنيرُ
فقــد كتــب الســواد بعارضيه | لمــن يقــرأ (وجــاءكم النذير)

وقال [من المتقارب] :

تكبَّــر لمّــا رأى نفسَهُ | على هيئــة الشــمس قد صوِّرتْ

سينـدم ألفـا علـى كبره إذا الشـمس في خده كوِّرتْ

وقال [من المجتث] :

قـل للـذي يهـواهُ أذاقنـي كأس صـابِ[1]
تـركتنـي مستهـامـاً أصلـي بحـرِّ التّصابـي[2]
مـا بين دمـعٍ مصوب وبين قلـب مُصاب

وقال [من البسيط] :

إنّـي علقـت غزالاً قلبـه علِقٌ بمثلـه في كمـال الحسـن واللينِ
فالحمـد لله حمـداً لا انقضـاء له أصبحـت جدّاً وسنـي دون عشرينِ

وقال [من البسيط] :

لمـا استقلّت بهـم غير النـوى أُصُلاً وشتّتهُـمْ صروف البين تشتيتا[4]
جلست أنظم في وصف الهـوى دُرراً والعين تنثـر من دمعـي يواقيتا

وقال [من الطويل] :

أيا منية المشتـاق فيم تركتني كئيبـاً بلا عقـلٍ قتيلاً بلا عقل[5]
فإن كنت أنكرت الـذي بي من الهوى أقمـت به من أدمعي شاهـدي عدل

وقال [من الكامل] :

يا ليلُ هل للصبـح فيك وميضُ فعلـيَّ غمٌّ مِنْ دجـاك عريضُ

---

(١) الصاب : العلقم ، والمرّ .

(٢) أصلى : احترق ، والتصابي : تكلّف الصّبا والميل إلى الفتوة والجهل .

(٣) مصوبٍ : أي هاطل ، ومُصاب : أي أصيب بالهوى وبغيره .

(٤) استقلت بهم : حملتهم ، وأصلاً : ليلاً أو عند مغيب الشمس .
وشتّتهم : فرقتهم. صروف البين : أحداثه وغِيَرُهُ .

(٥) « عقل » الأول هو أداة التفكير ، والثاني بمعنى الدّية .

ليلٌ حكى الغربـان سوداً لونه   وكأنَّ أنجمـه البـزاة البيضُ

وقال [من البسيط] :

يكفيك أن الهوى لم يبقِ في جسدي   من الجـوارح عضـواً غير مجروح
إنّي نحلـتُ الهـوى قلبـي فأنحلني   حتـى غدا جسـدي أخفـى من الروح

وقال [من البسيط] :

نفسـي فداء غزالٍ ما اكتحلـت به   إلاَّ تصوّرتـه أنمـوذج الحورِ
وكلمـا رام نطقـاً وهـو مبتسمٌ   فالـدرُّ ما بين منظـومٍ ومنثورِ
أضحى جنـى النحـل ممزوجاً بريقته   لكنّمـا الخصـر منـه خصـر زنبور[1]

وقال [من الطويل] :

أرى الفطـر عيد النـاس في كلِّ بلدة   ووجهـك لي عيدٌ ورؤيتـه فطري
إذا ما أعـدّ النـاس للفطـر عطرهُمْ   فحسبـي بمـا في عارضيك من العطر

وقال [من الخفيف] :

قم إلـى الـراح فاسقنيها ففيها   قوّةٌ للفتـى وقـرّةُ عينِ
ما ترى الصـوم صار بالأسودين   وأتانـا شوال بالأحمرين

وقال [من الوافر] :

صديقـك قد ألـمّ به صديقٌ   وأعـوزه الشـرابُ الأرجواني
وقـد بعثـا إليك وليس شيئاً   سوى معهـودِ فضـلك يرجوان

وقال [من الكامل] :

لا تعرضـنَّ علـى الـرواة قصيدةً   ما لم تبالـغ قبـل في تهذيبها[2]

---

(١) الزنبور : « الدّبور » هكذا تسمّيه العامة وخصره يكون مذهباً .
(٢) المحفوظ : ما لم تكن بالغت في تهذيبها » والتهذيب : الصقل والعناية .

فمتـى عرضـتَ الشّعـر غير مهذبٍ عدّوه منـك وساوسـاً تهـذي بها

وله من نتفة في ذكر جوين حين كان بها مع الأمير أبي الفضل الميكالي [من الكامل] :

طابـت جوين لنـا وطـاب هواؤها فسقى السحاب الجـون أرض جوينِ
أرضٌ أقـام بهـا الأمير فألبست بمقامـه فيهـا ملابس زينِ
فكأنّمـا أنهارهـا من كفِّهِ تجـري وقـد جادت لنـا بلجين
وكأنّ زهـر رياضهـا من بشره يهـدي الضياء لكلِّ ناظـرِ عينِ

وله فيها [من الوافر]:

ومـرّتْ في جوين لنـا ليالٍ عددناهـنّ من عيشِ الجنانِ
رضعنـا في حجـور الأمـن فيها بأفـواهِ الرضـى ثدي الأماني
لدى قرمٍ خلائقـه نجومٌ ولـكنْ وجهـه للبـدر ثاني

***

١٢١ ـ أبو العباس الفضل بن علي الإسفرائيني

إسفرائين من كور نيسابور ، مخصوصة بإخراج الأفراد، كأنو شروان الذي افتخر به النبيﷺ ، فقال «ولدت في زمن الملك العادل» فهو أفضل ملوك العجم وأعدلهم بالإجماع وإن كانت لأزدشير فضيلة السبق . ومسقط رأس أنو شروان مشهور بإسفرائين .

وكأبي جعفر حمويه بن علي الذي أحيا دولة آل ساسان وحاطها ، واجتاح أعداءها ، وتولى لهم أربعين حربا لم ترد له فيها راية ، ولم تفته من مطالبه غاية ، حتى وطأ الله لهم على يده مهاد الملك ، وجبى إليهم ثمرات الأرض، هذا مع رجوعه إلى نفس أمارة بالعدل والخير ، بعيدة من الجور والشر ، مدلولة على سبل البر ، تشهد بها آثاره بنيسابور وأوقافه وأخباره .

وكالشيخ الجليل أبي العباس الفضل بن أحمد، فإنه هو الذي ربى ملك السلطان المعظم أبي القاسم محمود بن سبكتكين ، أدام الله تأييده! كما يربى الطفل الصغير حتى يشتد عظمه ، ويؤنس رشده. وما زال يدرجه بحسن هدايته وكفايته إلى الزيادة ، وبلوغ الإرادة ، حتى ثبتت أركانه ، وعلا مكانه . وتلاحقت رجاله ، وتكاثرت أمواله . وتوالت فتوحه ، وارتقت فتوقه وكأبي حامد بن أحمد بن أبي طاهر الإسفرائيني إمام أصحاب الحديث ببغداد وصدر فقهائها ، فإنه بلغ من الفقه والتدريس مبلغا تنثني به الخناصر ، وتثني عليه الأفاضل .

وكأبي العباس بن علي ، فإنه من بقية الكرام الأجواد الذين لا تخرج أوصافهم إلا من الدفاتر وكتب المآثر ، فهو من حسنات نيسابور ومفاخرها وهو الآن الحاكم والزعيم باسفرائين والناظر في أمورها ، والمناضل عن أهلها ، والمتكفل بمصالحها ومناجحها ، يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، وطبع كريم وخلق عظيم ، ومن حسن أثره ويمن نقيبته أن إسفرائين حرم أمن ، وجنة عدن ، عامرة به ، وقد شمل سائر كور نيسابور نواحيها الخراب وعمها الاختلال وكانت إسفرائين فيها لمعة في ظلم وغرة في غرر ، ومن عجيب شأنه أنه ـ على إقلاله وكثرة ديونه وقصور دخله عن خرجه ـ يقيم من المروءة وسعة الرحل ما لا عهد لمن فوقه في الجاه والمال بمثله ، ويبذل للزوار والعفاة ما لا يقدم أجواد المياسير على بذله ، وكأن الأشجع السلمي عناه بقوله [من المتقارب]:

وليس بأوسعِهِمْ في الغنى ... ولكنَّ معروفه أوسع

وله كتابة حسنة ، ومحاضرة مفيدة ، وفصاحة مرضية ، وشعر كثير لا يحضرني منه الآن إلا قوله [من الطويل]:

وكنت إذا ما سرّح المشط عارضي ... رأيت سحيق المسك بين يديَّا
فصرت إذا ما خلَّلته أناملي ... تناثر كافورٌ بهنَّ عليَّا

وقوله لبعض أصدقائه [من الطويل] :

أرانــي إذا ما سرت نحــوك زائراً　　خطــاي وســاعٌ، والمسير ذميل[1]
وإن ما أرحْ بالإنصــراف مودّعاً　　فأدرم مشياً والحــراك قليل[2]

وقوله في شمعة نصبت في بركة [من المنسرح] :

وشمعــةٍ وســط أيمــن البُركْ　　تميس في المــاء ميس مرتبِكْ
كأنّهـا البـدر في السمـاء سرى　　فحــار في أوجـه من الفلك

وقوله في فوارة أقلت تفاحة [من المتقارب] :

وفــوارةٍ سائــلٍ ماؤها　　بتفاحــةٍ مثـل خدِّ العشيق
كمنفخــةٍ من رقيق الزّجاج　　تُدار بهــا كرةٌ من عقيق

***

١٢٢ ـ أبو الفتح أحمد بن محمد بن يوسف الكاتب

من رستاق جوين ، وقع إلى بخارى في آخـر الدولـة السامـانية، واتصـل بالخانية ، فتولى ديوان الرسائل لبغرا قراخان ونازع أبا علي الدامغاني في الرتبة ، ثم زال أمره وانحطت حاله ، وقصد غزنة فلم يحظ بطائل ، وعاود نيسابور فمات بها ، وكان أعطاني من شعره مجلدة أخرجت منها قوله [من المتقارب] :

تزوّجَتَ ويحــك عوّادةً　　ليطعمــك النــاس من أجلها
لقـد جئـت في اللـوم أعجوبة　　أرى الكلــب يأنفُ من مثلها

وقوله [من البسيط] :

شعري متينٌ وخطّي حين تلحظهُ　　كالروض حسنـاً ومـا في منزلـي قوتُ

(١) الذّميل : السير السريع الليِّن .
(٢) أدرم : تعثّر وسقط ، يقال أدرمت أسنان الولد : تحركت وسقطت لنبات أسنانٍ أخرى .

لا الـــدرُّ عندهمـا درٌّ إذا جمعا عنـــد الأديب ولا الياقــوت ياقوتُ
لكنّ عيبــي أنــي لســت ذا قحةٍ لذاكُـمُ أنــا مهجــورٌ وممقوتُ[1]

وله [من البسيط]:

ما للبــراغيث طولَ الليل راتعةٌ أجلْ وطولَ نهـار الصيف في جسدي
بليت منهـا بمـا تبلـى الـكرام بهِ من اللئــام وأهــلُ البغــي والحسدِ

وله [من السريع]:

لمــا رأيت الشيخ قد ملّني وآزورّ عنــي وآزدرى قدْري
رضيتُ بالفقــر ولازمتُهُ في منــزلٍ أضيقُ من صدري

وله [من الوافر]:

سقــاكِ الله نيسابــور غيثاً يبــرّد غلّــةَ الهيمِ العطاشِ[2]
فقــد أحدثــت كتّابــاً ظرافاً لطافــاً طاب بينهُــمُ معاشي
إذا أبصرتُهُــمْ أنشــدت بيتاً رواه لنــا زهيرٌ عن خراشِ
خريتــم في البياض وكان عهدي بكم تخــرون قبــلُ علــى الفراشَ

وله [من الطويل]:

جفانـي وهاجانـي ولـم يخشَ صولتي ولا سطوتــي الشيخُ العميد أبــو نصرِ
وكان حريٌّ ألاّ يكاشِفَ شاعراً وفي داره يجري من الخزي ما يجري
وقــد خاف أولاد العفــائف جانبي فمـا أمنه إياي وهــو ابــن من يدري

وله [من السريع]:

ولحيةٍ للشيخ إنْ تلقها لقيتَ من حاملهــا مائقا[3]

(١) القحة : من الوقاحة . والممقوت : المبغوض والمستثقل .
(٢) الغيث : المطر : والغلّة : الظمأ ، والهيم : الذين يحتاجون للماءِ أي الظّماء .
(٣) المائق : الأحمق .

سلط عليها ربُّنا نادفاً بلْ ناتفاً بلْ حالقاً حاذقا

وله [من الخفيف]:

سيرة الشيخ سيرةٌ مذكوره وأياديه بيننا مشكوره
إذ لديه محلُّ كلِّ كريمٍ كمحلِّ الكلاب في المقصوره

وله [من السريع]:

من كان ذا جاريةٍ بضَّةٍ ولحمها عارٍ مِنَ الشّحمِ
فهذه يا إخوتي فاعجبوا جاريتي عظمٌ بلا لحمِ
عظمٌ بلا لحمٍ ولكنَّها مولعةٌ بالمضغ للحم

وله [من السريع]:

أقول للشيخ إذا جثتُهُ والشيخ لا يفكر في الهجو
سبحان من أعطاك هلّوفةً تصلح للهجو وللنجو[1]

وله [من الوافر]:

لقد جلَّ ارتياحي واغتباطي بما يلقاه من ألم السقامِ
وأرجو أن يُتمَّم لي سروري بما يُسقاه من كأس الحمامِ
وحاشا أن يذوق الموت إلاَّ بحدٍّ مهنّدٍ ذكرٍ حسام[2]
على أن الحسام يزلّ عنه ولكنْ بالحجارة والسلام

وله [من البسيط]:

جَهْلُ الرئيس وحقِّ الله يُضحِكُنا وفعله وآلهُ الناس يُبكينا

***

(١) الهلّوفة : اللحية الضخمة ، والنجو : أي المناجاة بالأسرار والعشق .
(٢) المهنّد : السيف ، والذكر : الحديد الصلب ، والحسام القاطع .

١٢٣ ـ أبو القاسم الحسين بن أسد العامري

من رستاق خواف ، أحد الأدباء المذكورين، والمؤدبين المشهورين بنيسابور وكان يؤدب أولاد الرؤساء بها ، وله شعر كثير اقتصرت منه على قوله [من البسيط] :

يدي على كبدي من شدَّةِ الكمدِ كأنّما خُلِقَتْ كفَّاي من كبدي
نظرت فاحترقتْ أحشاي من نظري فمن ألوم وقد أحرقتُها بيدي
الشوق يجمعني والهمُّ في قرنٍ جمعاً يفرِّقُ بين الروح والجسد[١]
جودي ليَ اليوم أو عودي غداً دنفاً أو آندبي لقتيلِ الحبِّ بعد غدِ

وقوله [من الرجز] :

فرسكةٌ حمراءُ كالعقيق هدية جاءتك من صديق[٢]

***

١٢٤ ـ ابنه أبو النصر طاهر بن الحسين

كتب إلى أبي الحسين بن فراسكين ، وكان يؤدب ولده [من الكامل] :

حثُّ الكريم على التفضُّل بدعةٌ يا خيرَ من يمشي على وجه الثرى
جاء الشتاء ولست أملك درهماً والاعتماد عليك، فانظرْ ما ترى

***

١٢٥ ـ أبو عبد الله الغواص

من قرية الجنيد ، من رستاق بست بنيسابور ، أديب متبحر في اللغة شاعر باللسانين كثير المحاسن ، وهو الآن حي يرزق ، وله نعمة ودهقنة[٣] وديوان شعره

(١) القرن : في حبلٍ واحد ، أو رباطٍ واحد .
(٢) الفرسك : الخوخ ، والفرسق لغة فيه وهي يونانية الأصل .
(٣) الدهقنة : رئاسة المقاطعة والاقليم .

عظيم الحجم ، ومن ملحه قوله [من الرمل] :

من عذيري من عذولـي في قَمَرْ قامَـرَ القلـبَ هواهُ فقمر
قمـرٌ لم يبـق منّـي حبُّهُ وهـواه غير مقلـوبِ قمر

وقوله في دار السيد أبي جعفر الموسوي [من الكامل] :

يا دار سعـدٍ قد علـتْ شرفاتها بنيَتْ شبيهـة قبلـةٍ للنّاسِ
لورود وفـدٍ، أو لدفـع ملمّةٍ أو بذل مالٍ، أو إدارة كاسِ

وقوله في قوم من المتفقهة وسخى الثياب جيدي الأكل [من الهزج] :

أنـاسٌ نَتْنُهُمْ يربى علـى نتـن الظرابين[1]
وأكلٌ لهُـمُ يربى علـى أكل الثعابين

وقوله [من البسيط] :

الخيبـريون في أستاههِـمْ سعةٌ وفـي أكفِّهـمُ ما شئـت من ضيقِ
ومنهُـمُ أحمـد المذمـوم ، مذهبُهُ بلعُ الأيورَ بلا ريقٍ علـى الريق

***

١٢٦ ـ أبو حاتم الوراق

من قرية كشم من رستاق نيسابور، ورق بنيسابور خمسين سنة ، وهو القائل [من الكامل] :

إنّ الوراقـة حرفـةٌ مذمومةٌ محرومـةٌ، عيشـي بهـا زَمِنٌ[2]
إن عشـتُ عشـتُ وليس لي أُكُلٌ أو متُّ متُّ وليس لي كفنُ

---

(١) الظرابين : جمع ظرباء ، وهي دويبة منتنة كالهرّة .

(٢) الزّمِن : الذي مرض مرضاً طويلاً يصعب شفاؤه .

ومن ملحه قوله في نور الخلاف المسكي [من الرجز]:

كأنّ نورَ شجر الخلافِ أكفُّ شنورٍ بلا خلاف

***

١٢٧ ـ أبو جعفر البحاث، محمد بن الحسين بن سليمان

من زوزن إحدى كور نيسابور، مشهور بالأدب والعلم، وكان له محل من الشعر وتصرف في القضاء ببلاد خراسان، وأنشد قول ابن المنجم [من الطويل]:

فلا تجعلنّي للقضاة فريسةً فإنّ قضاة العالمين لصوصُ
مجالسهم فينا مجالسُ شرطةٍ وأيديهُم دُون الشصوص شصوص[١]

فقال مجيزاً لهما [من الطويل]:

سوى عصبةٍ منهم تُخصّ بعفةٍ ولله في حكم العموم خصوص
خصوصهم زان البلاد، وإنّما يزين خواتيم الملوك فصوصُ[٢]

ومن ملحه السائرة قوله [من المجتث]:

هديةٌ بنسبةٍ أذيّةٌ أو بليَّهْ
باللهِ قل لي أكانت هديةٌ أم وصيّه
إن أخّرت عن حياتي وعاجلتني المنيّه
فأعطها بعد موتي أقاربي بالسويّه

وهذه قصيدة له كتبتها كلها لحسن ديباجتها [من المتقارب]:

شبابٌ كلامعِ برقٍ رحَلْ وشيبٌ كمثلِ غريمٍ نزلْ

---

(١) الشصوص : جمع شِص : وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك . والشصوص : اللصوص المهرة .

(٢) خصوصهم : ما يخصُّهم ، أوما يتفرّدون به ، والفصوص : جمع فص ، وهو لبُّ الخاتم .

وقـدٌّ قويمٌ جفـاه الزمان ... كخـوطٍ تحانـي وغصـنٍ ذبلْ[1]
وشعـرٌ تطـاير فيه البياض ... يحـاكي سواه خضـابٌ نصل
وثغـرٌ تناثـر كالأقحوا ... ن غازلـه الليل رشٌّ وطل
ووجـهٌ نبـت عنـه نجـل العيون ... وقـد كان روضـاً لحـور المقلْ
وخطـوٌ كخطـو القطـا في الرما ... ل من بعـد وثـبٍ كوثـب الإبِل
وجسـمٌ تراجـع بعـد النماء ... كزرعٍ تناهـى وبـردٍ سمل[2]
ترحَّـل ما سرَّ مستعجلاً ... وشيك الـرحيل ومـا ساء حلّ
مضـت وانقضـت غفـلاتُ الشبابِ ... وجـاء المشيب وبئس البدل
كأني رأيت الصبـا في المنام ... خيالاً تمثّـل ثمَّ اضمحلْ
أما لكَ فيمـا ترى عبرةً ... وشاهـدَ صدقٍ بقـربِ الأجل
إلـى كم تطـوفُ ببـاب الملوك ... كطيرِ الفـراش بضوءِ الشّعل
فطـوراً تُجـلّ وطوراً تُغَلّ ... وطـوراً تُعـزّ وطـوراً تُذل
أتغفـلُ عن نائبـاتِ الزمان ... وهـنَّ سِراعٌ إلـى من غفلْ
زمـانٌ يدير علـى أهله ... بسعـدٍ ونحسٍ كؤوس الدولْ
فإحدى يديه تمجُّ الذعاف ... وإحدى يديه تمجُّ العسل[3]
ألـم تعتبـرْ بِبقصـور الملوك ... خلـت منهـمُ بوشيك الرحل
فسلهـا وقـل اين سكانها ... وأين الملـوك وأين الخول[4]
وأين الجيوش وأين الخيول ... وأين السيوف وأين الأسل[5]
وأين الـذين حكوا بالقدود ... غصونـاً ثناهـا النـدى والبللْ
كجـنٍّ علـى الجـنِّ قد أقبلوا ... بسـود القـلانس حشـو الحِللْ

(١) الخوط : الغصن الناعم .
(٢) سَمَل : أبلى وسمل العين : فقأها بحديدة محمّاة ، وسمل الحوض : لم يخرض منه إلاّ ماءُ قليل .
(٣) الذُّعاف : السُّمُّ القاتل المميت .
(٤) الخول : العبيد .
(٥) الأسل : الرماح .

طوتهـم عن الأرضِ آجالُهُمْ ولـم تغـن عنهـم صنـوف الحيَل
ومـا ذاك من كوكبٍ قد بدا من الشـرق أو كوكبٌ قد أفل
ولا الخير يأتـي به المشتري ولا الشـرّ يقضـي علينـا زُحل
ومـا الأمـرُ إلاّ لرب السماء وقاضـي القضـاة تعالـى وجلّ
قليلٌ جميع متـاعِ الغرور وطالبـه من قليلٍ أقلّ
وضـلّ عن الرشـد جمّاعه وحاسـده منـه فيه أضلّ
سبـاعٌ حواليه زرقُ العيون كلابٌ وأسـدٌ وذئـبٌ أذلّ
فهـذا يجـاذبُ ما قد حواه وهـذا يخالسـه ما فضل
إذا وضعـوه علـى نعشه أشاعـوا البـكا وأسـرّوا الجذل[١]
وإن دفنـوه نسـوه معاً وكـلٌّ بميـراثـه مشتغِـلِ
فهـذا قصـارى جميع الأنا م مَنْ جلَّ أو قلَّ منهُـمْ وذلّ
أقـول وللدمـع في وجنتي سوابـق قطـرٍ له مستهلّ
سلامٌ علـى طيْبِ عيشٍ مضى وأنسٍ بإخـوان صدقٍ نبل[٢]
سلامٌ علـى قوتـي للقيام إلـى الفـرض في وقتـه والنفل[٣]
سلام علـى الختـم في ليلةٍ بقلـب كئيب حليف الوجل[٤]
سلام علـى الكتـب ألّفتها ووشّحتُهـا بصحـاحِ العلل
سلامٌ علـى مِدَحٍ صغتُها وحبرتُّهـا في الليالـي الطوَل
سلام امـرىءٍ ما اشتهـى لم يجدْ ومـا رامِ مجتهـداً لم ينل
أنـاب إلـى ربـه تائباً ومستغفـراً للخطـا والزَّلل[٥]

(١) أسرّوا : أخفوا وكتموا ، والجذل : السرور والفرح .
(٢) نبل : فارق ، من نبل السهم : أي فارق القوس
(٣) الفرض : أوان الصراة ، والنفل : النوافل المستحبة طاعة لله .
(٤) الختم : أي الانتهاء من قراءة القرآن ، والوجل : الخوف والخشية .
(٥) أناب : أي عاد تائباً ، والزَّلل : الخطأ .

وله وقد حلم بخيال حبيب له فنبهه ذلك الحبيب فقال [من البسيط] :

يا من ينبِّهنــي عن رقــدةٍ جمعتْ بينــي وبين خيالٍ منــه مأنوسِ
دعنــي فإنّــك محــروسٌ ومرتقبٌ وخلّنــي وخيالاً غير محروسِ

***

١٢٨ ـ أبو منصور محمد بن على الإسماعيلي الجويني

أحد أفاضل الأدباء ، بل أوحدهم ، يجمع تفاريق المحاسن ويرجع بناحيته إلى دهقنة وكفاية . ويتحلى بستر وقناعة ، وله شعر كثير يحضرني منه قوله [من المجتث] :

يا واصفــاً لي شوقَهُ ومــا سمــا منــهُ فوقَهْ
حســوتُ من ذاك مالاً مشنــوقٌ يستــطيع ذوقَهُ
وفــوق ظهريَ منهُ ما يشتــكي قدس أوقه(١)

وقوله [من المجتث] :

إنّ الــزيارة يزري إدمانهــا بالمحبَّهْ
وعــادة الغــبِّ فيها أولــى بحســن المغبّه(٢)

وقوله [من مخلع البسيط] :

ما أبين العــذر في كتابٍ في الظهــر حيث البياض يعوزُ
أليس عنــد افتقــاد ماءٍ تيمّــمٌ بالصــعيد يجوزُ

وقوله [من السرّيع] :

اعــذر صديقــاً في بياضِ حكى كاتبــه في دقّةِ الجسمِ

(١) الأوق : الثقل .
(٢) الغبّ : الزيارة حيناً بعد حين .

كأنّمــا أعدتــه أشواَقُهُ فصيّرتــه ناحــل الجرم[1]

***

١٢٩ - أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني

كان غرة في وجه زوزن ، وورد نيسابور وهو غلام يتناسب وجهه وشعـره حسنا ، فأخذته العيون ، وقبلته القلوب ، وارتاحت له الأرواح ، واستكثر من أبي بكر الخوارزمي وأخذ عنه الفصاحة حتى كاد يحكيه ، وتفتحت له أبواب الشعـر وتفتقت أنواره فقال ، من قصيدة [من الطويل] :

ولا أقبـل الـدنيا جميعـاً بمنَّةٍ ولا أشتـري عزّ المراتـب بالذُّلِ
وأعشـق كحـلاء المدامـع خلقةً لئـلاّ يرى في عينهـا منَّـة الكحل

وقال [من المتقارب] :

ألا حلّ بي عجـبٌ عاجبٌ تقاصـر وصفـيَ عن كنهِهِ
رأيت الهـلالَ علـى وجـهِ مَنْ رأيت الهـلال علـى وجهِهِ

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال : أنفذ إلى أبو نصر الزوزني رقعة وسألني أن أعرضها على والدي فإذا فيها هذه الأبيات [من مخلع البسيط] :

يا أيُّهـا السّيد المرجّى إن حلَّ صعـبٌ وجـلَّ خطبُ
عنـدي ضيفٌ وليس عندي ما هو للملهيات قطبُ
فالصـدر منـي لذاك ضَيّقٌ لكنْ رجائـي لديك رحب
أقِـمْ علينـا سمـاء لهوٍ أنجمهـا بالمـزاح شُهُـبُ
نشـربْ ونوقـظْ به قلوباً ويصبـح الجسـم وهـو قلب

ولما استوى شبابه وشعره ورد العراق وانخرط في سلك شعراء عضد الدولة ،

---

(١) الجرم : الجسم .

فهب عليه نسيم الثروة ، وتمهد له فراش النعمة ، ثم إنه احتضر أحسن ما كان شباباً ، وأكمل ما كان آداباً ، وكتب إلى والده قصيدة وهو في سكرة الموت أولها [من الوافر] :

ألا هل من فتىً يهب الهوينا لمؤثرها ويعتسفُ السّهوبا[1]
فيبلغ والأمور إلى مجازٍ بزوزن ذلك الشيخ الأريبا
بأن يد الرّدى هصرت بأرض العراق من ابنِهِ غصناً رطيبا[2]

وليس يحضرني باقيها .

* * *

١٣٠ - أبو العباس محمد بن أحمد المأموني

كان من علماء المؤدبين وخواصهم ، وانتقل من زوزن إلى نيسابور واشتغل بالتدريس والتأديب ، وله شعر كثير وقصائد مسمطة ، كقوله من قصيدة أولها [من مجزوء الوافر] :

لعل سعاد تسعد مَنْ أضرَّ به الفراق وأنّ
تكفّ يد الصبابة عنْ فؤادٍ شيّقٍ تعِبِ

ومنها :

وفقدُ الغمد لا يزري بعضبٍ فيصلٍ يبري
وإن الطِّرف قد يجري بغير ثيابه القشبِ[3]

وقوله من أخرى في التوحيد أولها [من مجزوء الوافر] :

إلّه الخلقِ معبودي وفي الحاجات مقصودي

---

(١) يعتسف : يسير على غير هدى ، والسهوب : من الأرض : البعيدة السهلة .
(٢) هصرتْ : كسرت .
(٣) الطرف : الجيد الأصيل من الخيل . والقشب : الجديدة النظيفة .

ودين الكفر مردودي وعصمة خالقي وزري

وأنشدني لنفسه في وصف تفاحة [من الطويل] :

وتفاحةٍ من سوسنٍ صيغ نصفُها ومن جلّنار نصفُها وشقائقِ
كأنّ الذي فيها من الحسن صائحٌ بأن آمنوا يا جاحدون بخالقي

وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

لا العسر يبقي على حالٍ ولا اليسر ألا ترى أنّ من يعلو سينحدِرُ
لا تسخطنّ على دهرٍ لحادثةٍ فكلٌّ حادثةٍ يأتي بها القدرُ
وكنْ بربِّك في الأحوال ذا ثقةٍ بأنّه دافعُ الآفاتِ لا الحذر

* * *

١٣١ ـ أبو القاسم علي بن أحمد بن مبروك الزوزني

كان متفنناً في العلوم ، قائلاً بالاعتزال والزهد والتصوف، وله شعر كثير من أشهره قوله [من البسيط] :

سواد صدغين من كفرٍ يقابله بياضُ خدّين من عدلٍ وتوحيد
قد حلّت الزنج أرض الروم فاصطلحا يا ويح روحي بين البيض والسود

***

١٣٢ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني

أديب شاعر، ظريف الجملة ، خفيف روح الشعر ، كثير الملح والظرف ، فمما أنشدني لنفسه في دار الأمير أبي الفضل الميكالي قوله في بعض الصدور بنيسابور [من مجزوء الكامل] :

لو كنت أعظمُ في الولا ية من يزيدِ بنِ المهلّبْ

أو كنـت أعلـم بالروا يـة من سعيد بن المسيّبْ
ولقيتنـي بتجـهّمٍ فالكلـب منـك إلـيّ أعجبْ

وقوله [من السريع] :

يا ربُّ وفقنـي للخير واقتـل عدوي بيديّ غيري
وقـوٍّ أيري فإن الفتى لذّتـه في قوّة الأير[1]

وقوله [من مخلع البسيط] :

يا سيدي نحـن في زمانٍ أبدلنـا الله منـه غيره
كلٌّ خسيسٍ وكلٌّ نذلٍ متّـع بالطيبـات أيره[2]
وكل ذي فطنـةٍ وكيسٍ يجلـد في بيتـه عميره

وقوله [من مجزوء الرجز] :

يا كاسبـاً من إسته ومنفقـاً علـى الذّكرْ[3]
استـك تشـكوك فلا تفـرحْ إذا الأيرُ شكرْ

وقوله [من المجتث] :

يا مادح الشعـر جهلاً أعِـنْ أخـاك بصمتِ
لـو كان في الشعـر خيرٌ ما كان ينبـتُ في استي

وقوله [من الوافر] :

له أنفٌ حكى خرطـوم فيلٍ إلـى شفتين مثـل الكلبتينِ
فلا تغـررْكَ مِردتـه فإني رأيتُ القبـح إحـدى اللحيتين[4]

(١) ورد صدر البيت : وتولّ أيري فإن الفتى » وهوغير مستقيم الوزن ، وأصلحناه إلى الوجه الذي ذكر .
(٢) النّذل : الخسيس الحقير .
(٣) الاست : فتحة المؤخرة . والذّكر : عضو التناسل عند الرجل .
(٤) المردة : اللحية الحديثة .

وأنشدني الأمير أبو الفضل له [من المتقارب] :

إذا كنت معتقداً ضيعةً فإيّاك والشَّوهَ الوجوها[1]
لأنّك تقرأ إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)

وله [من مخلع البسيط] :

إلبس ثياباً وكنْ حمارا فإنّما تكرمُ الثّيابُ

* * *

انتهى الباب العاشر فتم به الكتاب ، وبقي على ذكر قوم من أهل نيسابور لم تحضرني أشعارهم ، وهم : أبو سلمة المؤدب ، وأبو حامد الخارزنجي ، وأبو سهل البستي ، وأبو الحسن العبدوني الفقيه ، وأبو بكر الجلاباذي ، وأبو القاسم العلوي ، وأبو سعد الخيزروذي ، وأبو سعيد مسعود بن محمد الجرجاني ، والفقيه أبو القاسم بن حبيب المذكر ، وأبو القاسم الحسن بن عبد الله المستوفى الوزير ، والشيخ أبو الحسن الكرخي ، والشيخ أبو نصر بن مشكان،وأبو العلاء بن حسولة أيده الله ، وسيتفق لي أو لمن بعدي إلحاق ما يحصل من ملح أشعارهم بهذا الباب إن شاء الله تعالى، وله الحمد والمنة والشكر ، وصلواته على النبي المصطفى محمد وآله الطاهرين ، والصحابة أجمعين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، آمين .

* * *

وهذه زيادة ألحقها الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي رحمه الله تعالى ! بخطه في آخر المجلدة الرابعة من نسخته على لسان المؤلف ولقد قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى لبعض تلامذته أوان القراءة : قد أجزت ما فعله

(١) الشوّه : القباح .

الأمير ، وإن شئت أن تثبته في موضعه من الكتاب فافعل فقد أجزتك بذلك .

* * *

١٣٣ - أبو الحسن علي بن محمد

الغزنوي مولدا ، الأصبهاني منشأ ، حسنة أرضه ، ونادرة دهره، ونجم أفقه ، وعقد قلائد الفضل وأهله، والجامع بين كرم الخيم والخير(١) ، والمكتفي بالفهم الثاقب والطبع الغزير ، والمتفنن في محاسن الآداب والعلوم ، والناظم حواشي المنظوم والمنثور ، ومما حضر في الوقت من بارع نظمه قوله [من المتقارب] :

إذا سلَّم الله دين امرىءٍ وعرضاً له من دواعي الخللْ
فما بعد هذين من حادثٍ تلقّاه أو ريبِ دهرٍ جلَلْ

وقوله في بغداد [من المتقارب] :

سقى الله بغداد مجنى العلوم ومغنى الأماني ومثوى الأدبْ
على أنّها حسرة المفلسين وجنّة عدنٍ لأهل النشب(٢)
إذا ما استتبّت لنا عودةٌ إليها قضينا أقاصي الأرب

وقوله [من الطويل] :

سقى الله أياماً ببغداد لي مضتْ خلتْ فألذّتْ وانقضتْ فأمضّتِ(٣)
ولم يك إلاّ عقد عمري وعلقةٌ تقضّى فكانت عيشتي قد تقضّتِ

---

(١) الخيم : السجايا والأصل .
(٢) النشب : المال .
(٣) أمضّت : آلمت وأوجعت .

وقوله في نكبته [من الخفيف] :

ليس إلاّ الرضى بما قدّر اللـه وإلا الإذعان والتسليمُ
والعزاء الجميل والصبرُ والإيـقانُ أنّ المولى رحيمٌ كريمُ
ومصير المظلوم عقبى نجاةٍ ومعاد البغاة مرعى وخيمُ
ليس فيما [مضى] من الخير خيرٌ إنّما الخيرُ في الذي لا يريمُ[1]
وكذا الشر ينقضي ليس شرّاً إنّما الشرُّ شرٌّ من يستديم
فاحمد الله إن حصلت مصيراً واشكرنْهُ أن لست ممّن تضيم[2]
واتق الله واستعنه وأيقنْ إنّ أجر الصبور أجرٌ عظيم

وقوله [من البسيط] :

الزجرُ والفألُ والرؤيا تعاليلُ وللمنجّم أحكامٌ أباطيلُ
والله بالغيب والتقدير منفردٌ وما سوى حكمِهِ غيٌّ وتضليلُ
فلا معجّل للمقضيٍّ آجله وليس للعاجل المقضيِّ تأجيلُ
ثقْ بالعليم الذي يقضي الأمور ولا يغررك ما دونه فالكلُّ تعليلُ

وقوله [من الكامل] :

يا من يُثمِّر للحوادث مالَهُ فوِّتْ نفسك حظَّها من مالِها
كن واحداً منها لسهمٍ واحدٍ لك إن حرمت سهامها بكمالها

وقوله في مرثية وجيه بن أحمد [من الطويل] :

أتى نبأٌ من نحو دينور مصعداً أقام جميع السامعين وأقعدا
وأورث أحناء القلوب تملْملاً وأودع أحشاء الضلوع توقّدا
وذوّب من بحر المدامع جامداً وجرّد من سيف الكآبة مغمدا

---

(١) يريم : يفارق .

(٢) الضيم : الظلم والإذلال .

وغـادر وجـه الفضـل والنبـل أغبراً وطرف الحجى والعقل واللبٌّ أرمدا
وأبقـى أسـاه كلَّ دمـعٍ مهلهلاً وأبقـى بكاه كلَّ خدٍّ مخدّدا[1]
فعـاد به شمـلُ الهمـوم مجمَّعاً وآضَ به شمـل السـرور مبدّدا[2]
ففـي كلِّ دارٍ منـه نوحٌ ورنّةٌ وفـي كلِّ قلـبٍ منـه كَلْـمٌ تجدّدا[3]
بأنّ الردى أنحى علـى المجـد والعلى وأودى بحـزم العلـم والحلـم والندى
بمـن كان للإحسـان والفضـل مألفاً ومـن كان للإنعـام والطـول معهدا
فويح الـردى كيف انبـرى دفعـةً له وكان به من قبـلُ يستدفـع الرّدى
عسـاه أتـاه في معـارض سائلٍ فراوده عن روحـه باسطـاً يدا
فمـا ردَّه لمـا اجتـداه تكرُّماً وكان قديمـاً لا يردُّ من اجتدى[4]
عفـاءٌ علـى دهـرٍ عفـا رسـم مجده فغـادر شلـو المكرمـات مقدَّدا[5]
وأنف المعالـي والكمـال مجدّعاً ووجـه المساعـي والفعـال مسوّدا[6]
لقـد كان حقّـاً غرَّةً في جبينِهِ فعـاد بهيمـاً بعـد أكلف أربدا[7]
سلامٌ عليه فائضٌ بركاته من الله والرضـوان مثنـىً وموحدا
ولا زال ريحـان الجنـان وروحها يصافحـه في كلِّ ممسـى ومغتدى

وقوله في علة عرضت له فحلف الطبيب أنها سليمة [من الكامل] :

حلف الـطبيب لأَبْرَأَنَّ مـن علتي ومتـى يريح من الممـات يمينُ
هوّن عليك فكلُّ ما هو كائنٌ سيكون إمّـا حان منـه الحينُ

---

(١) المخدّد : متقبّض من الضعف والهزال .
(٢) آض : عاد ، وصار .
(٣) الكلم : الجُرح .
(٤) اجتدى : سأل وطلب الحاجة .
(٥) الشلو : العضو ، مقدّدا : من القديد : وهو المجفّف من اللحم .
(٦) مجدّعاً : مقطّعاً .
(٧) أربد : مغبّر .

ولئن نجوت مسلَّماً من هذه ... إنّي بأخرى بعدها لرهينُ

وقوله [من الطويل] :

سقى الله أيام الصِّبا ونعيمها ... إذ القلب صابٍ في هوى المرد شيِّقُ
وإذ لا أحاشي لذّة كيفما انبرتْ ... وأني ويوم العيش غضّان ريّقُ[1]
لئن كان عذري في شبابي واسعاً ... عليَّ فصبري في مشيبي ضيِّقُ

وله في نكبة [من الطويل] :

لئن غصبت أيدي المظالم ضيعتي ... فلم تغتصبْ ديني وعلمي وأخلاقي
وإن ثمدت مالي الجوائح فالذي ... تكفّل بالأرزاق يوسع أرزاقي[2]
فديني موفورٌ ، وعقلي راجحٌ ... ووزري منزورٌ، وعلمي لي باقي[3]
وعرضي مصونٌ عن مخازٍ تظاهرتْ ... على هاضمي ، والحمد لله خلاقي
وما أرتجي في آجلي من مثوبةٍ ... وذخرٍ جزيلٍ فهو أنفس أعلاقي[4]
فسبحان من في كلِّ عارضِ محنةٍ ... له منحةٌ يقضي لها الشّكر أطواقي[5]

انتهت زيادة الإلحاق

* * *

تم الجزء الرابع من « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور الثعالبي ، وبتمامه تمام الكتاب ، والحمد لله الذي يسر سبل إكماله ، وصلاته على خير خلقه وعلى صحبه وآله .

---

(١) أحاشي : أُجانب ، وريّق : به رونق الشباب ونضارته .
(٢) ثمدت : قلّلت وأفنت ، والجوائح المصائب ، والمكاره التي تنزل بالمرء
(٣) الوزر : الذنب ، منزورٌ : مُبعد ومجُامى .
(٤) أعلاقي : نفائسي .
(٥) العارض : ما يعترض الانسان في حياته من عوارض وصعاب . وأطواقي : قدرتي وجهدي .

فهرس الجزء الرابع

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »
لأبي منصور الثعالبي

الباب التاسـع
شعراء وكتاب جرجان وطبرستان

فصل في ذكر شعراء طبرستان

الصفحة

البـاب العاشـر

القسم الرابـع
في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر
الباب الأول

الصفحة

الباب الثاني

في ذكر العصريين المقيمين في بخارى

الصفحة

الباب الثالث

في ذكر المأموني والواثقي ، ومحاسن أخبارهما

الصفحة

الباب الخامس

في ذكر أبي الفضل الهمذاني (بديع الزمان)

وحاله ووصفه

الصفحة

الصفحة

الباب السابع

في تفاريق ملح أهل بلاد خراسان ، سوى نيسابور

الصفحة

الباب التاسع

في ذكر الطارئين على نيسابور من بلدان شتى

الصفحة

الباب العاشر
في ذكر النيسابوريين

الصفحة